

المسرح الهام
غفر الله له ولوالديه

الروض الأثمن

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الثاني

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

الرَّوْضُ الْإِنْفِ

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المنوفى ٢١٨ هـ

الجزء الثاني

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

توزيع

بمكتب دار المعارف بمكة

حي الشرف

٦٨٧٧٠١٤

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ١٠٠١٤٤٤

جامعة الكويت
ادارة المكتبات قسم التزويد المرنك
رقم التسجيل ١٧٢٣٨
التاريخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،
محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .

« أما بعد » فباسم الله تقدم الجزء الثاني من « الروض الأنف » للسهلي
والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يمين على التمام ، وأن يجعل عملنا
هذا صالحاً عنده . إنه سميع مجيب .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

١٩ من رمضان سنة ١٣٨٧

٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٦٧

عبد الرحمن الوكيل

« أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم » :

قال ابن هشام : فولد عبدُ الله بنُ عبدِ المطلب رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -
سيدَ ولدِ آدمَ ، محمدَ بنَ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلب ، صلواتُ الله وسلامه ورحمته
وبركاته عليه وعلى آله . وأمه : آمنَةُ بنتُ وهب بنِ عبدِ مناف بنِ زُهرة بنِ
كِلاب بنِ مُرّة بنِ كعب بنِ لؤي بنِ غالب بنِ فهر بنِ مالك بنِ النضر .

وأما : برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب
ابن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم برة : أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن
مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم أم حبيب : برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب
ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام : فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشرفُ ولدِ آدمَ
حسباً ، وأفضلهم نسباً من قبيل أبيه ، وأمه صلى الله عليه وسلم .

« حديث موالد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

إشارة إلى ذكر احتقار زمزم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال :
وكان من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما حدثنا به زياد بن عبد الله
البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبي : بينما عبد المطلب بن هاشم نائم في الحجر ،
إذ أتته ، فأمر بحفر زمزم ، وهي دفن بين صنمى قريش : إساف ونائلة ، عند

مَنحَر قَرِيش . وَكَانَتْ جُرْمٌ دَفَنْتَهَا حِينَ ظَعَنُوا مِنْ مَكَّةَ ، وَهِيَ : بَنُو إِسْمَاعِيلِ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ — عَلَيْهِمَا السَّلَامُ — الَّتِي سَقَاهُ اللَّهُ حِينَ ظَمِئُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ ، فَالْتَمَسَتْ لَهُ
أُمُّهُ مَاءً فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَقَامَتْ إِلَى الصَّفَا تَدْعُو اللَّهَ ، وَتَسْتَعِينُهُ لِإِسْمَاعِيلِ ، ثُمَّ أَنْتِ
الْمَرْوَةُ فَفَعَلْتَ مِثْلَ ذَلِكَ . وَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقِبِهِ
فِي الْأَرْضِ ، فَظَهَرَ الْمَاءُ ، وَسَمِعَتْ أُمُّهُ أَصْوَاتَ السَّبَاعِ نَخَافَتُهَا عَلَيْهِ ، فَجَاءَتْ
تَشْتَدُّ نَحْوَهُ ، فَوَجَدَتْهُ يَفْحَصُ بِيَدِهِ عَنِ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ خَدِّهِ وَيَشْرَبُ ، فَجَعَلَتْهُ
حَسِيًّا [الْحَسَى : الْحَفِيرَةُ الصَّغِيرَةُ] .

أمر جرهم ، ودفن زمزم

قال ابن هشام : وكان من حديث جرهم ، ودفن فيها زمزم ، وخروجها
من مكة ، ومَنْ ولى أمر مكة بعدها إلى أن حَفَرَ عَبْدُ الْمَطَّلِبِ زَمْزَمَ ، مَا حَدَّثَنَا بِهِ
زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَسْكَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ ، قَالَ : لَمَّا تَوَفَّى إِسْمَاعِيلُ
ابْنَ إِبْرَاهِيمَ وَوَلَّى الْبَيْتَ بَعْدَهُ ابْنُهُ نَابِتُ بْنُ إِسْمَاعِيلِ — مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلِيَهُ — ثُمَّ
وَلَّى الْبَيْتَ بَعْدَهُ : مُضَاضُ بْنُ عَمْرِو الْجُرْهُمِيِّ :

(باب مولد النبي صلى الله عليه وسلم)

ذَكَرَ نَسَبَ أُمِّهِ آمَنَةَ بِنْتِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ ، وَأَنَّ زُهْرَةَ
هُوَ : ابْنُ كِلَابٍ ، وَفِي الْمَعَارِفِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ : أَنَّ زُهْرَةَ اسْمُ امْرَأَةٍ عُرِفَ بِهَا بَنُو
زُهْرَةَ ، وَهَذَا مُنْكَرٌ غَيْرٌ مَعْرُوفٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمُ جَدِّهِمْ — كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ
وَالزُّهْرَةُ فِي اللُّغَةِ : إِشْرَاقٌ فِي اللَّوْنِ ، أَيْ لَوْنٍ كَانَ مِنْ بِيَاضٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَزَعَمَ
بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَزْهَرَ هُوَ الْأَبْيَضُ خَاصَّةً ، وَأَنَّ الزُّهْرَ اسْمٌ لِلأَبْيَضِ مِنَ النُّوَارِ ،

قال ابن هشام : ويقال : مضاض بن عمرو الجُرهمي .

قال ابن إسحاق : وبنو إسماعيل ، وبنو نابت مع جدّهم : مضاض بن عمرو وأخوالهم من جُرهم ، وجرهم وقطورا ، يومئذ أهل مكة ، وهما ابنا عمّ ، وكانا نطفنا من اليمن ، فأقبلا سيّارة ، وعلى جرهم : مضاض بن عمرو ، وعلى قطورا : السّميدع رجلٌ منهم . وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملكٌ يُقيم أمرهم . فلما نزلوا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجر ، فأعجبهما فنزلا به . فنزل مضاض بن عمرو بمنّ معه من جرهم بأعلى مكة بقعيتعان ، فما حاز . ونزل السّميدع بقطورا ، أسفل مكة بأجباد ، فما حاز . فكان مضاض يعشُر من دخل مكة من أعلاها ، وكان السّميدع يعشُر من دخل مكة من أسفلها ، وكلٌّ في قومه لا يدخل واحدٌ منهما على صاحبه . ثم إن جرهم وقطورا بقى بعضهم

وخطأ أبو حنيفة من قال بهذا القول ، وقال : إنما الزُّهرة إشراق في الألوان كلها ، وأنشد في نور الحوذان ، وهو أصفر :

ترى زهر الحوذان حول رياضه يضيء كلكون الأتحمي المورس (١)

وفي حديث يوم أحد : نظرت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعيناه تزهران تحت المغفر .

(١) الحوذان : نبات عشبي من ذوات الفلقتين . منه أنواع يزرع لزهرها ، وأخرى تنبت برية ، ويقال : تحم الثوب : وشاه ، والأتحمي والاتحمية ، والمتشحمة - بضم الميم وسكون التاء وفتح الحاء ، أو بفتح التاء وتضعيف الحاء مع فتح - مؤنثة . وورس الثوب : صبغه بالورس ، وهو نبت من الفصيلة البقلية ، وهي شجرة ثمرتها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء ، كما يوجد عليه زغب قليل يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لاحتوائه على مادة حمراء .

على بعض ، وتنافسوا المالك بها ، ومع مُضاض يومئذ: بنو إسماعيل وبنونات ، وإليه ولاية البيت دون السَّمِيدِع . فسار بعضهم إلى بعض ، فخرج مُضاض ابن عمرو من قَعَيْقِعَان في كَتَيْبَتِه سائراً إلى السَّمِيدِع ، ومع كَتَيْبَتِه عُدَّتْهَا من الرِّمَاح والدَّرَق والسُّيُوف والجِجَاب ، يُقَعَّمُ بِذَلِكَ معه ، فيقال : ما سُمِّي قَعَيْقِعَان بقَعَيْقِعَان إلا لذلك . وخرج السَّمِيدِع من أجياد ، ومعه الخيل والرجال ، فيقال : ما سُمِّي أجياد : أجياداً إلا لخروج الجياد من الخيل مع السَّمِيدِع منه . فالتَقُوا بفاضح ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل السَّمِيدِع ، وفُضِحَتْ قُطُوراء . فيقال : ما سُمِّي فاضح فاضحاً إلا لذلك . ثم إن القوم تَدَاعَوْا إلى الصلح ، فساروا حتى نزلوا المَطَايخ : شِعْباً بأعلى مكة ، واصطلحوا به ، وأسئلوا الأمر إلى مُضاض . فلما جُمِع إليه أمر مكة ، فصار مُلْكُهَا له تَحَرَّ للناس فأطعمهم ، فأطَبَّحَ الناسُ وأَكَلُوا ، فيقال : ما سُمِّيَتِ المَطَايخ : المَطَايخ إلا لذلك . وبعضُ أهل العلم يزعمُ أنها إنما سُمِّيَتِ المَطَايخ ، لِمَا كَانَ تَبَعٌ نَحْرُهَا ، وأطعم ، وكانت منزلته ، فكان الذي كان بين مُضاض والسَّمِيدِع أولَ بَغْيٍ كان بمكة فيما يزعمون .

ثم نشر الله وُلْدَ إسماعيل بمكة ، وأخوانهم من جُرْهُم ولاية البيت والحكام بمكة ، لا يَنَازِعُهُمْ ولدُ إسماعيل في ذلك لِحَوْلَتِهِمْ وقِرابَتِهِمْ ، وإِعْظَاماً لِلحُرْمَةِ أن يكون بها بَغْيٌ أو قتال . فلما ضاقت مكة على ولدِ إسماعيل انتشروا في البلاد ، فلا يَنَاوِثُونَ قوماً إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فَوَطَّئُوهُمْ .

زمزم : وذكر فيه خبر إسماعيل ، وأمه ، وقد تقدم طرف منه . وذكر أن جَبْرِيلَ - عليه السلام - هَمَزَ بعقبه في موضع زمزم ، فنبت الماء ، وكذلك زمزم

استيلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم

« بنو بكر يطردون جرهما »

ثم إن جرهما بَغَوْا بِمَكَّةَ ، واستحلُّوا خِلالاً مِنَ الْحَرَمَةِ ، فظلموا مَنْ دَخَلَهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا ، وَأَكَلُوا مَالَ الْكَعْبَةِ الَّذِي يُهْدَى لَهَا ، فَفَرَّقَ أَسْرَهُمْ . فَلَمَّارَاتُ بَنُو بَكْرٍ بِنَ عَبْدِ مَنَافَةَ بِنِ كِنَانَةَ ، وَعُغْبِشَانَ مِنْ خُرَازَةَ ذَلِكَ ، أَجْمَعُوا لِحَرْبِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ مَكَّةَ . فَآذَنُوهُمْ بِالْحَرْبِ فَاقْتَتَلُوا ، فَغَلَبْتَهُمْ بَنُو بَكْرٍ وَعُغْبِشَانَ ، فَفَنَفَوْهُمْ مِنْ مَكَّةَ . وَكَانَتْ مَكَّةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا تُعْرَفُ فِيهَا ظُلْمًا وَلَا بَغْيًا ، وَلَا يُبْنَى فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخْرَجْتَهُ ، فَكَانَتْ تَسْمَى : النَّاسَةَ ، وَلَا يَرِيدُهَا مَلِكٌ يَسْتَحِلُّ حُرْمَتَهَا إِلَّا هَلَكَ مَكَانَهُ ، فَيَقَالُ : إِنَّمَا مَا سَمَّيْتُ بِبَكَّةَ إِلَّا أَنَّهُمَا كَانَتْ تَبْكُ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ إِذَا أَحْدَثُوا فِيهَا شَيْئًا .

قال ابن هشام : أخبرني أبو عبيدة : أن بككة اسم لبطن مكة ؛ لأنهم يتباكون فيها ، أي : يزدحجون ، وأنشدني :

إِذَا الشَّرِيبُ أَخَذَتْهُ أَكَّةُ فَخَلَّهَ حَتَّى يَبْكُ بَكَّةَ

أي : فدعته حتى يبكك إبلة ، أي يُخَلِّبُهَا إِلَى الْمَاءِ ، فَتَزْدَحِمُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ . وَهَذَا الْبَيْتَانِ لِعَامَانَ بْنِ كَعْبٍ بِنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَافَةَ بْنِ تَمِيمٍ .

تسمى : هَمْزَةَ جَبْرِيلَ بِتَقْدِيمِ الْمِيمِ عَلَى الزَّايِ ، وَيُقَالُ فِيهَا أَيْضًا : هَمْزَةُ جَبْرِيلَ ، لِأَنَّهَا هَمْزَةُ (١) فِي الْأَرْضِ ، وَحِكْيٌ فِي اسْمِهَا : زُمَارِمٌ وَزَمَزَمٌ . حَكَى ذَلِكَ عَنِ الْمُطَرِّزِ ، وَتَسْمَى أَيْضًا : طَعَامُ طُعْمٍ ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ . وَقَالَ الْجُرَيْئِيُّ : سَمَّيْتُ : (١) فِي الْهَيْئَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ : الْهَمْزَةُ : النَّقْرَةُ فِي الصَّدْرِ ، وَفِي التَّفَاحَةِ إِذَا

قال ابن إسحاق : فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبجبر الركن ، فدفنهما في زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلْكها حزنا شديداً ، فقال عمرو ابن الحارث بن مُضاض في ذلك ، وليس بمُضاض الأَكبر :

وقد شَرِقَتْ بالدمع منها المَحَاجِرُ	وقائلةٍ والدمعُ سَكَبُ مُبَادِرُ
أُنَيْسٌ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سامِرُ	كأن لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصِّفَا
يُجَلِّجُهُ بين الجناحين طائرُ	فقلتُ لها والقلبُ مني كأنما
صُرُوفُ اللَّيالي ، وأجْدود التّواترِ	بلى نحن كُنّا أهلها ، فأزالنا
نطوفُ بِذَلك البيتِ ، والخيرُ ظاهرُ	وكُنّا ولاةَ البيتِ من بَعْدِ نابتِ
بِعزٍّ ، فبأ يحظى لدينا المَكَاثِرُ	ونحن وَلينا البيتَ من بعد نابتِ
فليس لحيٍّ غيرنا ثمَّ فَاخِرُ	ملكنا فَعَزَّزْنَا فَأَعْظَمَ بِمَلِكنا
فأبناؤُه منّا ، ونحن الأَصَاهِرُ	ألم تُنْكَحُوا من خيرِ شَخْصِ علمته
فإنَّ لها حالا ، وفيها التَّشَاجِرُ	فإنَّ تَنْسِنَ الدُّنْيا عاينا بِجَاهِها
كذلك - يا لِنَاسِ - تجرى التّادِرُ	فأخْرَجْنَا منها المَلِيقُ بِقُدْرَة
: أذا العرشِ : لا يَبْعَدُ سُهَيْلُ وعامِرُ	أقولُ إذا نام الخَلْيُ ، ولم أُنم
قِبائِلُ منها حَمِيرٌ وَيُحَابِرُ	وبدَّلتُ منها أوجها لا أَحِبُّها

زمزم ، بِزَمَزَمَةِ المَاءِ ، وهى صوتُه ، وقال السَّعُودِي : سُمِّيتْ زَمَزَمُ ؛ لِأَنَّ الفَرَسَ كانت تَحجُّ إِلَيْها في الزَّمَنِ الأوَّلِ ، فَزَمَزَمَتْ عَلَيْها . وَالزَّمَزَمَةُ : صوتُ يُخْرِجُه الفَرَسُ من خِياشِيمِها عند شَرَبِ المَاءِ . وقد كَتَبَ عَمْرٌ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - إلى عماله : أن اهبوا الفرسَ عن الزَّمَزَمَةِ ، وَأَشَدُّ السَّعُودِي :

وصرنا أحاديثنا وكُنَّا بغيطةٍ بذلك عَصَّتنا السَّنون الغوابر
فسحَّتْ دموعُ العينِ تَبكي لِبَلَدَةٍ بها حَرَمٌ أَمْنٌ ، وفيها المشاعرُ
وتبكي لبيتِ ليس يُؤذِي حامهُ يظلُّ به أَمْنًا ، وفيه العَاصِرُ
وفيه وحوش - لأثرام - أنيسةٌ إذا خرجتْ منه ، فليست تُعَادِرُ

قال ابن هشام : « فأبناؤه منا » ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكرًا وغُبشان ،
وساكني مكة الذين خَلَفُوا فيها بعدهم :

بأيها النَّاسِ سِيرُوا إن قَصَرَ كَم أن تُصْبِحُوا ذات يومٍ لا تَسِيرُونَا
حُثُوا المَطِيَّ ، وأرْخُوا من أزمَتِها قبل المات ، وقَصَّوْا ما تُقَصُّونَا
كُنَّا أناسًا كما كنتم ، فغَيَّرْنَا دهرٌ ، فأنتم كما كُنَّا تَكُونونَا

قال ابن هشام : هذا ما صحَّ له منها . وحدثني بعضُ أهل العلم بالشعر :
أن هذه الأبيات أولُ شعر قبيل في العرب ، وأنها وُجِدَتْ مكتوبةً في حَجَرٍ
بالبين ، ولم يُسَمَّ لى قائلها .

زَمَزَمَتِ الفُرسُ على زَمَزَمٍ وذلك في سالفِها الأقدمِ (١)

(١) الزمزمة أيضاً: تراطن الفرس على أكلمهم، وهم صموت لا يستعملون اللسان
ولا الشفة ، لكنه صوت تديره في خياشيمهم وحلوقهم ، فيفهم بعضهم عن بعض .
والبيت في ص ٢٤٢ ج ١ المسعودي . ونص قول المسعودي : وكانت أسلاف
الفرس تقصد البيت الحرام ، وتطوف به تعظيماً له ، ولجدها إبراهيم عليه السلام
وتعظيمه ، وحفظاً لأنسابها ، وكان آخر من حج فنيهم : ساسان بن بابك .

وذكر البرقي عن ابن عباس - رضى الله عنه - أنها سميت : زُمَزَمَ لأنها
زُمَّتْ بالتراب ؛ لثلا يأخذ الماء يمينا وشمالا ، ولو تَرَكْتَ لساحت على الأرض
حتى تملأ كلَّ شيء . وقال ابن هشام : والزمزمة عند العرب : الكثرة
والاجتماع قال الشاعر :

وباشرت مَعْظَنَهَا الْمُدْهَمَا وَيَمَّتْ زُمُومَهَا الْمَزْمَرِمَا (١)

سبب نزول هاجر وإسماعيل مكة : المدهم : اللين ، وكان سبب إنزال
هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليهما من الشام أن سارة بنت عم إبراهيم -
عليه السلام - شجر بينها وبين هاجر أمر ، وساء ما بينهما ، فأمر إبراهيم أن يسير
بها إلى مكة ، فاحتملها على البُرَاق (٢) واحتمل معه قرابة بماء ومزود تمر ، وسار بها

(١) فى الاصل : المدهشم ، وهو خطأ . والمعطن هو اللابل كالوطن للناس
ولكنه غلب على مبركها . والزمزم : الجماعة من الإبل عددها مائة . وقد ذكر اللسان
عن ابن برى أن زمزم لها اثنا عشر اسما : زمزم ، مكتومة ، معنونة ، شباعة ، بضم
السين وفتح الباء ، سقياء بضم السين وسكون القاف ، الرِّءَواء : بفتح الراء والواو ،
ركضة جبريل ، هزمة جبريل ، شفاء سقم ، طعام طعام ، خنيرة عبدالمطلب . أقول :
وذكر لها اسم آخر هو بَرَّة . وفى اللسان أيضاً : الزمزمة بكسر الزاى : الجماعة من
الناس ، وفرس يززم فى صوته إذا كان يطرب .

(٢) لم يرد له ذكر فى المرويات الصحيحة ، ولم يرد فى حديث يعتد به أن
إبراهيم حمل هاجر إلى هنالك ليرضى سارة ، بل الذى ورد أنه حملها بأمر الله
ليقتضى الله أمره سبحانه . وليس إبراهيم بالرجل الذى يضع أمر امرأته فوق
أمر ربه ، أو يرتكب مثل هذا ترضية لامرأته .

حتى أنزلها بمكة ففى : وضع البيت (١) ، ثم ولى راجعا عوده على بلدته (٢) ، وتبعته هاجر (٣) وهى تقول : الله أمرك أن تدعى ، وهذا الصبي فى هذا البلد الموحش ، وليس معنا أنيس ؟ ! فقال : نعم ، فقالت : إذا لا يضيمننا (٤) ، فجعلت تأكل من التمر ، وتشرب من ماء القرية ، حتى نفذ الماء ، وعطش الصبي ، وجعل ينشع للموت (٥) ، وجعلت هى تسمى من الصفا إلى المروة ، ومن المروة إلى الصفا ؛ ترى أحدا ، حتى سمعت صوتا عند الصبي ، فقالت : قد أسمعت ، إن كان عندك غوث ، ثم جاءت الصبي ، فإذا الماء ينبع من تحت خده ، فجعلت تغرف بيديها ، وتجعل فى القرية . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لو تركته لكانت عينا ، أو قال : نهرا مَعِينًا ، وكلها الملك ، وهو جبريل - عليه السلام - وأخبرها أنها مقر ابنها وولده إلى يوم القيامة (٦) ، وأنها موضع بيت الله الحرام ، ثم ماتت

(١) فى رواية للبخارى : د وضعها عند البيت عند دوحه فوق الزمزم فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء .

(٢) كان راجعا إلى الشام .

(٣) فى رواية ابن جريج : فأدرسته بكدها بفتح الكاف ، أو كدى بضم الكاف والقصر .

(٤) فى رواية : أنها نادته ثلاثا ، وأنه أجابها فى الثالثة ، وأنها قالت له : حسبي ، أو : رضيت بالله ،

(٥) يشق ويعلو صوته وينخفض كالأذى ينزع . وفى روايات : وجعلت تنظر إليه يتلوى . أو يَسْتَلْبِط ، أو يتلظظ .

(٦) فى رواية للبخارى : د فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن هذا بيت الله يبنى هذا الغلام ، وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله .

هاجر، وإسماعيل - عليه السلام - ابن عشرين سنة، وقبرها في الحجر، وتمّ قبر إسماعيل - عليه السلام - وكان الحجر قبل بناء البيت زرباً لغم إسماعيل صلى الله عليه وسلم (١) ويقال: إن أول بلد ميرت منه أم إسماعيل عليه السلام، وابنها التمر: القرية التي كانت تعرف بالفرع من ناحية المدينة، والله أعلم

قطورا وجرهم والسميرع : فصل : وذكر نزول جرهم، وقطورا على أم إسماعيل هاجر، وجرهم: هو قحطان بن عامر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ويقال: جرهم بن عابر، وقد قيل: إنه كان مع نوح عليه السلام في السفينة، وذلك أنه من ولد ولده، وهم من العرب العاربة، ومنهم تعلم إسماعيل العربية. وقيل: إن الله تعالى أنطقه بها انطافا، وهو ابن أربع عشرة سنة (٢).

(١) من زيادة أبي حنيفة .
(٢) قحطان ولد له هاجر، وهو جد إسماعيل عليه السلام، وكان له من الأولاد: هاجر، وقحطان، وقحطان بن عامر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ويقال: جرهم بن عابر، وقد قيل: إنه كان مع نوح عليه السلام في السفينة، وذلك أنه من ولد ولده، وهم من العرب العاربة، ومنهم تعلم إسماعيل العربية. وقيل: إن الله تعالى أنطقه بها انطافا، وهو ابن أربع عشرة سنة (٢).

وأما قَطُورًا، فهو قَطُورًا بن كَرٍّ كَرٍّ .

وأما السَّمِيدَعُ الذي ذكره، فهو السَّمِيدَعُ بن هُوَثر - بناءً مثلثة - قيدها البكري - بن لاي بن قَطُور ابن كَرٍّ كَرٍّ بن عِمْلَاق، ويقال: إن الزَّبَاءَ المَلَكَةَ كانت من ذُرِّيَّتِهِ، وهي بنت عمرو بن أذِينَةَ بن ظَرَبِ بن حَسَّانَ، وبين حسان، وبين السَّمِيدَعِ آباء كثيرة، ولا يصح قول من قال: إن حسان ابنه لصلبه، لِتَبْعِدِ زَمَنِ الزَّبَاءِ مِنَ السَّمِيدَعِ، وقد ذكرنا الاختلاف في اسمها في غير هذا الموضع، وذكر الحارث بن مُضاضِ الأكبر بن عمرو بن سعد بن الرَّقِيبِ بن هَيَّ بن بنت (١) جُرْهُم .

مبار وقبيعان: فصل: وذكر ولاية جُرْهُم البيت الحرام دون بني إسماعيل إلى أن بقوا في الحرم، وكان أول بني في الحرم ما ذكره من حرب جُرْهُم لِقَطُورًا .

وأما أجياد فلم يسمَّ بأجياد من أجل جياذ الخليل، كما ذكر لأن جياذ الخليل لا يقال فيها: أجياد، وإنما أجياد: جمع جيد (٢) .

= السلام . قال أبو عبيد: وليس كذلك . قال في العبر: وعلى هذا يكون جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام، لأن عدنان وقحطان يستدعيان بطون العرب القحطانية والعدنانية، ص ٣٩٦ ط ١٩٥٩ .

(١) هكذا في الأصل . وفي اللسان عن ابن بري: « ويقال في النسب: عمرو ابن الحارث بن مضاض بن هَيَّ بن بَيَّ » و بفتح الهاء والباء وتضعيف الياء في الكلمتين ابن جرهم . وهي بن بي: كناية عن لا يعرف، ولا يعرف أبوه، وقيل: كان من ولد آدم، ثم انقرض نسله .

بين مبرهم وخراعة : فصل : فلما كان من بنى جُرهم ما كان ، وافق تفرق سبأ من أجل سيل العرم ، ونزول حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أرض مكة ، وذلك بأمر طريفة الكاهنة ، وهي امرأة عمرو بن مزقياء (١) وهي من حمير ، وبأمر عمران ابن عامر أخى عمرو ، وكان كاهنا أيضاً ، فنزلها هو وقومه ، فاستأذنوا جُرهما أن يقيموا بها أياما ، حتى يرسلوا الرِّوَاد ، ويرتادوا منزلا حيث رأوا من البلاد ، فأبت عليهم جُرهم ، وأغضبهم ، حتى أقسم حارثة ألا يبرح مكة إلا عن قتالٍ وغلبةٍ ، فخارتهم جُرهم ، فكانت الدَّوْلَةُ لبني حارثة عليهم ، واعتزلت بنو إسماعيل ، فلم تكن مع أحد من الفريقين ، فعند ذلك ملكت خُرَاعَةُ - وهم بنو حارثة - مكة ، وصارت ولاية البيت لهم ، وكان رئيسهم عمرو بن لُحَيّ الذي تقدم ذكره قبل ، فشرّد بقية جُرهم ، فسارَ قَلْبُهُمْ في البلاد ، وسَلَّط عليهم الذَّرُّ والرَّعَاف (٢) ، وأهلك بقيتهم السيلُ بِإِضْمٍ ، حتى كان آخرهم موتاً امرأة رِيث تطوف بالبيت بعد خروجهم منها بزمان ، فعجبوا من طولها وعظم خالقها ، حتى قال لها قائل : أَجِنَّيَّةٌ أنت أم إنسية؟! ، فقالت : بل إنسية من جُرهم ، وأنشدت رَجَزاً في معنى حديثهم ، واستكرت بعيراً من رجلين من جُهَيْنَةَ ، فاحتملاها على

(١) في جمهرة «ابن حزم» : عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء ص ٤٥٣ . وفي الاشتقاق «لابن دريد» : ولد حارثة عامرا وهو ماء السماء ، وولد عامر عممرا «بفتح العين وسكون الميم» وهو مزقياء ، فعمر - إذن - هو مزقياء لابن مزقياء ٤٣٥ .

(٢) الذر : صغار النمل ، والرعاف : الدم .

البعير إلى أرض خَيْبَرَ ، فلما أنزلها بالمنزل الذي رَسَمَتْ لها ، سألاها عن الماء ، فأشارت لها إلى موضع الماء ، فولّيا عنها ، وإذا الذرُّ قد تعلّق بها ، حتى بلغ خياشيمها وعينيها ، وهي تنادى بالويل والثُبُور حتى دخل حلقها ، وسقطت لوجها ، وذهب الجُهَيْنِيَانِ إلى الماء ، فاستوطناهُ ، فمن هنالك صار موضع جُهَيْنَةَ بالحجاز وقُزْب المدينة ، وإنما هم من قُضاعة ، وقُضاعة : من ريف العراق .

غربة الحارث بن مضاضه : فصل : رجع الحديث . وكان الحارث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هي بن نبت بن جُرهم الجُرهمي قد نزل بِقَنُونًا (١) من أرض الحجاز ، فضَلَّت له إبلٌ ، فبغاها حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ، ليأخذ إبله ، فنادى عمرو بن مُحَيٍّ : من وجد جُرهميًا ، فلم يقتله ، قطعت يده ، فسمع بذلك الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة ، فرأى إبله تُسخر ، ويُبوزَعُ لحمها ، فانصرف بانسًا خائفًا ذليلاً ، وأبعد في الأرض ، وهي غربة الحارث بن مضاض التي تضرب بها المثل ، حتى قال الطائي :

غربةٌ تقتدى بغربة قيس بـ من زهير والحارث بن مضاض

وحينئذ قال الحارث الشعر الذي رسمه ابن إسحق وهو قوله :

(١) سبق هذا ، وبيان الصواب فيه عن هي في ص ١٥ من هذا الجزء . وقنوني « بوزن فعسوه عـل ، بفتح القاف والنون وسكون الواو ، من أودية السمرات ، تصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن ، من جهة مكة قرب حلتى « بفتح فسكون » وتكتب بإلياء حسب القاعدة ، ولكن تركتها كما هي .

(٢) غربة بفتح الغين : النوى والبعد ، وبضمها : الزوج عن الوطن .

كان لم يكن بين الحَجَّون إلى الصَّفا . الشعر ، وفيه :

وَنَبْكِ لَيْتَ لَيْسَ يُؤَذَى حَمَامُهُ تَظَلُّ بِهِ أَمْنَا ، وفيه العَصَافِرُ (١)

أراد : العصافير ، وحذف الياء ضرورة ، ورفع العصافير على المعنى ، أى :
وتأمن فيه العصافير ، وتظل به أمنًا ، أى : ذات أمن ، ويجوز أن يكون أمنًا جمع
أمن مثل : ركب جمع : راكب ، وفيه : ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَاسِرًا : الساسر : اسمُ
الجماعة يتحدثون بالليل ، وفي التزليل : (سَاسِرًا تَهْجُرُونَ) المؤمنون : ٦٧
والحَجَّون (٢) بفتح الحاء على فرسخ وثلاث من مكة ، قال الحَمِيدِيُّ : كان سُفْيَانُ
ربما أنشد هذا الشعر ، فزاد فيه بعد قوله : فليست تنادر :

ولم يَتَرَبَّعْ واسطًا وجَنُوبَهُ إلى السَّرِّ من وادى الأراكَة حاضر
وأبدلنى ربِّي بها دار غُرْبَةٍ بها الجوعُ بادٍ ، والعدوُّ المُحَاصِرُ (٣)

(١) في السيرة : يظل بدلًا من : تظل .

(٢) والحجون كما في المراصد : بأعلى مكة عند مقبرة أهلها ، وفي ياقوت
عن الأصمعي : أنه الجبل المشرف الذي يحذاء مسجد البيعة على شهب الجزائري .
(٣) أما واسط : فقيل : لأن للعرب سبعة مواضع ، يقال لكل منها : واسط ، منها :
واسط نجد في شعر خدش بن زهير ، وواسط الحجاز في شعر كثير ، وواسط
الجزيرة في شعر الأخطل . وواسط النمامة في شعر الأعشى ، وواسط العراق :
وهناك غير ذلك . وواسط أيضا بمكة . قيل : قرن كان أسفل من جمرة العقبة بين
المأزمين . ف ضرب حتى ذهب ، وقيل : تلك الناحية بركة السرى إلى العقبة ، وتسمى :
واسط المقيم . وقيل إنه الجبل الذي يجلس عنده المساكين إذا ذهبت إلى منى .
والسر : بطن الوادى . ووادى الأراك : قرب مكة . وفي معجم البلدان ونهاية
الأرب ج ١٦ ص ٣٤ وضع هذا بعد البيت : وصرنا أحاديثنا ، وروايتنا هكذا :

واسط وعامر ومبرهم : قال الحميدى : واسط : الجبل الذى يجلس عنده
المساكين ، إذا ذهبت إلى منى . وقوله فيه :
لا يَبْعَدُ سَهْلٌ وعامر

عامر : جبل من جبال مكة ، يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه : وهل
يَبْدُونَ لى عامرٌ وطَفِيلٌ (١) . على رواية من رواه هكذا ، وجرهم هذا هو
الذى تتحدث بها العرب في أكاذيبها ، وكان من خرافاتها فى الجاهلية أن جرهما
ابن لَمَلِكٍ أهبط من السماء لذنوب أصابه ، فغضب عليه من أجله ، كما أهبط
هاروت وماروت ، ثم ألقيت فيه الشهوة ، فتزوج امرأة ، فولدت له جرهما ،
قال قائلهم :

لاهم إن جرهما عبادُكا الناس طُزفٌ ، ومم نِلاَدُكا
[بهم قديما عمِرت بلادُكا] (٢)

من كتاب الأمثال للأصبهاني :

= وبدلنا كعب بها دار غربة بها الذئب يعوى ، والعدو المكائر
وفى مروج الذهب ج ٢ ص ٥٠ : «المحاصر» . وفيه بعد : «وكنا ولاية البيت»
هذا البيت :

وكنا لإسماعيل صهرا ووصلة ولما تدر فيها علينا الدوائر
(١) طفيل : جبل بمكة .

(٢) ما بين قوسين عن الطبرى ص ٢٨٥ ج ٢ وهذا الرجز ينسب إلى عامر
ابن الحارث ، والقصيدة منسوبة فى الطبرى لعامر بن الحارث بن مضاض
بقول الطبرى : إن الله بعث على جرهم الرعاف والنمل ، فأفناهم ، فاجتمعت خراعة =

مكة وأساؤها : فصل : وذكر مكة وبكة ، وقد قيل في بكة ما ذكره من أنها تبيك الجبابرة ، أي تكسرهم وتقدِّعهم ، وقيل : من التَّبَاك ، وهو : الازدحام ، ومكة من تمكَّت العظم ، إذا اجتذبت مافيه من المنخ ، وتمكَّت الفصيل ما في ضرع الناقة ، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الناس والأقوات التي تأتيها في المواسم ، وقيل : لما كانت في بطن واد ، فهي تمكُّ الماء من جبالها وأخشابها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول ، وأما قول الراجز الذي أنشده ابن هشام :

إذا الشَّريبُ أخذته أكَةٌ نخله حتى يبيك بكة (١)

فالأكة : الشدة ، وإكأك الدهر : شدائده .

ليجولوا من بقي ، فاقتلوا ، فلما أحس عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالي الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة ، وهو يقول : ولاهم إن جرهما ، النخ فلم تقبل - كما في الطبرى - توبته ، فألقى غزالي الكعبة . وحجر الركن في زمزم ، كما جاء في السيرة . ثم دفنها ، وخرج من بقي من جرهم إلى أرض من أرض جهينة ، فجاءهم سيل آتي ، فذهب بهم . (١) في اللسان : مك - وزن رد - الفصيل ما في ضرع أمه يمكته - وزن يرد - مكنا وامتك - بفتح التاء وتضعيف الكاف - وتمكك ، ومككك : امتس جميع مافيه . وشربه كله . . ومك العظم وامتك وتمكك ، وتمككك امتص مافيه من المنخ . والرجز المذكور لعامان بن كعب التميمي - كما ذكر ابن هشام ، وفي الروض : الشريت بدلا من الشريب ، وهو خطأ ، وفيه يبك بدلا من تبيك . ومعنى الشريب - كما في اللسان - الذي يسقى إبله مع إبلك . يقول : نخله يورد إبله الحوض . فتباك عليه أي : تزدحم ، فيسقى إبله سقية . وللأكة معان أخرى . منها : سكون الريح وضيق الحلق وفورة شديدة في القيظ . انظر اللسان . وتعليق الاستاذ هارون بن علي الملقب في معجم اللغات .

وذكر أنه كان يقال لها : النَّاسَة ، وهو من نُسْتُ (١) الشيء إذا أذهبت ،
والرواية في الكتاب بالنون ، وذكر الخطابي [في غريبه] أنه يقال لها : الباسَة أيضا بالباء ،
وهو من بُسَّتَ الجبالُ بسًا ، أي : فُتَّتْ وُثِرَّتْ ، كما يُثَرَّى السَّويقُ ، قال الراجز :

لا تَحْمِزًا خَبِزًا وَبَسَابَسًا (٢)

يقول : لاشتغلا بالخبز ، وثرِّيا الدقيق والتقماء (٣) . يقال : إن هذا البيت
للص أمجله الحرب .

وذكر أبو عبيدة أن الخبز : شدة السَّوق ، والبَسُّ : أين منه ، وبعده :

(١) النَّسُّ — بفتح النون — المضاء في كل شيء ، وخص بعضهم به السرعة
في الورد ، وهو السوق والجزر الشديد . وفي اللسان : وأنست الدابة : أعطشتها
والناسَة من أسماء مكة لقلة ماؤها ، وكأنها تسوق وتدفع من يبغى بها .

(٢) وبعده في اللسان : «ولا تطيلا بمناخ حيسا» . والبس : اتخاذ البسيصة
وهو أن يلك السويق أو الدقيق أو الأفض المطحون بالسمن أو بالزيت ، ثم يؤكل
ولا يطبخ . وقال يعقوب : هو أشد من اللت بللا . وذكر أبو عبيدة أن
لصا من غطفان ، أراد أن يخبز يخاف أن يعجل عن ذلك ، فأكله عجينا ، ولم يجعل
أبو عبيدة البس من السوق اللين . وفي تعليق للأستاذ هرون على معجم ابن فارس
ذكر أن الرجز للهفوان العقيلي أحد لصوص العرب . وقد فسر السهلي البيت
بما فسره به ابن فارس .

(٣) ثرى الدقيق — بفتح الثاء وتضعيف الراء — صب عليه الماء . هذا وقد
قيل عن بكة إنها اسم البقعة التي فيها الكعبة ، وذهب إليه مالك وابن عباس . وقيل
اسم لها ولما حول البيت ، ومكة : اسم لما وراء ذلك ، وقيل : لأنها المسجد والبيت
ومكة اسم للحرم كله ص ٦٠١ القرى للجب الطبرى .

ما ترك السَّيْرُ لهن نَسًا

ومن أسماء مكة أيضا: الرأسُ، وصلَّاحُ، وأمُّ رُحْم، وكُوئي، وأما التي يخرج منها الدجال، فهي: كُوئي رَبًّا (١) ومنها كانت أم إبراهيم عليه السلام، وقد تقدم اسمها، وأبوها هو الذي احتفر نهر كُوئي، قاله الطبري.

أُطُورَة : فصل : وذكر قول الحارث بن مُضاض :

يأيها الناسُ سِبروا إن قَصْرَكُمُ أن تُصبحوا ذات يومٍ لا تسيرونا (٢)

وذكر ابن هشام أنها وجدت بِحَجْرٍ باليمن، ولا يعرف قائلها، وألفتُ في كتاب أبي بحر سفيان بن العاصي خبرا لهذه الأبيات، وأسنده أبو الحرث محمد بن أحمد الجعفي عن عبد الله بن عبد السلام البصري، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن سايان التَّمَّار، قال أخبرني ثقة عن رجل من أهل اليمامة، قال: وجد في بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهي بئر طَسْمٍ وَجَدِيسٍ في قرية يقال لها: مُعْنِق، بينها وبين الحَجْرِ ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم تَبَعٌ، فقتلهم، فوجدوا في حجر من الثلاثة الأحجار مكتوبا:

(١) صلاح: كقطام وقد تصرف. وكوئي تكتب بالياء لا بالالف كما كان في الروض، وفي المراصد عن كوئي: أنها ثلاثة مواضع بسواد العراق بأرض بابل وبمكة. منزل بني عبد الدار خاصة، وكوئي بالعراق في موضعين: كوفي الطريق، وكوئي رَبًّا وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وهما قريتان، وبينهما قول من رماد، يقال: إنها رماد النار التي أوقدها نمرود لإحراقه.

(٢) هي في الطبري - ٨ ص ٢٨٥ مع تقديم وتأخير.

يأيها الملك الذي بالملكِ ساعده زمانه
ما أنت أول من علا وعلا شئون الناس شأنه
أقصرَ عليك مراقبا فالدهر مخدولُ أمانه
كم من أشمَّ معصَّبٍ بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزمان ، وكان ذا خفضِ جناه
تجرى الجداول حوله للجند مُترعةً جفانه
قد فاجأته منيةٌ لم يُنجه منها اكتنانه
وتفرقت أجناده عنه ، وناح به قيانه
والدهر من يعلق به يطحنه ، مُفترشا جرانه
والناسُ شتى في الهوى كالمرءِ مُختلفِ بنانه
والصدقُ أفضلُ شيمه والمرءُ يقتله لسانه
والصمتُ أسعدُ للفتى ولقد يُشرفه بيانه

ووجد في الحجر الثاني مكتوباً أبيات :

كلُّ عيشٍ تعيله ليس للدهرِ خاله
يَوْمُ بُؤْسِي ونعمي واجتماعِ وقيله
حُبْنَا العيشَ والتسكا تُرَّ جَهْلٍ وِضْلِهِ
بينما المرءُ ناعم في قصورٍ مُظْلِهِ
في ظلالٍ ونعمه ساحبا ذَيْلَ حُلِهِ
لا يرى الشمسَ ملغضاً رةً إذ زَلَّ زَلَهُ

لم يُقلِّها، وبدلت عِزَّةَ الرِّءْذِ ذِلَّةَ
أَفَّةِ العَيْشِ والنِّعَمِ كُرُورُ الأَهْلَةِ
وَصَلُّ يَوْمِ بَدَلِيَّةٍ واعْتِراضُ بِيَعْلَةَ
وَالنَّايَا جَوَائِمِ كَالضُّقُورِ المُدَلِّهِ
بِالذِي تَكَرُّهُ النَّفْسُ وَسُ عَلَيْهَا مُطْلَهُ

وفي الحجر الثالث مكتوبا:

يَأْيُهَا النَّاسُ سَيَرُوا إِنْ قَصَرَ كُمْ
حُثُوا المَطِيَّ، وَأَزْحُوا مِنْ أَرِمَّتِيهَا
كُنَّا أَناسًا كَمَا كُنْتُمْ فَفَيَّرْنَا
أَنْ تُصَيِّحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَا تَسِيرُونَا
قَبْلَ المَمَاتِ وَقَضُوا مَا تُقَضُونَا
دَهْرُهُ فأنتم كَمَا كُنَّا نَكُونُونَا

وذكر أبو الوليد الأزرق في كتابه في فضائل مكة زيادة في هذه

الآيات وهي:

قَدْ مَالَ دَهْرُهُ عَلَيْنَا ثُمَّ أَهْلَكَنَا
إِنْ التَّفَكَّرَ لَا يُجِدِي بِصَاحِبِهِ
قَضُوا أُمُورَكُمْ بِالْحَزْمِ إِنْ لَهَا
عِنْدَ البَدِيهِةِ فِي عِلْمٍ لَهُ دُونًا
أُمُورَ رُشْدٍ رَشَدْتُمْ ثُمَّ مَسُونَا
كَمَا اسْتَبَانَ طَرِيقُ عِنْدَهُ المَهِونَا
وَاسْتَخْبِرُوا فِي صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمْ
كَمَا زَمَانَا مَلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمْ
بِالْبَيْعِ فِينَا وَبَزَّ النَّاسَ نَاشُونَا
يَمَسْكُنُ فِي حَرَامِ اللَّهِ مَسْكُونَا

ووجد على حائطٍ قصيرٍ بدمشق لبني أمية مكتوبا:

يَأْيُهَا القَصْرُ الَّذِي كَانَتْ تَحْفُفُ بِهِ المَواكِبُ

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن عُبْشَانَ من خَزَاعَةَ وَلِيَتْ الْبَيْتَ دُونَ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ، وَكَانَ الَّذِي يَلِيهِ مِنْهُمْ : عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ الْعُبْشَانِيُّ ، وَقُرَيْشٌ إِذْ ذَاكَ حُلُولٌ وَصِرْمٌ ، وَبِيُوتَاتٍ مُتَفَرِّقُونَ فِي قَوْمِهِمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ، فَوَلِيَتْ خَزَاعَةَ الْبَيْتَ يَتَوَارَثُونَ ذَلِكَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ حُلَيْلُ بْنُ حَبَشِيَّةَ بْنِ سُلُولِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو الْخَزَاعِيِّ .

قال ابن هشام : يقال حُبْشِيَّةُ بْنُ سُلُولِ .

أَيْنَ الْمَوَاكِبُ وَالْمَضَى وَارْبُ وَالنَّجَائِبُ وَالْجَنَائِبُ
أَيْنَ الْعَسَاكِرُ وَاللِّدْسُ الْكَرُّ وَالْمَقَانِبُ وَالْكَتَائِبُ
مَا بَا لُهُمْ لَمْ يَدْفَعُوا لِمَا أَنْتَ عَنْكَ النَّوَائِبُ
مَا بَالُ قَصْرِكَ وَاهِيَا قَدْ عَادَ مُنْهَدَّ الْجَوَائِبُ

ووجد في الحائط الآخر من حيطانها جوابها :

يَا سَائِلِي عَمَّا مَضَى مِنْ دَهْرِنَا وَمِنْ الْعَجَائِبِ
وَالْقَصْرِ إِذْ أُوْدَى ، فَاضْحَى بَعْدُ مُنْهَدَّ الْجَوَائِبِ
وَعَنِ الْجُنُودِ أَوْلَى الْعَقُودِ ، وَمَنْ بِهِمْ كُنَّا نَحَارِبُ
وَبِهِمْ قَهْرْنَا عَنُودَ مَنْ بِالْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ
وَتَقُولُ : لِمَ لَمْ يَدْفَعُوا لِمَا أَنْتَ عَنْكَ النَّوَائِبِ
هَيَّاتِ لَا يُنْجِي مِنَ الْمَوْتِ الْكَتَائِبُ وَالْمَقَانِبِ

تزوج قصي بن كلاب حبي بنت حليل

قال ابن إسحاق: ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حليل بن حُبشية بنته حُبّي، فرغب فيه حليل فزوجَه، فولدت له عبدَ الدار. وعبد مناف، وعبد العزّي، وعبدًا. فلما انتشر ولدُ قصي، وكثرُ ماله، وعظم شرفُه، هلك حليل.

« قصي يتولى أمر البيت » :

فراى قصي أنه أولى بالسكبة، وبأمر مكة من خزاعة وبنى بكر، وأن قريشاً قرعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده. فكلّم رجلاً من قريش، وبنى كنانة، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة، فأجابوه. وكان ربيعة ابن حرام من عذرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعد ما هلك كلاب، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سليل، وزهرة يومئذ رجل، وقصي فطيم، فاحتلمهما إلى بلاده، فحملت قصياً معها، وأقام زهرة، فولدت لربيعة رزاحاً. فلما باغ قصي، وصار رجلاً أتى مكة، فأقام بها، فلما أجا به قومه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمّه، رزاح بن ربيعة، يدعوه إلى نصرته، والقيام معه، فخرج رزاح بن ربيعة، ومعه إخوته: حنّ بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجلهمة بن ربيعة، وهم لغير أمه فاطمة، فيمن تبعهم من قضاة في حاج العرب، وهم مجمعون لنصرة قصي. وخزاعة تزعم أن حليل بن حُبشية أوصى بذلك قصياً وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر. وقال: أنت أولى

• • • • •

بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكة من خزاعه ، فعند ذلك طلب قصى ماطلب ، ولم نسمع ذلك من غيرهم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوثُ بنُ مُرِّ بنِ أَدِّ بنِ طَاحِجَةَ بنِ اليَاسِ بنِ مُضَرَ بنِ الإِجَازَةِ للناس بالحج من عرفة ، وولده من بعده ، وكان يقال له ولولده : صوفة . وإنما ولي ذلك الغوثُ بنُ مرّ ، لأن أمه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لا تلد ، فنذرت لله إن هي ولدت رجلاً : أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ، ويقوم عليها ، فولدت الغوثَ ، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، فولى الإجازة بالناس من عرفة ، لمكانه الذى كان به من الكعبة ، وولده من بعده حتى انقرضوا . فقال مُرُّ بنُ أَدِّ لوفاء نذر أمّه :

إني جعلتُ ربّاً من بنيّه ربيطةً بمكة العليّة
فباركنّ لي بها أليّه واجعله لي من صالح البريّة

وكان الغوث بن مرّ - فيما زعموا - إذا دقع بالناس قال :

لاهمّ إني تابعٌ تباعه إن كان إثمٌ فعلى قضاة

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتجز بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر أتوا الرمي الجمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون

• • • • •

حتى يرمى . فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم .
حتى نرمى معك ، فيقول : لا والله ، حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات
الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له :
ويلك ! قم فارم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس ، قام فرمى ، ورمى
الناس معه .

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمي الجمار ، وأرادوا النقر من منى ،
أخذت صوفة بجاني العقبة ، فخبسوا الناس وقالوا : أجزى صوفة ، فلم يجز
أحد من الناس حتى يمرؤا ، فإذا نفرت صوفة ومضت ، خلى سبيل الناس ،
فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك ، حتى انقضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم
بالقعد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بني سعد في آل صفوان
بن الحارث بن شجنة .

قال ابن هشام : صفوان بن جناب بن شجنة عطارد بن عوف بن كعب بن
سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال ابن إسحاق : وكان صفوان هو الذي يميز للناس بالحج من عرفة ،
ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام ، كريب بن
صفوان ، وقال أوس بن تميم بن مفرأ السعدي :

لا يبرح الناس ما حجبوا معرفهم حتى يقال : أجزوا آل صفوانا

قال ابن هشام : هذا البيت في قصيدة لأوس بن مفرأ .

.

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

وأما قول ذى الإصبع العدواني، واسمه: حُرثان بن عمرو، وإنما سمي ذى الإصبع؛ لأنه كان له إصبع فقطعها.

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بَعَى بَعْضُهُمْ ظُلْمًا فَلَمْ يُرْعَ عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْمُؤَفُونَ بِالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ بِالسَّنَةِ وَالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ حَكْمٌ يَقْضَى فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضَى

وهذه الأبيات في قصيدة له — فلأن الإضافة من المزدلفة كانت في عدوان — فيما حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق — يتوارثون ذلك كابرًا عن كابر. حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة، عميلة بن الأعزل، ففيه يقول شاعر من العرب:

نَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ أَبِي سَيَّارَةَ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فِزَارَةَ
حَتَّى أَجَازَ سَالِيًا حِمَارَهُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهُ

قال: وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له؛ فلذلك يقول:

سَالِيًا حِمَارَهُ.

قصي وفزاعة وولاية البيت :

فصل : في حديث قصي ذكر فيه أن قريشا قرعة ولد إسماعيل ، هكذا بالقاف ، وهي الرواية الصحيحة ، وفي بعض النسخ : قرعة بالفاء ، والقرعة بالقاف هي : نخبة الشئ ، وخياره ، وقرع الإبل : فحلها ، وقرع القبيلة : سيدها ، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمي من العرب بالأقرع .

وذكر انتقال ولاية البيت من خزاعة إليه ، ولم يذكر من سبب ذلك أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالأمر منهم ، وذكر غيره أن حنَيْلا كان يُعطي مفاتيح البيت ابنته حُبَيِّ ، حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصيُّ ربما أخذها في بعض الأحيان ، ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حنَيْل أوصى بولاية البيت إلى قصي ، فأبت خزاعة أن تُمضي ذلك لقصي ، فعند ذلك هاجت الحربُ بينه وبين خزاعة ، وأرسل إلى رِزاح أخيه يستنجده عليهم .

ويذكر أيضا أن أبا عُبَيْشان من خزاعة ، واسمه : سليم - وكانت له ولاية الكعبة - باع مفاتيح الكعبة من قصي بزقٍّ خمر ، فقيل : أخسر من صفقة أبي عُبَيْشان (١) ذكره المسعودي والأصبهاني في الأمثال .

وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مُصَرِّ إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار ، وبغت فيه إيلاد أخرجتهم بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم

(١) بضم الذين أو فتحها . وفي القاموس أيضا قصة أبي عُبَيْشان ، وفيه يقول :
ضربت به الأمثال في الحق والندم وخسارة الصفقة ، .

عن مكة ، فعمدوا في الليل إلى الحجر الأسود ، فاقتلموه ، واحتلموه على بعير فَرَزَحَ البعير به ، وسقط إلى الأرض ، وجعلوه على آخر ، فَرَزَحَ أيضا ، وعلى الثالث ففعل مثل ذلك ، فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا ، فلما أصبح أهل مكة ، ولم يروه ، وقعوا في كرب عظيم ، وكانت امرأة من خزاعة قد بُعِثت به حين دفن ، فأعلمت قومها بذلك ، فحينئذ أخذت خزاعة على ولاية البيت أن يتخللوا لهم عن ولاية البيت ، ويدلّوهم على الحجر ، ففعلوا ذلك ، فن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صيرها أبو غُبْشَانَ إلى عبد مناف ، هذا معنى قول الزبير .

نشأة قصي :

فصل : وذكر أن قصيا نشأ في حجر ربيعة بن حَرَامٍ ، ثم ذكر رجوعه إلى مكة ، وزاد غيره في شرح الخبر ، فقال : وكان قصي رضيعا حين احتملته أمه مع بغلها ربيعة ، فنشأ ولا يعلم لنفسه أبا إلا ربيعة ، ولا يدعى إلا له ، فلما كان غلاما يَفَعَّةً أو حَزْوَرًّا (١) سابه رجلٌ من قُضاعة ، فعيّره بالدعوة ، وقال : لست منا ، وإنما أنت فينا مُاصِّقٌ ، فدخل على أمه ، وقد وجَّه لذلك ، فقالت له : يا بُنَيَّ صدق ، إنك لست منهم ، ولكن رهطك خيرٌ من رهطه ، وأباؤك أشرفٌ من آبائه ، وإنما أنت قُرَشِيٌّ ، وأخوك وبنو عمك بمكة ، وهم جيرانُ بيت الله الحرام ، فدخل في سيارة حتى أتى مكة ، وقد ذكرنا أن اسمه : زيد ، وإنما

(١) الغلام القوي .

كان قصياً أي بعيداً عن بلده فسمى : قُصِيًّا (١).

الغوٲ بن مر وصوفة :

فصل : وذكّر قصة الغوٲ بن مرّ ، ودفعه بالناس من عرفة (٢) ، وقال بعضُ نَقَلَةِ الأخبار أنّ ولايةَ الغوٲ بن مرّ كانت من قبَلِ ملوكِ كِنْدَةَ (٣).

وقوله : إن كان إنما قَعَلَى قُضَاعَةَ . إنما خَصَّ قُضَاعَةَ بهذا ؛ لأن منهم مُحِلِّينَ يَسْتَحِلُّونَ الأشهرَ الحُرْمَ ، كما كانت خَنَعَمَ وطِيًّا تفعل ، وكذلك كانت النِّسَاءُ تقول إذا حَرَمَتْ صَفَرًا أو غيره من الأشهرِ بدلا من الشهرِ الحرامِ - يقول قائلهم : قد حُرِّمَتْ عليكم الدماءُ إلا دماءَ المُحِلِّينَ .

(١) قال الخطابي : د سمي قصيا لانه قصى قومه ، أى : تقصاهم بالشام ، فنقلهم إلى مكة . وقال الرثشاطى : د ثم إن زيدا وقع بينه وبين ربيعة شر ، فقيل له : ألا تلحق بقومك ، وُعيرٌ بالعربة ، وكان لا يعرف لنفسه أبا غير ربيعة ، فرجع قصى إلى أمه ، وشكأها ما قيل له ، فقالت له : يا بني أنت أكرم منه نفسا وأبا ، أنت ابن كلاب بن مرة ، وقومك بمكة عند البيت الحرام ، فأجمع قصى على الخروج ، فقالت له أمه : أقم حتى يدخل الشهر الحرام ، فتخرج في حاج العرب ، فلما دخل الشهر الحرام خرج مع حاج قضاة حتى قدم مكة ، فحج وأقام بمكة ، ص ٢٠ وما بعدها ج ١٦ نهاية الأرب .

(٢) فى السيرة : د من بعد عرفة ، وفى نسخ أخرى : د من عرفة . .

(٣) فى القاموس : وكندة - بالكسر - ويقال : كِنْدِيٌّ : لقب ثوٲ بن عَنَفِيرِ أبو حى من اليمن ، لأنه كند أباه النعمة ، ولحق بأخواله ، والكند : القطع .

فصل : وأما تسمية الغوث وولده صوفة ، فاختلاف في سبب ذلك .
فذكر أبو عبيد الله الزبير بن أبي بكر القاضي في أنساب قريش له عند ذكر
صوفة : البيت الواقع في السيرة لأوس بن مفرء السعدي ، وهو :

لا يَبْرَحُ النَّاسُ مَا حَجَّوْا مُعْرِفَهُمْ

البيت . وبعده :

تَجَدُّ بِنَاهُ لَنَا قَدِمًا أَوْائِلُنَا وَأُورثُوهُ طِوَالِ الدَّهْرِ أَحْرَانَا (١)

ومفرء : تأنث أمفر ، وهو الأحمر ، ومنه قول الأعرابي للنبي - صلى الله
عليه وسلم : أهو هذا الرجل الأمفر ؟ ثم قال : قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان
يقال لكل من ولي من البيت شيئاً من غير أهله ، أو قام بشيء من خدمة
البيت ، أو بشيء من أمر المناسك يُقال لهم : صرفة وصوفان . قال أبو عبيدة :

(١) أوس بن مفرء أحد بني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد
ابن زيد مائة بن تميم . وقيل : أوس بن تميم بن مفرء ، وله ترجمة في الإصابة
قال : ويكنى أبا المفرء ، وبقي إلى أيام معاوية ، وله شعر في مدح النبي « ص ،
وبعد البيت الذي في السيرة :

تَرَى نِسَانَنَا إِذَا مَا جَاءَ بَدَاهُمْ وَبَدُوهُمْ إِنْ أَنَا نَاكَانَ ثُنْيَانَنَا

والثني والثنيان ، وكهدي وإلى : دون السيد ص ١٧٦ الأمال ج ٢ ط ٢ وفي
السمط عن أوس ص ٧٩٥ للبكري : وهو القائل في بن صفوان بن شجينة بن
عطار بن عوف بن كعب الذين كان فيهم الإفاضة من عرفة ، فلم يذكر الحارث
كما روى ابن إسحاق ، ولا جناب كما روى ابن هشام ، ثم روى البيت كما في السيرة ،
وفي المزهر ص ٤٨٧ ج ٢ أن أوساً هذا غلب على نابغة بنى جمدة .

لأنه بمنزلة الصوف، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر، ليسوا من قبيلة واحدة. وذكر أبو عبد الله أنه حدّثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال: إنما سُمي الغوثُ بن مُرٍّ: صُوفه، لأنه كان لا يعيش لأمه ولدًا، فنذرت: لئن عاش لتعلقن برأسه صُوفًا، ولتجعلنّه ربيطًا للكمبة، ففعلت، فقيل له: صُوفه، ولولده من بعده، وهو: الربيط. وحدث إبراهيم بن المُنذِر عن عمر بن عبد العزيز بن عمران، قال: أخبرني عقال بن شبة قال: قالت أم تميم بن مُرٍّ - وولدت نسوةً - فقالت: لله عليّ. لئن ولدتُ غلامًا لأعبدنّه للبيت، فولدت الغوث، وهو أكبرُ ولدِ مُرٍّ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحرُّ، فمُرت به - وقد سقطَ وذوى واسترخى فقالت: ما صار ابني إلا صُوفًا، فسُمي صُوفًا (١).

(١) في القاموس عن صُوفه أيضا: أو هم قوم من أفناء القبائل تجمعوا، فتشبكو كتشبك الصُوف. هذا وقد رواه الجوهري: آل صوفانا. ويقول القاموس: والصواب: آل صفوانا. وهم قوم من بني سعد بن زيد مناة. قال أبو عبيدة: حتى يجوز القائم بذلك من آل صفوان. وفيه أيضا وردت الشطرة الأولى: ولا يريمون في التمر يف موقههم. وما ذكره السهيلي عن سبب تسمية الغوث - نقلًا عن الكلبي - يوجد في القاموس الذي ذكر للربيط عدة معان، ثم قال: لقب الغوث ابن مر بن طابخة. ويذكر أن الولد عاش، فجعلته أمه خادما للبيت الحرام حتى بلغ، فزعمته، فلقب: الربيط. وقد سقط من هذه المادة في القاموس كلمة «أد» من نسب الغوث على حين ذكرها في مادة صوف. وفي القاموس أيضا: «وكان أحدهم يقوم فيقول: أجزى صُوفه، فإذا أجازت قال: أجزى خنثف، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة، وعرف القوم: وقفوا بعرفة: والبيت الأول في السيرة موجود أيضا في اللسان بنفس رواية القاموس «ولا يريمون إلخ» وقول أبي عبيدة عن صُوفه موجود في اللسان، وانظر ص ١٨٣ من المحبر.

بنو سعد وزير مناة :

فصل : وذكر وراثه بنى سعد إجازة الحاج بالقعد من بنى الغوث ابن مرّ ، وذلك أن سعداً هو : ابن زيد مناة بن تميم بن مرّ ، وكان سعد أقعد بالغوث بن مرّ من غيره من العرب (١) ، وزيد مناة بن تميم يقال فيه : مناة ومناء بالهمز (٢) ، وتركه ، ويجوز أن يكون - إذا همز - مفعلة من ناء ينوء ، ويجوز أن يكون : فعالة من المنينة ، وهى : المدبقة ، كما قالت امرأة من العرب لأخرى : [تقول لك أمي] : أعطيني نفساً أو نفسين أمعس به منيتي ، فأبى أفدة . النفس : قطعة من الدباغ ، والمنينة : الجلد فى الدباغ ، وأفدة : مقاربة لاستتمام ما تريد صلاحه وتماحه من ذلك الدباغ (٣) وأشد أبو حنيفة :

(١) القعد بضم القاف وسكون العين وضم الدال أو فتحها : القريب من الجد الأكبر ، أو أملك القرابة فى النسب ، والقربى . وأقدم : أقربهم إلى جده الأكبر . وانظر ص ٢٥٧ من المحرر لابن حبيب ، ص ٤٠ من شرح الخشنى .

(٢) وفى اللسان عن مناة : ومناة : صخرة ، وفى الصحاح : صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة يعبدونها من دون الله من قولك : منوت الشيء - أى : اخترته ... وعبد مناة بن أد بن طابخة . وزيد مناة بن تميم بن مر يمى يقصر . قال هو بن الحارثى

الأهل أنى التميم بن عبد مناة على الشنم فيما بيننا ابن تميم

وفيه تخطئة من قال : مناة بالهاء ، وغلطوا الطائى فى قوله : إحدى بنى بكر ابن عبد مناه .

(٣) فى لإصلاح المنطق أن الذى قص هذا هو الاصمى ، وفيه ، وفى اللسان : أمعس به ، بدلا من : أمعس بها ، كما فى الروض . وفسر نفسا أو نفسين بقوله : =

إذا أنت باكرت المنيثة باكرت قضيبة أراك بات في المسك منقما

وأشد يعقوب :

إذا أنت باكرت المنيثة باكرت مدا كالمدا من زعفران وإمدا (١)

استقار المزلفة :

فصل : وأما قوله : فلأن الإفاضة من المزلفة كانت في عدوان فالزلفة : مُقْتَعَلَةٌ من الأزدلاف ، وهو الاجتماع . وفي التنزيل : (وأزلفنا ثم)

== قدر دبة أو دبغتين ، وفي اللسان : أفد الشيء يَأفد أفداً فهو أفدس : دنا وحضر وأسرع ، والأفد : المستعجل ؛ والمنيثة عند الفارسي : مَفْتَعَلَةٌ بكسر العين من اللحم النقي ، ومنأ تأتي ذلك ، وهي عند غيره كما ذكر السهيلي . والمنيثة : الجلد أول ما يدبغ ، ثم هو : أفيق ، ثم : أديم . وأمس : أدلك وأحرك ، وفي اللسان : منأ الجلد بمنؤه منأ : إذا أنقعه في الدباغ ، وهي في اللسان فعيلة ، وفي تهذيب لإصلاح المنطق للتبريزي : هو آفدة أي : سريعة . يقع في بعض النسخ : الآفدة : التي تشتكي فؤادها ، وقيل : السريعة ، وقيل . المعيبة . قال أبو العلاء : ينبغي أن يقال : فائدة التي تشتكي فؤادها ، والصواب أن يفسر : آفدة بالسريعة ، انظر اللسان ومعجم ابن فارس وإصلاح المنطق لابن السكيت ، ص ٩٤ وتهذيبه للتبريزي ص ١٤٥ .

(١) الشعر لمحمد بن ثور وقبله :

فأقسم لولا أن حُددت با تنابعت علي ، ولم أبرح بدئين مطردا
لواحت مكسالا كأن ثيابها تجن غزالا بالخنيلة أغيدا

يخاطب زوجته فيقسم : لولا أن حدبا ، وهي السنون الجديدة - واحدتها : حدباء - تنابعت عليه ، واستدان وطاله الفرما ، وطرده لواحت مكسالا ، وهي المرأة الثقيلة الأرداف ، الناعمة الجسم ، أي : تزوجت امرأة أحسن منك ، كأن ثيابها تستر ==

الآخرين) وقيل : بل الازدِلَافُ : هو الاقتراب ، والزُّلْفَةُ : القُرْبَةُ ، فسميت مزدلفة ؛ لأن الناس يَزْدَلِفُونَ فيها إلى الحرم ، وفي الخبر : أن آدم عليه السلام لَمَّا هَبَطَ إلى الأرض (١) لَمْ يَزَلْ يَزْدَلِفُ إلى حَوَاءَ ، وَتَزْدَلِفُ إليه ، حتى تعارفا بعَرَفَةَ ، واجتمعا بالمزدلفة فسميت : جمعا ، وسميت : المزدلفة (٢) .

ذو الإصبع وآل ظرب :

وأما ذو الإصْبَعِ (٣) الذي ذكره فهو : حُرْثَانُ بن عمرو ، ويقال فيه : حُرْثَانُ ابن الحارث بن مُحَرَّثِ بن ربيعة بن هُبَيْرَةَ بن ثعلبة بن ظَرِبِ بن ظَرِبِ هو : والدعاصر بن الظَّرِبِ الذي كَانَ حَاكِمَ العرب ، وذكر ابن إسحاق قصته في الخُنْفِي ، وفيه يقول الشاعر [المُتَمَلِّسُ] :

== غزالا . والأغيد : المنثى . ثم قال : إذا أنت باكرت دباغ الجلود باكرت هي الطيب والمداك ، وهو الحجر الذي يسحق عليه الطيب . والأئمد : الكحل . أى باكرت هي الطيب والاكتحال . انظر ص ١٤٥ تهذيب إصلاح المنطق .

(١) الرأي الراجح أن جنة آدم كانت في الأرض .

(٢) لم يرد هذا في حديث صحيح .

(٣) سبب تسميته في الاشتقاق ص ٢٦٨ واسمه : حرثان ، ونسبه في الأغاني : حرثان بن الحارث بن محرت بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ابن نزار ، وفي الجهرة لابن حزم هو : حرثان بن محرت ، ونسبه في أمالي المرتضى يختلف أيضا فهو : حرثان بن محرت بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة وقيل : محرت بن حرثان ، وقيل : حرثان بن حويرث ، وقيل : حرثان بن حارثة ابن ظرب الخ .

لدى الحزم قبل اليوم ما تُفَرِّعُ الْعَصَا وما عُلِّمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَ^(١)

وكان قد خرف ، حتى تَفَلَّتَ ذَهْنُهُ ، فكانت العصا تُفَرِّعُ له إذا تكلم في نادى قومه تنبيها له ؛ لئلا تكون له السقطة في قول أو حكم . وكذلك كان ذو الإصْبَعِ ، كان حَكَمًا في زمانه ، وعَمَرَ ثلاثمائة سنة ، وسمى ذا الإصْبَعِ ؛ لأن حَيَّةً هَشَّتَهُ فِي أُصْبُعِهِ .

وَجَدُّهُمُ ظَرْبٌ : هو عمرو بن عِيَّاذِ بن يَشْكُرِ بن بكر بن عدوان ، واسم عدوان : تيم ، وأمه : جَدِيلَةُ بنت أَدِ بن طابخة ، وكانوا أهل الطائف ، وكثر عددهم فيها حتى بلغوا زهاء سبعين ألفا ، ثم هلكوا بيني بعضهم على بعض ، وكان تقيف

(١) بيت الشعر ولدى الحزم الخ هو للمتلس ، وكان ابن الظرب قد كبر ، فقال له ابنه الثاني : إنك ربما أخطأت في الحكم ، فيحمل عنك . قال : فاجعلوا لي أمانة أعرفها ، فإذا زغت ، فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب . فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد ابنه في البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ ، أو هفا قرع له الجفنة ، فرجع إلى الصواب . هذا وربيعة تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ، واليمن تدعيه لربيعة بن مخاشن ، وهو ذو الأعواد ، وفي اللسان : أن هذا الحكم هو عمرو بن حُصْمَةَ الدومى الذى قضى بين العرب ثلاثمائة سنة ، والأصبع : مثانة الهمزة ، ومع كل حركة تلك الباء ، ففيه تسع لغات ، والعاشر : أصبوع ، وحكام العرب في الجاهلية هم : أكرم بن صيفى ، وحاجب بن زرارة ، والأفرع بن حابس ، وربيعة بن مخاشن وضمرة بن أبى ضمرة لتيم ، وعامر بن الظرب ، وغيلان بن سلمة لقيس ، وعميرة المطلب وأبو طالب والعاصى بن وائل والعلاء بن حارثة لقريش . وربيعة ابن حذار لأسد ، ويعمر بن الشداخ وصفوان بن أمية ، وسلي بن نوفل لكنانة وحكيمات العرب : صحر بن لقيان وهند بنت الحسن ، وجمعة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب ، وانظر ص ١٨١ من المحبر .

وهو قسي بن مئبّه صهراً العامر بن الظرب ، كانت تحتها زينب بنت عامر ،
وهي أم أ كثر تقيف ، وقيل : هي أخت عامر ، وأختها ليلى بنت الظرب هي :
أم دؤس بن عدنان ، وسيأتي طرف من خبره فيما بعد- إن شاء الله- فلما هلكت
عدوان ، وأخرجت بقيتهم تقيف من الطائف ، صارت الطائف بأسرها لتقيف
إلى اليوم .

وقوله : حية الأرض : يقال فلان حية الأرض ، وحية الوادي إذا كان مهيباً
يُدعّر منه ، كما قال حسان :

يا مُحْكَمَ بنِ طُفَيْلٍ قَدْ أُتِيحَ لَكَ اللهُ دَرُّ أَيْبِكُمْ حِيَةَ الْوَادِي

يعني بحية الوادي : خالد بن الوليد رضي الله عنه .

فصل : وقوله : عذير الحى من عدوان (١) . نصب عذيرا على الفعل المتروك
إظهاره ، كأنه يقول : هاتوا عذيرَه ، أى : من يعذره ، فيكون العذيرُ بمعنى :
المآزر ، ويكون أيضاً بمعنى : العذرُ مصدراً كالحديث ونحوه .

أبو سبارة :

وذكر أبا سيّارة ، وهو عميلة بن الأعزل في قول ابن إسحاق ، وقال غيره:
اسمه : العاصي . قاله الخطابي . واسم الأعزل : خالد ، ذكره الأصبهاني ، وكانت

(١) عدة القصيد التي في السيرة هي في الأغاني : اثنا عشر بيتاً في ترجمة ذي
الإصبع ، والقصيد عن تفرق عدوان وتشتتهم في البلاد مع كثرتهم . وفي اللسان
عن حية الوادي : إذا كان شديد الشكيمة حامياً لحوزته ، وقال عن بيت ذي
الإصبع الأول : و أراد أنهم كانوا ذوى إرب وشدة لا يضيعون ثأراً ، .

له أتان عَوْرَاهُ، خِطَامُهَا أَيْفٌ، يقال: إنه دفع عليها في الموقف أربعين سنة، وإياها
يعنى الراجز في قوله: حتى يُجَبِّزَ سالما حماره .

وكانت تلك الأتان سوداء؛ ولذلك يقول:

لَاهُمَّ مَالِي فِي الْحِمَارِ الْأَسْوَدِ أَصْبَحْتُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ أَحْسَدُ
فَقِي أَبَا سَيَّارَةَ الْمُحَسَّدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ إِذِي مُحَسَّدُ

وأبو سَيَّارَةَ هذا هو الذي يقول: أَشْرِقُ ثَبِيرٌ كَيْمَا نُغَيِّرُ، وهو الذي يقول:

لَاهُمَّ إِنِّي تَابِعٌ تَبَاعَهُ (١)

(١) إن العرب لما سمعوا اللهم جرت في كلام الخلق توهموا أنه إذا ألغيت
الألف واللام من الله كان الباقي: لاه، فقالوا: لاهم، ويقولون: لاه أبوك .
يريدون: لله أبوك، وقالوا: لمنك أصلها: لله إنك، فحذف الألف واللام، فقال:
لاه إنك، ثم ترك همزة إنك، فقال: لمنك، وقالوا: لنا . أصلها: لاه إنا
فحذف مدة لاه، وترك همزة نا . ويرى الفراء أن لمنك أصلها: لأنك، فأبدل
الهمزة هاء مثل: هراق الماء، وأراق، وأدخل اللام في إن لليمين . ويقول ابن
جنى في الخصائص عن اللام في قولهم: إن زيدا لقائم: إن موضعها أول الجملة
وصدرها، لا آخرها ويعجزها: ثم قال: ويدل على أن موضع اللام في خبر إن أول الجملة
قبل إن: أن العرب لما جفا عليها اجتماع هذين الحرفين قلبوا الهمزة هاء لينزول
لفظ إن، فنزول أيضا ما كان مستكرها من ذلك فقالوا: لاهمستك قائم بفتح فكسر
فتضعيف، أي: لئنك قائم . ثم استشهد ببعض أبيات على هذا . . ورأيه في هذا
رأى سيديويه في الكتاب، وضعف رأى من قالوا: إن أصلها: لله إنك
الخصائص . ص ٢١٤ ج ١ ط ١٩٥٢ وقد تقدم في الجزء الأول ذكر هذا .

وثبِير: جبال بظاهر مكة، والأثيرة أربعة: ثبِير غَيْسِي، وثبِير الأعرج،
وهما: حراء وثبِير . وثبِير الأثيرة، وثبِير منى، وهما بديار مزينة . ومعنى المثل =

وكان يقول في دعائه : اللهم بَعْضُ بَيْنِ رِعَائِنَا ، وَحَبِّ بَيْنِ نَسَائِنَا ،
واجعل المَالَ فِي سُمَحَاتِنَا : وهو أول من جعل الدِّيَّةَ مائةً من الإِبِلِ ، فيما ذكر
أبو اليقظَان ، حكاه عنه حمزةُ بن الحسن الأصبهاني .

وقوله : وعن مواليه بنى فزارة . يعنى بمواليه : بنى عمه ، لأنه من عَدْوَانِ
وَعَدْوَانُ وفزارةُ : من قيس عيلان ، وقوله : مُسْتَقْبِلُ القِبلة يدعو جاره . أى :
يدعو الله عز وجل ، يقول : اللهم كن لنا جارا بما نخافه ، أى : مجيرا .

== ادخل يائير في الشروق ، كي نسرع إلى النحر . قال عمر : إن المشركين كانوا
يقولون : أشرق ثبير كما نغير ، وكانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ، الإفاضة
هنا من المزدلفة إلى منى ، والمثل يضرب في الإسراع والعجلة ، وفي شرح السكافية
ج ٢ ص ٣٣٢ ، واعلم أن من العرب من يقول : لَهْنَتِكَ ، بفتح اللام وكسر
الهاء وتضعيف النون مع فتح ، لَمَرَجُلٌ صدق . قال : لَهْنَتًا لَمَقْتَضَى عَلَيْنَا التهاجر .
وقال : لهنى لأشقى الناس إن كنت غارما . وقد يحذف اللام ، وهو قليل ، قال :

ألا يا سنا برق على قلسل الحمى لهنك من برق على كريم

وفيه ثلاثة مذاهب . أحدها لسيويوه : وهو أن الهاء بدل من همزة إن
كإياك وهياك ، فلما غيرت صورة إن بقلب همزتها هاء ، جاز بجامعة اللام إياها
بعد الامتناع ، والثاني : قول الفراء ، وهو أن أصله : والله إنك ، كما روى عن أبي
أدهم الكلاني : والله ربي لا أقول ذلك ، بقصر اللام ، ثم حذف حرف الجر ، كما
يقال : الله لأفعلن ، وحذفت لام التعريف أيضا ، كما يقال : لاه أبوك . أى :
الله أبوك ، ثم حذفت ألف فعال ، كما يحذف من الممدود إذا قصر . كما يقال :
الحصاد والحصد قال :

ألا لا بارك الله في سهيشل إذ ما الله بارك في الرجال

و حذف مد لام الله . ووقف عليها بالسكون وحذف ألف إذا ، ثم حذفت همزة إنك ==

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

قال ابن إسحاق : وقوله : حكم يقضى يعنى : عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان العدوانى . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة ، ولا عضلة فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ، ثم رضوا بما قضى فيه ، فاختصم إليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه ، فى رجل خنثى ، له ما للرجل ، وله ما للمرأة ، فقالوا : أنجعله رجلا أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه . فقال : حتى أنظر فى أمركم ، فوالله ما نزل بى مثل هذه منكم يامعشر العرب ! فاستأخروا عنه . فبات ليلته ساهراً يُقلِّب أمره ، وينظر فى شأنه ، لا يتوجه له منه وجه ، وكانت له جارية يقال لها : سخيِّلة ترعى عليه غنمه ، وكان يُعاتبها إذا سرحت فيقول : صَبِحْتَ وَاللَّهِ يَا سُخَيْلِ ! وإذا أراحت عليه ، قال : مَسَيْتَ وَاللَّهِ يَا سُخَيْلِ ! وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس ، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس . فلما رأت سهرة وقلقه ، وقلقه فراره على فراشه قالت : مالك لأبألك ! ما عراك فى ليلتك هذه ؟ قال : وَيْلَكَ ! دَعَيْتِ ، أمرأيس من شأنك ، ثم عادت له بمثل قولها ، فقال فى نفسه : عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرج ، فقال : وَيْحَكَ ! ااخْتَصِمِ إِلَى فِى مِيراثِ خُنْثَى ، أأجعله رجلا أو امرأة ؟

• • • • •

== وفيما قال تسكلفات كثيرة . والثالث : ما حكى المفضل بن سلمة عن بعضهم أن أصله : لله إنك . واللام للقسم ، فعمل به ما عمل فى ذهب الفراء ، وقول الفراء أقرب من هذا ، لأنه يقال : لهنك لقائم بلا تعجب . .

فوالله ما أدري ما أصنع ، وما يتوجه لي فيه وجه ؟ : قال : فقالت سبحان الله ! لا أبالك ! أتبيع القضاء المبال ، أقعده ، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل ، وإن بال من حيث تبول المرأة ، فهي امرأة . قال : مَسَى سُخَيْلٌ بعدها ، أو صَبَّحِي ، فَرَجَّيْهَا والله ! . ثم خرج على الناس حين أصبح ، فقضى بالذي أشارت عليه به .

غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش

ومعونة قضاة له

قال ابن إسحاق : فلما كان ذلك العام ، فعلت صوفة كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم . فاتاهم قصي بن كلاب بن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاة عند العقبة ، فقال : لَنَحْنُ أُولَى بِهَذَا مِنْكُمْ ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك .

وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه بادأهم ، وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا ، فافتتلوا قتالا شديداً ، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً ، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ، وإلى أن يُحْكَمُوا بينهم رجلاً من القرب ، فحُكِّمُوا بَعْمَرُ بْنُ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ

• • • • •

لَيْثُ بْنُ بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ ، قَفِضَ بَيْنَهُمْ أَنَّ قُصَيًّا أُولَى بِالكَعْبَةِ ، وَأَمْرٌ
مَكَّةَ مِنْ خُرَاعَةَ ، وَأَنَّ كُلَّ دَمٍ أَصَابَهُ قُصَيٌّ مِنْ خُرَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ : مَوْضِعٌ
يَشْدَخُهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَأَنَّ مَا أَصَابَتْ خُرَاعَةُ وَبَنُو بَكْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ
وَقُضَاعَةَ ، فَفِيهِ الدِّيَّةُ مُؤَدَّاةٌ ، وَأَنَّ يُخَلَّى بَيْنَ قُصَيٍّ وَبَيْنَ الْكَعْبَةِ وَمَكَّةَ .

فَسُمِّيَ يَعْمَرُ بْنُ عَوْفٍ يَوْمَئِذٍ : الشُّدَّاحُ ، لِمَا شَدَخَ مِنَ الدَّمَاحِ
وَوَضَعَ مِنْهَا .

قال ابن هشام : ويقال : الشُّدَّاحُ .

قال ابن إسحاق : فَوَلَّى قُصَيٌّ الْبَيْتَ وَأَمْرَ مَكَّةَ ، وَجَمَعَ قَوْمَهُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ
إِلَى مَكَّةَ ، وَتَمَلَّكَ عَلَى قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَكَّةَ فَلَمَّكَوهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَقْرَأَ لِلْعَرَبِ
مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَرَاهُ دِينًا فِي نَفْسِهِ لَا يَنْبَغِي تَغْيِيرُهُ ، فَأَقْرَأَ آلَ
صَفْوَانَ وَعَدْوَانَ وَالنِّسَاءَ وَمُرَّةَ بْنَ عَوْفٍ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى جَاءَ
الْإِسْلَامَ ، فَهَدَمَ اللَّهُ بِهِ ذَلِكَ كُلَّهُ . فَكَانَ قُصَيٌّ أُولَى بَنِي كَعْبٍ بِنِ لُؤَيٍّ أَصَابَ
مُلُكًا أَطَاعَ لَهُ بِهِ قَوْمُهُ ، فَكَانَتْ إِلَيْهِ الْحِجَابَةُ ، وَالسَّقَايَةُ ، وَالرَّفَادَةُ ،
وَالنَّدْوَةُ ، وَاللَّوَاءُ ، فَحَازَ شَرَفَ مَكَّةَ كُلَّهَا . وَقَطَعَ مَكَّةَ رِبَاعًا بَيْنَ قَوْمِهِ ، فَأَنْزَلَ
كُلَّ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَنَازِلَهُمْ مِنْ مَكَّةَ الَّتِي أَصْبَحُوا عَلَيْهَا ، وَيَزَعُمُ النَّاسُ أَنَّ
قُرَيْشًا هَابُوا قَطَعَ شَجَرَ الْحَرَمِ فِي مَنَازِلِهِمْ ، فَقَطَعَهَا قُصَيٌّ بِيَدِهِ وَأَعْوَانُهُ ، فَسَمَّيْتُهُ
قُرَيْشٌ : مُجْمَعًا لِمَا جَمَعَ مِنْ أَمْرِهَا ، وَتَيَمَّمْتُ بِأَمْرِهِ ، فَمَا تُنْكَحُ امْرَأَةٌ ،
وَلَا يَتَزَوَّجُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرٍ نَزَلَ بِهِمْ ، وَلَا يَعْقِدُونَ لَوَاءً
لِحَرْبٍ قَوْمٍ مِنْ غَيْرِهِمْ إِلَّا فِي دَارِهِ ، يَعْقِدُهُ لَهُمْ بَعْضُ وَلَدِهِ ، وَمَا تَدْرِعُ جَارِيَةٌ

• • • • •

إذا بلغت أن تدَّرع من قريش إلا في داره ، يُشَقُّ عليها فيها درعها ثم تدَّرعه ،
ثم ينطلق بها إلى أهلها . فكان أمره في قومه من قريش في حياته ، ومن بعد
موته ، كالدِّين المُتَّبَع لا يُعْمَل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها
إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تقضى أمورها : قال ابن هشام :
وقال الشاعرُ :

قُصِيَّ لَعَمْرِي كَانَ يُدْعَى مُجْمَعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقِبَائِلَ مِنْ فَيْهٍ

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن راشد عن أبيه ، قال : سمعت السائب
ابن خباب صاحب القصور يحدث ، أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب ،
وهو خليفة ، حديث قُصِيَّ بن كلاب ، وما جمع من أمر قومه ، وإخراجه خزاعة
و بنى بكر من مكة ، وولايته البيت وأمر مكة ، فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ قُصِيَّ من حربته ، انصرف أخوه رزاح بن ربيعة
إلى بلاده بمن معه من قومه ، وقال رزاح في إجابته قُصِيَّاً :

لَمَّا أَتَى مِنْ قُصَيٍّ رَسُولٌ فَقَالَ الرَّسُولُ : أَجِيبُوا الْخَلِيلَا
هَهْضُنَا إِلَيْهِ نَقُودَ الْجِيَادِ وَنَطْرَحَ عَنَّا الْمَمْلُوكَ النَّقِيلَا
نَسِيرُ بِهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ وَنَكْمِي النَّهَارَ ؛ لِئَلَّا نَزُولَا
فَهِنَّ سِرَاعٌ كَوَرْدِ الْقَطَا يُجِيبُنَ بِنَا مِنْ قُصَيٍّ رَسُولَا
جَمَعْنَا مِنَ السَّرِّ مِنْ أَشْمَذِينَ وَمَنْ كَلَّ حَيًّا جَمَعْنَا قَبِيلَا
فِيَالِكَ حَلْبَةٌ مَا لَيْلَةٌ تَزِيدُ عَلَى الْأَلْفِ سَيْبًا رَسِيلَا

فَلَمَّا مَرَّزْنَا عَلَى عَسَجِرٍ وَأَسْمَلْنَا مِنْ مُسْتَفَاخِ سَبِيلَا
وَجَاوَزْنَا بِالرُّكْنِ مِنْ وَرَقَانِ وَجَاوَزْنَا بِالقَرْجِ حَيَا حُلُولَا
مَرَرْنَا عَلَى الخَيْلِ مَا ذُقْنَاهُ وَعَالَجْنَا مِنْ مَرٍّ لَيْلًا طَوِيلَا
نَدَّيْنَا مِنَ العُودِ أَفْلَاءَهَا إِرَادَةَ أَنْ يَسْتَرْقِنَ الصَّهْبِيلَا
فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى مَكَّةَ أَجْمَنَا الرِّجَالُ قَبِيلًا قَبِيلَا
نُعَاوِرُهُمْ نَمَّ حَدَّ السِّيُوفِ وَفِي كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا العُقُولَا
نُخَبِّرُهُمْ بِصِيَابِ النُّسُورِ رِخْبَزِ القُوَى العَزِيزِ الذَّلِيلَا
قَتَلْنَا خُرَاعَةَ فِي دَارِهَا وَبَكَرًا قَتَلْنَا وَجِيلًا فُجِيلَا
نَفِينَاهُمْ مِنْ بِلَادِ المَلِكِ كَمَا لَا يَحْتَلُونَ أَرْضَا سُهُولَا
فَأَصْبَحَ سَبِيحُهُمْ فِي الحَدِيدِ وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ شَقِينَا الغَالِيَلَا

وقال ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم القضاعي
في ذلك من أمر قصي حين دعاهم فأجابوه :

جَلَبْنَا الخَيْلَ مُضْمَرَةً تَغَالَى مِنْ الأَعْرَافِ أَعْرَافِ الجُنَابِ
إِلَى غَوْرَى تِهَامَةَ ، فَالتَقِينَا مِنْ الفَيْفَاءِ فِي قَاعِ يَبَابِ
فَأَمَّا صُوفَةُ الخُنْتَى ، فَخَاوَا مِنْزِلَهُمْ مُحَاذِرَةَ الضَّرَابِ
وَقَامَ بَنُو عَلِيٍّ إِذْ رَأَوْنَا إِلَى الأَسْيَافِ كَالإِبِلِ الطَّرَابِ

وقال قصي بن كلاب :

أَنَا ابْنُ العَاصِمِينَ بَنِي لُؤَيٍّ بِمَكَّةَ مَنزِلِي ، وَبِهَا رَيْتُ

إلى البطحاء قد علمت معدتٌ ومروها رَضيت بها رَضيت
فلستُ لغالب إن لم تأنل بها أولاد قَيْذَرَ ، والنَّبيتُ
رِزَاحُ ناصِرى ، وبه أُساميُ فلستُ أخافُ ضَيْمًا ما حَيْتُ

فلما استقر رِزَاحُ بن ربيعة في بلاده ، نَشَرَهُ اللهُ ونَشَرَحُنَّا ، فهما قَبَيْلا
عُدْرَةَ اليوم . وقد كان بين رِزَاحِ بن ربيعة ، حين قَدِمَ بلاده ، وبين نَهْدِ بن
زَيْدٍ وحوَتَكَةَ بن أُسْلَمَ ، وها بطنان من قُضاعة شىء ، فأخافهم حتى لحقوا
بالمين ، وأجلوا من بلاد قُضاعة ، فهم اليوم بالمين ، فقال قَصِي بن كِلاب ، وكان
يحب قُضاعة ونمائها واجتماعها ببلادها ، لما بينه وبين رِزَاحِ من الرَّحِمِ ، ولبلأهم
عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نُصْرته ، وكره ما صنع بهم رِزَاحُ :

أَلَا مَنْ مُبْلِغَ عَنِّي رِزَاحًا فَإِنِّي قَدْ كَلَيْتُكَ فِي اثْنَتَيْنِ
كَلَيْتُكَ فِي بَنِي نَهْدِ بْنِ زَيْدٍ كَمَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي
وَحَوْتَكَةَ بْنِ أُسْلَمَ إِنْ قَوْمًا عَنَوْهُمْ بِالْمَسَاءَةِ قَدْ عَنَوْنِي

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي .

قال ابن إسحاق : فلما كبر قُصِيُّ ورق عظمه ، وكان عبد الدار بكره ،
وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه ، وذهب كل مذهب ، وعبد العزى
وعبْدُ . قال قُصِيُّ لعبد الدار : أما والله يا بُنَيَّ لأُحْفَنَكَ بالقوم ، وإن
كانوا قد شرفوا عليك : لا يدخل رجل منهم الكعبة ، حتى تكون أنت تفتحها
له ، ولا يعقد أقرش لواء الحربها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب أحدٌ بمكة إلا من
سَقَاتِكَ ، ولا يأكل أحدٌ من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ، ولا تقطع قرش

أمراً من أمورها إلا في دارك، فأعطاه داره دار الندوة، التي لا تنقض قريش أمراً من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحِجَابَةَ واللَّوَاءَ والسَّقَايَةَ والرَّفَادَةَ .

مَنْ فرض الرفادة :

وكانت الرفادة خَرْجاً تُخْرِجُهُ قريش في كلِّ مَوْسِمٍ من أموالها إلى قُصَيِّ ابنِ كِلَابٍ ، فيصنع به طعاماً للحاجِّ ، فيأكله مَنْ لم يكن له سَعَةٌ ولا زاد ، وذلك أن قُصَيّاً فَرَضَهُ على قريش ، فقال لهم حين أسرمهم به : يامَقْشَرَ قريش ، إنكم جيرانُ الله ، وأهلُ بيته ، وأهلُ الحَرَمِ ، وإن الحاجَّ ضَيَّفُ اللهُ وزوار بيته ، وهم أحقُّ الضيِّف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيامَ الحجِّ ، حتى يَصُدُّرُوا عنكم ، ففعلوا ، فكانوا يُخْرِجونَ لذلك كلِّ عامٍ من أموالهم خَرْجاً ، فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاماً للناس أيامَ مِنى ، فجرى ذلك من أسره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كلِّ عامٍ بمنى للناس حتى ينقضى الحجُّ .

قال ابن إسحاق : حدثني بهذا من أمر قُصَيِّ بنِ كِلَابٍ ، وما قال لعَبْدِ الدار فيما دفع إليه مما كان بيده : أبا إسحاق بن يسار ، عن الحسن بن محمد ابن عليّ بن أبي طالب رضی الله عنهم ، قال :

سمعتُه يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار ، يقال له : نُبَيْهُ بن وهب بن عامر بن عِكْرَمَةَ بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيِّ .

قال الحسن : فجعل إليه قُصَيِّ كلَّ ما كان بيده من أمر قومه ، وكان قُصَيِّ لا يُخَالَفُ ، ولا يُرَدُّ عليه شيءٌ صنَّعه .

الحكم بالأمارات :

فصل : وذكر عامر بن الظرب وحُكمه في الخُنثى ، وما أفتته به جاريته سُخَيْلَة ، وهو حكم معمول به في الشرع ، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات ، وله أصل في الشريعة ، قال الله سبحانه : (وجاءوا على قبيصه بدمٍ كذبٍ) وجه الدلالة على الكذب في الدم أن القميص المدَّمَّى لم يكن فيه خرقٌ ولا أثر لأنياب الذئب ، وكذلك قوله : (إن كان قبيصه قدَّ من قُبُلٍ [فصدقت ، وهو من الكاذبين] . يوسف : ٢٦) الآية . وقول النبي صلى الله عليه وسلم في المولود : « إن جاءت به أرزق جعدًا جُماليًا فهو للذي رُميت به ^(١) » فلا استدلال بالأمارات أصلٌ يَنبني عليه كثيرٌ من الأحكام في الحدود والميراث ، وغير ذلك . والحكمُ في الخُنثى أن يُعتَبر المَبالُ ، ويُعتَبر بالحِيض ، فإن أشكل من كلِّ وجهٍ ، حُكِمَ بأن يكون له في الميراث سَهْمُ امرأةٍ ونصف ، وفي الدِّية كذلك ، وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد .

(١) هذا جزء من حديث — رواه أبو داود مطولا ، وفي إسناده عباد بن منصور ، وقد تكلم فيه غير واحد ، وهو في قذف هلال بن أمية أحد الثلاثة الذين خلفوا امرأته بشريك بن سحاء ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه الرسول دس ، البينة ، وإلا أقام عليه الحد ، فنزلت آيات اللعان من سورة النور ، وقد روى قصة هلال الجماعة وأحد ، والجمع : القصير الشعر ، والأورق : الاسمر مع بياض . والجُمالي : العظيم الخلق كأنه الجمل ، وقد طلب النبي صلى الله عليه وسلم أن تترك المرأة حتى تلد ، فجاءت بالولد في صفات الرجل الذي رُميت به ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن » .

السراخ :

فصل : وذكر يَعْمَرُ الشَّدَاخِ بن عوف حين حَكَمُوهُ ، وأنه سمي بالشَّدَاخِ لما شَدَخَ من دِمَاءِ خُرَاعَةَ^(١) وَيَعْمَرُ الشَّدَاخُ هو جَدُّ بنِي دَأْبِ الذين أخذ عنهم كثير من علم الأَخْبَارِ والأنسابِ وهم : عيسى بن يزيد بن [بَكْر] ابن دَأْبِ ، وأبوه : يزيدُ ، وحَدَيْفَةُ بن دَأْبِ ، ودَأْبُ هو : ابن كُرْزِ بن أحمَرٍ من بنِي يَعْمَرِ بن عَوْفِ الذي شَدَخَ دِمَاءَ خُرَاعَةَ ، أي : أبطلها ، وأصل الشَّدَخِ : الكسر والْفَضْحُ ، ومنه الأَفْرَةُ الشادخة ، شُبِّهت بالضَّرْبَةِ الواسعة . والشَّدَاخِ بفتح الشين كما قال ابن هشام ، والشَّدَاخُ بضمها إنما هو جَمْعٌ ، وجائز أن يُسَمَّى هو وبنوه : الشَّدَاخِ ، كما يقال : المَنَادِرَةُ في المَنَذِرِ وبنيه ، والأشْعَرُونَ في بنِي الأشْعَرِ من سبأ^(٢) وهو بابٌ يكثرُ ويطول . وأمُّ يَعْمَرِ الشَّدَاخِ اسمُها : السُّوْمُ بنت عامر بن جُرَّةِ بضم الجيم ، وسيأتي ذكر جِرَّةِ بالكسر^(٣) ذكره ابن ماكولا . ومن بنِي الشَّدَاخِ : بَلْعَاءُ بن قَيْسِ بن عبد الله بن يَعْمَرَ

(١) في الاشتقاق : « إنما سمي الشداخ لأنه أصلح بين قريش وخزاعة في الحرب التي كانت بينهم ، فقال : شَدَخْتُ الدماء تحت قدمي ، والشَّدَخُ : وطؤك الشيء حتى تفضخه ، والفرس الشادخ : الذي انتشرت غرته في وجهه ، ولم تبلغ العينين ، والجمع : شوادخ ، والفضخ : الكسر ، ويذكر السهلي عيسى بن يزيد بن دأب ، وهو في الاشتقاق : عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب .

(٢) الأشعر هو : نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ .

(٣) في القاموس : السوم بفتح السين وواو ساكنة بنت جرة بكسر الجيم : أعرابية ، وفيه : يزيد بن الأخنس بن جرة بضم الجيم : صحابي .

الشَّدَاخُ الشَّاعِرُ الْمَذْكُورُ فِي شِعْرِ الْحَمَّاسَةِ ، اسْمُهُ : حُمَيْضَةُ ، وَتَبَّ :
بِلَعَاءِ (١) لِقَوْلِهِ :

أَنَا ابْنُ قَيْسٍ سَبْعًا وَابْنُ سَبْعٍ أَبَارَ مِنْ قَيْسٍ قَبِيلًا فَالْتَمَعُ
كَأَمَّا كَانُوا طَعَامًا فَابْتَلَعُ

(ولاية قصي البيت)

ذَكَرَ فِيهِ أَمْرَ قُصَيٍّ وَمَاجِعَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَأَنْشَدَ :

قُصَيُّ لَعَمْرِي كَانَ يُدْعَى مُجَمَّمًا (٢) . الْبَيْتُ وَبَعْدَهُ :

هُمُومًا مَلَّتُوا الْبَطْحَاءَ مُجَدًّا وَسُودُدًا وَهُمْ طَرَدُوا عَنَاغُورَةَ بَنِي بَكْرٍ
وَيَذَكُرُ أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لِحُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ .

وَذَكَرَ أَنَّ قُصَيًّا قَطَعَ مَكَّةَ رِبَاعًا (٣) ، وَأَنَّ أَهْلَهَا هَابُوا قَطَعَ شَجَرَ
الْحَرَمِ لِلْبَنِيَانِ . وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : الْأَصْحَحُ فِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ أَرَادُوا
الْبَنِيَانَ قَالُوا لِقُصَيٍّ : كَيْفَ نَصْنَعُ فِي شَجَرِ الْحَرَمِ ، فَحَذَرَهُمْ قَطْعَهَا وَخَوْفَهُمْ

(١) فِي الْإِشْتِقَاقِ : بِلَعَاءِ مِنْ قَوْلِهِمْ : بَثَرَ بِلَعَاءً : وَاسِعَةً ، وَرَجُلٌ بَلَعُ إِذَا
كَانَ نَهِيمًا ، وَقَدْ أُخْرِجَ لَهُ أَبُو تَمَامٍ فِي دِيْوَانِ الْحَمَّاسَةِ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ ، أُولَاهَا :
وَفَارِسٍ فِي غَمَارِ الْمَوْتِ مِنْغَمَسٍ إِذَا تَأَلَّى عَلَى مَكْرُوهَةٍ صَدَقَا
غَمَارِ الْمَوْتِ : شِدَائِمُهُ ، تَأَلَّى : حَلَفَ ، وَفِي اللِّسَانِ : حَمَّصَةُ اسْمٌ حَى بِلَعَاءِ
وَقَدْ كَانَ بِلَعَاءُ رَمِيْسًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَشَهِدَ حَرْبَ الْفَجَارِ الثَّانِيَّ ، وَمَاتَ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ
(٢) فِي الطَّبْرِيِّ ٢٥٦ ج ٢ ، أَبُو كَمٍّ قُصَيُّ كَانَ يَدْعَى بِجَمْعِهِ .
(٣) دُورًا .

العقوبة في ذلك ، فكان أحدهم يخوف بالبنيان حول الشجرة ، حتى تكون في منزله . قال : فأول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله ابن الزبير حين ابنتى دوراً ببعيفعان ، لكنه جعل دية كل شجرة : بقرة ، وكذلك يروى عن عمر - رضى الله - أنه قطع دوحه كانت في دار أسد بن عبد العزى ، كانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة ، وذلك قبل أن يوسع المسجد ، فقطعها عمر - رضى الله عنه - ووداها بقرة ، ومذهب مالك - رحمه الله - في ذلك : ألا دية في شجر الحرم . قال : ولم يبلغنى في ذلك شيء . وقد أساء من فعل ذلك ، وأما الشافعى - رحمه الله - فجعل في الدوحة بقرة ، وفيما دونها شاة . وقال أبو حنيفة - رحمه الله - إن كانت الشجرة التي في الحرم مما يفرسها الناس ، ويستذبتونها ، فلا فدية على من قطع شيئاً منها ، وإن كان من غيرها ، ففيه القيمة بالغا ما بلغت .

وذكر أبو عبيد : أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أفتى فيها بعتق (١) رقبة .

(١) وفي الشقيرى للمحب الطبرى : و عن عطاء أنه كان يقول في الحرم : إذا قطع شجرة عظيمة من شجر الحرم فعليه بدنة ، وفي الدوحة : بقرة . وعنه أنه سئل عن قطع من شجر الحرم ، فقال : يستغفر الله عز وجل ولا يعود ، وعنه أنه كان يرخص في القصب والشوك والسنى : نوع من النبات . وعنه لا بأس أن يبنى الكسماة من الحرم ولا بأس بالشعشع (نبات يتفرش على وجه الأرض عريض الورق وليس له شوك) والكسماة جمع مفردة : كم ، والكسمة : نبات ينفض الأرض ، فيخرج كما يخرج الفطر ، يأكله الناس والحيوان ، على أنه ورد في حديث أخرجه البخارى ومسلم أن الحرم لا يعضد شوكه ، أى : لا يقطع .

دار الندوة :

وذكر أن قُصِيًّا اتخذ دار الندوة ، وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور ، ولفظها مأخوذ من لفظ النَدَى والنَادَى والمُنْتَدَى ، وهو مجلس القوم الذي يَنْدُون حَوْلَهُ ، أى : يَدْهَبُونَ قَرِيبًا مِنْهُ ، ثم يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ، وَالتَّنْدِيَةُ فِي الخليل . أن تُصْرَفَ عَنْ اِوْرَدٍ إِلَى المَرعى قَرِيبًا ، ثم تَعَادُ إِلَى الشُّرْبِ ، وَهُوَ المُنْتَدَى (١) ، وَهَذِهِ الدَارُ تُصِيرُ بَعْدَ بَنِي عَبْدِ الدَارِ إِلَى حَكِيمِ بْنِ حِزَامِ . ابْنُ خُوَيْلِدٍ بْنُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العَزَى بْنِ قُصَيٍّ ، فَبَاعَهَا فِي الإسلامِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَذَلِكَ فِي زَمَنِ مَعَاوِيَةَ ، فَلَامَهُ مَعَاوِيَةُ فِي ذَلِكَ ، وَقَالَ : أَيْمَتُ مَكْرَمَةَ آبَائِكَ وَشَرَفَهُمْ ، فَقَالَ حَكِيمٌ : ذَهَبَتِ المَكْرَامُ إِلَّا التَّقْوَى . وَاللَّهُ : لَقَدْ اشْتَرَيْتَهَا فِي الجَاهِلِيَةِ بِزِقِّ خَمْرٍ ، وَقَدْ بَعَثَهَا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَشْهَدُكُمْ أَنَّ ثَمَنَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَأَيْتِنَا المَغْبُونُ ؟ ! ذَكَرَ خَبَرَ حَكِيمٍ هَذَا الدَارَ قُطْنِي فِي أَسْمَاءِ رِجَالِ المَوَاطِنِ لَهُ .

من تفسير شعر رزاح :

فصل : وذكر شعر رِزَاح ، وفيه : وَنَكَمِي النِّهَارَ أَى : نَكَمُنُ وَنَسْتَرُ ، وَالمَكَمِي مِنَ الفَرَسَانِ ، الَّذِي تَكَمَى بِالحديدِ . وَقِيلَ : الَّذِي يَكَمِي شِجَاعَتَهُ ، أَى : يَسْتَرُهَا ، حَتَّى يَظْهَرُهَا عِنْدَ الوغَى . وفيه : مَررْنَا بِمَسْجَرٍ ، وَهُوَ : اسمُ مَوْضِعٍ ، وَكَذَلِكَ : وَرِقَانُ اسمُ جَبَلٍ ، وَوَقَعَ فِي نَسْحَةِ سَفِيَانٍ : وَرِقَانُ بفتحِ الرَّاءِ ، وَقِيْدُهُ أَبُو عبيدِ البَكْرِى : وَرِقَانُ بِكسرِ الرَّاءِ ، وَأَنشَدَ لِلأَخْوَصِ :

(١) والمنتدى أيضاً من أسماء النادى الذى هو مجتمع مجلس القوم ومتحدثهم والندى : مكان ورد الإبل .

وَكَيْفَ تُرْجَى الْوَصْلَ مِنْهَا وَأَصْبَحَتْ ذُرَى وَرِقَانَ^(١) ذَوْنَهَا وَحَفِيرٍ
وَيُخْفَفُ ، فيقال : وَرِقَانٌ . قال جميل :

يَا خَلِيلِيَّ إِنَّ بَدْنَةَ بَانَتْ يَوْمَ وَرِقَانَ بِالْفَوَادِ سَبِيًّا
وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْجِبَالِ ، وَذَكَرَ أَنْ فِيهِ أَوْشَالًا^(٢) وَعُيُونًا عِذَابًا ،
وَسُكَّانَهُ : بَنُو أَوْسَ بْنِ مُزَيْنَةَ .

وَذَكَرَ أَيْضًا الْحَدِيثَ ، وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « ضَرَسُ
السَّكَافِرِ فِي النَّارِ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرِقَانَ »^(٣) . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ آخِرَ مَنْ يَمُوتُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَقَالَ : رَجُلَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يَنْزِلَانِ
جِبَلًا مِنْ جِبَالِ الْعَرَبِ ، يُقَالُ لَهُ : وَرِقَانَ^(٤) كُلُّ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْبُكْرِيِّ فِي كِتَابِ
مُعْجَمِ مَا اعْتَجَمَ .

فصل : وَذَكَرَ أَشْمَذِينَ بِكَسْرِ الذَّالِ ، وَفِي حَاشِيَةِ كِتَابِ سَفِيَّانِ بْنِ الْعَاصِ :
الْأَشْمَذَانِ : جِبَلَانِ [بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَخَيْبَرَ] ، وَيُقَالُ : اسْمُ قَبِيلَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ فِي

-
- (١) ورقان — بالفتح ثم الكسر — ويروى بسكون الراء : جبل أسود بين
العرج والرويشة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة ، وهو من جبال تهامة .
(٢) مياه تسيل من أعراض الجبال ، فتجتمع ثم تساق إلى المزارع .
(٣) رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدرکه عن أبي هريرة .
(٤) الذي في الحاكم : « آخر من حشر : راعيان من مزينة يريدان المدينة
ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشا ، حتى إذا بلغا ثنينة الوداع خرا على
وجوههما ، ومثل هذه الأحاديث لا يعتد بها .

الحاشية : فعلى هذا تكون الرواية بفتح الذال وكسر النون من أشمذنين - قال المؤلف رحمه الله - فإن صح أنهما اسم قبيلتين ، فلا يبعد أن تكون الرواية كما في الأصل : أشمذنين^(١) بكسر الذال ، لأنه يجمع في المعنى . واشتقاق الأشمذ من شمذت الناقة بذنبها أى : رفعت ، ويقال للنحل : شمذ ، لأنها ترفع أعجازها .

وفيه : مَرَرْنَ عَلَى الْحَيْلِ^(٢) وفسره الشيخ في حاشية الكتاب ، فقال : هو الماء المستنقع في بطن واد ، ووجدت في غير أصل الشيخ روايتين ، إحداهما : مَرَرْنَ عَلَى الْحَيْلِ وَالْأُخْرَى : مَرَرْنَ عَلَى الْحَيْلِ ، فأما الْحَيْلُ : فجمع حيلة ، وهى بَقْلَةٌ شَاكَّةٌ^(٣) . ذكره ابن دُرَيْدٍ فِي الْجُمْهُرَةِ . وأما الْحَيْلِ ، فيقال : إنه ثمر الْقُمَّلَانِ^(٤) وهو نَبْتُ .

(١) في المراد : أشمذنين - بفتح أوله والميم والذال مفتوحتان ، والياء ساكنة والنون مكسورة بلفظ الشنية : جبلان بين المدينة وخيبر تنزلهما جهينة وأشجع .
(٢) الحيل في اللسان كما ذكر الشيخ ، وأيضاً : القطيع من الغنم ، وحجارة تحدر من جوانب الجبل إلى أسفله وفي الأصل : الجبل ، وهو خطأ .

(٣) وفي اللسان والقاموس : شجرة شاكئة .

(٤) عرق هذا الشجر المغاث ، وقد خطأ أبوخر في شرحه للسيرة هذا الرأي لأن اسم النبات : الحلي بتشديد الياء وكسر اللام . وذكر أنه اسم موضع .

ورزاح بن ربيعة بكسر الراء ، وغيره بالكسر وبالفتح . ومن معاني مفردات قصيدة رزاح : الورد : الواردة . الحلبة : جماعة الحيل . السيب : المشى السريع في رفق كالسياب الحية . الرسيل : المشى الذي فيه تمهل . وعسجر : موضع قرب مكة . أسهل : حل الموضع السهل ، العرج : واد ، نواحي الطائف . العوذ : جمع عاتذ : الناقة أو الفرس التي لهما أولاد . والأفلاء : جمع فلو ، المهر العظيم . نعاور :

وقوله فيها : نخبزُهُمْ . أَى : نسوقهم سَوْقًا شَدِيدًا ، وقد تقدم قول
الراجز . لَا تَخْبِزَا خَبْزًا وَبَسًا بَسًا .

وذكر شعر رِزَاحِ الآخر ، وفيه : من الأعراف أعراف الجَنَابِ . بكسر
الجيم ، وهو موضعٌ من بلادِ قُضَاعَةَ .

وفيه : وقام بنو عَلِيٍّ ، وَهُمْ بنو كِنَانَةَ ، وإِذَا سَمُوا بِنِي عَلِيٍّ ؛ لِأَنَّ عَبْدَ مَنَاةَ
ابن كِنَانَةَ كَانَ رِيْبِيَا لِعَلِيٍّ بن مَسْعُودِ بن مَازِنِ من الأَزْدِ جَدِّ سَطِيحِ
السَّكَّانِ ، فَقِيلَ لِبَنِي كِنَانَةَ : بنو عَلِيٍّ ، وَأَحْسَبُهُ أَرَادَ فِي هَذَا الْبَيْتِ بِنِي بَكْرِ
ابن عَبْدِ مَنَاةَ ؛ لِأَنَّهُمْ قَامُوا مَعَ خُرَاعَةَ .

شعر قصي والغزوات :

وذكر شعر قُصَيٍّ : أَنَا ابن العاصِمِينَ بَنِي لَوْئِيٍّ . الأبيات . وليس
فيها ما يشكل .

== نداول مرة بعد أخرى . الأوب : الرجوع . وصلاب النور : النور : جمع
نسر ، وهو اللحم اليابس الذي في باطن الحافر . وصلاب النور كناية عن الخيل
القوية ، ومن مفردات قصيدة ثعلبة : التغالى من المغالاة ، وهي ارتفاع الدابة في
سيرها ومجاورتها حسن السير . والغور : أصله ما تدخل من الأرض ، وانهبط ،
ومنه : غور تهامة ، وكل ما وصف به تهامة ، فهو من صفة الغور ؛ لأنهما اسمان لمسمى
واحد . والقيفاء : الصحراء . القاع : أرض مستوية مطمئنة عما يحيط بها من الجبال
والآكام ، تنصب إليها الأمطار ، فتمسكها ، ثم تذب العشب ، الضراب : يقال :
ضرب الفحل ضرابا : أتى الناقة . والطراب : الإبل التي اشتاقت إلى موطنها .

وذكر أن رزاحا حين استقر في بلاده نشر الله ولده وولدحن ،
ابن ربيعة ، فهما حيا عذرة .

قال المؤلف : في قضاة عذرتان : عذرة بن ربيعة ، وهم من بني كلب
ابن وبرة . وعذرة بن سعد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، وأسلم هذا
هو بضم اللام من ولدحن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة جد جميل بن عبد الله
ابن معمر صاحب بئنة ، ومعمر هو ابن ولد الحارث بن خبير بن ظبيان ،
وهو الضبيس بن حن . وبئنة أيضا من ولد حن ، وهى بنت حبان بن
ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الأحب بن حن [وفي قضاة أيضا عذرة بن
عدى ، وفي الأزدي : عذرة بن عداد] .

موتكة وأسلم :

وذكر حوتكة بن أسلم وبنى نهد بن زيد وإجلال رزاح لهم (١)

(١) نسب جميل فى جمهرة أنساب العرب : جميل بن عبد الله بن معمر
ابن الحارث بن الحبير [فى الروض ابن خبير فى] ابن طبيان ، وهو خبيس بن
جر بن ربيعة ، ويتفق الأغانى مع الجمهرة حتى الحارث ، وبعدها يقول الأغانى
و ابن طبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كثير ، بن
عذرة بن سعد — وهو هذيم ، سمي بذلك لإضافة لاسمه إلى عبد لايه ، يقال له :
هذيم ، وكان يحضنه ، فغلب عليه ، وفى الاشتقاق كذلك عن سعد وهذيم — بن زيد بن
سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . ونسب بئنة فى الجمهرة : بئنة بنت حبا
ابن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الأحب بن جريو بن ربيعة . لايها صحبة
ص ٤٢٠ جمهرة . وفى الأغانى : بنت حبا بن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن =

وَحَوْتَسْكَةُ هُوَ : عَمُّ نَهْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، وليس في العربِ أَسْلَمُ بضم اللام إلا ثلاثة . اثنان منها في قُضَاعِهِ ، وهما : أَسْلَمُ بن الحافِ هذا ، وأَسْلَمُ بن تَدُولِ ابن تَيْمِ اللَّاتِ (١) بن رُفَيْدَةَ بن ثَوْرِ بن كَلْبِ ، والثالث في عَكَّ أَسْلَمُ بن القِيَاةِ بن غَابِنِ (٢) بن الشاهد بن عَكَّ ، وما عدا هؤلاء فأسلم بفتح اللام . ذكره ابن حبيب في المؤلف والمختلف .

==الأحب بن حن بن ربيعة . وفي الاشتقاق عن عذرة بن ربيعة، وكذلك في جمهرة ابن حزم: أنه عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة . وفي كتاب متفق القبائل لابن حبيب ، وفي قضاة : عذرة بن سعد ، وفي كلب: عذرة ابن زيد اللات ، وعذرة بن عدى ، وفي الأزدي: عذرة بن عداد، وفي الجمهرة لابن حزم ضبط أسلم بفتح اللام مرة ، وبضمها في مكان آخر ، وفيها ما يأتي : ولد أسلم بن الحافي : سود بن أسلم . فولد سود بن أسلم ليت وحوتسكة بفتح الحاء وإسكان الواو ، بطن بمصر مع بني خميس بن جبهنة ، وإيلاس بن سود، وهم في بني لؤي بن عذرة . وفي أمالي ابن الشجري عن الحالف أنه بما حذفت العرب ياءه اجتزأ بالكسر مثل: العاص في اسم العاص بن أمية، والعاص بن وائل السهمي . ومثل اليمان في أب حذيفة اليمان ، ومثل الداع في قوله سبحانه: وأجيب دعوة الداع إذا دعان ، انظر الاشتقاق في قبائل قضاة، وص ١٥٥ جمهرة . ونقلت ما ذكرت عن ابن الشجري من تعليق الأستاذ هرون في الاشتقاق . وفي الاشتقاق عن هوذي أنه هوذاة .

(١) في الجمهرة والاشتقاق وغيرهما : زيد اللات . ولكن ورد في الجمهرة ص ٤٢٩ وهو يتحدث عن بني كلب بن وبرة : وبنو أسلم بضم اللام بن تدول بن تيم اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة .

(٢) في الجمهرة : أسلم بن القياة بن غافق ، ومنهم كان أمير الأندلس . وفي اللسان عن أسلم بضم اللام نقل عن كراع أنه جمع : سلم ، وذكر أنه لم يفسر أى : سلم — بفتح فسكون — يعني ، ثم نقل أنه قد يكون جمع سلم — بفتح فسكون — وهي الدلو العظيمة .

ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصي

وحلف للمطيين

قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب هلك ، فأقام أمرة في قومه ، وفي غيرهم بنوه من بعده ، فاخْتَطُوا مَكَةَ رِبَاعًا — بعد الذي كان قَطَعَ لقومه بها — فكانوا يَقْطَعُونَهَا في قومهم ، وفي غيرهم من خُلفائهم ويَبْيعُونَهَا فأقامت على ذلك قريشٌ معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بني عبد مناف بن قصي عبد شمس وهاشما والمُطَلِّبَ ونَوْفَلًا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار ، من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم ، ففتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرَوْنَ أنهم أحقَّ به من بني عبد الدار لمساكنهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار . يرَوْنَ أن لا يُنْزَعَ منهم ما كان قصي جعل إليهم .

فكان صاحب أمر بني عبد مناف : عبد شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسنَّ بني عبد مناف ، وكان صاحب أمر بني عبد الدار : عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبنو زُهْرَةَ ابن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ، مع بني عبد مناف .

• • • • •

وكان بنو مخزوم بن بَقْظَةَ بن مُرَّة ، وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ، وبنو جَجَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ، وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامر بن لُؤَى ومحارب بن فِهْر ، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فعمد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسلم بعضهم بعضاً ما بَلَ بَحْر صَوْفَةَ .

فأخرج بنو عبد مناف جَفَنَةَ مملوءة طيباً ، فيزعمون أن بعض نساء بنى عَبد مناف ، أخرجتها لهم ، فوضعوها لأخلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدواهم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم ، فسُموا المَطِيبِينَ .

وتعاقد بنو عبد الدار ، وتعاهدواهم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكداً ، على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسلم بعضهم بعضاً ، فسُموا الأَحلاف .

ثم سُوِنِدَ بين القبائل ، وُلِزَّ بعضها ببعض ، فَعَبَّيْتُ بنو عبد مناف لبني سَهْم ، وَعَبَّيْتُ بنو أسد لبني عبد الدار وَعَبَّيْتُ زُهْرَةَ لبني جَجَح ، وَعَبَّيْتُ بنو تيم لبني مَخْرُوم ، وَعَبَّيْتُ بنو الحارث بن فِهْر لبني عدى بن كعب . ثم قالوا : لَتُنْفِنِ كُلُّ قَبِيلَةٍ مِنْ أَسَدٍ إِلَيْهَا .

فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح ، على أن يُعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني

عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وتماجز الناس عن الحرب ، وثبت كل قوم مع من حالقوا ، فلم يزالوا على ذلك ، حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما كان من حانف في الجاهلية ، فإن الإسلام لم يزد إلا شدة » .

حلف الفضول

قال ابن هشام : وأما حلف الفضول فحدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي ، لشرفه وسننه ، فكان حلفهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب ، و تميم بن مرة ، فتعاقدوا وتماهدوا على أن لا يمدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ، ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أذعى به في الإسلام لأجبت » .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي حدثه : أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي

• • • • •

طالب رضى الله عنهما ، وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان . والوليد يومئذ أمير على المدينة ، أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان - منازعة في مال كان بينهما بنى العروة ، فكان الوليد تحامل على الحسين - في حقه اساطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفنى من حقى ، أو لأخذن سيفى ، ثم لأقومن فى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم لأدعون بحلف الفضول قال : فقال عبد الله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين - رضى الله عنه - ما قال : وأنا أحلف بالله لئن دعا به لأخذن سيفى ، ثم لأقومن معه ، حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى ، فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي ، فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن المهدي الليثي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال : قدم محمد بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف - وكان محمد ابن جبير أعلم قريش - فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير ، واجتمع الناس على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد ، ألم نكن نحن وأتم ، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك ، فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأتم منه ، قال : صدقت .

قال ابن إسحاق : فولى الرقاداة والسماية هاشم بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سفاراً قلماً يقيم بمكة ، وكان مقلداً ذا وادٍ ، وكان هاشم

.

موسراً فكان - فيما يزعمون - إذا حضر الحج ، قام في قريش فقال : «يامعشر قريش ، إنكم جيرانُ الله ، وأهلُ بيته ، وإنه يأتكم في هذا الموسم زُوارُ الله وحُجاجُ بيته ، وهم ضيفُ الله ، وأحقُّ الضيفِ بالكرامة : ضيفه ، فاجتمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بُدَّ لهم من الإقامة بها ؛ فإنه - والله - لو كان مالى يسع لذلك ما كلَّفتكموه». فيخرجون لذلك خزجاً من أموالهم ، كلُّ امرئٍ بقدر ما عنده ، فيصنع به للحجاج طعاماً ، حتى يصدُرُوا منها .

وكان هاشم - فيما يزعمون - أوّل من سنّ الرحلتين لقريش : رحلتي الشتاء والصيف ، وأوّل من أطمع الثريد للحجاج بمكة ، وإنما كان اسمه : عمراً ، فما سُمّي هاشماً إلا بهشّمه الخبز بمكة لقومه ، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب :

عمرو الذي هشّم الثريد لقومه قوم بمكة مُسَنِّينَ عِجَافٍ
سُنَّتْ إِلَيْهِ الرَّحْلَتَانِ كِلَاهِمَا سَفَرُ الشِّتَاءِ ، وَرِحْلَةُ الْإِيْلَافِ

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز

قوم بمكة مسنين عجاف

قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشمُ بن عبد مناف بفزة من أرض الشام تاجراً ، فولى السقاية والرّفاذة من بعده المطلبُ بن عبد مناف ، وكان أصغرَ من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف في قومه وفضل ، وكانت قريشُ إنما تُسمّيه : الفيضَ لسماحته وفضله .

وكان هاشم بن عبد مناف قديم المدينة ، فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجّار ، وكانت قبله عند أُحَيِّحَةَ بنِ الْجَلَّاحِ بنِ الْحَرِيشِ . قال ابن هشام : ويقال : الحريش بن جحجبي بن كلفة بن عوف بن عمرو

ابن عَوْف بن مالك بن الأوس ، فولدت له عمرو بن أُحَيَّة ، وكانت
لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها ، إذا
كرهت رجلاً فارقتة .

فولدت لهاشم عبد المطلب ، فسَمَّته : شَيْبَةَ ، فتركه هاشم عندها حتى كان
وصيفاً ، أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ ليقبضه ، فبأحقه ببلده وقومه
فقال له سلمى : لستُ بمُرْسَلته معك ، فقال لها المطلب : إني غيرُ منصرف
حتى أخرج به معي ، إن ابن أخي قد بلغ ، وهو غريب في غير قومه ، ونحن أهل
بيت شرف في قومنا ، نلبي كثيراً من أمرهم ، وقومهم وبلده وعشيرته خيرٌ له
من الإقامة في غيرهم ، أو كما قال . وقال شيبه لعمه المطلب - فيما يزعمون - لستُ
بمفارقها إلا أن تأذن لي ، فأذنتُ له ، ودفعته إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة
مُردِّفه معه على بعيره ، فقالت قريش : عبدُ المطلب ابتاعه ، فيها سمى : شَيْبَةَ
عبدَ المُطَلِّب . فقال المطلب : وَيَحْكُم ! إنما هو ابن أخي هاشم ، قدمتُ به من
المدينة .

ثم هلك المطلب بردمان من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يبيِّنُه :

قد ظمىء الحجاجُ بعد المطلبُ بعد الجفان والشراب المنشعبُ

ليت قريشا بعده على نصبُ

وقال مطرود بن كعب الخزاعي ، يبكي المطلب وبني عبد مناف جميعاً

حين أتاه نعي نوفل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرهم هلكاً :

يا ليلة هيَّجت لي لاتي إحدى ليالي القسيات

• • • • •

وَمَا أَفَاسِي مِنْ مُهُومٍ ، وَمَا عَاجَلْتُ مِنْ رُزْءِ الْمَنِيَّاتِ
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَخِي نَوْفَلًا ذَكَرَنِي بِالْأَوْلِيَّاتِ
ذَكَرَنِي بِالْأَزْرِ الْحَمْرِ وَالْأَزْدِيَّةِ الصُّفْرِ الْقَشِيَّاتِ
أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ سَيِّدُ أَبْنَاءِ سَادَاتِ لِسَادَاتِ
مَيْتِ بَرْدَمَانَ وَمَيْتِ بَسَلَمَانَ وَمَيْتِ بَيْنِ غَزَاتِ
وَمَيْتِ أَسْكِنِ لِحَدَّالِدِيِّ الْمَخْجُوبِ شَرْقِي الْبَنِيَّاتِ
أَخْلَصَهُمْ : عَبْدُ مَنْفٍ فَهْمٌ مِنْ لَوْمٍ مَنْ لَامَ بِمَنْجَاةِ
إِنَّ الْمَغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهَا مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءِ وَأَمْوَاتِ

عن ملف الطيبين :

فصل : وذكر تنازعَ بنى عبد مناف ، وبنى عبد الدار فيما كان قصى جعلَ إليهم ، وذكر في ذلك حلفَ المطيبين ، وسماه ، وذكر أن امرأة من نساء عبد مناف هي التي أخرجت لهم جفنه من طيب ، فعمسوا أيديهم فيها ، ولم يُسمَّ المرأة ، وقد سماها الزبيرُ في موضعين من كتابه ، فقال : هي أمُّ حَكِيمِ الْبَيْضَاءِ بنتُ عبدِ المطلبِ عمة رسولِ الله - صلى اللهُ عليه وسلم - وتوأمَةُ أبيه . قال : وكانَ الْمُطَيَّبُونَ يُسَمَّونَ : الدَّافَةَ جمع دائف بتخفيف الفاء ؛ لأنهم دَافُوا الطَّيْبَ (١) .

(١) ذكر اسم أم حكيم أيضاً أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى في كتابه نسب قريش ص ٣٨٣ ، وذكر أنها قالت بعد وضعها الجنة في الحجر : د من كان منا فليدخل يده في هذا الطيب ، ويذكر أن بنى سهم بن عمرو نحررت جزورا ، وقالوا : د من كان منا فليدخل يده في هذه الجزور ، فأدخل من أدخل فسميت =

السناد والرفقوا:

وذكر أن القبائل سُوند بعضها إلى بعض ، لتكفي كل قبيلة ما سُوند إليها ، فسُوند: من السناد ، وهي مقابلة في الحرب بين كل فريق ، وما يليه من عدوّه ، ومنه أخذ سناد الشعر ، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت ، فيكون قبل حرفِ الرَّوِيِّ حرفُ مدّولين ، ويكون في آخر البيت الثاني قبل حرفِ الرَّوِيِّ حرفُ لينٍ ، وهي ياء أو واو مفتوح ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم .

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا

ثم قابله في بيت آخر بقوله : - تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا (١) - فكان الياء المفتوح ما قبلها قد سُوندت بها إلى الياء المكسور ما قبلها ، فتقابلتا ، وهما غير متفتحتين في المد ، كما يتقابل القبيلتان ، وهما مختلفتان متعاديتان ، وأما الإقواء

==الأحلاف ، وذكر أن الأسود بن حارثة أدخل يده في الدم ، ثم لعقها ، فلعلقت بنوعدى كلها بأيديها ، فسموا : لعقة الدم ، وانظر أيضا ص ٦٦ المحبر لابن حبيب . وص ٥٤ شرح السيرة للختنى . وداف الشيء دوافا ، وأدافه : خلطه وأكثر ذلك في الدواء والطيب . وداف يديف : لغة فيه . ويجيئه بالواو أكثر ، ومسك مدوف ومدووف ، وداف الطيب وغيره في الماء يدوفه فهو دائف .

(١) أول البيت : « كأن غضونهن متون غدر » وفي رواية : متونن بدلا من غضون ، ويروى : إذا عرينا بدلا من جرينا ، والغدر : جمع غدير . تصفقا الرياح : تضربها . يشبه غضون الدرع بمتون الغدران إذا ضربتها الرياح في جريها ، والطرائق التي ترى في الدروع بالتي تراها في الماء إذا ضربته الريح « عن الزوزنى » في شرح المعلقة .

فهو أن يَنْقُصَ قُوَّةَ من المِصْرَاعِ الأوَّلِ ، كما تَنْقُصُ قُوَّةَ من قُوَى الحَبْلِ (١) ،
وذلك أن يَنْقُصَ من آخِرِ المِصْرَاعِ الأوَّلِ حَرْفٌ من الوَتْدِ كقولهِ :

أَقْبَعَدَ مَقْتَلِ مالِكِ بنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الأطْهَارِ
وكتقول الآخر :

لما رأت ماء السِّلَى مَشْرُوبًا والقَرْثَ يُقْصِرُ في الإِنَاءِ أَرَنْتَ (٢)

(١) في الأصل : الجبل ، والتصويب من اللسان . والقوة : الخَصْلَةُ الواحدة من قوى الحبل . وجبل مقوى : هو أن ترخي قوة ، وتغير قوة ، فلا يلبث الحبل أن ينقطع .

وقد عرف أبو عمر بن العلاء الإقواء بأنه اختلاف حركات الروى ، فبعضه مرفوع ، وبعضه منصوب أو مجرور . أما ما قاله السهيلي ، فهو قول أبي عبيدة . واستشهد بقول الربيع بن زياد : « أقبعد مقتل مالك الخ » . وعرفه أبو عمرو الشيباني بأنه اختلاف إعراب القوافي ، وابن سيدة : المخالفة بين القوافي . والأخفش : رفع بيت وجر آخر . قال : وقد سمعت هذا من العرب كثيرا ، لأحصى ، وقلَّست قصيدة ينشدونها لإلاوفيا إقواء ، ثم لا يستكرونه ، لأنه لا يكسر الشعر . وفي اللسان أمثلة كثيرة في مادة قوا ، ثم ذكر ابن جنى أن الإقواء وإن كان عيبا لاختلاف الصوت به فإنه قد كثر .

(٢) البيت لحجل بن نَضْلَةَ . وهو في اللسان .

ولما رأت ماء السِّلَى مَشْرُوبًا

والسلي : الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفا فيه ، وقيل : هو في الماشية : السلي ، وفي الناس : المشيمة . وفي المثل : وقع القوم في سلى جَمَلٍ . أي في أمر لا يخرج منه ؛ لأن الجمل لا سلى له . وإنما يكون للناقة .

وكان الأَصْمَيْيُّ يُسَمَّى هذا الإقواء : الْمُتَعَدُّ ، ذكره عنه أبو عبيد ، وقال
عَدِيُّ بن الرَّقَاعِ [العاملي] في السَّنَادِ :
وقصيدة قد بتَّ أجمعُ بيتها حتى أتتفَّ مِئلتها وسِنَادُها (١)

حلف الفضول

وذكر ابن هشام الحلف الذي عقده قريشُ بينها على نُصرة كلِّ مظلوم بمكة
قال : ويُسمى حلفَ الفضول ، ولم يذكر سببَ هذه التسمية ، وذكرها ابنُ
قُتَيْبَةَ ، فقال : كان قد سبق قُريشا إلى مثل هذا الحلف جُزُهُم في الزمن الأول ،
فتحالف منهم ثلاثة هُم ، ومن تبعهم ، أحدهم : الفضلُ بن فضالة ، والثاني :
الفضلُ بن وداعة ، والثالث : فضيلُ بن الحرث . هذا قول التَّمَبِّيِّ . وقال الزبير :
الفضيلُ بن شُرَاعَةَ ، والفضلُ بن وداعة ، والفضلُ بن قُضَاعَةَ ، فلما أشبه حلفُ

(١) وكذلك ساء الخليل . ونقل عنه أيضاً : إذا كان بيت من الشعر فيه
زحاف قيل له : مقعد ، بضم الميم وسكون القاف وفتح العين ، .

روى ابن جنى في الخصائص تحت باب : « هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة
ما جاز للعرب أولاً ؟ ، وأنه سأل أبا علي عن هذا ، فقال : كما جاز لنا أن نقيس
منثورنا على منشورهم ، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم ، ثم ذكر
أن جميع الشعر القديم لم يكن مرتجلاً ، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه
والملاطفة فيه والتلوم على رياضته ، وإحكام صنعه نحو ما يعرض لكثير من
المولدين . . ثم روى شواهد له على هذا ، وفيها هذا البيت . وفي الخصائص :
أقوم بدلا من أتتف ، وبعده :

نظر المُشَقَّفِ في كموب قنائه حتى يقيم ثقافه منآدما

انظر ص ٣٢٣ وما بعدها ، ١٠ الخصائص ط ، ٢ زدت العاملي من الخصائص .

قريش الآخر فعل هؤلاء الجزهيميين سُمِّي : حلف الفضول ، والفضول : جمع فضل ، وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم . وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن^(١) ، ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى . روى الحميدي عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دُعيتُ به في الإسلام لأجبت . تحالفوا أن تُردَّ الفضول^(٢) على أهلها ، وألا يُعزَّ ظالمٌ مظلوماً . ورواه في مُسنَدِ الحرث بن عبد الله بن أبي أسامة التميمي ، فقد بين هذا الحديث : لم سُمِّي حلف الفضول ، وكان حلفُ الفضول بعد الفجار ، وذلك أن حرب الفجار^(٣) كانت في شعبان ، وكان حلفُ الفضول

(١) أخذ بهذا الرأي ابن الأثير في النهاية ، لكنه ذكر هو وابن كثير في البداية : الفضل بن الحارث لافضيل ، والفضل بن شراة لافضيل .

(٢) أي تحالفوا ألا يتركوا عند أحد فضلاً يظلمه أحداً إلا أخذوه له منه . وفي حديث رواه مسلم وأحمد : لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية ، فإنه لا يزيد الإسلام إلا شدة ، والمعنى - كما قال ابن كثير - أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه ، فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه .

(٣) أيام الفجار كانت بين قيس وقريش وقيل : أيام الفجار : أيام وقائع كانت بين العرب تفاجروا فيها بمكاهظ ، فاستحلوا الحرمات . وقيل : الفجار يوم من أيام العرب ، وهي أربعة أجرة كانت بين قريش ، ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان في الجاهلية ، وكانت الدِّبْرَة على قيس ، وإنما سميت قريش هذه الحرب فجاراً ؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا : قد لجرنا ، فسميت فجاراً .

في ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة ، وكان حلف الفضول أكرم حلفٍ
سُمع به ، وأشرفه في العرب ، وكان أول مَنْ تكلم به ودعا إليه : الزبير بن
عبدِ المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زُبَيْدٍ قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه
العاصي بن وائل ، وكان ذا قَدْرِ بِمكة وشرفٍ ، فحبس عنه حقَّه ، فاستعدى عليه
الزُّبَيْدِيُّ الأَحلافَ : عبدَ الدارِ ومَخْرُوماً وُجَّحَ وسَهْمًا وعَدِيَّ بنَ كعب ،
فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل ، وزَبْرُوه ، أي : انهروه ، فلما رأى
الزُّبَيْدِيُّ الشر ، أوفى على أبي قُبَيْسٍ (١) عند طلوع الشمس ، وقُرِيشٌ في أُنديتهم
حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آلَ فِهْرِ لِمظلومِ بضاعته يبطن مَكَّةَ نائِي الدارِ والنَّفَرِ
ومُحْرِمِ أشعثٍ لم يَقْضِ عُمْرَتَهُ (٢) يا لِلرَّجالِ وِبينَ الحِجْرِ والحِجْرِ (٣)
إن الحرامَ لمن تَمَّتْ كرامتُهُ ولا حَرَامَ لثوبِ الفاجرِ العُدْرِ (٤)

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مترك ، فاجتمعت
هاشمٌ وزهرةٌ وتيمٌ بن مسرة في دار ابن جُدعان ، فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا
في ذى القعدة في شهرٍ حرامٍ قِياما ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا بالله : ليكُونَنَّ يدا واحدة

(١) جبل بمكة سمي برج من مدحج .

(٢) في تجريد الأغانى : « حرمة » .

(٣) في التجريد : « بين الركن والحجر » .

(٤) في التجريد بعد البيت السابق ورد هذا البيت :

أقام من بني سهم بدمتهم أم ذاهبٌ في ضلالٍ مالٍ معشتم

مع المظلوم على الظالم ، حتى يُؤدَّى إليه حقه ما بَلَ بَحْرٌ صُوفَةٌ ، ومارسا حِراه
وَتَبِيرٌ مَكَانَهُمَا ، وعلى التَّاسِي فِي العَاشِ ، فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ الحَلْفَ : حَلْفَ
الفُضُولِ ، وَقَالُوا : لَقَدْ دَخَلَ هَؤُلَاءِ فِي فَضْلِ مِنَ الأَمْرِ ، ثُمَّ مَشَوْا إِلَى العَاصِي
ابن وائل ، فَاتَزَعُوا مِنْهُ سِلْعَةَ الزُّبَيْدِيِّ ، فَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

حَلَفْتُ لِنَعْمَدِنَ حِلْفًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ
نُسَمِيهِ : الفُضُولِ إِذَا عَقَدْنَا يَعْزُبُهُ الغَرِيبُ لَدَى الجَوَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالِي البَيْتِ أَنَا أُبَاةَ الضَّمِيمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارِ

وقال الزبير بن عبد المطلب :

إِنَّ الفُضُولَ تَحَاقَفُوا ، وَتَعَاقَدُوا أَلَّا يَقِيمَ بَيْطَنَ مَكَّةَ ظَالِمٌ
أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاهَدُوا ، وَتَوَاتَفُوا فَالجَارِ وَالْمُعْتَرِفِيهِمْ سَالِمٌ

وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلا من خثعم قدم مكة
مُعْتَمِرًا ، أَوْ حَاجًّا ، وَمَعَهُ بِنْتُ لَه يُقَالُ لَهَا : القَمُولُ مِنْ أَوْضَاءِ نِسَاءِ العَالَمِينَ ،
فَاغْتَضَبَهَا مِنْهُ نُبَيْهَةُ بْنُ الحِجَّاجِ (١) وَغَيْبَهَا عَنْهُ ، فَقَالَ الخَثْعَمِيُّ : مَنْ يُعِدُّنِي عَلَى

(١) هو نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو
ابن هصيصر بن كعب بن لؤي بن غالب . كان هو وأخوه منبه من وجوه قريش
وذوى النباهة فيهم ، وكانا ممن نصب لرسول الله «ص» العداوة ، وقتلا معا يوم
بدر مشركين . انظر التجريد ص ١٨١٠ ونسب قريش ص ٤٠٤ . وقصته مع
القتول في الأغانى .

هذا الرجل ، فقيل له : عليك بحلف الفضول ، فوقف عند الكعبة ، ونادى :
يا حَلْفَ الفضول ، فإذا هم يُعِنُّونَ إليه من كل جانبٍ ، وقد انتصوا أسيافهم
يقولون : جاءك النوث ، فمالك ؟ فقال : إن نُبِّهًا ظلمني في ابنتي ، وانتزعها
مِنِّي قَبْرًا ، فساروا معه ، حتى وقفوا على باب الدار ، فخرج إليهم ، فقالوا له :
أخرج الجارية وَرَحْمَتِكَ ، فقد علمت مَنْ نحن ، وما تماقدنا عليه !! فقال : أفعل ،
ولكن مَتُّونِي بها الليلة ، فقالوا له : لا : والله ، ولا شُخْبَ لِقِحَّة (١) ،
فأخرجها إليهم ، وهو يقول :

راح صَحْبِي ولم أَحْيِ القُتُولَا لم أودَّعُهُمْ وَدَاعَا جَمِيلَا
إذْ أَجَدَّ الفُضُولُ أن يَمْنَعُوهَا قد أراني ، ولا أخافُ الفُضُولَا
لا تَخَالِي أَنِّي عَشِيَّةَ راح الرِّكْبُ هُنْتُمْ على الأَّ أقولَا

في أبياتٍ غيرِ هذه ذكرها الزبير ، وذكر من قوله فيها أيضا :

حَلَّتْ تِهَامَةً حِلَّةً من بَيْتِهَا وَوِطَائِهَا
ولها بِمَكَّةَ مَنْزِلٌ من سَهْلِهَا وَحِرَائِهَا
أَخَذَتْ بِشَاشَةِ قَلْبِهِ وَنَأَتْ فَكَيْفَ بِنَائِهَا (٢)

(١) في الأصل : ولا شجت . وهو خطأ ، وأصل الشخب : ما خرج من
الضرع من اللبن ويضم وبالفتح : الدم . واللحقة بكسر اللام وفتحها : الناقة القريبة
العهد بالنتاج ، أو الغزيرة اللبن .

(٢) من القصيدة في التجريد ص ١٨١٠ .

حي الدويرة إذ نأت ضسما على عمدٍ وإيها

الحلف وابن جردانه :

فصل : و ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت^(١) » وعبد الله بن جدعان هذا تيمى هو : ابن جدعان ابن عمر بن كعب بن سعد بن تيم ، يكنى : أبا زهير ابن عم عائشة - رضى الله عنها - ولذلك قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا إنه لم يقل

= لا بالفراق تنيلنا شيئاً ولا بلقائها ومنها :

أخذت حشاشة قلبه	ونأت فكيف بنائها
لولا الفضول وأنه	لا أمن من عدواتها
لدنوت من آياتها	ولطفت حول خباياها
ولجئتها أمشى بلا	هاد إلى ظلماها
فشربت فضلة ريقها	وابت في أحشاها

وفي نسب قريش : روعاتها بدلا من : عدواتها ، ولبثت في البيت الاخير بدلا من : بت ، وفي الروض : بشاشة ، وهنا حشاشة . وفيه : ونأت وكيف بنائها ، وهنا : فكيف بنائها . وقد تكرر في الروض جدعان بالذال بدلا من الدال . ونسبه كما في كتاب نسب قريش . وتيم هو ابن مرة . انظر نسب قريش ص ٢٩١ .

(١) حديث حضور النبي مع عمومته حرب الفجار ، وأنه رمى فيه حديث يروى في كتب السير والطبقات ، كطبقات ابن سعد وهو فيها في ج ١ ص ١٢٨ ، وشهوده حلف الفضول أيضا من هذا النوع ، وقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٩٢ ، ولا يعتمد بمثل هذه الروايات التي ليست من الصحيح ، لإقامة حكم ديني عليها .

يوما : ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين » أخرجه مسلم . ومن غريب الحديث لابن قتيبة أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كنت أستظلّ بِظِلِّ جَفَنَةِ عبد الله بن جدعان صَكَّةَ عُمَى ، يعني : في الهاجرة ، وسميت الهاجرة : صَكَّةَ عُمَى لخبر ذكره أبو حنيفة في الأنواء : أن عمّيا رجلا من عدوان ، وقيل : من إياد ، وكان فقيه العرب في الجاهلية ، قدم في قومٍ مُعْتَمِرًا أو حاجًا : فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه ، وهم في نحر الظهيرة : من أنى مكة غدا في مثل هذا الوقت ، كان له أجرُ عُمرَين ، فصكّوا الإبلَ صَكَّةً شديدة حتى أتوا مكة من الغد في مثل ذلك الوقت ، وأنشد :

وَصَكَّ بِهَا نَحْرَ الظَّهِيْرَةِ صَكَّةَ عُمَىٍّ وَمَا يَبْغِيْنَ إِلَّا ظِلَالَهَا (١)

في أبياتٍ ، وعُمَى : تصغير أعمى على الترخيم ، فَسُمِّيَت الظهيرةُ صَكَّةَ عُمَى به . وقال البكري في شرح الأمثال : عُمَى : رجل من العاليق أوقع بالعدو في مثل ذلك الوقت ، فسمى ذلك الوقت : صَكَّةَ عُمَى ، والذي قاله أبو حنيفة

(١) كل ما ذكره السهيلي هو في اللسان : والبيت فيه هكذا .

وصك بها عين الظهيرة غائرا عُمَى ولم ينعلن إلا ظلها

وقد ضبطت ياء ينعلن بالفتح في مادة صك ، وبالضم في مادة عمى ، وعمى يقال بضم العين وإسكان الميم وتخفيف الياء في الشعر ، والجفنة : القصة ، في اللسان أن الظبي إذا اشتد عليه الحر طلب الكناس ، وقد برقت عينه من بياض الشمس ولمعائها ، فيسدر بصره ، حتى يصك بنفسه الكناس لا يبصره ، ويقال : صكة أعمى أيضا . ولقيته صكة عمى ، أو أعمى ، أى في أشد الهاجرة حرا . وابن منظور ينقل عن السهيلي كثيرا في اللسان .

أولى ، وقائله أعلى . وقال يعقوب : عَمِيَّ الظبيُّ : يتحَيَّرُ بصرُهُ في الظهيرة من شدة الحر . قال ابن قُتَيْبَةَ : وكانت جَفْنَتَهُ يأكل منها الراكبُ على البعير ، وسقط فيها صبي ، ففرق أي : مات . وكان أميَّةُ بن أبي الصَّلْتِ قبل أن يمدَّحَه قد أتى بنى الديَّان من بنى الحرث بن كعب ، فأرى طَعَامَ بنى عبد المَدَّانِ منهم لُبَّابَ البُرِّ والشَّهْدَ والسَّمْنَ ، وكان ابنُ جُدْعَانَ يُطعمُ التَّمَرَ والسَّوِيْقَ ويسقَى اللَّبْنَ ، فقال أمية :

ولقد رأيتُ الفاعِلينَ وفِعْلَهُمْ فرأيتُ أكرمهم بنى الديَّانِ
الْبُرُّ يَلْبِكُ بالشَّهَادِ طَعَامَهُمْ لا ما يُعَلِّقُنَا بنو جُدْعَانَ (١)

(١) السويق : طعام يتخذ من مدقوق البر والشعير سمي بهذا لانسياقه في الحلقي ولباب البر : الخالص من الدقيق ، ومعنى يلبك : يخلط ، والشهاد جمع شهد ، وهو العسل ، وطعام الفرس هو : الفالوذج . وهو كما عرف في اللسان : لباب القمح بلعاب النحل . يعني : أنه مصنوع من الدقيق الخالص وعسل النحل ، وفي ذيل الأما لي للقالي ، ورد بعد البيت الأول قوله :

ورأيت من عبد المدان خلأفا فضل الأنام بن عبد مدان
وكذلك في سمط اللال لبكري ، وشطرة البيت الأول في ذيل الأما لي :
« ولقد رأيت القائلين وفعلهم ، وفي السمط : « الباذلين ، . ويقص أمية أنه دخل على عبد المدان بن الديان في نجران فأتى بالفالوذج ، ثم يقول : فأكلت طعاما عجيبا ، ثم انصرفت ، وأنا أقول ، وذكر الآيات « انظر ص ٣٦٢ سمط اللال لبكري و ص ٣٨ من الأما لي والنوادر لآني على القالي . وأمية ابن أبي الصلت اسمه : عبد الله بن أبي ربيعة ، ويكنى : أبا عثمان ، وهو شاعر جاهلي أدرك الإسلام ومات كافرا . هذا ويذكر أبو الفرج في مشير الغرام ، أن ابن جُدْعَانَ وفد على كسرى ، فأكل عنده الفالوذج ، فسأل عنه ، فقالوا : لباب البر مع العسل ، فقال : =

فبلغ شَعْرُهُ عبدَ الله بن جُدَعَانَ ، فأرسل أُنْفَى بغيرِ إلى الشام ، تحمل إليه
الْبُرِّ وَالشَّهْدَ وَالسَّمْنَ ، وجعل مناديا ينادى على الكعبة : أَلَا هَلُمُّوا إِلَى جَفْنَةِ
عبد الله بن جُدَعَانَ ، فقال أمية عند ذلك :

له دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌ وَآخِرُ فَوْقَ كَعْبَتِهَا يُنَادِي
إِلَى رُدْحٍ مِنَ الشَّيْزَى عَلَيْهَا لُبَابُ الْبُرِّ يَلْبِكُ بِالشَّهَادِ (١)

وكان ابن جُدَعَانَ في بدءِ أمرِهِ صُعْلُوكًا تَرَبَّ اليدين ، وكان مع ذلك
شَرِيْرًا فَاتِكًا ، لا يزال يَجْنِي الجَنَائِثَ ، فَيَعْقِلُ عنه أبوه وقومه ، حتى أبغضته
عشيرته ، ونفاه أبوه وحلف : أَلَا يُؤْوِيهِ أَبَدًا مَا أَثْقَلَهُ بِهِ مِنَ الْغُرْمِ ، وحمله من

== ابغوفى غلاما يصنعه ، فاتوه بغلام فابتاعه ، فقدم به مكة ، وأمره فصنعه للحجاج
ووضع الموائد من الأبطح إلى المسجد ص ٥٠ القرى للمحب الطبرى . وفي ذيل
الأمالى للقالى أنه أرسل إلى اليمن من جاءه بمن يعمل الفالوذج ص ٣٨ .

(١) اشعمل القوم في الطلب : بادروا فيه ، وتفرأقوا ، والمشمعل : الناقة
النشيطة ، والرجل الخفيف الظريف ، أو الطويل . والبيتان من قصيدة طويلة في ديوانه
ص ١٩ وقبله :

وأبيض من بنى تيم بن كعب وهم كالمشرفيات الفراد
ومنها جزء في نسب قریش ص ٢٩٢ ، وفي ص ١٤٢ من الاشتقاق لابن دريد:
وكان ابن جدعان يشرب الخمر ويقول :

شربت الخمر حتى قال قومي ألسنت عن السقاة بمستفيق
وحتى ما أوسد في أميت أبيت به سوى الترب السحيق

ثم حرما على نفسه . والردح : جمع رداح بفتح : الجفنة العظيمة : والشيزى
أو الشيز : خشب أسود تصنع منه الجفان ، أو هو الأبنوس ، أو خشب الجوز .

الديّات ، فخرج في شعاب مكة حائرا باثرا ، يتعنى الموت أن ينزل به ، فرأى شقما
في جبل ، فظن فيه حياة ، فتعرض للشقّ يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح ،
فلم ير شيئا ، فدخل فيه ، فإذا فيه نُعبانٌ عظيم له عينان تقدان كالسراجين ،
فحمل عليه الثعبانُ ، فأفرج له ، فانساب عنه مستديرا بدارة عندها بيت ، فظا
خطوة أخرى ، فصفر به الثعبانُ ، وأقبل عليه كالسهم ، فأفرج عنه ، فانساب
عنه قُدما لا ينظر إليه ، فوقع في نفسه أنه مصنوع ، فأمسكه بيده ، فإذا هو
مصنوعٌ من ذهب ، وعيناه ياقوتتان ، فكسره ، وأخذ عينيه ، ودخل البيت ،
فإذا جُثت على سرورٍ طوال لم ير مثلهم طولا وعظما ، وعند رؤوسهم لوحٌ من
فضة فيه تاريخهم ، وإذا هم رجالٌ من ملوك جرهم ، وآخرهم موتا : الحرث بن
مُضاض صاحبُ الغربة الطويلة ، وإذا عليهم ثيابٌ لا يُمس منها شيء إلا
إلا انتثر كالهباء من طول الزمن ، وشعرٌ مكتوبٌ في اللوح فيه عظات ، آخر
بيتٍ منه :

صَاحَ هَل رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَاغِ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَاقَرَمِي فِي الْجَلَابِ

وقال ابن هشام : كان اللوح من رُخام ، وكان فيه : أنا نُفَيْلَةُ بن عبدالمَدَانِ
ابن خَشْرَم بن عبد ياليل بن جُرهم بن قحطان بن هود نبي الله ، عشت خمسمائة
عام ، وقطعت غور الأرض باطنها وظاهرها في طلب الثروة والمجد والملك ،
فلم يكن ذلك ينجيني من الموت ، وتحته مكتوب :

قَد قَطَعْتُ الْبِلَادَ فِي طَلَبِ الثَّرْوَةِ وَالْمَجْدِ قَالِصُ الْأَنْوَابِ
وَسَرَيْتُ الْبِلَادَ قَفْرًا لِقَفْرِ بَقِنَاتِي وَقُوَّتِي وَاكْتِسَابِي

فأصاب الرّدى بنات فؤادى بسهام من المنيا صياب
فانقضت شرّتى ، وأقصر جهلى واستراحت عواذلى من عتابى
ودفعت السفاه بالحلم لما نزل الشيب فى محلّ الشباب
صاح هل ريت أو سمعت براع ردّ فى الضرع ما قرى فى الحلاب (١)

وإذا فى وسط البيت كرمٌ عظيمٌ من الياقوتِ واللؤلؤِ والذهبِ والفضةِ
والزبرجدِ ، فأخذ منه ما أخذ ، ثم علّم على الشقِّ بعلامةٍ ، وأغلق بابه بالحجارةِ
وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه ، ووصل عشيرته
كلّهم ، فسأدهم وجعل يُنفق من ذلك الكنزِ ويُطعم الناسَ ، ويفعل المعروفَ .
ذكر حديثَ كنزِ ابنِ جُدعانِ موصولاً بحديثِ الحرثِ بنِ مُضاضٍ : ابنُ هشامٍ
فى غيرِ هذا الكتابِ ، ووقع أيضاً فى كتابِ رِئى العاطشِ ، وأنس الواحشِ
لأحمد بنِ عمارٍ (٢) .

وابن جُدعانِ ممن حرّم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مُغرّى بها ، وذلك

(١) القاص من الشياب : المشتمر القصير . وبنات الفؤاد : طوائفه ، وهى
فى الأصل : نبات ، والمنيا : جمع منية : الموت . وصياب : جمع صائب ، كصاحب
وصحاب . شرّة الشباب : حرصه ونشاطه . والسفاه بفتح السين : خفة الحلم
ونقيضه ، أو الجهل ، وبكسر السين : جمع سفاه ، والحلاب : الإناث يحلب فيه .
وقرا : جمع ، وفى اللسان : ويروى العلاب مكان الحلاب . وريت : يعنى : رأيت ،
وهى فى الروض : رأيت ، والتصويب من اللسان ، ثم لأنها تحل بنظام الوزن .

(٢) لا ريب فى أنها أسطورة لا يحنو عليها قلب ولا عقل . يجوز أن يقال
إنه عثر على كنز دفين . ولكن فى غير ما صورت الأسطورة .

أنه سكر ، فتناول القمر ليأخذه ، فأخبر بذلك حين صحا ، فحلف : لا يشربها أبدا ، ولما كبر وهريم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبيد ماله ، ولاموه في العطاء ، فكان يدعو الرجل ، فإذا دنا منه ، لطمه لطمه خفيفة ، ثم يقول له : قم فانشد لطمتك ، واطلب ديتها ، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مال ابن جُدعان حتى يرضى ، وهو جدُّ عبيد الله بن أبي مُليكة الفقيه . والذي وقع في هذا الحديث من ذكر نفيلة ، أحسبه : نفيلة بالنون والفاء ، لأن بنى نفيلة كانوا ملوك الحيرة ، وهم من غسان ، لا من جرهم ، والله أعلم .

موقف الإسلام من الحلف :

فصل : وذكر خبر الحسين مع الوليد بن عتبة ، وقوله : لأخذن سيفي ، ثم لأذعنون بحلف الفضول إلى آخر القصة ، وفيه من الفقه : تخصيص أهل هذا الحلف بالدعوة وإظهار التعصب ، إذا خافوا ضيما ، وإن كان الإسلام قد رفع ما كان في الجاهلية من قولهم : يا فلان عند التحزب والتعصب ، وقد سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم المريسيع (١) رجلا يقول : يا للمهاجرين ! وقال آخر : يا للأنصار ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعوها فإنها مننته وقال - صلى الله عليه وسلم - من ادعى بدعوى الجاهلية ، فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا (٢) ، ونادى رجل بالبصرة : يا عامر ! نجاءه النابغة الجعدي بمصيبة له ،

(١) مصغر مرسوع : بر وماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل ، وإليه تضاف غزوة بنى المصطلق ، وتزوى بالعين ، وقد وقعت سنة ست من الهجرة .
(٢) أى قولوا له : اعضض . . . أليك ، ولا تكنوا عنه بالهن ، وقد وضعت نقطا بعدا اعضض ، وسيلح القارىء الاسم المقصود . والحديث : رواه أحمد والنسائي = (٦٢ - الروض الأنف ج ٢)

فرضه أبو موسى الأشعريُّ — رضى الله عنه — خمسين جلدَةً ، وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين إخوةً ، ولا يُقال إلا كما قال عمر رضى الله عنه : يا لله ويا للمسلمين ؛ لأنهم كلهم حزبٌ واحد ، وإخوة في الدين إلا ما خصَّ الشرعُ به أهلَ حِلْفِ الْفُضُولِ ، والأصلُ في تخصيصه قوله - صلى الله عليه وسلم - ولودُعيت به اليوم لأجبت^(١) يريد : لو قال قائل من المظلومين : يا حِلْفِ الْفُضُولِ لأجبتُ ، وذلك أن الإسلام إنما جاء بإقامة الحقِّ ونُصرةِ المظلومين ، فلم يزدْ به هذا الحلفُ إلا قوَّةً ، وقوله عليه السلام : « وما كان من حِلْفِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فلن يزيده الإسلامُ إلا شِدَّةً » ليس معناه : أن يقول الحليف : يَا أَفْلَانَ لِحِفَائِهِ ، فيجيبوه ، بل الشِدَّةُ التي عنى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إنما هي راجعةٌ إلى معنى التواصل والتعاطف والتآلف ، وأما دَعْوَى الجاهلية ، فقد رفعها الإسلامُ إلا ما كان من حلفِ الْفُضُولِ كما قدمنا ، فحُكْمُه باقٍ ، والدعوةُ به جائزةٌ ، وقد ذهبت طائفةٌ من الفقهاء إلى أن الحليفَ يَعْقِلُ مع العاقلة إذا وَجِبَتْ

== وابن حبان عن أبي بن كعب . ورغم هذا أوفى أنه لا يجوز أن ينسب إلى أدب الرسول ذى الخلق العظيم مثل هذا الكلام الذى فيه نتن الأوشاب .

(١) سبق الرأى فى هذا الحديث ، وهو أوهن من بيت العنكبوت ، فكيف يقيم السهيلي على مثله حكماً دينياً يستهدف تقويم استغاثة شركية ، وحمية جاهلية ؟ وإن افترضنا أنه حديث صحيح ، فإننا نستطيع أن نفهم فيه معنى آخر يستقيم وهدى القرآن ، وهو أنه . لو دعى إلى تنفيذ ما دعا إليه من نصرة المظلوم لأجاب ، ولكن لا باسم حلف ، وإنما باسم الله ، لأن هذا من دينه ، والمسلمون أمة واحدة ، وحزب واحد هو : حزب الله المفلح الغالب .

الذِّيةُ لقوله - صلى الله عليه وسلم - وما كان من حِلفٍ في الجاهلية ، فلم يَرِدْهُ
الإسلام إلا شِدَّةً ، ولقوله أيضاً للذي حَبَسَهُ في المسجد : إنما حَبَسْتُكَ بِمَجْرِيَةِ
حَلْفَائِكَ .

عن أوورد عبد مناف :

فصل : وذكر بنى عبد مناف الأربعة ، وقد كان له ولدٌ خامسٌ ،
وهو أبو عمرو ، واسمه : عُبَيْدٌ ، دَرَجٌ (١) ، ولا عَقْبَ له ، ذكره البرقي والزيبر ،
وكذلك ذكر البرقي أن قُصَيًّا كان سَمَّى ابْنَهُ عبدَ قُصَيٍّ ، وقال : سميتُهُ بنفسى
وسميت الآخرَ بدارِ الكعبةِ ، يعنى : عبدَ الدارِ ، ثم إن الناسَ حَوَّلُوا اسمَ
عبدِ قُصَيٍّ ، فقالوا : عبد بن قُصَيٍّ ، وقال الزيبر أيضاً : كان اسمُ عبدِ الدارِ
عبدَ الرحمن (٢) .

(١) مضى ولم يخلف نسلا . وفي طبقات ابن سعد : أن أولاد عبد مناف كانوا
سنة نفر وست نسوة . وفي نسب قريش ص ١٥ . يقول عن أبي عمرو إنه
انقرض إلا من بنت يقال لهما : تماضر ، ولدت لأبي همهمة بن عبد العزى .
(٢) في القرآن الكريم قوله سبحانه : و إذا قيل لهم : اسجدوا للرحمن .
قالوا : وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ، وزادهم نفورا ، الفرقان : ٦٠ ، وفي
كتاب الصلح في غزوة الحديبية دعا - صلى الله عليه وسلم - بالسكاتب ، فقال :
اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : وما الرحمن ، فوالله
ما أدري ما هي ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب ، وهذا جزء
من حديث رواه البخارى وأبو داود عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة
ومروان ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، وهذا كله يوحى بأن اسم
الرحمن كان غير معروف عندهم .

وذكر هاشما وما صنع في أمر الرِّفَادَةِ (١) وإطعام الحَجِيجِ، وأنه سُمِّيَ هَاشِمًا لِهُسْمِهِ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ، والمعروفُ في اللغةِ أن يقال: ثَرَدْتُ الخبزَ، فهو ثَرِيدٌ وَمَثْرُودٌ، فلم يُسَمَّ: ثَارِدًا، وسمى هَاشِمًا، وكان القياسُ - كما لا يُسَمَّى الثَّرِيدُ هَاشِمًا، بل يقالُ فيه: - ثَرِيدٌ وَمَثْرُودٌ - أن يقال في اسمِ الفاعل أيضا كذلك، ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى زيادة بيان. ذكر أصحابُ الأخبارِ أن هاشما كان يستعين على إطعام الحاجِّ قُرَيْشٍ، فَيَرِثُوه بِأَمْوَالِهِمْ، وَيُعِينُونَهُ، ثم جاءت أزيمةٌ شديدةٌ فكَرِهَ أن يُكَلِّفَ قَرِيشًا أَمْرَ الرِّفَادَةِ، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله، واشترى به أجمعَ كَعَكًا ودقيقًا، ثم أتى الموسمَ فَهَسَمَ ذلك الكعكَ كُلَّهُ هَسْمًا، ودَقَّه دَقًّا، ثم صنع للحجاج طعاما شبه الثريدِ، فبذلك سُمِّيَ هاشما، لأن الكعكَ اليابس لا يُثَرَّدُ، وإنما يُهَسَمُ هَسْمًا، فبذلك مُدِحٌ، حتى قال شاعرُهُم فيه، وهو عبد الله بن الزُّبَيْرِيُّ:

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَقَعَّتْ فَا مَحُّ خَالِصُهُ إِعْبِدَ مَنَافِ
الْحَالِطِينَ فَقِيرُهُمْ بَغْفِيهِمْ وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْأَضْيَافِ
وَالرَّائِثِينَ وَوَلَيْسَ يُوجَدُ رَائِشٌ وَالقَائِلِينَ: هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
عَمْرُو الْعُلَا هَسَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ قَوْمٍ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عَجَافِ (٢)

(١) الرِفَادَةُ: شيءٌ كانت تترافد به قريش في الجاهلية، تخرج فيما بينها مالا تشتري به للحجاج طعاما وزبيبا.

(٢) نسبها اللسان والمرتضى في أماليه ١٧٨/٤ لمطروود بن كعب الخزاعي في رثاء عبد المطلب، ونسبها العيني ١٤٠/٤، وابن أبي الحديد ٤٥٣/٣ كما نسبها السهيلي إلى عبد الله بن الزبير، ولها في أمالي القلي قصة تزعم أن رسول الله هو =

• • • • •
• • • • •

== وأبا بكر كانا عند بني شيبه ، فرهبما رجل ، وهو يقول :
يأيها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد الدار
هَبَلْتَنكَ أُمِّكَ لو نزلت برحلم منعوك من عدم ومن إقار
وتزعم القصة أن الرسول «ص» نظر إلى أبي بكر ، ثم قال : أهكذا قال الشاعر:
قال : لا والذي بعثك بالحق ، لكنه قال :

يأيها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد مناف
وهي قصة مصنوعة . والآيات التي وردت في أمالي المرتضى بعد البيت السابق:
هَبَلْتَنكَ أُمِّكَ لو نزلت عليهم ضمنوك من مجوع ومن إقراف
الآخذون العهد من آفاقها والراجلون لرحلة الإيلاف
والمطعمون إذا الرياح تناوحت ورجال مكة مُسْتَنُونَ بِمَجَافٍ
وفي هذا البيت إقواء ، لأن القافية مكسورة ، ولكنها فيه مرفوعة . وقد
وردت له رواية أخرى كما في الروض ، وبعد هذا في أمالي المرتضى :

والمفـضلون إذا المحول تـرادفت والقائلون : هَلُمَّ للـأضياف
والخالطون غنهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي
وفي أمالي القالي : منعوك من عدم ومن إقراف ، وهو في اللسان كما في
أمالي المرتضى . وفي اللسان أيضا :

والمتممين إذا النجوم تغيرت والظاعنين لرحلة الإيلاف
والمطعمون إذا الرياح تناوحت حتى تغيب الشمس في الرجاف
وفي الصحاح رويت الشطرة الأولى من هذا البيت : والمطعمون اللحم كل عشية .
وفي غيره : ويكللون جفانهم بسد يفهم . ثم نسب المرتضى إلى ابن الزبيري :
عمرو الملا هشم الثريد اقومه ورجال مكة مستنون بمجاف
وهو الذي سن الرحيل لقومه رحل الشتاء ورحلة الأضياف
وفي الروض : فالمنح خالصه ، بالخاء ، والرواية الصحيحة «فالمنح بالخاء أما»

وكان سببُ مدحِ ابنِ الزُّبَيْرِ بهذه الأبياتِ ، وهو سَمِيٌّ^(١) البنى
عبدِ منافٍ - فيما ذكره ابن إسحاق في رواية يونس - أنه كان قد هَجَا قصيا
بشعرٍ كتبه في أستارِ الكعبةِ ، أوله :

== خالصة فرويت : خالصها ، وخالصة بالتاء . والمج أو المحة : صفرة البيض . وقال
ابن سيدة : إنما يريدون فص البيضة . وقال ابن بَرِي : من قال : خالصة بالتاء ،
فهو في الأصل مصدر كالعافية . ومسننون : أصابتهم سنة مجدبة . وفي سمط
اللائي للبكري : « والعرب تقول هو بيضة البلد ، يمدحونه بذلك ، وتقول للآخر :
هو بيضة البلد يذمونه به ، فالمدوح يراد به : البيضة التي تحتضنها الظلم ، وذكر النعام ،
ويصونها ويوقها ؛ لأن فيها فرخه . والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء ، المذرة
التي لاحاطت لها ، ولا يدري لها أب ، وهي تربة الظلم . قال الرماني : إذا كانت
النسبة إلى مثل المدينة والبصرة ، فبيضة البلد مدح ، وإن نسبت إلى البلاد التي
أهلها أهل ضعة فيبيضة البلد ذم ، ص ٥٤٩ ، والرجاف : البحر ، أو يوم القيامة ،
وفي أمالي القالي زيادة :

منهم على والنبي محمد القائلان : هلم للاضياف

وأعتقد أنها زيادة شيعية . وقد قال البكري : وهذا بيت محدث ذكر أبو نصر
أن جده صالحا أبا غالب أحق به ، وأبو نصر هو : هارون بن موسى بن صالح تلميذ
القالي ، وأحد الذين استملوا النوادر عليه ، وستأتي القصيدة في السيرة .

انظر مادة رجف في اللسان ، وص ٥٤١ ج ١ وما بعدها سمط اللائي للبكري ،
بتعليق المحقق اليمني ، و ص ٢٤١ ج ١ الأمالي للقالي ، والتنبيه للبكري ، ص ١٧٨
ج ٤ أمالي المرتضى . وفي الروض : لرحلة الأضياف ، ولعلمها الأضياف . وفيه
أيضا : عمرو الغلاء ، بالغين ، وهو خطأ صوابه : العلاء ص ٧٥ ، وهناك رواية :
« عمرو الذي ، كما في الطبري .

(١) لأنه ابن الزُّبَيْرِ بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم .

ألهى قصياً عن الحدِ الأساطيرُ ومِشيةٌ مثل ما تمشي الشقاريرُ^(١)

فاستعدوا عليه بنى سهم ، فأسلموه إليهم ، فضربوه وحلقوا شعره ،
وربطوه إلى صخرة بالحجون^(٢) ، فاستنفاث قومه فلم يفيئوه ، فجعل يمدح قصياً
ويسترضيهم ، فأطلقه بنو عبد منافٍ منهم ، وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر ،
وبأشعارٍ كثيرةٍ ، ذكرها ابن إسحق في رواية يونس .

عبد المطلب وابن زبيد :

فصل : وذكر نكاح هاشم سلمى بنت عمرو النجارية وولادتها له
عبد المطلب بن هاشم ، ومن أجل هذه الولادة قال سيف بن ذي يزن

(١) وجدت في اللسان : ه شقر بضم الشيء وفتحها ، مع فتح القاف : الديك
ويقال : إن الناس أصبحوا يوماً بمكة ، وعلى باب الندرة مكتوب :

ألهى قصياً عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترشى السفاير
وأكلها اللحم بحتا لا خليط له وقولها : رحلت عير ، أتت عير

فأنكر الناس ذلك . وقالوا : ما قالها إلا ابن الزبيري ، وأجمع على ذلك
رأيهم ، فمشوا إلى بنى سهم - وكان ما تنكر قريش وتعاتب عليه أن يهجو
بعضها بعضاً - فقالوا لبنى سهم . . ثم تمضى القصة كما رواها السهيلي ، إلى قوله :
فربطوه إلى صخرة بالحجون . انظر ص ١٧٩ وما بعدها ج ؛ أمالي المرتضى
تعليق الشنقيطي ط ١٣٢٥ هـ . وللسفاير معان عدة فهي : جمع سفسير بكسر السين
الأولى والآخرة وسكون الفاء . وهو التابع أو الذي يقوم على الناقة ، أو الإبل
ليصلح من شأنها ، والعبقري والحاذق بصناعته والقهرمان ، والسماير ، وهذه هي
المقصودة هنا .

(٢) في الأصل : الحجون وهو خطأ .

أو ابنه معدى كرب بن سيف ملك اليمن^(١) لعبد المطلب حين وفد عليه ركب من قريش: مزحبا بابن أختنا، لأن سلمى من الخزرج، وهم من اليمن من سبأ، وسيف من حمير بن سبأ، ثم قال له: مزحبا وأهلا، وناقاة ورحلا، ومليكا سبخلا، يعطى عطاء جزلا^(٢). ثم بشره بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه من ولده^(٣)، فقال له عبد المطلب: مثلك أيها الملك سير وبر، ثم أجزل الملك حياءه، وقضله على أصحابه، وانصرف مغبوطا على ما أعطاه الملك، فقال: والله لَمَا بَشَّرَنِي بِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ مَا أُعْطَانِي. في خبر فيه طول.

نسب أممي:

وذكر نسب أحيحة بن الجلاح بن الحارث بن جحجحي^(٤)،

(١) في الطبري عن سيفان بن معد يكرب: من الناس من يقول: إنه سيف بن ذى يزن. ص ١٥٣ ج ٢.

(٢) نسب القالي في أماليه هذا إلى عبد المطلب، وهو خطأ صوبه البكري في التنبية ص ١١٤. فهو - كما ذكر السهيلي - قول سيف لعبد المطلب وسجل: بكسر ففتح فسكون، أو سبجل مثل: سفرجل، وسجل بفتح السين وإسكان الحاء المتقدمة على الباء: الضخم. وروى مليكا ربجلا - بكسر الراء وفتح الباء وسكون الحاء، وهي مثل: سبجل في المعنى. والربجلة: العظيمة الجيدة الخلق - بفتح الحاء - في طول. ويريد هنا: مليكا عظيما. وبعد «جزلا»، قول سيف: «قد سمعنا مقاتلتكم، وعرفنا قرابتكم، فلکم الکرامة ما أقمتم، والحباء إذا رجعتم»، انظر ج ٢ ص ٢١٨ الاماني ط ٢ والتنبية للبكري ص ١١٤.

(٣) هذا من الغلو الذي لا يحتاج إليه مقام النبي، وهو الذي لم يكن يعرف هو، ولا أحد من أهله أنه هو النبي المبشر به في كتب أهل الكتاب.

(٤) في الروض: حمير، والتصويب من كتب النسب.

وقال ابن هشام : هو الحَرِيسُ يعنى . بالسِّينِ المُهمَّلة - وقال الدَّارُ قُطَيْبِيُّ عن الزبير بن أبى بكر : أن كلَّ ما فى الأنصارِ فهو : حَرِيسٌ بالسِّينِ غير مُعجَّمة إلا هذا ، ووجدت فى حاشيةِ كتابِ أبى بَحرٍ - رحمه اللهُ - صوابَ هذا الاسمِ يعنى فى نسبِ أُحِيحَةَ بنِ الجَلاحِ بنِ الحَرِيشِ بالسِّينِ المعجمة على لفظِ الحَرِيشِ ابنِ كَعْبِ البَطْنِ الذى فى عامر بنِ صَمْعَةَ (١)

فصل : وأنشد لطرود بن كعب :

يا لَيْلَةً هَيَّجَتْ لَيْلَاتِي إِحْدَى لَيْلَى الْقَسِيَّاتِ

أى : أنتِ إِحْدَى لَيْلَى الْقَسِيَّاتِ . فَعِيلاتٌ مِنَ الْقَسَوَةِ ، أَيْ لالِينَ عِنْدَهُنَّ ، ولأرأفة فيهن ، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القسِيُّ ، وهو الزائف ، وقد قيل فى الدرهم القسِيُّ : إنه أعجميٌّ مُعَرَّبٌ ، وقيل : هو من القساوة لأنَّ الدرهم الطَّيِّبَ أَلْيَنُ مِنَ الزائِفِ (٢) ، والزائفُ أَضَلُّ مِنْهُ . ونصب لَيْلَةً على التمييز كذلك ، قال سِيبَوَيْهٌ فى قول الصَّلْتانِ (٣) العَبْدِيُّ .

(١) فى الاشتقاق : الحَرِيشُ بالسِّينِ بنِ كَعْبِ بنِ ربيعة بنِ عامر بنِ صَمْعَةَ .
(٢) فى اللسان : عام قسِي - بفتح فكسر مع تضعيف الياء - شديد ذو قحط لا مطر فيه ، وعشية قسية : باردة . والقسية : الشديدة ، ويوم قسِيٌّ مثال شق : شديد من حرب أو شر . ودرهم قسِيٌّ : جمع قسيان مثل صبي : وقيل درهم قسِيٌّ : ضرب من الزيف ، أى فضة صلبة رديئة ليست بليئة ، وكل هذا يؤكد أنه استعمال عربى .

(٣) الصَّلْتان : لقب ، وأصل الصَّلْتان : النشيط الحديد الفؤاد من الخيل ، أو المضاء فى الأمور ، وهو : قثم بنِ خَيْثَةَ - كما نقل ابن قتيبة - أو خيبة ، وقال الأمدى عن أبى =

أيا شاعرا لا شاعرَ اليومَ مثله

==عبيدة : فُتْمَ بنُ خُشَيْمٍ ، وهو أحد بني محارب بن عمرو بن وديعة بن الشكيز
ابن أفضسى بن عبد القيس . والبيت من قصيدة أوردتها المبرد في كتابه الاعتنان ،
والقال في أماليه ، وابن قتيبة في كتاب الشعراء ، وتتمه البيت :

جرير ، ولكن في كليب تواضع

وقد نظم الصلتان هذه القصيدة - وعدتها ثلاثة وعشرون - حينما جعلوا إليه
الحكم بين الفرزدق وجرير ، أيهما أشعر ، وأولها :

أنا الصلتانُ الذي قد علمتُم متى ما يحكم فهو بالحق صادق
وفي الأمالي : وفيها شاعرا لا شاعر اليوم مثله ، ص ١٤٢ ج ٢ الأمالي
ومن القصيدة :

أرى الخنطفتي بذ الفرزدق شعره ولكن خيرا من كليب مجاشع
فيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله جرير . ولكن في كليب تواضع
فرضى الفرزدق حين شرفه عليه ، وقومه على قومه ، وقال : إنما الشعر مروءة ،
من لامروءة له ، وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير ، ففضب من المنزلة التي
أنزله إياها فمجاه . والبيت المذكور في اللسان ص ٢٠٨ ج ٢ ، وانظر ص ٢٩ ج ٢
خزانة الأدب ط دار العصور ، وإليك بعض ما قيل فيه : قال الأعلام الشاهد فيه
على مذهب الخليل وسيبويه : نصب شاعرا بإضمار فعل على معنى الاختصاص
والتعجب ، والمنادى محذوف ، والمعنى : يا هؤلاء أو يا قوم ، عليكم شاعرا ، أو
حسبكم به شاعرا ، وقال النحاس : كأنه قال : يا قائل الشعر عليك شاعرا ، وإنما
امتنع عنده أن يكون منادى ، لأنه نكرة يدخل فيه كل شاعر بالحضرة ، وهو
إنما قصد شاعرا بعينه ، وهو جرير ، وكان ينبغي أن ينبه على الضم على ما يجرى
عليه الخصوص بالنداء . أما أحمد بن يحيى ، فذكر أن شاعرا منصوب بالنداء
وفيه معنى التعجب ، وقال : إن العرب تنادى بالمدح والذم ، وتنصب بالنداء ،
فيقولون : يا فلان مثله ، وكذا يا طيبتك من لياة ، وكذا شاعرا ، وفي

وذلك أن في الكلام معنى التعجب .

وقوله : وَمَيّتِ بَغَزَاتٍ . هي : غَزَّةٌ ، ولكنهم يحملون لكل ناحية أو لكل رَبَضٍ (١) من البلدة اسم البلدة ، فيقولون : غَزَاتٍ في غَزَّةٍ ، ويقولون في بغداد : بَغَادِين ، كما قال بعضُ الْمُحَدِّثِينَ :

شَرِبْنَا فِي بَغَادِينِ عَلَى تِلْكَ الْمِيَادِينِ

ولهذا نظائر ستمر في الكتاب - إن شاء الله - ومن هذا الباب :
حكّمهم للبعضِ بِحُكْمِ الْكُلِّ ، كما سَمَّوْهُ بِاسْمِهِ ، نحو قولهم : شَرِقَتْ صَدْرُ

= الخزانة أيضا : أن المنادى محذوف ، وأن شاعرا ليس بمنادى ، لأنه مقصود إلى واحد بعينه ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته : يا هذا حسبك به شاعرا على المدح والتعجب منه ، ثم بين أنه جرير ، ويشبه هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلا زيدنا ، ويجوز أن يكون حسبك به على شريطة التفسير ، وبه في موضع اسم مرفوع لا بد منه ، ويجوز أن يكون الهاء للشاعر الذي جرى ذكره ، ثم وكده بقوله : جرير ، أي : هو جرير . وتمديرا للخليل ويونس : يا قائل الشعر ، على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال : يا شعراء عليكم شاعرا لا شاعر اليوم مثله ، أي حسبكم به شاعرا ، فهذا ظاهر كلام سيبويه . ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر المذكور ، وينتصب شاعرا على الحال ، ولا شاعر اليوم في موضع النعت ، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه ، حتى يكون المنادى معرفة ، كأنه قال : يا قائل الشعر في حال ما هو شاعر لا شاعر مثله .

(١) ربض المدينة : ما حولها . وفي الروض «ميت بغزات» ولكن في السيرة
«ميت بين غزات» .

القناة من الدّم ، وذهبت بعض أصابعه (١) ، وتواضعت سورُ المدينة . وقد تركبت على هذا الأصلِ مسألة من الفقة : قال الفقهاء ، أو أكثرهم : مَنْ حلف ألا يأكلَ هذا الرغيف ، فأكلَ بعضه ، فقد حنثَ ، فحكوا للبعضِ بحكم الكل ، وأطلقوا عليه اسمه . وفيه :

إن المُغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهَا مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءِ وَأَمْوَاتِ (٢)

فالمُغِيرَاتُ : بنو المغيرة ، وهو عبدمناف ، كما قالوا : المناذرة في بنى المُنْذِرِ ، والأشْعَرُونَ في بنى أشعر بن أدد ، كما قال عليُّ بن عبد الله بن عباس في ابن الزبير : أترَ عليَّ الحُمَيْدَاتِ وَالتَّوْبِيَّاتِ وَالْأَسَامَاتِ ، يعني : بنى حميد ، وبنى تويب ، وبنى أسامة ، وهم من بنى أسد بن عبد العزى (٣) .

(١) يقول الأعشى :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم
وأصل الصدر مذكر ، وأنت هنا ، إما لأنه أراد القناة ، أو لأن صدر القناة
قناة ، أو لأن صدر القناة منها كقولهم : ذهبت بعض أصابعه ، لأنهم يوثنون الاسم
المضاف إلى المؤنث ، واللسان ، ونص تعبير سيبويه في الكتاب : « وربما قالوا في
بعض الكلام : « ذهبت بعض أصابعه ، وإنما أنت البعض ، لأنه أضافه إلى
مؤنث هو منه ، ولو لم يكن منه لم يوثنه : لأنه لو قال : ذهبت عبد أمك لم
يحسن ، ثم استشهد بيت الأعشى ، ثم قال : « لأن صدر القناة من مؤنث ، ومثله
قول جرير « في ص ٢٥ ج ١ من كتاب سيبويه ،

إذا بعض السنين تعرقنا كفى الإيتام فقد أبي اليتيم

(٢) في الروض : « وأبناؤها ، والصواب ما أثبتته من السيرة .

(٣) حميد بن أسامة بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي

وتويب بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأسامه بن زهير بن الحارث =

وكان اسمُ عبد مناف : المَغِيرَةَ ، وكان أوَّلَ بني عبد مناف هُنْكَا :
هاشمٌ ، بِغَزَّةَ من أرض الشام ، ثم عبدُ شمس بمكة ، ثم المطلب برَدْمَانَ من
أرض اليمن ، ثم نَوْفَلًا بِسَلْمَانَ من ناحية العراق .

فقيل لمطروود - فيما يزعمون - : لقد قلتَ فأحسنت ، ولو كان أفل مما
قلتَ كان أحسن ، فقال : أنظرنى ليالى ، فكث أياما ، ثم قال :

يا عين جُودِي ، وأذري الدمع وانهمري وابكى على السرِّ من كعب المَغِيرَاتِ
يا عين ، واسحذنفرى بالدمع واحتفلى وابكى خبيثةَ نفسى فى المَلِمَاتِ
وابكى على كلِّ فيأض أخى ثِقَةَ ضَخْمِ الدَّسِيَةِ وهَابِ الجَزِيلَاتِ
مُحْضِ الصَّرِيْبَةِ ، على الهَمِّ ، مُخْتَلَقِ جَادِ النَّحِيْزَةِ ، ناءِ بالعظِمَاتِ
صَعْبِ البديهة لا نِكْسٍ ولا وَكَلِّ ماضى العزِْمَةِ ، متلافِ الكَرِيْمَاتِ
صَقْرِ تَوْسَطِ من كَعْبٍ إِذَا نُسِبُوا بِمُجْبُوْحَةِ المَجْدِ والشَّمِّ الرَفِيْعَاتِ
ثم اندبى الفيضَ والفيأض مُطْلَبَا واستخرطى بعد فيضاتِ بِجَمَاتِ

وفيه « شرقى البَنِيَّاتِ » يعنى : البَنِيَّةِ ، وهى : الكعبة ، وهو نحو مما
تقدم فى غزَّاتِ .

== بن أسد بن عبد العزى بن قصى . والاشعرون فى اللسان : نسبة إلى أشعر بن
يشجب بن يعرب بن قحطان ، وتقول العرب : جاء بك الاشعرون بحذف
ياء النسب .

أَمْسَى بَرْدَمانَ عَنَّا اليَوْمَ مُفْتَرِباً
وَأَبكى-لِكَ الوَيْلُ-إِمْأَكَنتِ بَاكِيةَ
وَهَاشِمَ فِي ضَرْيحٍ وَسَطَ بَلَقَعَةٍ
وَنُوفَلٍ كَانِ دُونَ القَوْمِ خَالِصَتِي
لَمْ أَلْقَ مِثْلَهُمْ عُجْمًا وَلَا عَرَبًا
أَمْسَتْ دِيَارُهُمْ مِنْهُمْ مُعْطَلَةٌ
أَفْنَاهُمْ الدَّهْرُ ، أَمْ كَلَّتْ سِيوفُهُمْ
أَصْبَحَتْ أَرْضِي مِنَ الأَقْوَامِ بَعْدَهُمْ
يَا عَيْنُ فَاكِى أَبَا الشَّعْثِ الشَّجِيَّاتِ
يَبْكِينَ أَكْرَمَ مَنْ يَمْشَى عَلَى قَدَمِ
يَبْكِينَ شَخْصًا طَوِيلَ البَاعِ ذَا فَجَرٍ
يَبْكِينَ عَمْرًا وَالْعَلَا إِذْ حَانَ مَضْرَعُهُ
يَبْكِينَهُ مُسْتَكِينَاتٍ عَلَى حَزَنِ
يَبْكِينَ لَمَّا جَلَاهَنَّ الزَّمَانُ لَهُ
مُحْتَزَمَاتٍ عَلَى أَوْسَاطِهِنَّ لِمَا
أَبَيْتُ لَيْلِي أُرَاعِي النَّجْمَ مِنَ المِ
مَا فِي القُرُومِ لَهُمْ عِدْلٌ وَلَا خَطَرَ
أَبْنَاؤُهُمْ خَيْرُ أبنَاءِ ، وَأَنْفُسُهُمْ
كَمْ وَهَبُوا مِنْ طَيْرٍ سَابِحِ أَرْنِ

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ بَيْنَ أَمْوَاتِ
لِعَبْدِ شَمْسٍ بِشَرْقِ البَنِيَّاتِ
تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيْهِ بَيْنَ غَزَاتِ
أَمْسَى بِسَلْمَانَ فِي رَمْسٍ بِمِوَمَاءِ
إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ أَذْمُ العَطِيَّاتِ
وَقَدْ يَكُونُونَ زَيْنًا فِي السَّرِيَّاتِ
أَمْ كُلُّ مَنْ عَاشَ أَزْوَادُ الأَمْنِيَّاتِ
بَسَطَ الوَجُوهَ وَإِلْقَاءِ التَّحِيَّاتِ
يَبْكِينَهُ حُسْرًا مِثْلَ البَلِيَّاتِ
يُعَوِّلُهُ بِدُمُوعٍ بَعْدَ عِبْرَاتِ
أَبِي الهَضِيمَةِ ، فَرَاغِ الجَلِيلَاتِ
سَمَحَ السَّحِيَّةِ ، بِسَامِ العَشِيَّاتِ
يَا طَوِيلَ ذَلِكَ مِنْ حَزَنِ وَعَوَّلَاتِ
خُضِرَ الخُدُودَ كَأَمْثَالِ الحَمِيَّاتِ
جَرَّ الزَّمَانَ مِنْ أَحْدَاثِ المُصِيبَاتِ
أَبكى، وَتَبكى مَعِيَ شَجْوِي بُنْيَاتِي
وَلَا لِمَنْ تَرَكَوا شَرْوِي بَقِيَّاتِ
خَيْرُ النُّفُوسِ لَدَى جَهْدِ الأَلْيَاتِ
وَمِنْ طَيْرَةٍ نَهَبِ فِي طَيْرَاتِ

ومن سيوف من الهندي مخلصه
ومن توابع مما يفضلون بها
فلوحسبت وأحصى الحاسبون معي
هم المدلون إماما معشر فخرُوا
زين البيوت التي خلوا مساكنها
أقول والعين لا ترقا مدامها
ومن رماح كاشطان الركيات
عند المسائل من بذل العطيآت
لم أقض أفعالهم تلك الهنيآت
عند الفخار بأنساب نقيآت
فأصبحت منهم وحشا خليآت
لا يبعد الله أصحاب الرزيآت

قال ابن هشام: الفجر: العطاء. قال أبو خراش الهذلي:

عجف أضيافي جميل بن معمر
بذي فجر تاوى إليه الأرامل

قال ابن إسحاق: أبو الشعث السجيات: هاشم بن عبد مناف.

قال: ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب،
فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أسرم،
وشرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه وعظم
خطره فيهم.

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر إذ أتى، فأمر بحفر زمزم.

قال ابن إسحاق: وكان أول ما ابتدء به عبد المطلب من حفرها،
كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرزوق بن عبد الله اليزني عن

.....

عبد الله بن زُرَيْرِ الغافقي : أنه سَمِعَ عَلِيَّ بنَ أَبِي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ
يُحَدِّثُ حَدِيثَ زَمْزَمَ حِينَ أُمِرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بِحَفْرِهَا ، قَالَ :

قَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : إِنِّي لَنَاؤِمٌ فِي الْحَجْرِ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ : احْفَرِ طَيْبَةَ .
قَالَ : قُلْتُ : وَمَا طَيْبِيَّةٌ ؟ قَالَ : ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي . فَلَمَّا كَانَ الْغَدَ رَجَعْتُ إِلَى
مَضْجَعِي فَنِمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ : احْفَرِ بَرَّةَ . قَالَ : قُلْتُ : وَمَا بَرَّةٌ ؟ قَالَ :
ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدَ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَنِمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ :
احْفَرِ الْمَضْنُونَةَ قَالَ : قُلْتُ : وَمَا الْمَضْنُونَةُ ؟ قَالَ : ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي . فَلَمَّا كَانَ
الْغَدَ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَنِمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ : احْفَرِ زَمْزَمَ . قَالَ :
قُلْتُ : وَمَا زَمْزَمٌ ؟ قَالَ لَا تَنْزِفُ أَبَدًا وَلَا تُدَمِّمُ ، تَسْقِي الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ ،
وَهِيَ بَيْنَ الْفَرَثِ وَالْدَمِ ، عِنْدَ نُقْرَةِ الْفَرَابِ الْأَعْظَمِ ، عِنْدَ قَرْيَةِ النَّمْلِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ شَأْنَهَا ، وَدُلَّ عَلَى مَوْضِعِهَا ، وَعَرَفَ أَنَّهُ
قَدْ صُدِّقَ ، غَدَا بِمَعْوَلِهِ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، لَيْسَ لَهُ يَوْمَئِذٍ وَلَدٌ
غَيْرُهُ فَحَفَرَ فِيهَا . فَلَمَّا بَدَأَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ الطَّيُّ ، كَثُرَ ، فَعَرَفَتْ قَرِيشٌ أَنَّهُ قَدْ
أَدْرَكَ حَاجَتَهُ ، فَجَامُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ ، إِنَّمَا بَرُّ أَيْبِنَا إِسْمَاعِيلَ ، وَإِنْ
لَنَا فِيهَا حَقٌّ فَأَشْرِكْنَا مَعَكَ فِيهَا . قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، إِنْ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ خُصِّصْتُ
بِهِ دُونَكُمْ ، وَأُعْطِيْتَهُ مِنْ بَيْنِكُمْ ، فَقَالُوا لَهُ : فَأَنْصَفْنَا ، فَإِنَّا غَيْرُ نَارِكِيكَ حَتَّى
نُخَاصِمَكَ فِيهَا ، قَالَ : فَاجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَنْ شِئْتُمْ أَحَاكِمَكُمْ إِلَيْهِ ، قَالُوا :
كَاهِنَةُ بَنِي سَعْدِ هَذَيْنِمْ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَكَانَتْ بِأَشْرَافِ الشَّامِ ، فَرَكِبَ
عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَمَعَهُ نَقَرٌ مِنْ بَنِي أَبِيهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَرَكِبَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ

.

قريش نفر . قال : والأرضُ إذ ذاك مفاوز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا
ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام ، فبني ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظنوا
حتى أيقنوا بالهدسكة ، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش ، فأبوا عليهم ،
وقالوا : إننا بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب
ما صنع القوم ، وما يتخوف على نفسه وأصحابه ، قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا
إلا تتبع رأيك ، فمرنا بما شئت ، قال : فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم
حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة - فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم
واروه - حتى يكون آخركم رجلاً واحداً ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة
ركب جميعا ، قالوا : نعم ما أمرت به . فقام كل واحد منهم فحفر حفرة ، ثم
قعدوا ينتظرون الموت عطشا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا
بأيدينا هكذا للموت ، لانضرب في الأرض ، ولا نبتغي لأنفسنا ، لعجز ، فمضى
الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد ، ازتحلوا ، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ، ومن
معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون ، تقدم عبد المطلب إلى راحلته
فركبها . فلما انبعثت به ، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر
عبد المطلب ، وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب ، وشرب أصحابه ، واستسقوا حتى
ملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش ، فقال : هلم إلى الماء ، فقد سقانا
الله ، فاشربوا واستقوا ، فجاؤا ، فاشربوا واستسقوا . ثم قالوا : قد - والله -
قضى لك علينا يا عبد المطلب ، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذي سقاك
هذا الماء بهذه الثلاثة هو الذي سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع

ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخابوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق : فهذا الذي بلغني من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم ، وقد سمعتُ من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادعُ بالماء الرويِّ غير الكدرِ يسقى حجيجَ الله في كل مَبرِّ
ليس يُخاف منه شيء ما عمَرَ

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال : تعلموا أني قد أمرت أن أحفرَ لكم زمزم ، فقالوا : فهل بُيِّن لك أين هي ؟ قال : لا . قالوا : فارجع إلى مَضجَمِكَ الذي رأيتَ فيه مارأيتَ ، فإن يك حقاً من الله يُبيِّن لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مَضجَمِهِ ، فنام فيه ، فأتى فقيل له : احفرِ زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهي تراث من أبيك الأعظم ، لا تُنزِفُ أبداً ولا تُدَمِّمَ ، تسقى الحجيجَ الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُقسَمَ ، يَنذِرُ فيها ناذِرٌ لِمُنْعِمٍ ، تكون ميراثنا وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهي بين القرث والدم .

قال ابن هشام : هذا الكلام ، والكلام الذي قبله ، من حديث عليّ في حفر زمزم من قوله : « لا تُنزِفُ أبداً ولا تُدَمِّمَ » إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سجع وليس شعراً .

قال ابن إسحاق : فرجعوا أنه حين قيل له ذلك ، قال : وأين هي ؟ قيل له

.

عند قرية النمل ، حيث ينقر الغراب غدا . والله أعلم أى ذلك كان .

فعدا عبدالمطلب ومعه ابنة الحارث ، وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فوجد قرية النمل ، ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنيين : إساف ونائلة ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبأحما . فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جدّه ، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وتَنسِينَا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبدُ المطلب لابنه الحارث : ذُدْ عني حتى أحفر ، فوالله لأمضينَ لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غيرُ نازع خلّوا بينه وبين الحفر ، وكفّوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيرا ، حتى بدا له الطيّ ، فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفرُ وجد فيها غزاليين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دفنت جُرُمُهما فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافا قلمية وأدراعا فقالت له قريش يا عبدَ المطلب ، لنا معك في هذا شركٍ وحقّ ، قال : لا ، ولكن هلّم إلى أمرٍ نصّفِ بيني وبينكم ، نضرب عليها بالقِداح ، قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدحين ، ولى قِدحين ، ولكم قِدحين ، فمن خرج له قِدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قِدحاه فلا شيء له قالوا : أنصفت ، فجعل قِدحين أصفرين للكعبة ، وقِدحين أسودين لعبد المطلب ، وقِدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا صاحبَ القِداح الذى يضرب بها عند هُبَل — وهُبَل : صنم في جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يبنى أبو سفيان بن حرب يوم أحدٍ حين قال : أغلِ هُبَلِ أى : أظهر دينك — وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزّ وجلّ ، فضرب صاحبُ القِداح ، فخرج الأصفران على الغزاليين

.

للكمة ، وخرج الأسودان على الأسياف ، والأدراع لعبد المطلب ، وتحلف
قِدْحاً قُرَيْش . فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكمة ، وضرب في الباب
الفرالين من ذهب ، فكان أولَ ذهب حُلَيْتِهِ الكعبة - فيما يزعمون -
ثم إن عبدَ المطلب أقام سِقَايَةَ زمزم للحجاج .

ذكر بئر قبائل قريش بمكة

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بِئَرًا بِمَكَّة ،
فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق ، قال :

حَفَرَ عَبْدُ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ الطَّوِيِّ ، وَهِيَ الْبُئْرُ الَّتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ عِنْدَ
الْبَيْضَاءِ ، دَارَ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ .

وَحَفَرَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافِ بَدْرَ ، وَهِيَ الْبُئْرُ الَّتِي عِنْدَ الْمُسْتَنْدَرِ ، خَطَمَ
أَنْتَحِدْمَةَ عَلَى فَمِ شَيْبِ أَبِي طَالِبٍ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ حِينَ حَفَرَهَا : لِأَجْعَلَنَّهَا
بِلَاغًا لِلنَّاسِ .

قال ابن هشام : وقال الشاعر .

سَقَى اللَّهُ أَمْوَاهَا عَرَفَتْ مَكَانَهَا جُرَابًا وَمَلَكُومًا وَبَدْرًا وَالغَمْرًا

قال ابن إسحاق : وحفر سَجَلَةَ ، وَهِيَ بئرُ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ
عَبْدِ مَنَافِ الَّتِي يَسْقُونَ عَلَيْهَا الْيَوْمَ . وَيَزْعُمُ بَنُو نَوْفَلٍ أَنَّ الْمُطْعِمَ ابْتَاعَهَا مِنْ
أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَيَزْعُمُ بَنُو هَاشِمٍ أَنَّهُ وَهَبَهَا لَهُ حِينَ ظَهَرَتْ زَمْزَمُ ، فَاسْتَعْمَنُوا
بِهَا عَنِ الْآبَارِ .

• • • • •

وحفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه، وحفرت بنو أسد بن عبد العزى:
سقيّة، وهي بئر بني أسد. وحفرت بنو عبد الدار: أم أحراد. وحفرت بنو
جَمَح: السنبلة، وهي بئر خلف بن وهب. وحفرت بنو سَهْم: العَمْر، وهي
بئر بني سَهْم، وكانت آبار حفاثر خارجة من مكة قديمة من عهد مُرّة بن كعب،
وكلاب بن مُرّة، وكبراء قريش الأوائل منها يشربون، وهي رُم، ورُم:
بئر مُرّة بن كعب بن لؤي. وخُم، وخُم. بئر بني كلاب بن مُرّة، والحفَر.
قال حذيفة بن غانم أخو بني عدى بن كعب بن لؤي:

قال ابن هشام: وهو أبو أبي جهنم بن حذيفة:

وقدما غنينا قبل ذلك حِقْبَةً ولا نَسْتَقِي إِلَّا بَحْمًا أَوْ الْحَفْرِ

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها إن شاء الله

في موضعها.

قال ابن إسحاق: فعفت زمزم على البئار التي كانت قبلها يسقى عليها الحاج
وانصرف الناس إليها لكانها من المسجد الحرام؛ وفضلها على ماسواها من
المياه؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وافتخرت بها بنو
عبد مناف على قريش كلها، وعلى سائر العرب، فقال مسافر بن أبي عمرو
ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وهو يفخر على قريش بما ولوا عليهم
من السقاية والرّفاة، وما أقاموا للناس من ذلك، وبزمزم حين ظهرت لهم،
وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد، شرف بعضهم لبعض شرف،
وفضل بعضهم لبعض فضل.

وَرَيْنَا الْمَجْدَ مِنْ آبَا نِنَّا فَنَمَى بِنَا صُعْدَا
أَلْمَ نَسَقِ الْحَجِيجِ وَنَسَجِرُ الدَّلَافَةَ الرَّفُودَا
وَمُنْفَى عِنْدَ تَصْرِيفِ الْمَنَايَا شُدَّادَا رُفُودَا
فَإِنْ نَهَلِكْ ، فَلَمْ نُتَمَلِّكْ وَمَنْ ذَا خَالِدٍ أَبَدَا
وَزَمَزَمَ فِي أَرْوَمَتِنَا وَنَفَقَا عَيْنَ مَنْ جَسَدَا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدى بن كعب
ابن لؤى .

وساقى الحجيج ، ثم للخبز هاشم وعبد مناف ذلك السيد الفهري
طوى زمزما عند المقام ، فأصبحت سقايته فخرأ على كل ذي فخر

قال ابن هشام : يعنى عَبْدَ الْمُطَّلَبِ بن هاشم . وهذان البيتان في قصيدة
لحذيفة بن غانم سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

وأنشده في القصيدة التاوية : محض الضريبة ، على الهمم مُخْتَلِقُ : أى
عظيم الخلق : جَلَدَ النَّحِيْزَةَ نَاءً بِالْعَظِيْمَاتِ . ليس قوله : ناء من النأي ، فتكون
الهمزة فيه عين الفعل ، وإنما هو من ناء يَنْوُءُ إِذَا نَهَضَ (١) فالهمزة فيه لام
الفعل ، كما هو في جاء عند الخليل ، فإنه عنده مقلوب ، ووزنه : فاعل ، والياء التي
بعد الهمزة هي : عين الفعل في جاء يحيى .

(١) ناء بالحلل نهض به مثقلا، وناء به الحلل إذا أنقله .

وفيه الشُّعْت الشَّجِيَّات . فشدد ياء الشجى ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا:
ياء الشَّجِي مخففة ، وياه الخلى مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أبي تمام الطائى
فى قوله :

أياويح الشَّجِيَّ من الخَلِيِّ وَوَيْحِ الدَّمع من إِحْدَى بَيْتِي

واحتج بقول يعقوب فى ذلك ، فقال له الطائى : ومن أفصح عندك :
ابن الجُرْمَانِيَّة يعقوب ، أم أبو الأسود الدُّوَلِيَّ حيث يقول !؟ :

وَيْلُ الشَّجِيَّ من الخَلِيِّ فَإِنَّهُ وَصِبُ القُوَادِ بِشَجْوِهِ مَعْمُومٌ

قال المؤلف : وبيت مطرود أقوى فى الحجفة من بيت أبى الأسود الدُّوَلِيَّ ،
لأنه جاهلٌ مُحَكَّكٌ ، وأبو الأسود : أول من صنع النحو ، فشعره قريب من
التوليد ، ولا يمتنع فى القياس أيضاً أن يقال : شَجِيٌّ وشَجٍ ، لأنه فى معنى : حَزِنٌ
وحزين ، وقد قيل : من شَدَّدَ الياء ، فهو فعيل بمعنى مفعول (١) .

(١) رجل شج أى : حزين وامرأة شجية — بكسر الجيم وفتح الياء من دون
تضعيف — وفى مثل العرب : ويل للشجى من الخلى ، دون تشديد ياء إحداهما ،
وقد تشدد ياء الشجى ، والأول أعرف . وحكى الجوهري عن المبرد أنه شدد
ياء الخلى وخفف ياء الشجى . قال : وقد شدد فى الشعر :

نام الخَلِيَّيون عن ليل الشجينا

فإن جعلنا الشجىَّ فعِيلاً من شجاه الحزن ، فهو : مشجوهٌ وشجىٌّ بالتشديد
لاغير ، وحكى ابن برى أن الصواب هو التشديد فى ياء الشجى ، وأما الشجى
بالتخفيف فهو الذى أصابه الشجى ، وهو التخصُّص ، وأما الحزين فهو الشجىُّ =

وفيه بعد قوله : أبا الشعث الشجيات . يبكيه حسراً مثل البليات .
البلية : الناقة التي كانت تُعقل عند قبر صاحبها إذا مات ، حتى تموت

= بتشديد الياء . قال : ولو كان المثل : ويل الشجي بتخفيف الياء ، لسكان ينبغي أن
يقال : ويل الشجي من المسبخ ؛ لأن الإساغة ضد الشجا ، كما أن الفرح ضد الحزن
ثم قال ابن بري : فلماذا ننظر إلى توجيهه من ناحية القياس - وقد ثبت من جهة
السماع تشديد الياء - ثم قال : ووجهه أن يكون الشجي من شجوته أشجوه ،
فهو : شجو وشجى ، مثل : مجروح وجريح . وأما شج بالتخفيف فهو اسم الفاعل
من شجي يشجي - بكسر الجيم في الماضي وفتحها في المضارع - فهو شج . وقال
أبو زيد : الشجي : المشغول ، والخلّي : الفارغ ، وقال ابن السكيت : الشجي مقصور
والخلّي ممدود ، وفي الهذيب عن الشجي : أنه الذي شجي بمظم غصّ به حلقة ،
يقال : شجي يشجي شجى ، فهو شج ، وكذلك الذي شجي بالهم فلم يجد مخرجا منه .
قال الأزهرى : وهذا هو الكلام الفصيح . . ثم قال : فإن تجامل إنسان ، ومد الشجي
فه مخارج من جهة العربية تسوخ له مذهبه ، وهو أن تجعل الشجي بمعنى المشجوج .
فمبلا من شجاه يشجوه ، والوجه الثاني : أن العرب تمد فعلا بياء . فنقول : فلان قن
لكذا وقين ، وسميح وسميح ، وفلان كر للنائم وكرى . وقيل : إن مذهب
العرب توازن اللفظ كما وازنت الغدايا بالعشايا . وجمع الغداة غدوات . ومثل
ماساه وناءه . والأصل أناء . وكذلك وازنوا : الشجي بتشديد الياء بالخلّي .
ومعناه : ويل اللهموم من الفارخ ، وعن ثعلب في الفصيح : ويل للشجي من الخلّي
بتشديد الياءين . وأنشد البيت الذي في الروض . والشطرة الثانية من البيت ويل
الشجي ، وردت مرة في اللسان : ونصب الفؤاد لشجوه مغموم ، وأخرى : وجزئه
مغموم ، وانظر ص ٢٧٢ أدب السكاتب وقول السهيلي : « وبيت مطرود أقوى ،
يعنى البيت الذي يشرحه : « ويا عين فابكي أبا الشعث الشجيات ، والجرمقاني - بضم
الجيم وسكون الراء وضم الميم وفتح القاف وتضعيف الياء - واحد الجرماقة ، وهم
أبياط الشام ، أو هم قوم بالموصل أصلهم من العمم » عن اللسان .

جوعاً وعطشاً، ويقولون : إنه يُحشَرُ رَاكِباً عَلَيْهَا ، ومن لم يفعل معه هذا حُشِرَ رَاكِباً ، وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث ، وهم الأقل ، ومنهم زُهَيْرٌ ، فإنه قال :

يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، أَوْ يُمَجَّلُ فَيَنْتَقِمُ
وقال الشاعر في البليّة :

وَالْبَلَايَا رُءُوسُهَا فِي الْوَلَايَا مَا نَحَاتِ السَّمُومُ حُرّاً أَخْلُدُودَ (١)
والولاياء هي البراذع ، وكانوا يثقبون البرذعة ، فيجعلونها في عنق البليّة ، وهي مَعْقُولَةٌ ، حتى تموت ، وأوصى رجلُ ابنه عند الموت بهذا :

لَا تَتْرُكَنَّ أَبَاكَ يُحْشَرُ مَرَّةً عَدَاوَا يَحْرُ عَلَى الْيَدَيْنِ ، وَيَنْكَبُ
في أبيات ذكرها الخطابي .

وقوله : قِيَامَا كَالْحَيَاتِ . أي : مُحْتَرِقَاتِ الْأَكْبَادِ كَالْبَقَرِ أَوْ الظبَاءِ الَّتِي
حَمِيَتِ الْمَاءُ وَهِيَ عَاطِشَةٌ ، فحَمِيَةٌ بمعنى : نَحْمِيَّةٌ ، لكنها جاءت بالتاء ، لأنها أُجْرِبَتْ

(١) البيت في اللسان وأوله : كَالْبَلَايَا ، وقد لسه اللسان إلى أبي زيد ، وهو
حرملة بن المنذر بن معد يكرب الطائي شاعر جاهلي إسلامي ، وكان نصرانياً
وزعم الطبري أنه مات مسلماً ، وفي اسمه خلاف ، ومن قوله :

مُعَلَّلُ الْمَرءِ بِالرَّجَاءِ وَيَضْحَى غَرَضًا لِلْمَنُونِ نَصَبُ الْعُودِ
وكانت العرب تنصب عوداً تجعله غرضاً ، فيصديه بهض السهام ، أو يقع قريباً
منه ، أو تشعب منه شيئاً . فنضرب ذلك مثلاً .

بجري الأسماء كالرَّمِيَّةِ والضَّحِيَّةِ والطَّرِيْدَةِ^(١) وفي معنى الحَمِيِّ قول رُوْبِيَّة :
قَوَاطِنُ مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الحَمِيِّ^(٢) يريد الحمام المَحْمِيَّ ، أَى : الممنوع .

وقوله : فى رَمْسٍ بِمَوْمَاةَ : الأظهرُ فيه أن تكون الميم أصلية ، ويكون مما
ضوعفت فاؤه وعينه ، وحمّله على هذا الأصل أولى لكثرتة فى الكلام ، وإن
كان أصل الميم أن تكون زائدة ، إذا كانت أول الكلمة الرباعية أو الخماسية ،
إلا أن يمنع من ذلك اشتقاق ، ولا اشتقاق هُنا ، أو يمنع من ذلك دخوله
فما قلّ من الكلام نحو : قَلِقَ وَسَلِسَ . قال أبو على فى المزمّر : حمّله على
باب : قَرَقَرَوْرَبْرَبْرَ أوى من حمّله على باب : قَلِقَ وَسَلِسَ ، يريد : إنك إن جعلت
الميم زائدةً كانت فاء الفعل - وهى الراء - مضاعفةً دون عين الفعل ، وهى

(١) قال سيبويه : لا يجىء هذا الضرب على مفعل - بفتح الميم وكسر العين
- إلا وفيه الهاء ، لأنه إن جاء على مفعل بغيرها اعتل ، فعدلوا إلى الألف .
(٢) ومنه قبله :

ورب هذا البلد المحرم
والقاطنات البيت غير الريم
قواطننا مكة من ورق الحمي

واللسان مادة قطن ، وقد استشهد به سيبويه فى كتابه فى باب : « اعلم أنه
يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام من صرف ما لا ينصرف ، يشبهونه بما
ينصرف من الأسماء لأنها أسماء ؛ كما أنها أسماء ، وحذف ما لا يحذف ، يشبهونه بما
قد حذف ، أو استعمل محذوفاً ، كما قال العجاج . أقول : وقواطن منونة منصوبة
فى كتاب سيبويه ، وفى اللسان . وروى سيبويه هذه الشطرة مرة أخرى هكذا
« أو الفاء مكة من ورق الحمي ، انظر ص ٨ ، ٥٦ من كتاب سيبويه ط بولاق .

الميم ، وإذا جعلت الميم الأولى في مَرْمَرٍ أصليّة ، كان (١) من باب ماضوعفت فيه الفاء والعين ، وهذا معنى قول سيبويه في المَرْمَرِ : مر ، وهو القياس المُسْتَتَبُّ ، والطَّرِيقُ المَهْمِيْعُ دون ما ضوعفت فيه الفاء وحدها ، فتأمله (٢) .

(١) في الأصل وكان .

(٢) يقول المازني في كتابه التصريف : « وأما الميم إذا كانت أولاهي زائدة بمنزلة الهمزة والياء ؛ لأن الميم أولا نظيرة الهمزة ، وشرحه ابن جنى بقوله : « لافصل بين الميم والهمزة إذا وقعتا أولا ، فتى وجب في الهمزة أن تكون زائدة ووقعت الميم موقعها ، فاقض بزيادتها ، ص ١٢٩ المنصف لابن جنى . والمومة بفتح وسكون : المفاضة الواسعة للمساء ، وهي جماع أسماء الفلوات . وقال المبرد : يقال لها : البوابة أيمنها ، وليس للكلمة اشتقاق . ويقول ابن جنى في الخصائص : « اعلم أنه متى اجتمع معك في الأسماء والأفعال حرف أصل ، ومعه حرفان مثلان لاغير ، فهما أصلان ، متصلين كانا أو منفصلين . فالمتصلان نحو : الحفف والصدد . وقلق وسلس ، وكذلك إن كان هناك زائد ، فالحال واحدة نحو حمام وسلاس . وكذلك كوكب ودودح ، ثم يقول : « فأما إذا كان معك أصلان ومعهما حرفان مثلان ، فعلى أضرب منها : أن يكون هناك تكرير على تساوى حال الحرفين ، فإذا كانا كذلك كانت الكلمة كلها أصولا نحو : قلقل وقرقر . فالكلمة إذاً لذلك رباعية . وكذلك إن اتفق الأول والثالث ، واختلف الثاني والرابع . فالمثلان أيضا . أصلان ، وذلك نحو : فرجح وقرقل « نبات الرجلة ، وقيص للنساء ، وكذلك إن اتفق الثاني والرابع ، واختلف الأول والثالث نحو : قسطاس وشلع والطويل . فالمثلان أيضا أصلان . وكل ذلك أصل رباعي ، وكذلك إن اتفق الأول والرابع واختلف الثاني والثالث ، فالمثلان أصلان ، والكلمة أيضا من بنات الأربعة مثل : قريق « دكان البقال ، وبلد وراء طرسوس ، وكذلك إن اتفق الأول والثاني ، واختلف الثالث والرابع ، فالمثلان أصلان ، والكلمة رباعية نحو : زيرفون . ومثاله ، فيملول . وكذلك أيضا إن حصل معك ثلاثة أحرف أصول ، ومعها =

وقوله : طَوِيلَ البَاعِ ذَا فَجْرٍ . الفَجْرُ : الجودُ ، شُبِّهَ بانفجار الماء . ويُروى
ذَا فَنَعٍ ، وَالفَنَعُ : كثرة المال ، وقد قال أبو نُجَينِ الثَّقَفِيُّ :
وقد أجودُ وما مالى بذى فَنَعٍ وَأَكْمُ السَّرِّ فيه ضَرْبَةُ العُنُقِ (١)
وقوله : بَسَامِ العَشِيَّاتِ : يعنى : أنه يضحك للأضيافِ ، وَيَبْسِمُ عند لقائهم
كما قال الآخر ، وهو حاتم الطائي :

== مثلاً غير ملتقيين ، فهما أيضا أصلان . نحو : شفشليق و العجوز المسترخية ،
ص ٥٦ وما بعدها ، الخصائص ط ٢ ج ٢ ، وانظر شرح الشافية ج ١ ص ٥٩ ، وما بعدها
ويقول ابن جنى فى الخصائص أيضا وهو يتكلم عن الاصلين الثلاثى والرابعى
المتداخلين ، كقولهم سلس وسلسل ، وقلقل وقلقل : وذهب أبو إسحاق فى نحو قلقل
وصلصل وجرجر وقرقر إلى أنه فعل ، وأن الكلمة لذلك ثلاثية ، حتى كأن أباب إسحاق
لم يسمع فى هذه اللغة الفاشية المنتشرة : بزغد وزغدب وسبط وسبطر ، ثم يقول :
« إن تكرير الفاء لم يأت به ثبت إلا فى مرمريس . وحكى غير صاحب الكتاب :
مرمريت ، وليس بالبعيد أن تكون التاء بدلا من السين ، كما أبدلت منها فى ست ،
ص ٥٢ ، ٥٣ ج ٢ ، الخصائص ويقول فى ص ١٢ من المنصف أيضا : « الفاء لم تكرر
فى كلام العرب إلا فى حرف واحد ، وهو : مرمريس ، وهى الداهية والشدة ،
فتكررت الفاء والعين ، ولا نظير لهذه الكلمة . »

(١) والفنع أيضا : الكرم والجود والفضل الكثير ، ونشر الثناء الحسن
ونفحة المسك . . وقد روى أن معاوية - رضى الله عنه - قال لابن أبى محجن
الثقفى : أبوك الذى يقول :

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقا
ولا تدفنى فى الفلاة ، فاتى أخاف إذا ماتت ألا أذوقها

فقال ابن أبى محجن : أبى الذى يقول : وذكر البيت . وقد روى عجزه
هكذا : وقد أكر وراء الحجر الفرق .

أضاحك ضيفي قبل إنزال رَحْلِهِ وَيُنْحِصِبُ (١) عِنْدِي، وَالْمَحَلَّ جَدِيبٌ
وَمَا لِحِصْبِ الْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرِيُّ وَلَكِنَّا وَجَهُ الْكَرِيمِ خَصِيبٌ

حديث زمزم

وكانت زمزم - كما تقدم - سقيا إسماعيل ، عليه السلام ، فجرها له رُوحُ
الْقُدُسِ بَعْقِبِهِ ، وَفِي تَفْجِيرِهِ أَيَّاهَا بِالْعَقِبِ دُونَ أَنْ يُفَجِّرَهَا بِالْيَدِ أَوْ غَيْرِهِ : إِشَارَةٌ
إِلَى أَنَّهَا لِعَقِبِهِ وَرِائِهِ ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : (وَجَعَلَهَا
كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) الزخرف : ٤٣ . أَيْ : فِي أُمَّهِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢) - ثُمَّ
إِنْ زَمَزَمَ لَمَّا أُخْدِتْ جُرُومُهُمْ فِي الْحَرَمِ ، وَاسْتَخَفُّوا بِالْمَنَاسِكِ وَالْحَرَمِ ، وَبَغَى بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ وَاجْتَرَمَ ، تَفَوَّرَ مَاءُ زَمَزَمَ وَانْكَتَمَ ، فَلَمَّا أَخْرَجَ اللَّهُ جُرُومَهُمْ مِنْ مَكَّةَ
بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْدُمُ ذِكْرُهَا عِنْدَ الْحَرْثِ بْنِ مِضَاضِ الْأَصْفَرِ إِلَى مَا كَانَ عِنْدَهُ
مِنْ مَالِ الْكَعْبَةِ ، وَفِيهِ غَزَالَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَأَسْيَافٍ قَلَمِيَّةٍ (٣) كَانَ سَاسَانُ مَلِكِ
الْفُرْسِ قَدْ أَهْدَاهَا إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَقِيلَ : سَابُورُ ، وَقَدْ قَدِمْنَا أَنْ الْاَوَائِلِ مِنْ مُلُوكِ

(١) من باب علم وضرب .

(٢) قال ابن كثير في تفسيرها : وهذه الكلمة - وهي عبادة الله وحده
لا شريك له ، وخلق ما سواه من الأوثان ، وهي : لا إله إلا الله ، أي جعلها دائماً
في ذريته ، يمتدى به فيها من هداة الله تعالى من ذرية إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -
وقال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم : يعني : لا إله إلا الله
لا يزال في ذريته من يقولها ، وروى نحوه عن ابن عباس ، على أن هناك رواية :
أو قال بجناحه .

(٣) نسبة إلى قلعة بفتح فسكون بلد بالهند .

الْفُرْسِ كَانَتْ تَهْجُرُهَا إِلَى عَهْدِ سَاسَانَ ، أَوْ سَابُورَ ، فَلَمَّا عَلِمَ ابْنُ مِضَاضٍ أَنَّهُ مُخْرَجٌ مِنْهَا ، جَاءَ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ حَتَّى دَفَنَ ذَلِكَ فِي زَمْرَمَ ، وَعَقَى عَلَيْهَا ، وَلَمْ تَزَلْ دَارِسَةً عَافِيَا أُثْرَهَا ، حَتَّى أَنَّ مَوْلِدَ الْمُبَارِكِ الَّذِي كَانَ يُسْتَسْقَى بِوَجْهِهِ غَيْثُ السَّمَاءِ وَتَتَفَجَّرُ مِنْ بِنَائِهِ بِنَابِيعِ الْمَاءِ ، صَاحِبِ الْكَوْثَرِ وَالْحَوْضِ الرَّوَّاءِ ، فَلَمَّا أَنَّ ظَهْرَهُ أُذِنَ لِلَّهِ تَعَالَى لِسُقْيَا أَبِيهِ أَنْ تَظْهَرَ ، وَلَمَّا انْدَفَنَ مِنْ مَائِهَا أَنْ تُجْتَمَرَ (٢) ، فَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ سَقَتِ النَّاسَ بَرَكَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُؤَلَّدَ وَسُقُوا بِدَعْوَتِهِ ، وَهُوَ طِفْلٌ حِينَ أُجْدِبَتِ الْبِلْدُ ، وَذَلِكَ حِينَ خَرَجَ بِهِ جَدُّهُ مُسْتَسْقِيًّا لِقُرَيْشٍ (٣) ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ - فِيمَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَسُقِيَتْ الْخَلِيقَةُ كُلُّهَا غُيُوثَ السَّمَاءِ فِي حَيَاتِهِ الْفَيْنَةِ بَعْدَ الْفَيْنَةِ ، وَالْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ ، وَتَارَةً بَدْعَاتِهِ ، وَتَارَةً مِنْ بِنَائِهِ ، وَتَارَةً بِإِلْقَاءِ سَهْمِهِ ، ثُمَّ بَعْدَ مَوْتِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اسْتَشْفَعَ عُمَرُ بَعْتَهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَامَ الرَّمَادَةِ (٤) ،

(١) ولكن هذا الاستسقاء ليس من هدى الإسلام .

(٢) اجتر البئر : نقاها ، أو نزحها أو بلغ الماء .

(٣) قصة موضوعة وليس الاستسقاء الديني الحق من هذا الزعم .

(٤) ليس من حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن نكذب له ، أو نكذب

عليه ، وعظمة الرسول العظيم ليست في حاجة إلى كذب يساندها ، لأنها قامت على الصدق الجليل الجليل . وصورة الاستسقاء النبوي نهتدى إليها من هذا الحديث :

«جاء أعرابي يوم الجمعة . فقال : يا رسول الله . هلكت الماشية ، وهلكت العيال ،

وهلك الناس ، فرفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يديه يدعو ، ورفع الناس

أيديهم معه يدعون ، قال : فما خرجنا من المسجد حتى مطرنا » مختصر من البخاري ،

وحدِيثِ اسْتِسْقَاءِ عُمَرَ بِالْعَبَّاسِ : « عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ

كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ =

وأقسم عليه به وبنييه^(١)، فلم يبرح، حتى قاصوا المازيرَ ، واعتلّوا الحذاء ،

إليك بنينا ، فتسقيننا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك . فاسقنا ، فيسقون) البخارى
ويقال : لأنه كان في عام الرمادة العام الثامن عشر ، ويقول العلامة السلفى السهوانى
الهندي تعليقا على هذا في كتابه : صيانة الإنسان عن وسوسة ابن دحلان : المراد
بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث أنس رضى الله عنه : هو
الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معهودة في الشرع ، وهى أن يخرج من
يستسقى به إلى المصلى ، فيستسقى ، ويستقبل القبلة داعيا ، ويحول رداءه ، ويصلى
ركعتين ، أو نحوه من هيئات الاستسقاء التى وردت في الصحاح ، والدليل عليه قول
عمر رضى الله عنه اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا صلى الله عليه وسلم ، فتسقيننا ،
وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، فاسقنا ، ففي هذا القول دلالة واضحة على أن
التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والتوسل بالنبي لم يكن
إلا بأن يخرج صلى الله عليه وسلم ، ويستقبل القبلة ويحول رداءه ، ويصلى ركعتين
أو نحوه من الهيئات الثابتة للاستسقاء ، ولم يرد في حديث ضعيف فضلا عن الحسن
والصحيح أن الناس طلبوا السقيا من الله في حياته متوسلين به صلى الله عليه وسلم
من غير أن يفعل ما يفعل في الاستسقاء المشروع من طلب السقيا ، والدعاء والصلاة
وغيرهما مما ثبت بالأحاديث الصحيحة ، وأقول : لو كان التوسل بذات الحمى
أو الميت جائزا — لا بدعائه — لتوسل عمر بذات محمد — وهو ميت —
بدلا من توسله بالعباس . ولم يرد في حديث ما أن أحدا توسل بذات محمد في
استسقاء أو غيره ، لأن ذات محمد مص ، ليست من كسب أحد .

(١) لم يرد شيء مما قال في حديث صحيح . وقد وردت أحاديث الاستسقاء
في البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد وغيرها ،
وكلها تجمع على أنه كان - صلى الله عليه وسلم - يدعو ، وليس في شيء منها ما ذكره
السهيلى ، وقد وردت صيغة الدعاء في حديث رواه أبو داود وأبو عوانة وابن
حبان والحاكم وصححه ابن السكن ، وقال أبو داود : هذا حديث غريب إسناده
جيد وهذه هى : (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل =

وخاضوا الغدران ، وسميت الرفاقُ المقبلةُ إلى المدينة في ذلك اليوم صائحا بصيح في السحاب : أتاك الغوثُ أبا حفص ، أتاك الغوثُ أبا حفص (١) ، كل هذا بركة المُبتعث بالرحمتين ، والداعى إلى الحياتين الموعود بهما على يديه في الدارين - صلى الله عليه وسلم - صلاة تصعد ولا تنفد ، وتتصل ولا تنفصل ، وتقيم ، ولا تريم ، إنه منعمٌ كريم .

أسماء زمزم :

فصل : فأرى عبدُ المطلب في منامه : أن احفرَ طيبة ، فسميت طيبة ، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وقيل له : احفرَ بيرة ، وهو اسم صادق عليها أيضا ، لأنها فاضت الأبرار ، وغاضت عن الفجار ، وقيل له : احفرَ المضمونة . قال وهب بن منبه : سميت زمزم : المضمونة لأنها ضنَّ بها على غير المؤمنين ، فلا يتصلع منها منافق ، وروى الدارقطني ما يقوى ذلك مُسنداً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من شرب من زمزم فليتصلع ، فإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين ، لا يستطيعون أن يتصلعوا (٢) منها ،

== اللهم ما يريد ، اللهم أنت الله ، لا إله إلا أنت ، أنت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما تزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين .

(١) أساطير مرددة لا تعرفها السيرة العطرة للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه عمر رضى الله عنه .

(٢) تصلع : امتلا شبعاً ورياً ، والتصلع أيضا : الامتلاء حتى تمتد أضلاعه على أن مثل هذه الأحاديث لم يروها أصحاب الصحيح . وقد روى هذا الحديث : الدارقطني وابن ماجه .

أو كما قال . وفي تسميتها بالمُضْنُونَة روايةٌ أخرى ، رواها الزبيرُ : أن عبدَ المطلب قيل له : اخْفِرِ الْمُضْنُونَةَ صُنَنْتَ بِهَا عَلَى النَّاسِ إِلَّا عَلَيْكَ ، أو كما قال .

العلامات التي رآها عبد المطلب وتأويلها :

وَدُلَّ عَلَيْهَا بِعَلَامَاتٍ ثَلَاثٍ : بُنْقَرَةُ الْغَرَابِ الْأَعْصَمِ ، وَأَنَّهَا بَيْنَ الْفَرْثِ وَالْدَمِ ، وَعِنْدَ قَرْيَةِ النَّمْلِ ، وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا قَامَ لِيَحْفِرَهَا رَأَى مَارِسِمَ مِنْ قَرْيَةِ النَّمْلِ وَنُقْرَةَ الْغَرَابِ ، وَلَمْ يَرَ الْفَرْثَ وَالْدَمَ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ نَدَّتْ بَقْرَةٌ بِجَارِهَا ، فَلَمْ يُذْرِكْهَا ، حَتَّى دَخَلَتْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، فَنَحَرَهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي رُسِمَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَسَالَ هُنَاكَ الْفَرْثُ وَالْدَمُ ، فَحَفَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حَيْثُ رُسِمَ لَهُ .

وَلَمْ تَخْصَّ هَذِهِ الْعَلَامَاتُ الثَّلَاثُ (١) بِأَنْ تَكُونَ دَلِيلًا عَلَيْهَا إِلَّا الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ ، وَفَائِدَةُ مُشَاكَلَةٍ فِي عِلْمِ التَّعْبِيرِ ، وَالتَّوَسُّمِ الصَّادِقِ لِمَعْنَى زَمْزَمَ وَمَائِهَا . أَمَّا الْفَرْثُ وَالْدَمُ ، فَإِنَّ مَاءَ هَاطِعًا مُطْعَمٌ ، وَشِفَاءٌ سُمِّمٌ (٢) ، وَهِيَ لِمَا شَرِبْتَ لَهُ (٣) ، وَقَدْ تَقَوَّتْ (٤)

(١) كل هذا من رواية محمد بن إسحاق لحسب .

(٢) يقول ابن الأثير في النهاية : «أى يشبع الإنسان إذا شرب ماءها ، كما يشبع من الطعام» ، وقد ورد في صحيح مسلم في حديث إسلام أبي ذر أن رسول الله قال في زمزم : «لإنها طعام طعم وشفاء سقم» ، ونسب هذا في بعض الأحاديث إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار .

(٣) روى الإمام أحمد : «ماء زمزم لما شرب منه» ، ورواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن المؤمل ، وقد تكلموا فيه . ولفظه : «ماء زمزم لما شرب له» ، ورواه سويد بن سعيد ولكن سويدا ضعيف . ورواه الحاكم مرفوعا عن ابن عباس ، وفيه نظر . هذا وقد وردت تسمية زمزم ببرة . والمضنونة في حديث عن كعب الأحبار ، وحسبك به ١١

(٤) حديث تَقَوَّتْ أَبِي ذَرٍّ بِمَاءِ زَمْزَمَ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمَ .

(٨٢ — الروض الأنف ج ٢)

من مائها أبو ذر - رضى الله عنه - ثلاثين بين يومٍ وليلةٍ ، فسمِنَ حتى تكسرت عكثه ، [وما وجد على كبده سخفة (١) جوع] فهي إذا كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في اللبن : إذا شرب أحدكم اللبن ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس شيء يسد مسد الطعام والشراب إلا اللبن ، وقد قال الله تعالى في اللبن : (مِنْ بَيْنِ قَرْتٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) النحل : ٦٦ . فظهرت هذه الشقيا المباركة بين القَرْتِ والدَمِ ، وكانت تلك من دلالتها المشاكلة لمعناها .

وأما قوله : الغرابُ الأعصمُ ، قال القتيبي : الأعصمُ من الغرابان الذى فى جناحيه بياضٌ ، وسَمَل على أبى عبيد لقوله فى شرح الحديث : الأعصم الذى فى يديه بياض ، وقال : كيف يكون للغراب يدان ؟ . وإنما أراد أبو عبيد أن هذا الوصف لذوات الأربيع ؛ ولذلك قال : إن هذا الوصف فى الغرابين عزيزٌ ، وكأنه ذهب إلى الذى أراد ابن قتيبة من بياض الجناحين ، ولولا ذلك لقال : إنه فى الغرابين مُحال لا يتصور . وفى مُسند ابن أبى شيبَةَ من طريق أبى أمامة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ما يُعنى عن قوليهما ، وفيه الشفاء : أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : المرأة الصالحة فى النساء كالغراب الأعصم قيل : يا رسول الله ، وما الغرابُ الأعصمُ ؟ قال : الذى إحدى رجليه بيضاء (٢) .

(١) جمع عكثة : الطى الذى فى البطن من السمن ، ويجمع على أعكان أيضا والسخفة : الهزال .

(٢) وعن الأزهري فى اللسان : أنه الأحمر الرجلين لقلته فى الغرابان ، لأن أكثر الغرابان : السود والبقع . هذا والعرب تجعل البياض حمرة ، فيقال للمرأة البيضاء : الحمراء

فالغراب في التأويل : فاسق ، وهو أسود ، فَذَلَّتْ نُقْرَتُهُ عِنْدَ الكَعْبَةِ عَلَى نُقْرَةِ
الْأَسْوَدِ الحَبَشِيِّ بِمَعْوَلِهِ فِي أَسَاسِ الكَعْبَةِ يَهْدِمُهَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَكَانَ
نُقْرُ الغَرَابِ فِي ذَلِكَ المَكَانِ يُؤْذَنُ بِمَا يَفْعَلُهُ الفَاسِقُ الأَسْوَدُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ
بِقِبْلَةِ الرَّحْنِ ، وَسُقْمَا أَهْلِ الإِيمَانِ ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا يُرْفَعُ القُرْآنُ ، وَتَحْيَا عِبَادَةُ
الأَوْتَانِ ، وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ رَسولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لِيُخَرَّبَنَّ الكَعْبَةَ
ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبْشَةِ (١) » وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا مِنْ صِفَتِهِ : أَنَّهُ [أَسْوَدٌ] أَفْحَجٌ ،
[يَقْلَعُهَا حَجْرًا حَجْرًا] وَهَذَا أَيْضًا يَنْظُرُ إِلَى كَوْنِ الغَرَابِ أَعْمَمَ ؛ إِذِ الفَحْجُ : تَبَاعُدٌ
فِي الرَّجُلَيْنِ ، كَمَا أَنَّ العَمَمَ اخْتِلَافٌ فِيهِمَا ، وَالاخْتِلَافُ : تَبَاعُدٌ وَقَدِ عُرِفَ بَنَى
السُّوَيْقَتَيْنِ ، كَمَا نُمِتَ الغَرَابُ بِصِفَةِ فِي سَاقِيهِ ، فَتَأَمَّلْهُ ، وَهَذَا مِنْ خَفِيِّ عِلْمِ التَّأْوِيلِ ،
لأنَّهَا كَانَتْ رُؤْيَا ، وَإِنْ شِئْتَ : كَانَ مِنْ بَابِ الزَّجْرِ وَالتَّوَشُّمِ الصَّادِقِ (٢)
وَالاَعْتِبَارِ وَالتَّفَكِيرِ فِي مَعَالِمِ حِكْمَةِ - اللهُ تَعَالَى - فَهَذَا سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ ،
وَهو مَنْ هُوَ عَلِيمًا وَوَرَعًا حِينَ حَدَّثَ بِحَدِيثِ البَيْرِ فِي البَسْتَانِ ، وَأَنَّ رَسولَ اللهُ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَعَدَ عَلَى قُفِّهَا (٣) ، وَدَلَّى رَجُلِيهِ فِيهَا ، ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ففَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ففَعَلَ مِثْلَ

(١) الحديث متفق عليه ، وفي أبي داود بسند ضعيف : «اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كثر الكعبة إلا ذوالسويقتين من الحبشة» ، والسويقتان مثنى سويقة: تصغير لساق ، وهي مؤنثة . وقد صغر الساق ، لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة والخوشة ، وقد أبعد السبيل وأغرب في تأويلاته .

(٢) الزجر : أصله هو التيمن والتشوم بالطير ، والتفول بطيرانها كالسائح والبارح ، وهو نوع من الكهانة والعيافة . والتوشم . أو البطنة ، أو الزكانة : الاعتبار (٣) قف البئر : هو الدكة التي تجعل حولها .

ذلك ، ثم جاء عثمان ، فانتبذَ منهم ناحية ؛ وَقَعَدَ حَجْرَةَ (١) . قال سعيدُ بن
المُسَيَّبِ : فأولتُ ذلك قبورهم ، اجتمعت قبورُ الثلاثة ، وانفرد قبرُ عثمان
- رضى الله عنه - والله سبحانه يقول : (إن فى ذلك لآياتٍ للمتوسِّمينَ)
الحجر : ٧٥ . فهذا من التَّوَسُّمِ وَالْفِرَاسَةِ الصادقة ، وإعمالِ الفِكرِ فى دلائلِ
الحكمة ، واستنباطِ الفوائدِ اللطيفة من إشاراتِ الشريعة . وأمَّا قريةُ النملِ ، ففيها
من المُشَاكَلَةِ أيضا ، والمناسبة : أن زَمَزَمَ هى عينُ مَكَّةَ التى يَرِدُهَا الحِجِيجُ
والمُعَامَرُ من كل جانب ، فيحملون إليها الأبرَّ والشعيرَ ، وغير ذلك وهى
لا تحرث ولا تزرعُ ، كما قال سبحانه خيرا عن إبراهيم عليه السلام : (رَبَّنَا إِنى
أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادِ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) . إلى قوله : (وارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ
[لعلهم يشكرون] إبراهيم : ٣٧) وقرية النمل لا تحرثُ ولا تَبْدُرُ ، وتجب
الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مَكَّةَ قال الله سبحانه : (وَضَرَبَ
اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ)
النحل : ١١٢ . مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قَرَيْتُ الماءَ فى الخَوْصِ : إذا
جمعتُه ، والرُّؤْيَا تُعَبِّرُ عَلَى اللفظتارة ، وعلى المعنى أخرى ، فقد اجتمع اللفظُ والمعنى
فى هذا التأويل - والله أعلم .

من صفات زمزم :

وقد قيل لعبد المطلب في صفة زمزم : لا تنزف أبدا ، ولا تدمم (٢) ،

(١) قعد حجرة : أى ناحية .

(٢) نزفت - بفتح النون والزاى - ماء البرنزفا : إذا نوحته كله ، ونزفت هى =

وهذا بُرْهَانٌ عَظِيمٌ ، لِأَنَّهَا لَمْ تَنْزِفْ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْنِ إِلَى الْيَوْمِ قَطُّ ، وَقَدْ وَقَعَ فِيهَا حَبَشِيٌّ فَزَحِحَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، فَوَجِدُوا مَاءَهَا يَتَوَرَّمُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْيُنٍ ، أَقْوَاهَا وَأَكْثَرُهَا مَاءٌ : مِنْ نَاحِيَةِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ الدَّارِقُطِيُّ .

وقوله : وَلَا تَنْدُمُ ، فِيهِ نَظَرٌ ، وَإِسْمٌ هُوَ عَلَى مَا يَبْدُو مِنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ مِنْ أَنَّهَا لَا يَذُمُّهَا أَحَدٌ ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الذَّمِّ لَكَانَ مَاؤُهَا أَعَذِبَ الْمِيَاءِ ، وَلَتَصَلَّحَ مِنْهُ كُلُّ مَنْ يَشْرِبُهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَتَصَلَّحُ مِنْهَا مَنَافِقٌ ، فَمَاؤُهَا إِذَا مَذْمُومٌ عِنْدَهُمْ ، وَقَدْ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ أَمِيرُ الْعِرَاقِ يَذُمُّهَا ، وَيَسْمِيهَا : أُمَّ جِمْلَانَ (١) ، وَاحْتَفَرَ بَيْتاً خَارِجَ مَكَّةَ بِاسْمِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَجَعَلَ يُفَضِّلُهَا عَلَى زَمْزَمَ ، وَيَحْمِلُ النَّاسُ عَلَى التَّبَرُّكِ بِهَا دُونَ زَمْزَمَ جُرْأَةً مِنْهُ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَقَوْلُهُ حِيَاءٌ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُعْلَنُ وَيَفْصَحُ بِلَعْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ - عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا ، أَنَّهَا قَدْ ذُمَّتْ ، فَقَوْلُهُ إِذَا : لَا تَنْدُمُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : بَرَّ ذِمَّةَ أَيْ : قَلِيلَةَ الْمَاءِ ، فَهُوَ مَنْ أَذَمَّتْ الْبَيْرَ إِذَا وَجَدَتْهَا ذِمَّةً : كَمَا تَقُولُ : أَجَبَنْتُ الرَّجُلَ : إِذَا وَجَدْتَهُ جَبَانًا ، وَأَكْذَبْتُهُ إِذَا

== يتعدى ولا يتعدى ، ونزفت على ما لم يسم فاعله ، وعن ابن سيدة : نزف البئر ينزفها وأنزفها بمعنى واحد ، كلاهما نزحها : وأنزفت هي نزحت ، وذهب ماؤها .

(١) جعل الماء بفتح فكسر جملا، أي : كثر فيه الجمعلان : جمع جعل وهو دابة سوداء من دواب الأرض قيل : هو أبو جعران . ولعلها فرية ، فما كان المسلمون في مثل هذا الهوان ، الذي يرغمهم على الرضا بهذا الذي نسب إلى خاله .

وجدته كاذباً^(١)، وفي التنزيل: «فإيهام لا يكذبونك»^(٢) [ولكن الظالمين
بآيات الله يجهلون] الأنعام . ٣٣ وقد فسّر أبو عبيد في غريب الحديث قوله
حتى مررنا ببئر ذمّة: وأنشد.

مُحَيِّسَةٌ خُزْرًا كَانَ عِيُونَهَا ذِمَامُ الرَّكَايَا أَنْكَرَتْهَا الْمَوَاتِحُ^(٣)

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله . ولا تَدُمّ ؛ لأنه نفي مطلق ، وخبر صادق

(١) يقول ابن جرير الطبري : «أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب
وكذبه — بتضعيف الذال — إذا أخبرت أنه كاذب .»

(٢) الذي في المصحف هو ما أثبتناه ، ولكن السهيلي يعني القراءة الثانية ، وهي
مشهورة أيضا ، وهي : «لا يكذبونك» بضم الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال ، وهي
قراءة نافع والكسائي من : أكذب ، أما قراءة المصحف : فن كذبه بتضعيف الذال .

(٣) البيت لذى الرثيمة — بضم الراء أو كسرهما وتشديد الميم المفتوحة —
يصف إبلا غارت عيونها من السلال . وروايته في اللسان : «على حيريات ،
بدلا من «محيّسة خزرًا» ، والإبل المحيصة هي التي لم تسرح ، ولكنها حبست للنحر
أو القسم ، والحزر : هو كسر العين بصرها خلقة أو ضيقها وصغرها ، أو النظر
كأنه في أحد الشقين ، أو أن يفتح عينيه ويفهضهما ، وحول في إحدى العينين . وركايا
جمع ركية — بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء المفتوحة — البئر — كما
في القاموس ، ومواتح : المنح — بفتح الميم وسكون التاء — جذبك رشاء
« حبل ، الدلو تمد بيد ، وتأخذ بيد على رأس البئر . ومواتح : جمع ماتح وهو
المستوق . والماتح الذي يملأ الدلو من أسفل البئر . أنكرتها : أقلت ماها ، والذمة :
البئر القليلة الماء . يقول عن الإبل . إن أعينها غارت من التعب ، فكانها آبار
قليلة الماء . وفي الروض : أنكرتها ، ورواها اللسان في مادة ذمم « أنكرتها ،
وفسرها بما نقلته عنه ، ولكنه في مادة فتح ذكرها : أنكرتها .»

والله أعلم - وحديث البئر الذمّة التي ذكرها أبو عبيد ، حدثنا به أبو بكر بن العربي الحافظ ، قال : أخبرنا القاضي أبو المطهر سعيد بن عبد الله بن أبي الرجاء قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد قال : حدثنا الخوث بن أبي أسامة . قال : حدثنا أبو النصر ، قال : حدثنا سليمان عن محمد بن يونس عن البراء قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مسير فأتينا على ركيّ ذمّة (١) يعني : قليلة الماء قال : فنزل فيها ستة - أو سادسهم مائة (٢) ، فأدّيت إلينا دلّو ، قال : ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الركيّ ، فحملنا فيها نصفها ، أو قريب ثلثيها ، فرفعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فحنت بإنائي . هل أجد شيئاً أجعله في حاتي ، فما وجدت ، فرفعت الدلو إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمسّ يده فيها ، فقال ما شاء الله أن يقول - قال : فأعيتت إلينا الدلو بما فيها ، قال : فلقد رأيت أحدنا أخرج شوب خشية العرق . قال : ثم ساحت ، يعني : جرت نهر (٣) .

(١) ركيّ - بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء - جنس للركية وهي البئر .

(٢) الميج - بفتح الميم وسكون الياء - أن تدخل البئر فتملأ الدلو ، وذلك إذا قل ماؤها ، ودجل عالج ، وقوم ماحة بفتح الحاء .

(٣) أصل الحديث في الصحيح باختصار كثير في إحدى الغزوات . وهذا الذي في الروض رواه أحمد والطبراني . ويقول الحافظ في الفتح : قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه ص ، أمر عنه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي . قلت : أخذ كلام عياض أو تصرف فيه . قال : ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبيتنا ، وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين =

اشتقاق مفازة:

وذكر حديث عبد المطلب في مسيره مع قريش إلى الكاهنة، وذكر
المفاوز التي عطشوا فيها. المفوز: جمع مفازة، وفي اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال. روى
عن الأصمعي أنها سُميت مفازة على جهة التناؤل لراكبها بالفوز والنجاة،
ويذكر عن ابن الأعرابي أنه قال: سألت أبا للكلام: لم سميت القلاة مفازة؟
فقال: لأن راكبها إذا قطعها وجاوزها فاز. وقال بعضهم: معناها: مهلكة
لأنه يقال: فاز الرجل، وفوز وفاد وفطس: إذا هلك. وذكر في غير رواية
على ابن أبي طالب - رضوان الله عليه - ثم ادع بالماء الروي غير الكدر
يقال: ماء روي بالكسر والقصر، ورواء بالفتح وللد^(١) وفيه:

= واحد وغيرهم من خمسة طرق، وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق. وعن
ابن مسعود عند البخاري والترمذي، وعن ابن عباس عند أحمد والطبراني من
طريقين .. وأما تكثير الماء بأن يلمه بيده، أو يتخل فيه، أو يأمر بوضع
شيء فيه كسهم من كنانته. فجاء في حديث عمران بن حصين في الصحيحين،
وعن البراء بن عازب عند البخاري وأحمد من طريقين، وعن أبي قتادة عند
مسلم، وعن أنس عند البيهقي في الدلائل .. وأما من رواها من أهل القرن الثاني
فهم أكثر عدداً، وإن كان شطر طريقه إفراداً، انتهى ما في الفتح ص ٤٥٦ ج ٦
وانظر جمع الزوائد لهيتمي. وأقول: كل ما يحدث هو بأمر الله سبحانه، ولا
يستطيع مسلم أن ينكر أن الله سبحانه فجر الماء لموسى من الحجر، وقال لعيسى
عن المائدة: وإني منزلها عليكم، والله الذي من بذلك قادر على أن ينزل هذا.
وموقفنا الإذعان، والإيمان بأنه من قدرة الله وإذنه، لا من قدرة نبي أو ولي،
ولا بإذنه ولا بأمره.

(١) روى كفتي، وروى مثل: إلي، ورواه مثل سماء: كثير مرو.

الجمع واسم الجمع :

يستقى حَجِيجَ اللَّهِ في كل مَبْرَةٍ الحَجِيجِ: جمع حاج . وفي الجموع على وزن فَعِيل كثير كالعَبِيدِ والبَقِيرِ والمَعْمِيزِ والأَبِيلِ !! وأحسبه اسما للجمع ؛ لأنه لو كان جماعه واحد من لفظه، لجرى على قياس واحد كسائر الجموع، وهذا يختلف واحده فحجيج واحده: حاج، وعبيد واحده: عبْدٌ، وبقير (١) واحده: بقرة [ومعِين: واحده: مَاعِن] إلى غير ذلك، فجاز أن يقال: إنه اسم للجمع غير أنه موضوع للكثرة؛ ولذلك لا يُصَغَّرُ على لفظه، كما تصغر أسماء الجموع، فلا يقال في العبيد: عُبيدٌ، ولا في النخيل:

(١) في اللسان: البقير اسم للجمع، أما الأبييل بفتح الهمزة وكسر الباء — فالهمزة من الحشيش والحطب، والإبييل بكسر الهمزة وتضعيف الباء مع كسرهما: القطعة من الطير والخيل . وقيل هي مفرد أبابيل، وربما كانت لبلا، وهي تقع على الجمع، وليست بجمع والاسم جمع « قاموس » ويقول الجوهري إن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، فالتأنيث لازم لها، فإذا صغرتها دخلتها التاء، فنقلت عن إبيل: أبيلة، وعن غنم: غنيمة، وقد فرق شارح السكافية لابن الحاجب بين الجمع واسم الجمع بفروق تتلخص في ثلاثة أوجه، الأول: أن الجمع على صيغة خاصة من صيغ معدودة معروفة، وهذه الصيغة تغاير صيغة المفرد، إما ظاهرا، وإما تقديرا . فالمغايرة الظاهرة إما بالحركات كأسد، وأسد ونمر ونمر، وإما بالحروف كرجال: جمع رجل وكتب جمع كتاب، والمغايرة المقدرة كهجان وفلك، ومن المغايرة الظاهرة: الجمع السالم مذكرا أو مؤنثا .

والثاني: أن للجمع واحدا من لفظه، وليس لاسم الجمع واحد من لفظه، بل له واحد من معناه، فواحد الإبل: بعير أو ناقة، وواحد الغنم: شاة . والثالث: أن الجمع يرد إلى واحده في النسب مطلقا، وفي التصغير إن كان جمع كثرة . وأما اسم الجمع، فلا يرد، لأنه إما ألا يكون له واحد حتى يرد إليه، وإما أن يكون له واحد، لكن لا يصح الرد إليه لأن اسم الجمع لم يكن على صيغة من صيغ الجمع فهو كالمفرد في اللفظ . انظر ص ١٩٣ ج ٢ شرح الشافية للرضي والتلخيص المذكور للأستاذة المحققة للشافية .

نُخِيلٌ، بل يرد إلى واحده ، كما ترد الجموع في التصغير، فيقال: نُخَيْلَاتٌ وَعَبِيدُونَ،
وإذا قلت : نخيل أو عبيد ، فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس ،
قال الله سبحانه : (وَرَزَعُ وَنَخِيلٌ) وقال : (وَمَارِبُكَ بِظَلَامٍ لِّعَبِيدٍ) فصلت : ٤٦
وحين ذكر المخاطبين منهم قال : العباد ، وكذلك قال حين ذكر الثمر من النخيل :
(وَالنَّخْلُ بِاسْقَاتٍ) ق : ١٠ وقال : (أَعْمَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) القمر : ٢٠ فأمل الفرق
بين الجمعين في حكم البلاغة واختيار الكلام ، وأما في مذهب أهل اللغة ، فلم
يفرقوا هذا التفريق ، ولا نهوا على هذا الغرض الدقيق .

شروع :

وقوله : في كل مَبْرٍ هو مَفْعَلٌ مِنَ الْمَبْرِ ، يريد : في مناسك الحج ومواقع الطاعة
وقوله : مثل تمام جافل لم يقسم . الجافل : من جَفَلت الغنم : إذا انقلعت
بجملتها ، ولم يُقَسَمْ أى : لم يُتَوَزَّعْ ، ولم يتفرق .

وقوله : ليس يخاف منه شيء ما عَمَرَ . أى : ما عمر هذا الماء ، فإنه لا يؤذى ،
ولا يخاف منه ما يخاف من المياه إذا أفرط في شربها ، بل هو بركة على كل
حال ، وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله : لا تَنْزِفُ ، ولا تَنْدَمُ عاقبة شربها ، وهذا
تأويلٌ سائغٌ أيضا إلى ما قدمناه من التأويل ، وكلاهما صحيح في صفتها .

وقوله : وضرب [في الباب] الفزاليين (١) حلية الكعبة، وهو أول ذهبٍ حليت
به الكعبة ، وقد قدمنا ذكر الفزاليين ، ومن أهدأها إلى الكعبة، ومن دفعها من
جُرْهم ، وتقدم أن أول من كسا الكعبة: تُبَيْعٌ ، وأنه أول من اتخذها غلقاً إلى أن

(١) ما بين قوسين زيادة من السيرة .

ضرب لها عبدُ المطلب بابَ حديد من تلك الأسياف ، وأخذ عبدُ المطلب حوضاً لززم يسقى منه ، فكان يُخَرَّبُ له بالليل حسداً له ، فلما غمَّ ذلك قيل له في النوم : قل : لا أحلها لمغسل ، وهي لشاربِ حلٍّ وبلٍّ (١) وقد كُفِّتِهِمْ ، فلما أصبح قال ذلك ، فكان بعدُ من أرادها بمكروه رُمِيَ بداء في جسده ، حتى انهموا عنه . ذكره الزهري في سيره .

بئار قريش بمكة :

وقوله : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بئارا بمكة . ذكروا أن قصياً كان يسقى الحجاج في حياضٍ من آدم ، وكان ينقل الماء إليها من آبارٍ خارجةٍ من مكة منها : بئرُ مَيْمُونِ الحَضْرَمِيِّ ، وكان يَنْبِذُ لهم الزبيب ، ثم احتفر قُصَيُّ التَّجُولِ في دار أمِّ هانئ بنت أبي طالب ، وهي أول سقاية

(١) بل : شفاء ، وقيل : بل : مباح بلغة حمير ، وقد روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق شعراً قاله عبد المطلب حينئذ وهو :

اللهم أنت الملك المحمود ربي أنت المبدى المعيد
ومسك الراسية الجلود من عندك الطارف والتلديد
إن شئت ألهمت كما تريد لموضع الحلية والحديد
فبين اليوم لما تريد إني نذرت العاهد المعهود
اجعله رب لي فلا أعود

انظر ص ٢٤٦ ج ٢ البداية . هذا وفي السيرة عند قوله : « ثم أعطوا صاحب القداح ، زدت كلمة «القداح» بعد جملة «أعطوا» من البداية ص ٢٤٦ ج ٢ ، وقد جعل عبد المطلب لززم حوضين . أحدهما : للشرب ، والآخر : للوضوء ، وقال : لا أحلها لمغسل ؛ ليزه المسجد عن أن يغتسل فيه ج ٢ ص ٢٤٧ بداية .

احتفرت (١) بمكة ، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا ، فقالوا :
تُرَوِي عَلَى الْعَجُولِ ، ثُمَّ نَنْطَلِقُ إِنْ قُصِيًّا قَدْ وَفَى وَقَدْ صَدَقَ
[بِشَبَعِ الْحِجْرِ وَرَى مُغْتَبِقًا] (٢)

فلم تزل العجول قائمة حياة قصي ، وبعد موته ، حتى كبر عبد مناف
ابن قصي ، فسقط فيها رجل من بني جعيل ، فمطّوا العجول ، واندفنت ،
واحتفرت كل قبيلة بئرا ، واحتفرت قصي سجلة ، وقال حين حفرها :
أنا قصي ، وحفرت سجلة تُرَوِي الْحَجِيجَ زُغْلَةً فَزُغْلَةً (٣)
وقيل : بل حفرها هاشم ، ووهبها أسد بن هاشم لعدي بن نوفل ،
وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نَحْنُ وَهَبْنَا لَعَدِيٍّ سَجَلَهُ تُرَوِي الْحَجِيجَ زُغْلَةً فَزُغْلَةً
وأما أم أحراد التي ذكرها ، فأحراد : جمع : حرْد ، وهي قطعة من السنّام ،
فكانها سُمِّيت بهذا ، لأنها تُنبت الشحم ، أو تُسَمِّن الإبل ، أو نحو هذا
والحرْد : القَطَا (٤) الواردة للماء ، فكانها تَرُدُّهَا الْقَطَا وَالطَيْرُ ، فيكون

(١) وفي المراد: أن العجول أول بئر حفرت بمكة ، وقيل : حفرها عبد شمس قبل
خم ، وقيل إن أصلها كانت ركية في دار أم هانئ ، ثم وسعها قصي ، أو سماها كذلك
(٢) الزيادة من معجم البكري . ومغتبِق : أصل الغبوق — كصبور —
ما يشرب بالعشى . وغبقة : سقاه ذلك ، فاعتبق هو ، والمغتبِق — بضم الميم وكسر
الباء — من يفعل ذلك

(٣) الزغلة : الجرعة .

(٤) قَطَا حرْد : سراع . وقال الأزهري عن هذا : إنه خطأ . وذكر أن القَطَا =

أحراد جمع : حُرْد بالضم على هذا . وقالت أمية بنت عميلة بن السَّباق بن عبد الدار امرأة القوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أمَّ أحراد : نحن حفرتنا البحر أمَّ أحراد ليست كَبْدَر البرور (١) الجناد

فأجابتها ضرتها : صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضى الله عنه :

نحن حفرتنا بَدْر (٢) نسقى الحجاج الأكبر

من مُقبل ومُدبر وأم أحراد شر (٣)

وأما جراب ، فيحتمل أن يكون بمعنى : جريب (٤) نحو : كبار وكبير ،

=الحردى القصار الأرجل ، وهى موصوفة بذلك . وفى المراسد عن أم أحراد أنها جمع حريد ، وهو المنفرد عن محلة القوم .

(١) هكذا ، وهى غير مناسبة للمعنى ، فلعلها : البثور بضم الباء والثاء : جمع بثر بفتح الباء وسكون الثاء ، وفى اللسان : أنها الكرار - بكسر الكاف - جمع كرم المواضع الذى يجمع فيه الماء الآجن ، ليصفو ، ويقال للبخیل : جماد كقطام ذمالة .

(٢) فى غير الروض : بثر بفتح فسكون ، والبثر أرض حجارتها كحجارة الحرة إلا أنها بيض ، والماء البثر فى الغدير إذا ذهب ، وبقي على وجه الأرض منه شئ قليل

(٣) البيت : سقى الله أمواها ، لكثير عزة كما فى اللسان ، وكلها آبار بمكة ، وقال ابن برى : هذه كلها أسماء مياه ؛ بدليل إبدالها من قوله أمواها ، ودعا بالسقيا للأمواها ، وهو يريد أهلها النازلين بها .

(٤) الجريب من الطعام والأرض : مقدار معلوم ، والجريب : مكيال قدر أربعة أقفرة ، والجريب : قدر ما يزرع فيه من الأرض ، قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا ، والجمع : أجربة وجربان . وقيل : الجريب المزرعة ، والجريبة : الوادى وجمعه أجربة . ولم أجد فى اللسان جرابا لجريب . ولا فى القاموس .

والجريب : الوادى ، والجريبُ أيضاً : مِكْيَالٌ كبير ، والجريبُ أيضاً : المزرعة .
 وأما مَلَكُوم فهو عندى مقلوب ، والأصل : مَمَكُول من : مَكَلْتُ
 البئر : إذا استخرجت ماءها ، والمُكَلَّة : ماء (١) الرَّاكِيَّة ، وقد قالوا : بئر
 عَمِيقة ، ومَعِيقة ، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ كذلك يقال فيه :
 مَمَكُول ومَلَكُوم ، والمَلَكُومُ فى اللغة : المظلوم إذا لم يكن مقلوبا (٢) .

وأما بَدْر فمن التبذير ، وهو التفريق ، ولعل ماءها كان يخرج متفرقا
 من غير مكان واحد ، وهذا البناء فى الأسماء قليل ، نحو : سَلَمٌ وخَصَمٌ وبَدْرٌ ،
 وهى أسماء أعلام ، وسَلَمٌ : اسم بيت المقدس ، وأما فى غير الأعلام ، فلا يعرف
 إلا البَقَم ، ولعل (٣) أصله أن يكون أمجيميا ، فعرب .

(١) وضع اللسان ملكوم فى مادة لكم ، وفى المراصد : أنها اسم
 المفعول من لكمه ، وفيه أن المسكلة بضم الميم وفتحها وسكون الكاف : جمة
 البئر . الجمة المكان الذى يجتمع فيه ماء البئر . أو أول ما يستقى منها ، وفى اللسان :
 المسكلة بضم الميم الشئ القليل من الماء يبقى فى البئر أو الإناء ، فهو من الأضداد
 وبئر بمكولة : نزح ماؤها .

(٢) لم أجد للملكوم هذا المعنى لافى القاموس ، ولا فى اللسان ، ولها معنى الدفع
 والضرب باليد مجه وعة .

(٣) خصم : اسم عنبر بن تميم ، وقال اللسان عن شلم : إنها عبرانية ، وزاد
 من الأعلام : عثر بفتح العين ، وتضعيف الثاء مع فتح - اسم بالين ، أو واد من
 أودية العقيق ، أو مأسدة . وفى المراصد أن أهل اليمن ينطقون عثر بتخفيف الثاء
 وبإسكانها ، انظر المراصد ، ومعجم ما استعجم وياقوت . وفى اللسان أيضا : كثم
 بوزن عثر : اسم موضع . أما بقم فاسم شجر عظام أو خشبة . وبضم الميم مثل =

وأما خَمْ وهى بئر مرة ، فهى من خَمَّتْ البيتَ إذا كنستهُ ، ويقال :
فلان تخمومُ القلبِ أى : نَقِيهِ ، فكأنها سُمِّيتَ بذلكَ لنقاها .

وأما غَدِيرُ خَمٍّ الذى عند الجُحْفَةِ ، فسُمِّيتَ بَغِيضَةٍ (١) عنده ، يقال
لها : خَمَّ فيما ذكروا . وأما رَمٌّ بئرُ بنى كلاب بن مُرَّةَ ، فمن رَمَّتْ الشىءُ ،
إذا جَمَعْتَهُ وأصلحْتَهُ ، ومنه الحديث : كنا أهلُ ثَمَّةٍ ورُمَّةٍ (٢) ، ومنه : الرُّمَّانُ
فى قول سيبويه ، لأنه عنده فُعلانٌ ، وأما الأَخْفَشُ فيقول فيه : فُعَّالٌ ،
فيجعل فيه الثنونَ أصليَّةً ، ويقول : إن سَمِّيتَ به رجلاً صرَّفْتَهُ . ومن قول
عبدِ شمسِ بن قُصَيٍّ :

==سكر شجر جوز ، وزاد ابن مالك ، شمر ، اسم فرس ، فصارت ستة أسماء ، وقد
نظم ابن مالك أكثرها فيما أتى :

وبئر وبقم وشمر وخضم وعثر لفعـل

ص ٦٣ ج ٢ المزهري للسيوطي .

(١) الأجمة ، وهى مغيض ماء يجتمع ، فنبت فيه الشجر .

(٢) هو فى حديث أم عبد المطلب حين أخذه عمه منها : كنا ذوى ثمة ورمة .
يقال ، ماله ثم ولارم . فالتم : قاش البيت : والرمة : مرمة البيت أى : متاعه كأنها أرادت :
كنا القائمين بأمره منذ ولد إلى أن شب وقوى . وقيل : هو من قول أخوال
أحيحة بن الجلاح . قال أبو عبيد : المحدثون يروونه بالضم ، والوجه عندى الفتح ، وهو
إصلاح الشىء وإحكامه ، وهو - أى الثم والرمة - بمعنى الإصلاح . وقيل : هما بالضم
مصدران . والمعنى على قول أبي عبيدة : كنا أهل تربيته والمتولين لإصلاح شأنه ،
وقد رواه الهروى فى حرف الراء من قول أم عبد المطلب ، ورواه فى حرف التاء
من قول أخوال أحيحة ، ورواه مالك فى الموطأ عن أحيحة .

حَفَرْتُ رُمًا ، وَحَفَرْتُ حُمًا حَتَّى تَرَى الْمَجْدَ بِهَا قَدْ تَمَّ
وَأَمَّا شُقَيْةُ بئرِ بَنِي أُسَدٍ ، فَقَالَ فِيهَا الْخَوَيْرِثُ بْنُ أُسَدٍ :
مَاءٌ شُقَيْةٌ كَمَا الْمُزْنِ وَليْسَ مَآؤُهَا بِطَرَقِ أَجْنِ (٢)
وَأَمَّا سُنْبَلَةٌ : بئرِ بَنِي جُهَجٍ ، وَهِيَ بئرُ بَنِي خَلْفِ بْنِ وَهَبٍ - فَقَالَ فِيهَا
شَاعِرُهُمْ :

نَحْنُ حَفَرْنَا لِلْحَجِيجِ سُنْبَلَةً صَوَّبَ سَحَابِ ذَوِ الْجَلَالِ أَنْزَلَةً
ثُمَّ تَرَكَنَاهَا بِرَأْسِ الْقُنْبَلَةِ تَصَبُّ مَاءٌ مِثْلَ مَاءِ الْمَعْبَلِ
نَحْنُ سَقَيْنَا النَّاسَ قَبْلَ الْمَسْئَلَةِ

من شرح شعر مسافر:

وَأَمَّا الْعَمْرُ : بئرِ بَنِي سَهْمٍ ، فَقَالَ فِيهَا بَعْضُهُمْ :
نَحْنُ حَفَرْنَا الْعَمْرَ لِلْحَجِيجِ تَشْجُ مَاءٌ أَيَّمَا مَجِيجِ
ذَكَرَ أَكْثَرَهُ أَبُو عُبَيْدِ الْبَكْرِيِّ ، وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَرْجَازِ أَوْ أَكْثَرُهُ
فِي كِتَابِ الزُّبَيْرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .
فَصَل : وَذَكَرَ شِعْرَ مُسَافِرِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ . وَاسْمُ أَبِي عَمْرٍو :
ذَكَوَانٌ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ أَبُو سَفِيَانَ :

(١) هِيَ سَقِيَّةٌ أَوْ شَفِيَّةٌ ، وَفِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ سَنَةِ ١٣٣٢ عَلَى هَامِشِ
الرُّوضِ : سَقِيَّةٌ .
(٢) الطَّرَقُ : الْمَاءُ الَّذِي خَوْضَتَهُ الْإِبِلُ ، وَبُولَتُ فِيهِ ، وَالْأَجْنُ : الْمَاءُ
الْمُتَغَيِّرُ الطَّعْمَ وَاللَّوْنَ .

لَيْتَ شِعْرِي مُسَافِرِ بْنِ أَبِي عَمَّةٍ رَوَى ، وَلَيْتَ يَقُولُهَا الْمَحْزُونُ
بُورِكَ أَمِيَّتُ الْغَرِيبِ كَمَا بُو رَكَ نَضَحَ الرُّمَّانَ وَالزَّيْتُونَ (١)

في شعرٍ يرثيه به ، وكان مات من حُبِّ صَعْبَةَ بنتِ الحَضْرَمِيِّ .

وفي الشعر : وَنَحَرَ الدَّلَاقَةَ الرُّفْدَا (٢)

الرُّفْدُ : جمع رَفُودٍ من الرِّفْدِ ، وهي التي تَمَلَأُ إِنْاءِينَ عِنْدَ الحَلْبِ .

وقوله :

وَنُلْفَى عِنْدَ تَصْرِيفِ المَنَايَا شُدَّدَا رُفْدَا

هو جمع رَفُودٍ أيضاً من الرِّفْدِ وهو : العون ؛ والأول من الرِّفْدِ بفتح الراء
[وبكسرها] وهو إِنْاءٌ كبيرٌ قال الشاعر :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ أَيَّوْمَ مِ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالَ (٣)

(١) ينسب هذا في اللسان إلى أبي طالب بن عبدالمطلب في مادة نضح. والنضح
تفطر الشجر بالورق .

(٢) فسر الحشني في شرحه للسيرة الدلاقة بقوله : بالإبل التي تمشي متمهلة
لكثرة سمنها . وفي اللسان ، المذلاقة بدلا من : الدلاقة . وفسر المذلاقة بأنها الناقة
السريعة . أما الدلاقة ففي اللسان ، الدلوق والدلقاء : التي تنكسر أسنانها من
الكبر فتمسح الماء والرفود من الإبل التي تملأ الرفد — بكسر الراء وفتحها — القدح
الضخم في حلبة واحدة ، أو هي الدائمة على حلبيها ، أو التي تتابع الحلب .

(٣) جمع قتل بكسر القاف ، وهو العدو أو الصديق والنظير وابن العم
والشجاع والقرن . والرفد بفتح الراء وكسرهما والمرفد — بكسر الميم وفتح =
(٩ م — الروض الأنف ج ٢)

وذكر أمَّ عبدِ الله بن عبدِ المطلبِ ، وهى : فاطمة بنتُ عمرو بن عائِدِ
ابنِ عِمْرانِ (١) هكذا قال ابن هشام . وقال ابن إسحاق : عائِدُ بن عبدِ بن
عمران ابنِ نَحْزُومِ ، والصحيح ما قاله ابنُ هشامِ ؛ لأنَّ الزُّبَيْرِيَّينَ ذَكَرُوا أَنَّ عَبدًا
هو أخو عائِدِ بنِ عِمْرانَ ، وأن بنتَ عبدِ هى : صَخْرَةُ امرأةَ عمرو بنِ عائِدِ
على قول ابنِ إسحاق ؛ لأنها كانت له عَمَّةً ، لابنتِ عمِّ ، فتأمله ؛ فقد تكرر
هذا النسبُ فى السيرة مراراً ، وفى كل ذلك يقول ابنِ إسحاق : عائِدُ بنِ عبدِ
ابنِ عِمْرانَ ، ويخالفه ابنُ هشامِ . وصَخْرَةُ بنتُ عبدِ أمِ فاطمة ، أمها :
تَخْمُرُ بنتُ عبدِ بنِ قُصَيِّ ، وأم تَخْمُرُ : سَلْمَى بنتُ عُمَيْرَةَ (٢) بنِ وَدِيعَةَ
ابنِ الحارثِ بنِ فِهْرٍ . قاله الزُّبَيْرِ :

= الفاء ، أو بفتح الميم وكسر الفاء - القدح العظيم ، وفى اللسان : هراقت السماء ماءها
تهريق ، والماء مهراق . الهاء فى ذلك كله متحركة ، لأنها ليست أصلية ، إنما هى بدل
من همزة : أراق ، وهرقت مثل أرقت . وقد نسب إلى الأزهرى ، ونسب إليه
أيضاً أنه قال : ومن قال : أهرقت فهو خطأ فى القياس . ومثل هرقت - والأصل أرقت
قولهم هرحت الدابة وأرحتها ، وهزرت النار وأزرتها . وقال أبو زيد : الهاء منها
زائدة ، كما قالوا : أنهأت اللحم والأصل أناته . وقال بعض النحويين إنما هو هراق
بهريق ؛ لأن الأصل من أراق يريق يؤريق لأن أفعال يفعل كان فى الأصل يؤفعل .
والجوهرى يقول : هراق الماء يهر يقه بفتح الهاء هراقة - بكسر الهاء - صبه
(١) هى كذلك فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٣ ونسب قريش

ص ١٧ وفى حذف نسب قريش للسدوسى ص ٥ .

(٢) فى نسب قريش : سلمى بنت عامرة بن عميرة الخ ص ١٧ .

ذَكَرَ نَذْرَ عَبْدِ الْمَطَّلَبِ ذَبْحَ وَلَدِهِ

قال ابن إسحاق : وكان عبدُ المطلبِ بن هاشمٍ - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر حين أتى من قريش مالتى عند حفرة زمزم : لئن وُدَّ له عشرةُ نفرٍ ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، لينحرنَ أحدهم لله عند الكعبة . فلما توافى بنوه عشرةً ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ، ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجلٍ منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ، ثم اتنوني ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة ، وكان هبل على بئر في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التي يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة .

وكان عند هبلٍ قداحٌ سبعة ، كل قدحٍ منها فيه كتاب . وقدح فيه العقل ، إذا اختلفوا في العقل من تحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج تحمله . وقدح فيه : نعم . الأمر إذا أرادوه يُضرب ، به في القداح ، فإن خرج قدح نعم ، عملوا به . وقدح فيه : لا ، إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح ، فإن خرج ذلك القداح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه : منكم ، وقدح فيه ملصق : وقدح فيه : من غيركم : وقدح فيه : المياه ، إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً ، أو يُنكحوا منكحاً ، أو يدفنوا

• • • • •

مَيْتًا ، أو شكوا في نسب أحدهم ، ذهبوا به إلى هُبَل وبمئة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القِداح الذي يَضْرِبُ بها ، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القِداح : اضرب : فإن خرج عليه : منكم ، كان منهم وسيطا ، وإن خَرَجَ عليه : من غيركم ، كان حليفا ، وإن خَرَجَ عليه : مُلْصَقٌ ، كان على منزلته فيهم ، لأنَّسَبَ له ، ولا حِلْفَ ، وإن خرج فيه شيء ، مما سِوَى هذا مما يَعْمَلُونَ به : نعم عملوا به ، وإن خرج : لا ، أخروه عامه ذلك ، حتى يأتوه به مرَّةً أُخْرَى ، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القِداح .

فقال عبدُ المطلب لصاحب القِداح : اضربْ علي بنِي هُوَلاء بقِداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذي نَذَرَ ، فأعطاه كلُّ رجلٍ منهم قِدْحَهُ الذي فيه اسمه ، وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغرَ بنِي أبيه ، كان هو والزُّبَيْرُ وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيِّ بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : عائذ بنُ عمران بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وكان عبد الله — فيما يزعمون — أحبَّ ولَدِ عبد المطلب إليه ، فكان عبدُ المطلب يرى أن السَّهْمَ إذا أخطأه فقد أشوى . وهو أبو رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما أخذ صاحبُ القِداح ليضرب بها ، قام عبدُ المطلب عند هُبَل يدعو الله ، ثم ضرب صاحبُ القِداح ، فخرج القِدْحُ

• • • • •

على عبد الله ، فأخذه عبدُ المطلب بيده وأخذ الشَّعْرَةَ ، ثم أقبل به إلى إساف وناثلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديةها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبدالمطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعذّر فيه . لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ ! وقال له المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة - وكان عبد الله ابن أخت القوم : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعذّر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فدَيْنَاهُ . وقالت له قريش وبنوه . لا نفعل ، وانطلق به إلى الحجاز ، فإنَّ به عَرَافَةٌ لها تابع ، فسَلَّمَهَا ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرَجَ قبيلته .

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها - فيما يزعمون - بحَيْرٍ . فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبدُ المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونذره فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابى فأسأله . فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها ، فقالت لهم : قد جاءنى الخبرُ ، كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل ، وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرّبوا صاحبكم ، وقرّبوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها ، وعليه بالقِداح ، فإن خرجت على صاحبكم ، فزِيدُوا من الإبل حتى يَرْضَى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فأنحروها عنه ، فقدرِضَى ربُّكم ، ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قَدِمُوا مَكَّةَ ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر ، قام

• • • • •

عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم قرّبوا عبدَ الله وعشرًا من الإبل ، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هَبِل يدعو الله عزّ وجلّ !! ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ عشرين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزّ وجلّ ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ثلاثين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ أربعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ خمسين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ستين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ سبعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ثمانين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ تسعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ مئة ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رضا ربك يا عبدَ المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات ، فضربوا على عبد الله ، وعلى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، نِجْرَج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، نِجْرَج القِدْح على

• • • • •

الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج
القِدْح على الإبل : فُنَجِرَتْ : ثم تُرَكَت لا يُصَدَّ عنها إنسان ولا يُمنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سُبُعٌ .

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصحَّ عندنا عن أحد
من أهل العلم بالشعر .

ذكر المرأة المتعرضه لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فمرَّ به
- فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب
ابن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر : وهى أخت وِرْقَة بن نوفل
ابن أسد بن عبد العزى : وهى عند الكعبة : فقالت له حين نظرت إلى وجهه :
أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى . قالت : لك مثلُ الإبل التى نَجِرَتْ
عنك : وقَع على الآن . قال : أنا مع أبى ، ولا أستطيع خِلافه . ولا فراقه .

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زُهرة
ابن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر - وهو يومئذ سيّد
بني زُهرة نسبا وشرفاً - فزوَّجه ابنته آمنه بنت وهب ، وهى يومئذ أفضلُ
امرأة فى قُرَيْش نسبا وموضعا .

وهى لبَّرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب
ابن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وبِرة : لأم حبيب بنت

• • • • •

أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم حبيب : لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

فزعوا أنه دخل عليها حين أمليها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين علىّ اليوم ما كنتِ عرضتِ علىّ بالأمس ؟ قالت له : فارقك النور الذي كان معك بالأمس ، فليس [لى] بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصّر واتبع الكتب : أنه كائن في هذه الأمة نبي .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار : أنه حدث ، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج حامدا إلى آمنة ، فمرّ بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ثم مرّ بامرأته تلك : فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررت بى وبين عينيّك غرّة بيضاء ، فدعوتك فأبيت علىّ ، ودخلت على آمنة فذهبت بها .

قال ابن إسحاق : فزعوا أن امرأته تلك كانت تحدث : أنه مرّ بها وبين عينيّه غرّة مثل غرّة الفرس ، قالت : فدعوتّه رجاء أن تكون تلك

.

بني ، فأبى عليّ ، ودخل على آمنة ، فأصابها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوسط قومه نسبا ، وأعظمهم شرفا من قبيل أبيه وأمه - صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله

صلى الله عليه وسلم

ويزعمون - فيما يتحدث الناس والله أعلم - أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تحدث :

أنها أتيت ، حين حملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض ، فقولي : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، ثم سمّيه : محمداً . وراة حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى ، من أرض الشام .

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ، أبورسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن هلك ، وأم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حامل به .

نزر عبد المطلب :

فصل : وذكر نذر عبد المطلب أن ينحر ابنه إلى آخر الحديث . وفيه أن عبد الله ، يعني : والد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أصغر بني أبيه ، وهذا غير معروف ، ولعلّ الرواية : أصغر بني أمه ، وإلا فخمزة كان أصغر من عبد الله ، والعباس : أصغر من خمزة ، ورؤى عن العباس - رضى الله عنه - أنه قال : أذكر مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا

ابن ثلاثة أعوامٍ أو نحوها ، فجىء بي حتى نظرت إليه ، وجعل النسوة يقنن لي : قَبِّلْ أَخَاكَ ، قَبِّلْ أَخَاكَ ، فقبلته ، فكيف يصح أن يكونَ عبدُ الله هو الأصغر مع هذا؟! ولكن رواه البَكاؤيُّ كما تقدم ، ولروايته وجه ، وهو أن يكونَ أصغرَ ولد أبيه حين أراد نحْرَه ، ثم وُلد له بعد ذلك حَمْزَةٌ والعباسُ .

وسائرُ حديث عبد المطلب ليس فيه ما يُشكِل . وفيه أن الدِّيَةَ كانت

(١) أولاد عبد المطلب هم — كافي نسب قريش : عبد الله ، وأبو طالب — واسمه : عبد مناف — والزيبر ، وأم حكيم البيضاء الملقبة بالحصان — بفتح الحاء — توأمة عبد الله والوالد الرسول — صلى الله عليه وسلم — وعاتكة ، ومرة ، وأميمة ، وأروى أمهم : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وحزرة ، والمقوم ، وحجل أو جحل — واسمه : المغيرة — وصفية وأمهم : هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، والعباس وضرار ، وأمهما نائلة بنت جناب ابن كليب ، والحارث وهو أكبر ولده ، وبه كان يكنى — وقم هلك صغيرا وأمهما : صفية بنت جندب بن حجير بن رثاب ، وأبو لهب — واسمه عبد العزى — وأمه : لبنى بنت هاجر بن عبد مناف . والغيداق — واسمه : مصعب ، وأمه خزاعية وفي جهرة أنساب العرب : عبد الله ، وأبو طالب ، وأبو لهب ، ويكنى أبا عتبة والزيبر والمقوم والحارث وحزرة والعباس ، وأربع بنات . فعبد الله ، وأبو طالب والزيبر وأم حكيم ، وعاتكة ، ومرة ، وأميمة ، وأروى . أشقاء من أم واحدة .

وحزرة والمقوم وحجل وصفية أشقاء من أم واحدة .

والعباس وضرار شقيقان ، والحارث ، وقم شقيقان ، وأبو لهب من أم ، والغيداق من أم .

بِعُشْرٍ مِنَ الْإِبْلِ قَبْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ : وَأَوَّلُ مَنْ وُدِيَ بِالْمِائَةِ إِذَا : عَبْدُ اللَّهِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا مَا ذَكَرَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي الْيَقْظَانِ أَنَّ أَبَا سَيَّارَةَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَعَلَ الدِّيَةَ مِائَةً مِنَ الْإِبْلِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ وُدِيَ بِالْإِبْلِ مِنَ الْعَرَبِ : فَزَيْدُ ابْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنٍ قَتَلَهُ أَخُوهُ مَعَاوِيَةُ جَدُّ بَنِي عَاصِرِ بْنِ صَنْعَمَةَ (١) .

وَأَمَّا السَّكَاهَةُ الَّتِي تَحَاكَمُوا إِلَيْهَا بِالْمَدِينَةِ فَاسْمُهَا : قُطْبَةُ . ذَكَرَهَا عَبْدُ الْغَنِيِّ فِي كِتَابِ الْغَوَامِضِ وَالْمُبَهَمَاتِ ، وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ أَنَّ اسْمَهَا : سَجَّاحٌ .

تَرْوِجَ عَبْدِ اللَّهِ :

فصل : وَذَكَرَ تَرْوِجَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ أَمَنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ ، وَذَكَرَ الْبَرْقِيُّ فِي سَبَبِ تَرْوِجِ عَبْدِ اللَّهِ أَمَنَةَ : أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلِبِ كَانَ يَأْتِي الْيَمِينَ ، وَكَانَ يَنْزِلُ فِيهَا عَلَى عَظِيمٍ مِنْ عِظَاهُمْ ، فَنَزَلَ عِنْدَهُ مَرَّةً ، فَإِذَا عِنْدَهُ رَجُلٌ يَمِّنُ قُرْأَ الْكُتُبَ ، فَقَالَ لَهُ : ائْتِنِي لِي أَقْسُ مَنْخَرَكَ (٢) ، فَقَالَ : دُونَكَ فَانظُرْ ، فَقَالَ : أَرَى نُبُوَّةً وَمُلْكًا ، وَأَرَاهَا فِي الْمَنَاقِبِ : عَبْدُ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ ، وَعَبْدُ مَنَافِ بْنِ زَهْرَةَ ، فَلَمَّا انصَرَفَ عَبْدُ الْمَطْلِبِ انطلقَ بَابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ،

(١) اسم زيد في جمهرة أنساب العرب : يزيد . وفيه أيضا أن يزيد هو الذي قتل معاوية ، فجعل فيه عامر بن الظرب العدة واني مائة من الإبل ، وهي أول دية قضى فيها بذلك ، وتقول العرب إن لقمان كان جعلها قبل ذلك مائة جدي .
ص ٢٥٢ جمهرة ابن حزم .

(٢) في القاموس — بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما ، وكمجلس وملبول
« بضم الميمين » : الأنف .

فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب^(١) ، وهي أم حمزة - رضی الله عنه ، وزوج ابنته عبد الله آمنه بنت وهب ، فولدت له رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

مول أمهات النبي صلى الله عليه وسلم :

وذكر أمها وأم أمها ، والثالثة وهي : برة بنت عوف^(٢) ، وقد قدمنا في أول المولد ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة^(٣) ونسبهن ، فليُنظر هنالك . وأما أم هالة فهي : العبلة بنت المطلب ، وأمها : خديجة بنت سميد بن سهم^(٤) ، وقد أشكل على بعض الناس في هذا الخبر أن عبد المطلب نذر

(١) في نسب قريش : أهيب ص ١٧ ، وفي جهرة ابن حزم ص ١٣ : وهيب .
(٢) في السيرة : برة بنت عوف بن عبيد بن عويج . وفي كتاب حذف نسب قريش للسدوسي ص ٦ : ضبطت عويج بفتح العين . وكسر الواو . وأكثر المراجع ذكرته بضم العين وفتح الواو .

(٣) في نسب قريش عن أم برة : وأمها أميمة بنت مالك بن غنم بن حنش ابن عادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل ، وأمها : قلابة بنت الحارث - وهو أبو قلابة الشاعر ، وهو أقدم من قال الشعر في هذيل . واسم أبي قلابة : الحارث بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل . وأمها : دبسة بنت الحارث بن تميم وأمها : لبى بنت الحارث بن النشم بن جرمة بن أسيد بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس ص ٢١ وأم حبيب بنت أسد المذكورة في السيرة سماها السدوسي : حبيبة ص ٦ .

(٤) في نسب قريش ص ٩٢ ذكر أن أمها هي خديجة بنت سميد بن بحر بن سهم بن عمرو بن هصيص ولكنه ذكر في ص ١٧ أن أمها هي خديجة بنت سميد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص : وليس لسهم بن عمرو ولد اسمه =

تَحْرُ أَحَدِ بَنِيهِ إِذَا بَلَغُوا عَشْرَةَ ، ثُمَّ ذَكَرَ ابْنَ إِسْحَاقَ أَنَّ تَزْوِيجَهُ هَالَةٌ أُمَّ
ابْنِهِ حَمْرَةَ كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ بَنْدَرِهِ ، فَحَمْرَةُ وَالْعَبَّاسُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إِنَّمَا
وُلِدَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بَنْدَرِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ جَمِيعُ أَوْلَادِهِ عَشْرَةَ . وَلَا إِشْكَالَ فِي هَذَا ،
فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالُوا : كَانَ أَعْمَامُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اثْنَيْ عَشَرَ ، وَقَالَ
أَبُو عَمْرٍ ، فَإِنَّ صَحَّ هَذَا فَلَا إِشْكَالَ فِي الْخَبَرِ ، وَإِنْ صَحَّ قَوْلُ مَنْ قَالَ : كَانُوا
عَشْرَةَ بِلَا مَزِيدٍ ، فَالْوَلَدُ يَقَعُ عَلَى الْبَنِينَ وَبَنِيهِمْ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا ، فَكَانَ
عَبْدُ الْمَطْلَبِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ وُلْدِهِ وَوَلَدِ وُلْدِهِ عَشْرَةُ رِجَالٍ حِينَ وَفَى بَنْدَرِهِ .
المرأة التي دعت عبد الله :

ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعت المرأة الأَسَدِيَّةَ إلى نفسها لِمَا
رأت في وجهه من نورِ النُّبُوَّةِ ، ورجت أن تحمل بهذا النبي ، فتكون
أُمَّهُ دُونَ غَيْرِهَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ حِينَئِذٍ فِيمَا ذَكَرُوا :

أَمَا الْخُرَامُ فَالْحَامُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبِينَةُ
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبَغَيْتَهُ يَحْمِي الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ !
واسم هذه المرأة : رَقِيَّةُ (١) بنت نَوْفَلِ بْنِ نَوْفَلٍ ؛ تُكْنَى : أُمَّ

بحر . وَإِنَّمَا كُلُّ وَلَدِهِ سَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَرِثَابٌ . وَمِنْ وَلَدِ سَعْدٍ : سَعِيدٌ الَّذِي أَعْقَبَ
أَوْلَادًا مِنْهُمْ : خَدِيجَةٌ هَذِهِ الَّتِي يَذْكَرُ أَنَّهَا أُمُّ عِبلَةَ . انظر ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ نسب
قريش ، ولم يذكر من أولاد سعيد بن سهم من اسمها خديجة ، وإنما قال : إن أمها بنت
سعيد بن سهم ص ٤٠٨ وانظر ص ١٥٤ وما بعدها جمهرة النسب .

(١) في البداية ج ٢ ص ٢٦٢ أن اسمها رُقَيْسِيَّةٌ . وقد روى ذلك البيهقي
من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق وانظر ص ٥٣ من شرح السيرة للخشني .

قتال ، وبهذه الكنية وقع ذكرها في رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكر
البرقي عن هشام بن الكلبي ، قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة (١)
بنت مُرٍّ ، كانت من أجل النساء وأعفن (٢) ، وكانت قرأت الكتب ، فرأت
نور النبوة في وجهه ، فدعته إلى نكاحها ، فأبى ، فلما أبى قالت :

إني رأيتُ مَخِيلَةَ نَشَأْتُ فَتَلَّأْتُ بِحَنَاتِمِ الْقَطْرِ (٣)
فَلَمَّا تَهَا نُورًا يُضِيءُ بِهِ مَا حَوَّلَهُ كِبَاءَةُ الْفَجْرِ (٤)
وَرَأَيْتُ سُقْيَاهَا حَيًّا بَلَدٍ وَقَعْتُ بِهِ وَعِمَارَةَ الْقَفْرِ (٥)

(١) كانت - كما روى الخرائطي - كاهنة من أهل تبالة متهودة خثعمية ، وأنها
عرضت عليه مائة من الإبل ليقع عليها في لحظتها ، فأبى . وأقول : لم ترد مسألة
النور هذه في صحاح الأحاديث ، ولا يرفع من قيمة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن نردد
هذا . وقزابة بنى زهرة بن كلاب من رسول الله -ص- ، من وجهين . أحدهما :
أنهم أقارب أمه ، والثاني : لإخوة قصى بن كلاب بن مرة ، وهو جد والد جد النبي .
والمشهور أن زهرة اسم الرجل - وهو المغيرة - أما ابن قتيبة ، فيقول : إنه اسم
امراته ص ٤١٧ ج ١١ فتح الباري .

(٢) في الأصل وأعفه .

(٣) الشعر ينسب أيضا إلى الخثعمية الكاهنة التي عرضت نفسها على عبد الله
والمخيلة : السحابة التي تتخالها ماطرة وهي بضم الميم وفتحها . وحناتم : جمع
حنتمة : السحابة السوداء لامتلانها من الماء ، وفي الطبري : لمعت بدلا من : نشأت .
(٤) لماتها : أبصرتها .

وفي الطبري : له ، والبدر بدلا من به ، والفجر ، والبيت في اللسان .

(٥) لا يوجد هذا البيت في الطبري .

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : وُلِدَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل .
قال ابن إسحاق : وحدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جدّه قيس بن مخزومة . قال :

ولدتُ أنا ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل : فنحن لِدَتَانِ .
قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة الأنصاري . قال : حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت ، قال : والله إني لفلان يَفَعَّة ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعتُ يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمّةٍ ببيثرب : يامعشر يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : وياك مالك ؟ قال : طلعت الليلة نجمُ أحمد الذي وُلِدَ به .

ورأيتُه شرفاً أبوء به (١) ما كلُّ قاديح زنده يُوري
لله ما زهريّة سلّبت منك الذي استلّبت وما تدرى (٢)
وفي غريب ابن قتيبة : أن التي عرضت نفسها عليه هي : الليلى العَدَوِيّة .

(١) في الطبري : فرجوتها فخرا أبوء به .
(٢) في الطبري : ثوبيك ما استلّبت وما تدرى . هذا وقد ذكر الطبري لها قصيدة أخرى عدتها ست أبيات وجاء في آخرها .
ولما حوت منه أمينة ما حوت حوت منه فخرا ما لذلك ثان

قال محمد بن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ،
فقلت . ابنُ كَمِّ كان حسان بن ثابت مَقْدَمَ رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - المدينة ؟ فقال : ابن ستين ، وقَدِمَها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع حسان ما سَمِعَ ، وهو ابن
سبع سنين .

قال ابن إسحاق : فلما وضعتُه أمُّه - صلى الله عليه وسلم - أرسلت إلى
جدِّه عبدِ المطلب : أنه قد وُلِدَ لك غلام ، فأنتَ فانظر إليه ، فأتاه فنظر إليه ،
وحدَّثتُه بما رأت حين حَمَلتْ به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرتْ به أن تُسمِّيَه .
فيزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ،
ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمِّه فدفعه إليها ، والتمس لرسول الله -
صلى الله عليه وسلم - الرضعا .

قال ابن هشام : المراضع . وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى
عليه السلام : « وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ » .

قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأة من بنى سعد بن بكر ، يقال لها :
حليمة ابنة أبي ذؤيب .

وأبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شجينة بن جابر بن رزام بن
ناصر بن فضية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة
ابن خصفة بن قيس بن عيلان [بن مضر] .

.

وَأَسْمَ أَبِيهِ الَّذِي أَرْضَعَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعَزْمِيِّ
ابن رفاعة ابن مَلَّانَ بن ناصرة بن فُصَيْيَةَ بن نَضْرَ بن سَعْدِ بن بَكْر
ابن هَوَازِنَ .

قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة .

قال ابن إسحاق : وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة
بنت الحارث ، وخِدَامَةُ بنت الحارث ، وهى الشَّيْمَاءُ ، غلب ذلك على اسمها
فلا تُعرف في قومها إلا به . وهم كحليلة بنت أبي ذُوَيْبٍ ، عبدِ اللهِ بن الحارث ،
أم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ويذكرون أن الشَّيْمَاءَ كانت تَحْضُنُهُ مع أمها إذا كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جَهْمُ بن أبي جَهْمٍ مولى الحارث بن حاطب
الْجَحِّيِّ : عن عبد الله بن جَعْفَرِ بن أبي طالب ، أو عَمَّنْ حدثه عنه قال :

كانت حليلة بنت أبي ذُوَيْبِ السَّعْدِيَّةِ ، أمُّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
التي أَرْضَعَتْهُ ، تحدث : أنها خرجت من بلدِها مع زوجها ، وابن لها صغير
تَرْضَعُهُ في نسوة من بني سَعْدِ بن بَكْرٍ ، تلتمس الرضعاء ، قالت : وذلك
في سنة شَهْبَاءَ ، لم تَبُقْ لنا شيئاً . قالت : فخرجت على أتان لي قَمْرَاءَ ، معنا
شارف لنا ، والله ما تَبِضُّ بَقَطْرَةَ ، وما ننام ليلنا أجمع من صَبِيئِنَا الَّذِي معنا ،
من بكائه من الجوع ، ما في ثديي ما يُغْنِيهِ ، وما في شارفنا ما يُغْدِيهِ - قال ابن
هشام : ويقال : يُغْدِيهِ - وَلَكِنَّا كُنَّا نَرْجُو الْغَيْثَ وَالْفَرَجَ ، فخرجت على أتانى

تلك ، فلقد أدمنتُ بالركب ، حتى شقّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجْفًا ، حتى قدّمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منّا امرأةٌ إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فتأباه ، إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك : أنا إنما كنّا نرّجو المعروف من أبي الصبيّ ، فكنا نقول : يتيم ! وما عسى أن تصنع أمّه وجدّه ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأةٌ قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم ، فلا أخذه ، قال : لا عليك أن تفعل ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركةً . قالت : فذهبتُ إليه فأخذته ، وما تخّاني على أخذه إلا أنى لم أجد غيره . قالت : فلما أخذته ، رجعت به إلى رحلي فلما وضعته في حجرى أقبلَ عليه تديباى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم ناما ، وما كنّا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحافلٌ ، فحلب منها ما شرب ، وشربتُ معه حتى انتهينا ريثاً وشبعا ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا .

تعلّمي والله يا حلّيمة ، لقد أخذت نَسمةً مباركة ، قالت : فقلت : والله إنى لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبت أتانى ، وحملته عليها معي ، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من خُرهم ، حتى إن صواحي ليقطن لي : يا بنة أبي ذؤيب ، ويحك ! اربّعي علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لمن : بلى والله ، إنها لهى هى ، فيقطن : والله إن لها لشأنا . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها . فكانت غنمى تروح علىّ حين قدّمنا به معنا شياعاً لبننا . فنحلب ونشرب .

وما يُحِبُّ إنسانَ قَطْرَةَ لبنٍ ، ولا يجدها في ضَرْعٍ . حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرُغَيَانِهِمْ : وبلِّكم اسرِّحوا حيث يسرِّح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جِيعاً ما تَبِضُّ بقطرة لبنٍ ، وتروح غنمى شِباعاً لُبناً ، فلم نزل نتعرَّف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلتة ؛ وكان يَسِبُّ شِباعاً لا يَسِبُّهُ العِلْمَانُ ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفُراً . قالت : فقدمنا به على أمِّه ونحن أحرصُ شيء على مُكثه فينا ؛ لما كنَّا نرى من بركته . فكلَّمتنا أمُّه ، وقالت لها : لو تركتِ بُنَى عِنْدِي حتى يفاظَ ، فإنى أخشى عليه وبأ مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى ردَّته معنا

قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مَقدِّمنا بأشهر مع أخيه لنى يَهْمُ لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يَشْتد ، فقال لى ولأبيه : ذلك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعا ، فشقا بطنه ، فهما يسوطانه قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائماً مُنتقعا وجهه . قالت : فالترمته والترمته أبوه ، فقلنا له : مالك يا بنى ، قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاى وشقا بطنى ، فالتسا شيئاً لا أدرى ما هو . قالت : فرجعنا إلى خباتنا .

قالت : وقال لى أبوه : يا حكيمة ، لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أصيب ، فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه ، فقدمنا به على أمِّه ، فقالت : ما أقدامك به يا ظنُّرُ ، وقد كنتِ حريصةً عليه ، وعلى مُكثه عندك ؟ قالت : فقات : قد بلغ الله بابنى وقضيتُ الذى على ، وتخوفت

الأحداث عليه ، فأدبته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك ، فأصدقيني خبرك . قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كلا . والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لبني لشأنا ، أفلا أخبرك خبره . قالت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به : أنه خرج مني نورٌ أضاء لي قصوراً بصرى من أرض الشام . ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل قطُّ كان أخفَّ ولا أيسرَ منه ، ووقع حين ولدته ، وإنه لو وضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك ، وانطلقى راشدةً .

قال ابن إسحاق : وحدثني ثور بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي : أن نفرأ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا له : يارسول الله . أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر . فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نزعى بهما لنا . إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطئت من ذهب مملوءة ثلجا . ثم أخذاني فشقاً بطني ، واستخرجا قلبي ، فشقاه . فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها . ثم غسلا قباي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بمشرة من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمئة من أمته . فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم . فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها .

فصل في المولد

في تفسير بقي بن مخلد أن إبليس - لعنه الله - رَنَّ أَرْبَعَ رَنَّاتٍ : رَنَّةً حين لُئِن ، وَرَنَّةً حين أُهْبِطَ ، وَرَنَّةً حين وُلِدَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وَرَنَّةً حين أنزلت فاتحة الكتاب . قال : والرَّئِينُ والنُّخَارُ (١) من عملِ الشيطانِ . قال : ويُكرهه أن يقال : أمُّ الكتابِ ، ولكن : فاتحةُ الكتابِ . وروى عن عُثْمَانَ بنِ أَبِي العاصِ عن أمِّه أمِّ عُثْمَانَ (٢) التَّقْفِيَّةُ ، واسمُها : فاطمةُ بنت عبد الله ، قالت : « حضرتُ ولادةَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فرأيتُ البيتَ حين وُضِعَ قد امتلأ نوراً ، ورأيتُ النجومَ تدنو حتى ظننتُ أنها ستقعُ عَلَيَّ » . ذكره أبو عُمر في كتاب النساء . وذكره

(١) الرنة : الصيحة الشديدة ، والصوت الحزين عند الغناء أو البكاء . والنخار صوت يخرج من الحياشيم .

(٢) في الأصل : د أبي العاص أمه عن أم عثمان ، والتصويب من كتب السنة وقد أسلم عثمان هذا في وفد ثقيف ، واستعمله النبي على الطائف ، وأقره أبو بكر ، ثم عمر . وهو الذي منع ثقيفا عن الردة إذ خطبهم ، فقال : كنتم آخر الناس لإسلاما ، فلا تكونوا أولهم ارتدادا ، وجاء عنه أنه شهد آمنه لما ولدت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي قصة أخرجها البيهقي في الدلائل والطبراني من طريق محمد بن أبي سويد اللثقي عنه ، قال : حدثني أمي : فعلى هذا يكون عاش نحواً من ١٢٠ سنة . والإصابة رقم ٥٤٣٣ ، وحديثها لم يروه سوى البيهقي والطبري وابن عبد البر . ويقول الزركشي : إن ولادة النبي وص ، كانت نهراً ، ونقل تضعيف ابن دحية لرواية تدل النجوم ليلة مولده .

الطَّبْرِيُّ أَيْضًا فِي التَّارِيخِ (١) . وَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعْدُورًا مَسْرُورًا ، أَيْ : مَخْتُونًا مَقْطُوعَ الشَّرْمَةِ (٢) . يُقَالُ : عُذِرَ الصَّبِيُّ وَأُعْذِرَ . إِذَا خُتِنَ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحَدِّثُ أَنَّهُ لَمْ تَجِدْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ مَا تَجِدُهُ الْحَوَامِلُ مِنْ ثِقَلٍ وَلَا وَحْمٍ ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَمَّا وَضَعْتَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ مَقْبُوضَةً أَصَابِعُ يَدَيْهِ ، مُشِيرًا بِالسَّبَابَةِ كَالْمُسْبِّحِ بِهَا ، وَذَكَرَ ابْنُ دُرَيْدٍ أَنَّهُ أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ جَفْنَةً لثَلَايِرَاهُ أَحَدٌ قَبْلَ جَدِّهِ ، فَجَاءَ جَدُّهُ ، وَاجْتَفَنَهُ قَدْ انْفَلَقَتْ عَنْهُ (٣) ، وَلَمَّا قِيلَ لَهُ : مَا سَمَّيْتَ ابْنَكَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدًا ، فَقِيلَ لَهُ :

(١) ص ١٥٦ ج ٢ الطبرى .

(٢) ضعف ابن كثير كل الأحاديث التي رويت عن هذا ثم قال : وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق ، حتى زعم بعضهم أنه متواتر ، وفي هذا كله نظر ، وقال عن الحديث الذي زعم فيه الراوى أن جبريل ختن النبي : « وهذا غريب جدا ، . ثم قال : « وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه ، وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها ، ص ٢٦٥ ج ٢ البداية . وقال ابن القيم في زاد المعاد : « لأنه روى في كونه ولد مختوناً مسروراً حديث لا يصح ، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، ثم قال : « وليس فيه حديث ثابت ، وليس هذا من خواصه ، فإن كثيراً من الناس يولد مختوناً ، ويقول ابن العديم : « لأنه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب .

(٣) الذي ذكره ابن دريد : « وكانت ستمهم في المولود إذا ولد في استقبال الليل كَفَسْتُوا عَلَيْهِ قَدْرًا حَتَّى يَصْبِحَ ، ففعلوا ذلك بالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَصْبَحُوا ، وَقَدْ انشقت عنه القدر ، ص ٨ الاشتقاق ط ١ السنة المحمدية ، ولم يسندها إلى أحد . وأقول : كل ما سبق ذكره لم يرد في حديث يعتد به . وليس الرسول عليه الصلاة والسلام في حاجة إلى أن نكذب له ، وليس من الصلاة عليه أن نكذب عليه !!

كيف سَمَّيت باسمٍ ليس لأحدٍ من آبائك وقومك؟! فقال: إني لأرجو أن
يَحْمَدَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ (١)، وذلك لرؤيا كان رآها عبدُ المطلب، وقد
ذكر حديثها عليُّ القَيْرَوَانِيُّ العَايِرِيُّ في كتابِ البُستان. قال: كان عبدُ المطلبِ
قد رأى في منامه كأنَّ سِلْسِلَةً من فِضَّةٍ خرجت من ظَهْرِهِ لها طَرَفٌ
في السماء وطَرَفٌ في الأرض، وطرف في المشرق، وطَرَفٌ في المَغْرِبِ، ثم
عادت كأنها شَجَرَةٌ، على كَلِّ ورقةٍ منها نورٌ، وإذا أَهْلُ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ
كأنهم يَتَعَلَّقُونَ بها، فقصَّها، فَعَبَّرَتْ له بمولودٍ يكون من صُلْبِهِ يَتَّبِعُهُ أَهْلُ
المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، ويَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ والأَرْضِ (٢)، فلذلك سَمَّاهُ: مُحَمَّدًا مع
ما حَدَّثْتَهُ به أمُّه حين قيل لها: إنك تَحْمَلِينَ بسيدِ هذه الأُمَّةِ، فإذا وَضَعْتَهُ
فَسَمِّيه مُحَمَّدًا. الحديث .

اسم محمد وأحمد:

قال المؤلف: لا يُعْرَفُ في العَرَبِ من تَسَمَّى بهذا الاسم قبله - صلى الله
عليه وسلم - إلا ثلاثة طمع آباؤهم - حين سمعوا بذكر محمد - صلى الله عليه وسلم -
وبقرب زمانه، وأنه يُبعثُ في الحجاز - أن يكون ولدا لهم. ذكرهم ابنُ فُوزَّكَ
في كتابِ الفصول، وهم: محمد بن سفيان بن مجاشع، جدُّ جدِّ القُرَظْدِيِّ الشاعِرِ،
والآخر: مُحَمَّدُ بنُ أُحْيِيحَةَ بنِ الجِلاَحِ بنِ الحَرِيشِ بنِ جَمحِي (٣) بن كُفَيْفَةَ

(١) في الاشتقاق: أردت أن يُحْمَدَ في السموات والأرض.

(٢) سياتي الكلام عن هذا كله والروايات واهية.

(٣) هو جَمحُ جَبِي - بفتح الجيم الأولى والأخرى. وبسكون الحاء وفتح

الباء. فقد ورد هكذا في نسب قريش، وفي اللسان، وفي الاشتقاق لابن دريد =

ابن عَوْفِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ ، وَالْآخِرِ : مُحَمَّدِ بْنِ حُرَّانِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَكَانَ آبَاءَهُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ قَدْ وَفَدُوا عَلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبِاسْمِهِ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ خَلَّفَ امْرَأَتَهُ حَامِلًا ، فَذَكَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ : إِنْ وُلِدَ لَهُ ذَكَرٌ أَنْ يُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا ، ففعلوا ذلك .

قال المؤلف : وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمُحَمَّدُ في اللغة هو الذي يُحَمَّدُ مُحَمَّدًا بعد حمد ، ولا يكون مُفَعَّلٌ مثل : مُضَرَّبٌ وَمُدَّحٌ إِلَّا مَنْ تَكَرَّرَ فِيهِ الْفِعْلُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

وأما أحمد فهو اسمُه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذي سُمِّيَ بِهِ عَلَى لِسَانِ عِيسَى وَمُوسَى - عَلَيْهَا السَّلَامُ - ، فَإِنَّهُ مَنقُولٌ أَيْضًا مِنَ الصِّفَةِ الَّتِي مَعْنَاهَا

== وفي القاموس ، وفي جهمرة أنساب العرب . وفي الاشتقاق لابن دريد عن محمد بن أحبيحة أنه محمد بن بلال بن أحبيحة ، وفي جهمرة أنساب العرب : محمد بن عقبة بن أحبيحة . وفي اللسان عن ابن بَرِيٍّ أَنْ مَنْ سَمِيَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِمُحَمَّدٍ سَبْعَةٌ ، وَقَدْ عَدِمَ وَذَكَرَ مِنْهُمْ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ السَّهْبِيُّ . وَانظُرْ ص ١٦ نَسَبَ قَرِيْشٍ ، ص ٩ الْاِشْتِقَاقَ ، ص ٣١٥ جَهْمَرَةَ ابْنِ حَزْمٍ ، وَمَادَةَ حَمْدٍ فِي اللِّسَانِ وَمَادَةَ حَجَبٍ فِي الْقَامُوسِ . وَفِي الْخَزَانَةِ لِلْبَغْدَادِيِّ وَرَدَ أَنَّ الَّذِينَ سَمَوْا بِاسْمِ مُحَمَّدٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَبْلُغُونَ عَشْرِينَ أَوْ خَمْسَةَ عَشْرٍ ، وَذَكَرَ مَغَالطَى أَنَّ عَدَدَهُمْ خَمْسَةَ عَشْرٍ رَجُلًا . انظُرْ ص ٨ ، ٩ الْاِشْتِقَاقَ بِتَعْلِيْقَاتِ الْاِسْتَاذِ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ ، هَذَا وَيَذَكَرُ ابْنُ دَرِيْدٍ أَنَّ الْعَرَبَ سَمَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ : أَحْمَدَ ، وَذَكَرَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ ص ٩ وَمَا بَعْدَهَا .

التفضيلُ، فعنى أحمد : أى أَحْمَدُ الحامدين لربه ، وكذلك هو المعنى ؛ لأنه
تُنْتَجح عليه فى المقام المحمود محامد لم تُنْتَجح على أحد قبله ، فيحمد ربه بها ؛
ولذلك يُتَقَدَّم له لواء الحمد .

وأما محمد فنقول من صفة أيضاً ، وهو فى معنى : محمود . ولكن فيه معنى
المبالغة والتكرار ، فالحمدُ هو الذى حُمد مرة بعد مرة ، كما أن المُكْرَمَ مَنْ
أُكْرِم مرة بعد مرة ، وكذلك : المُمَدِّح ، ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ،
والله - سبحانه - وتعالى سماه به قبل أن يُسَمَّى به نفسه ، فهذا علم من أعلام نبوته ؛
إذ كان اسمه صادقاً عليه ، فهو محمود - عليه السلام - فى الدنيا بما هدى
إليه ، ونفع به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة ، فقد تكرر
معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ، ثم إنه لم يكن محمداً ، حتى كان أَحْمَدَ حَمْدِ رَبِّهِ
فنبأه وشرفه ؛ فلذلك تقدم اسمُ أَحْمَدَ على الاسم الذى هو مُحَمَّدٌ ، فذكره
عيسى - صلى الله عليه وسلم - فقال : اسمه أَحْمَدُ ، وذكره موسى
- صلى الله عليه وسلم - حين قال (١) له ربه : تلك أمة أَحْمَدَ ، فقال : اللهم اجعلنى
من أمة أَحْمَدَ ، فبأحمد ذكر قبل أن يُذكر بحمد ؛ لأن حمده لربه كان قبل
حمدِ الناس له ، فلما وُجد وُبُعث ، كان محمداً بالفعل .

وكذلك فى الشفاعة يُحْمَدُ رَبِّهِ بالمحامد التى يفتحها عليه ، فيكون أَحْمَدَ
الحامدين لربه ، ثم يُشْفَعُ فيحمد على شفاعته . فانظر : كيف ترتب هذا

(١) قبل هذا ورد كما ذكر ابن القيم : « موسى قال لربه : يا رب لى أجد
أمة من شأنها كذا وكذا ، فاجعلهم أمتى ؟ » ، ص ١٢٦ جلاء الأفهام وهو حديث ساقط

الاسمُ قبل الاسم الآخر^(١) في الذكرِ والوجودِ ، وفي الدنيا والآخرة تُلخ

(١) أطال ابن القيم في إبداع في شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وفترق بين محمد وأحمد من وجهين. فقال : وأحدهما محمد إن: هو المحمود حمدا بعد حمد ، فهو دال على كثرة حمد الحامدين له ، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه ، وأحمد : أفعال تفضيل من الحمد يدل على أن الحمد الذي يستحقه أفضل مما يستحقه غيره ، فمحمد: زيادة حمد في الكمية ، وأحمد: زيادة في الكيفية. فيحمد أ أكثر حمد ، وأفضل حمد حمده البشر. والوجه الثاني : أن محمدا هو المحمود حمدا متكررا كما تقدم ، وأحمد هو الذي حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره، فدل أحد الاسمين وهو: محمد على كونه محمودا، ودل الاسم الثاني ، وهو أحمد على كونه أحد الحامدين لربه ، ثم رد ابن القيم على السهيلي فقال : د وقد ظن طائفة منهم : أبو القاسم السهيلي وغيره أن تسميته — صلى الله عليه وسلم — بأحمد كانت قبل تسميته بمحمد ، ثم ذكر ابن القيم ما استدلل به السهيلي ، ثم قال : د وبنوا على ذلك أن اسم أحمد تفضيل من فعل الفاعل ، أى: أحد الحامدين لربه ، ومحمد هو المحمود الذي تحمده الخلائق ، وإنما يترتب هذا الاسم بعد وجوده وظهوره ، فإنه حينئذ حمده أهل السماء والأرض ، ويوم القيامة يحمده أهل الموقف ، فلما ظهر لى الوجود وترتب على ظهوره من الخيرات ما ترتب ، فحمده حينئذ الخلائق حمدا مكررا ، فتأخرت تسميته بمحمد ، وهذا يقربه كل عالم من مؤمنى أهل الكتاب ، ومضى ابن القيم يناقش رأى السهيلي هذا ، فقال ردا عليه : إن محمدا — صلى الله عليه وسلم — سمي باسم محمد في التوراة ، وهى قبل الإنجيل ، ثم استشهد ابن القيم على رأيه هذا بآيات ذكر أنها من التوراة ، ومضى يثبت بتفسيرها أنها تؤيد ما ذهب إليه ، وقد أطال في هذا ، ثم قال : د والمقصود أن اسم النبي في التوراة محمد د ص ، كما هو في القرآن محمد ، وأما المسيح ، فإنما سماه : أحمد ... فإذا ن تسميته بأحمد وقعت متأخرة عن تسميته محمدا في التوراة ، ومتقدمة على تسميته محمدا في القرآن ، ف وقعت بين التسميتين محفوفة بهما وقد تقدم أن هذين الاسمين صفتان في الحقيقة . والوصفية فيها لاتنافية العلمانية ، وأن معناهما مقصود ، فعرف عند كل أمة بأعرف الوصفين عندها ، فحمد =

لك الحِكْمَةُ الإلهيَّةُ في تخصُّصِهِ بهذين الاسمين ، وانظر : كيف أنزلت عليه

== مفسَّعٌ من الحمد ، وهو الكثير الخصال التي يحمدها عليها حمدا متكررا حمدا بعد حمد . وهذا إنما يعرف بعد العلم بخصال الخير ، وأنواع العلوم والمعارف والأخلاق والأوصاف والأفعال التي يستحق تكرار الحمد عليها ، ولا ريب أن بنى إسرائيل هم أولو العلم الأول . . . فعرف النبي (ص) عند هذه الأمة باسم محمد الذي قد جمع خصال الخير التي يستحق أن يحمدها عليها حمدا بعد حمد ، وعرف عند أمة المسيح بأحمد الذي يستحق أن يحمده أفضل مما يحمده غيره ، والذي حمده أفضل من حمد غيره ، فإن أمة المسيح أمة لهم من الرياضات والأخلاق والعبادات ما ليس لأمة موسى ، ولهذا كان غالب كتابهم مواعظ وأخلاقا وحضا على الإحسان . . . فجاء اسمه عندهم الأمة بأفضل التفضيل الدال على الفضل والسكال ، كما جاءت شريعتهم بالفضل المكمل لشريعة التوراة ، وجاء في الكتاب الجامع لمحاسن الكتب قبله — يعني القرآن — بالاسمين معا ، فتدبر هذا الفصل . . . وقال : إن الشرائع ثلاثه : شريعة عدل ، وهي : شريعة التوراة فيها الحكم والقصاص ، وشريعة فضل وهي : شريعة الإنجيل مشتملة على العفو ومكارم الأخلاق والصفح والإحسان ، وشريعة جمعت هذا وهذا ، وهي : شريعة القرآن ، فإنه يذكر العدل ويوجبه ، والفضل ويندب إليه . وقول أبي القاسم — يعني السبيلي — إن اسم محمد — صلى الله عليه وسلم — إنما ترتب بعد ظهوره في الوجود ؛ لأنه حينئذ حمد حمدا مكررا ، فكذلك يقال في اسمه أحمد أيضا ، سواء . وقوله في اسمه أحمد : إنه تقدم لكونه أحمد الحامدين لربه ، وهذا يقدم على حمد الخلاق له فبناء منه على أنه — أي : أحمد — تفضيل من فعل الفاعل ، وأمَّا على القول الآخر الصحيح — يعني التفضيل من فعل المفعول — فلا يجيء هذا ، وقد ذهب ابن القيم إلى أن الاسمين محمدا وأحمد إنما يقمان على المنعول ، لأنه يحمده أكثر مما يحمده غيره وذلك أبلغ في مدحه وأتم معنى ، لأنه لو أريد به معنى الفاعل لسمى الحماد ، وهو كثيرا الحمد ، كما سمي : محمدا ، وهو المحمود كثيرا ؛ فإنه كان أكثر الخلق حمدا لربه ، فلو كان اسمه باعتبار الفاعل — يعني أنه فاعل الحمد — لكان الأولي أن يسمى ==

سورة الحمد وخصَّ بها دون سائر الأنبياء ، وخص بلواء الحمد ، وخص بالمقام المحمود ، وانظر : كيف شرع لنا سنة وقرآنا أن نقول عند اختتام الأفعال ، وانقضاء الأمور : الحمد لله رب العالمين . قال الله سبحانه وتعالى : « وقضى بينهم بالحق وقيل : الحمد لله رب العالمين » الزمر : ٧٥ . وقال أيضا : « وآخر دَعْوَاهُمْ : أن الحمد لله رب العالمين » يونس ١٠ . تنبيهنا لنا على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الأمور . وسنَّ - صلى الله عليه وسلم - الحمد بعد الأكل والشرب ، وقال عند انقضاء السفر : آيُّون تائبون عابدون لربنا حامدون (١) .

ثم انظر لكونه - عليه السلام - خاتم الأنبياء ، ومؤذنا بانقضاء الرسالة ، وارتفاع الوحي ، ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الأمور ، مشروع عنده - تجذ معاني أسميته جميعا ، وما خص به من الحمد والحمد مُشاكلا لعناه ، مطابقا لصفته ، وفي ذلك برهان عظيم ، وعلم واضح على نبوته ، وتخصيص الله له بكرامته ، وأنه

= حمادا ، كما أن اسم أمته : الحمادون . وأيضا فإن الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائله المحمودة التي لاجلها استحق أن يسمى : محمدا ، وأحمد ، فهو الذي يحمده أهل الدنيا وأهل الآخرة ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلكثرة خصائله المحمودة التي تفوت عد العادين سمى باسمين من أسماء الحمد يقتضيان التفضيل والزيادة في القدر والصفة . ص ١٢٥ جلاء الأفهام للإمام ابن القيم .

(١) رواه مسلم .

قَدَّمَ لَهُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ قَبْلَ وِجُودِهِ تَكْرِيمًا لَهُ ، وَتَصَدِيقًا لِأَمْرِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَشَرَفًا وَكْرَمًا .

تعويض عبد المطلب :

وَذُكِرَ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ دَخَلَ بِهِ السَّكْبَةَ وَعَوَّذَهُ ، وَدَعَا لَهُ . وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ ابْنِ هِشَامٍ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ قَالَ وَهُوَ يَمُودُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي هَذَا الْعِلْمَ الطَّيِّبَ الْأُرْدَانِ
قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْعِلْمَانِ أُعِيدُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
حَتَّى يَكُونَ بُلْغَةَ الْفِتْيَانِ حَتَّى أَرَاهُ بِالْبُنْيَانِ
أُعِيدُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَتَّانٍ مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعِنَانِ
ذِي هِمَّةٍ لَيْسَ لَهُ عَيْنَانِ حَتَّى أَرَاهُ رَاقِعِ السَّانِ (١)
أَنْتَ الَّذِي سُمِّيتَ فِي الْقُرْآنِ فِي كِتَابِ ثَابِتَةِ الْمَثَانِ
أَحْمَدُ مُكْتُوبٌ عَلَى الْبَيَانِ (٢)

(١) كذا ١١ ولعلها الشاق وفي رواية : اللسان .

(٢) في البداية : اللسان ، وليس لهذا سند صحيح . وفي كلماته دليل أنه كذب مفترى . وكذلك ما روى ابن هشام من قول عبد المطلب . « أُعِيدُهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ » فَقَدْ قَالَ الْعِرَاقِيُّ : لِأَصْلِهَا . وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، وَقَالَ عَنْهُ الشَّامِيُّ : وَسَنَدُهُ وَاهٍ حِدَا .

تاريخ مولده :

فصل : وذكر أن مولده عليه السلام كان في ربيع الأول ، وهو المعروف (١)

(١) روى مسلم في صحيحه أن أعرابيا سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن صيام يوم الاثنين فقال : « ذلك يوم ولدت فيه ، وأنزل علي فيه » انفرد بإخراجه مسلم ، وروى أحمد في حديث تفرد به أنه ولد يوم الاثنين واستنبيه يوم الاثنين . ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين .

والجمهور على أنه كان في ربيع الأول ، لكن متى ؟ ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب والواقدي أنه كان لليلتين خلتا منه .

ومن قالوا بأنه كان ثمان خلون منه : ابن حزم ، وقد روى هذا مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم ، وذكر ابن عبد البر أن أصحاب التواريخ صححوا هذا . وقطع به محمد بن موسى الخوارزمي الحافظ الكبير ، ورجحه أبو الخطاب بن دحية ، وقيل : كان لعشر خلون منه . وقيل لثنتي عشرة خلوت منه ، وقيل : لسبعة عشر ، وقيل : لثمان بقين منه .

وقيل : إنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار مستندا إلى أنه — صلى الله عليه وسلم — أوحى إليه في رمضان على رأس أربعين سنة من عمره ، فيكون مولده في رمضان ، وكان مولده لثنتي عشرة ليلة خلوت منه ، وكان مولده عام الفيل على قول الجمهور . قيل : كان بعده بشهر ، أو بأربعين يوما . أو بخمسين وقيل : إن عام القيل كان قبله بعشر سنين . وقيل : بل بثلاث وعشرين سنين . وقيل : بل بثلاثين ، وقيل : بل بأربعين وقال ابن خياط : المجمع عليه أنه ولد عام الفيل ، ويقول النووي : ونقل إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري وخليفة ابن خياط وآخرون الإجماع عليه — أي : على أنه ولد عام الفيل — واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، واختلفوا هل هو في اليوم الثاني أم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر .

وقال الزبير : كان مولده في رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن
أمه حملت به في أيام التشريق ، والله أعلم .

وذكروا أن الفيل جاء مكة في الحرم ، وأنه - صلى الله عليه وسلم - ولد
بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب
يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، فكانت لعشرين مضت
منه ، وولد بالعفر من المنازل ، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين
في الأبديين الزنابا والأسد ، لأن العفر يليه من العقرب زناباها ، ولا ضرر
في الزنابا إنما تضر العقرب بذنباها ، ويليه من الأسد أليته ، وهو السماك ،
والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخالبه (١) ونابه .

وولد بالشعب ، وقيل بالدار التي عند الصفا ، وكانت بعد محمد بن يوسف
أخي الحجاج ، ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجّت (٢) .

(١) خرافة ربط مولد الإنسان وحظوظ عيشه ، وأقدار حياته بالنجوم
ومنازلها سخف عقلي ، وعوار في الدين . ولا أدري كيف يردد السهيلي مثل
هذا الخرف . وغيره يزعم أن مولده ص ، كان والطالع لعشرين درجة من
الجدى ، وكان المشتري وزحل في ثلاث درج من العقرب ، وهي درجة وسط السماء
وكان موافقا من البروج الحمل عند طلوع القمر أول الليل ص ٢٦١ ج ٢ البداية
والعقرب : برج في السماء ويؤت ، وزنا بالعقرب أو زباياها : قرناها .
وكوكبان نيران في قرني العقرب . والسماك الأعزل والرامح نجمان نيران ، أوهما
رجلا الأسد ، والعفر : منزلة للقمر : ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان .

(٢) كانت بزفاق المدكك . وكانت من قبل بيد عقيل بن أن طالب . ويقول
ابن الأثير : إن المصطفى وهبها له ، فلما توفي باعها ولده ، وهذا الزقاق كان في شعب =

تحقيق وفاة أبيه :

وذكر أنه مات أبوه ، وهو حَمَلٌ (١) ، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد . ذكره الدُّولابي وغيره ، قيل : ابن شهرين ، ذكره [أحمد] ابن أبي خَيْثَمَةَ ، [زهير بن حرب] وقيل : أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ، ذهب لِيَمْتَارَ لأهله تمرًا ، وقد قيل : مات أبوه ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين شهرًا ، وأنشدوا رَجَزًا لعبد المطلب يقوله لابنه أبي طالب :

أوصيك يا عبدَ مَنْأَفِ بَعْدِي بموتم بعد أبيه فَرِدِ
فارقهُ وهو ضَجِيعُ المهدِ

وكان بينه وبين أبيه - عليه السلام - في السن ثمانيةَ عشرَ عاما .

أبوه من الرضاعة :

وذكر الحارث بن عبد المُزَيِّ أبا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة ، ولم يذكر له إسلاما ، ولا ذكره كثير من ألف في الصحابة ،

== مشهور بشعب بنى هاشم من الطرف الشرقي لمكة . ويقال بالردم أو بعسفان ، ولما بيع الموضع لمحمد بن يوسف أدخله في داره التي يقال لها : البيضاء ، ولم يزل ذلك البيت كذلك حتى حجت الخيزران جارية المهدي فجعلته مسجدا يصلّي فيه وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذي يقال له : زقاق المولد . ص ٦١٤ القرى للمحب الطبري (١) توفي عن خمس وعشرين ، قال الواقدي : وهو الأثبت أو عن ثلاثين ، قال الحاكم أو عن ثمان وعشرين ، أو عن ثمان عشرة سنة ، وصححه الحافظ العلاءي وابن حجر واختاره السيوطي .

وقد ذكره يونس بن بكير في روايته ، فقال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثني
والدى إسحاق بن يسار ، عن رجالٍ من بنى سعد بن بكر ، قال : قدم الحارث
ابن عبد العزّمي ، أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة على رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة حين أنزل عليه القرآن ، فقالت له قريش :
ألا تسمع يا حارث^(١) ما يقول أبوك هذا ؟ فقال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله
يبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرم فيهما من
أطاعه ، فقد شئت أمرنا ، وفرّق جماعتنا . فأتاه ، فقال : أيُّ بُنيّ مالك
ولقويك يشكونك ، ويزعمون أنك تقول : إن الناس يُبعثون بعد الموت ،
ثم يصيرون إلى جنةٍ ونارٍ ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : نعم أنا
أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت ، لقد أخذت بيدك ، حتى
أعرفك حديثك اليوم ، فأسلم الحارثُ بعد ذلك ، وحسن إسلامه ، وكان
يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابني بيدي ، فعرفني ما قال ، لم يرسلني إن شاء
الله حتى يدخلني الجنة^(٢) .

(١) ترخيم الحارث

(٢) لم يروه أحد غيره . وخاتمته مجرد تمن فقط ، وإلا فالرسول صلى الله
عليه وسلم قال لأعرّ أهله : العباس وصفية وفاطمة أن يعملوا ، لأنه لا يبغي عنهم
من الله شيئا . هذا ، وفي أخذ عبد المطلب للرسول دس ، وهو طفل ، ودخوله
الكعبة : قد ورد في أصل الرواية عن ابن إسحاق أنه أدخله على هبل في جوف
الكعبة .

ملحوظة : حديث ابن مخزّمة أنه هو ورسول الله لدان . رواه البيهقي وأحمد

(٢ - ١١ از روض الأتف ج ٢)

تحقيق اسم ناصرة بن قصية:

وذكرنا صرّة بن قُصَيَّةَ في نسب حليلة . وهو عندهم : قُصَيَّةُ بالفاء تصغير : فَصَاة ، وهي النَّوَاة . ووقع في الأصل في جميع النسخ : قُصَيَّةُ بالقاف (١) . وقال أبو حنيفة أيضا : الْفَصَا : حَبُّ الزَّيْبِ ، وهو من هذا المعنى .

الشيء :

وذكر الشيء أخت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاة ، وقال

== وروى قباث بن أشيم أنه حين ولد رسول الله رأى - أى قباث - خرق الفيل أخضر محيلا . وقد ورد هذا في حديث رواه الترمذى والحاكم عن ابن إسحاق .

وحديث اليهودى الذى هرخ . رواه البيهقي وأبو نعيم . ونعرج على رأى سلفى جليل فنجده يقول : « لاختلاف أنه ولد - صلى الله عليه وسلم - بجوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل : تقدمه قدمها الله لئيبه وبيته ، ولإفأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة إذ ذلك ؛ لأنهم كانوا عباد أوثان ، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرا لاصنع للبشر فيه إرهابا وتقدمة للنبي - صلى الله عليه وسلم - الذى خرج من مكة وتعظيما للبيت الحرام ، ص ٣٢ - زاد المعاد لابن القيم . وذكر رأيين في وفاة أبيه أصحابهما : أنه مات وهو حل ، والآخر : أنه توفي بعد ولادته بسبعة أشهر .

هذا : ونيسان هو الشهر السابع من شهور السنة السريانية والعبرية ، ويقابل إبريل . وفي حديث حسان بن ثابت : سعد بن زرارة . صوابه : أسعد . ويفعة : قوى قد طال قده ، مأخوذ من اليفاع ، وهو العالى من الأرض « ص ٤٥ الخشنى » (١) في النسخة المطبوعة على هامش الروض : قصية بالفاء ، ويقول الخشنى ص ٥٥ أنه هو الصواب .

في اسمها : خِدَامَةٌ بكسر الخاء المنقوطة ، وقال غيره : حُدَاقَةٌ بالخاء المضمومة وبالفاء مكان الميم ، وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عمرو في كتاب النساء (١) .

(شرح ما في حديث الرضاع)

الرضعاء والمرضع :

قال ابن إسحاق : فالتمس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرضعاء . قال ابن هشام : إنما هو المرأضِع . قال : وفي كتاب الله سبحانه : (وَحَرَّمَنا عليه المرأضِعَ [مِنْ قَبْلِ]) القصص : ١٢ . والذي قاله ابن هشام ظاهر ؛ لأن المرأضِع جمع : مُرْضِع ، والرضعاء : جمعُ رَضِيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق تخرَّج من وجهين ، أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذَوَات الرضعاء ، والثاني : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مُرْضِعَةً تُرْضِعُه ، فقد وجدوا له رضيعا ، يَرْضَعُ معه ، فلا يبعد أن يقال : التَّمَسُوا له رَضِيعًا ، علمًا بأن الرضيع لا بد له من مُرْضِع .

مرضعاته عليه السلام :

وأرضعته - عليه السلام - - ثُوَيْبَةَ (٢) قبل حلیمة . أرضعته

(١) في رواية : جدامة بضم الجيم أو جدامة وانظر ص ٥٤ . الحشني .
(٢) توفيت سنة سبع . قال ابن منده : اختلف في إسلامها ، وقال أبو نعيم : لا أعلم أحدا ذكره ، ص ١٣٧ ج ١ المواهب ، وحديث حلیمة بهذا السند رواه الحاكم وابن حبان وابن راهويه وأبو ليلي والطبراني والبيهقي وأبو نعيم . وفي شرح =

وعمه حمزة وعبد الله بن جحش ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرف ذلك لثوبية ، ويصلها من المدينة ، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروق ، فأخبر أنهما ماتا ، وسأل عن قرابتها ، فلم يجد أحدا منهم حيا . وثوبية كانت جارية لأبي لهب ، وسنذكر بقية حديثها - إن شاء الله - عند وفاة أبي لهب .

يغذيه أو يغذيه :

وذكر قول حليمة : وليس في شارفينا ما يغذيه . وقال ابن هشام : ما يغذيه بالذال المنقوطة ، وهو أتم في المعنى من الاقتصار على ذكر الغداء دون العشاء (١) ، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة ، وعند بعض الناس رواية

المواهب أن النسوة اللاتي خرجت معهن حليمة كن عشرا . والسنة الشبهاء : ذات القحط والجذب ، والأرض الشبهاء : البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر . والآتان : الأثني من الخمر ، ولا يقال آتانه ، والقمران : التي في لونها بياض ، والصبي الذي كان مع حليمة هو : عبد الله بن الحارث . والشارف : الناقة المسنة ، ويقال للذكر والآثني . وما تبض بقطرة معناها : لا ترحش ولا تسيل ، ومن رواها بالصاد فعناها : ما يبرق عليها أثر لبن ، من البصيص ، وهو البريق واللمعان . ص ٥٥ الخشني

(١) يقول أبو ذر الخشني : « ومن رواه ما يغذيه فعناها : ما يقنعه ولا يمنعها من البكاء . يقال : أغذيت الرجل عن الشيء : إذا منعه منه . وقال ابن هشام : يغذيه . هذا من لفظ الغذاء ، ومن رواه : يغذيه بالعين المهملة فعناها : ما يشبعه بعض الشبع مأخوذ من النبات العذى ، وهو الذي يشرب في الصيف والشتاء بغرفة من الأرض دون أن يسقى ، أو الذي لا يسقيه إلا المطر . وتكون هذه هي الرواية الرابعة للكلمة

غير هاتين وهى يُعَذِّبُهُ بعينٍ مُهْمَلَةٍ وذال منقوطة وباء مُعْجَمَةٌ بواحدة ،
ومعناها عندهم : ما يُقْنَعُهُ حَتَّى يَرْفَعَ رَأْسَهُ ، وَيَنْقَطِعُ عَنِ الرِّضَاعِ ، يُقَالُ مِنْهُ : عَذَبَتْهُ
وَأَعَذَبَتْهُ : إِذَا قَطَعْتَهُ عَنِ الشُّرْبِ وَنَحْوِهِ ، وَالْعَذُوبُ : الرَّافِعُ رَأْسَهُ عَنِ الْمَاءِ ،
وجمعه : عُدُوبٌ بِالضَّمِّ ، وَلَا يُعْرَفُ فَعُولٌ جُمِعَ عَلَى فَعُولٍ غَيْرُهُ : قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ (١)
وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ أَصْحَحٌ فِي الْمَعْنَى وَالنَّقْلِ .

من شرح هربت الرضاعة :

وذكر قولها: حتى أذمت بالركب . تريد : أنها حبستهم ، وكأنه من الماء
الدائم ، وهو الواقف ، ويروى: حتى أذمت . أى : أذمت الأتان ، أى: جاءت
بما تُذَمُّ عليه ، أو يكون من قولهم: برئ ذمةً ، أى : قليلة الماء ، وليست هذه
عند أبي الوائيد ، ولا فى أصل الشيخ أبي بَحرٍ ، وقد ذكرها قاسمٌ فى الدلائلِ ،
ولم يذكر روايةً أخرى ، وذكر تفسيرها عن أبي عبيدة : أذمت بالركب : إذا
أبطأ ، حتى حبستهم : من البئر الذمة ، وهى القليلة الماء (٢) .

(١) فى اللسان جمعه : عذب بضم العين والذال ، وقد خطأ الأزهرى بأعبيدة
لأن فعولا - بفتح الاء وضم العين - لا يكسر على فعول بضم الفاء .

(٢) عند أبي ذر النخنى : أذمت : تأخرت بالركب ، أى تأخر الركب بسببها
والضمير الذى فى أذمت يرجع إلى الأتان ، وفى رواية : أذمت بالركب أى :
أطلت عليهم المسافة لتلهم عليها ، مأخوذ من الشيء الدائم ص ٥٥ . وصاحب حليلة
المذكور فى القصة هو زوجها : الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى ، وكنيته
أبو ذؤيب ، وفى رواية أخرى لحديث الرضاع جاء بعد قول حليلة : فذهبت إليه
مايلى : وفإذا به مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك ، وتحت

وذكر قول حليمة : فلما وضعتُه في حِجْرِي أُقبل عليه ندياي بما شاء
من لبن ، فشرِب حتى رَوِيَ ، وشرِب معه أخوه حتى روى .

وذكر غير ابن إسحاق أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان
لا يقبل إلا على ثديها الواحد ، وكانت تعرض عليه الثدي الآخر ، فيأباه كأنه
قد أشعر - عليه السلام - أن معه شريكاً في لبانها ، وكان مفطوراً على العدل ،
محبباً على المشاركة والفضل - صلى الله عليه وسلم .

التماس الأجر على الرضاع :

قال المؤلف : والتماسُ الأجر على الرضاع لم يكن محموداً عند أكثر نساء
العرب ، حتى جرى المثل : تجوع المرأة ولا تأكل بثديها (١) ، وكان عند
بعضهن لا بأس به ، فقد كانت حليمة وسيطة في بني سعد ، كريمة من كرائم
قومها ، بدليل اختيار الله - تعالى - إياها لرضاع نبيه - صلى الله عليه وسلم -
كما اختار له أشرف البطون والأصلاب . والرضاع كالنسب ؛ لأنه يُغيّر

== حريراً أخضر راقداً على قفاه يغط ، فأشفقت أن أوقظه من نومته لحسنه وجماله ،
المواهب اللدنية في باب رضاعه ص ١٤٣ ج ١ ، هذا ورضاعه من ثوية قد ورد
في سياق حديث عن أم سلمة ، وقد رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن
ماجة والبيهقي « منتخب السنة » ص ٦٠ > ١

(١) روايته : تجوع الحرة ، ولا تأكل بثديها ، أي : لا تكون ظنراً ، وإن
آذاها الجوع . ويروى : ولا تأكل ثديها . وأول من قال ذلك : الحارث بن سليل
الأسدي . في قصة طويلة روتها كتب الأمثال ، يضرب في صيانة الرجل نفسه
عن خسيس مكاسب الأموال « مجمع الأمثال للميداني »

الطباع . في المسندِ عن عائشة -رضى الله عنها - ترفعه : « لا تَسْتَرِضُوا الْحَمَقَ ؛
فإنَّ اللَّابَنَ يُورِثُ » ويَحْتَمَلُ أن تَكُونَ حَلِيمَةً ونَسَاهُ قومها طلبن الرُّضْعَاءَ
اضطراباً للأزمة التي أصابتهن ، والسَّنَةَ الشَّهْبَاءَ التي اقْتَحَمَهُنَّ .

لم كانت قريسه ترفع أولادها إلى المراضع ؟

وأما دَفْعُ قريشٍ وغيرهم من أشرفِ العربِ أولادهم إلى المراضع ، فقد
يكون ذلك لوجوهٍ . أحدها : تفرِغُ النساءِ إلى الأزواجِ ، كما قال عَمَّارُ بن
ياسرٍ لأمِّ سَلَمَةَ -رضى الله عنها - وكان أخاها من الرضاة ، حين انتزع من
حِجْرِهَا زَيْنَبَ بنتِ أبي سَلَمَةَ ، فقال : « دَعِيَ هَذِهِ الْمَقْبُوحَةَ الْمَشْقُوحَةَ (١)
التي آذيتِ بها رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم » وقد يكون ذلك منهم أيضاً
لِئِنَّشَأَ الطِّفْلِ في الأعرابِ ، فيكون أفصحَ لِلسَّانِهِ ، وأجْلَدَ لِجِسْمِهِ ، وأجْدَرَ أن
لا يفارقَ الهَيْئَةَ الْمَعْدِيَةَ (٢) كما قال عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : تَمَعَّدُوا وَتَمَعَّرُوا (٣)
واخْشَوْشُوا [رواه ابن أبي حذرد] . وقد قال - عليه السلام - لأبي بكرٍ -رضى
الله عنه - حين قال له : ما رأيت أفصحَ منك يا رسولَ الله ، فقال : وما يمنعني ،
وأنا من قريش ، وأرضعتُ في بني سَعْدِ؟! فهذا ونحوه كان يحملهم على دَفْعِ

(١) المشقوقة : المكسورة أو المبعدة ، من الشقح ، وهو الكسر أو البعد
ومشقوقة اتباع لمقبوحة .

(٢) نسبة إلى قوم معد ، وكانوا أهل غلظ وقشع .

أى : تصابوا ، وتشبهوا بمعد .

(٣) وتمعرزوا : تعزز لهم : اشتد وصلب ، وتمعرز البعير : اشتد عدوه .

الرُّضَعَاءُ إِلَى الْمَرَضِعِ الْأَعْرَابِيَّاتِ . وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَانَ يَقُولُ : أَضْرًا بِنَا حُبِّ الْوَلِيدِ ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ لَحَانًا ، وَكَانَ مُسْلِمًا نُوَ فَصِيحًا ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ أَقَامَ مَعَ أُمَّهُ ، وَسَلِيمَانُ وَغَيْرُهُ مِنْ إِخْوَتِهِ سَكَنُوا الْبَادِيَةَ ، فَتَعَرَّبُوا ، ثُمَّ أَدْبُوا فَتَأَدَّبُوا ، وَكَانَ مِنْ قُرَيْشٍ أَعْرَابٌ ، وَمِنْهُمْ حَضْرَمٌ ، فَالْأَعْرَابُ مِنْهُمْ : بَنُو الْأَذْرَمِ وَبَنُو مُحَارِبٍ ، وَأَحْسَبُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الظَّوَاهِرِ ، وَيَسْوَ مِنْ أَهْلِ الْبِطَاحِ (١) .

سَوْ الصَّر :

وَذَكَرَ قَوْلَ أَخِيهِ مِنَ الرُّضَاعَةِ : نَزَلَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ أَبْيَضَانِ ، فَشَقَّاعِنِ بَطْنِهِ ، وَهِيَ يَسُوطَانِهِ ، يُقَالُ : سَطَّتُ اللَّيْنَ أَوْ الدَّمَ ، أَوْ غَيْرَهُمَا ، أَسُوطُهُ : إِذَا ضَرَبْتَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ . وَالْمِسْوَطُ : عُوْدٌ يُضْرَبُ بِهِ .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ ابْنِ إِسْحَاقٍ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ كُرْهِيَّانِ (٢) ، فَشَقَّ أَحَدُهُمَا بِمَنْقَرِهِ جَوْفَهُ ، وَمَجَّ الْآخَرَ بِمَنْقَرِهِ فِيهِ تَلْجًا ، أَوْ بَرَدًا ، أَوْ نَحْوَ هَذَا ، وَهِيَ رِوَايَةٌ غَرِيبَةٌ ذَكَرَهَا يُونُسُ عَنْهُ ، وَاخْتَصَرَ ابْنُ إِسْحَاقٍ حَدِيثَ نُزُولِ الْمَلَائِكِينَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْ قُرَيْشٍ الْبِطَاحِ وَقُرَيْشٍ الظَّوَاهِرِ .

(٢) السُّكْرِيُّ : طَائِرٌ كَبِيرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالرَّجُلَيْنِ أَيْتَرُ الذَّنْبِ . وَمَجَّ الْمَاءَ : لَفْظُهُ .

عنه - قال : « قلت : يا رسول الله كيف علمت أنك نبيٌّ ، وبم علمت حتى استنقيت ؟ قال : يا أبا ذرٍّ أتاني ملكان ، وأنا ببطحاء مكة ، فوقع أحدهما بالأرض ، وكان الآخرُ بين السماء والأرضِ ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو . قال : فزِنهُ برجلٍ ، فوزنني برجلٍ ، فرَجَحته ، ثم قال : زِنهُ بعشرة ، فوزنني فرَجَحْتهم ، ثم قال : زِنهُ بمائة ، فوزنني ، فرَجَحْتهم ، ثم قال : زِنهُ بألفٍ ، فوزنني فرَجَحْتهم ، حتى جَمَلوا يَتَنَاقَلُونَ عَلَيَّ مِنْ كِفَّةِ الْمِيزَانِ ، فقال أحدهما لصاحبه : شقُّ بطنه ، فشق بطني ، فأخرج قلبي ، فأخرج منه مَعْمَزَ الشَّيْطَانِ وَعَلَقَ الدَّمَّ ، فَطَرَّحَهُمَا ، فقال : أحدهما لصاحبه : اغسِلْ بطنه غَسْلَ الْأَنْبَاءِ ، وَاغْسِلْ قَلْبَهُ غَسْلَ الْمَلَأَاءِ ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطِّ بطنه ، نَخَاطَ بَطْنِي ، وجعل الخاتم بين كَتِفِي كما هو الآن ، وولِّيا عني ، فكأنني أعين الأُمَرَ معاينة » ففي هذا الحديث بيان لما أبهم في الأول ، لأنه قال : فأخرج منه مَعْمَزَ الشَّيْطَانِ ، وَعَلَقَ الدَّمَّ ، فبيِّن أن الذي التمس فيه هو الذي يغمزه الشيطانُ من كلِّ مولودٍ إلا عيسى بن مريم وأمه (١) - عليهما السلام - لقول أمها حنَّة : « وإني

(١) يشير إلى ما رواه البخاري ومسلم والترمذي : « ما من مولود يولد إلا نحسه الشيطان ، فيسهل صارخا من نحسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه ، قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : (وإني أعينها بك وذريتها من الشيطان الرحيم) ، قال عياض : يريد أن الله قبل دعائها مع أن الأنبياء معصومون ، وقال النووي : أشار عياض إلى أن جميع الأنبياء يشاركون عيسى في هذه الخصوصية . وسيأتي أن صدره شق أيضا ليلة الإسراء في حديث من طريق شريك في الصحيحين ، ودعوى أنه لا منافاة ، لاحتمال وقوع ذلك مرتين دعوى بلا بيعة ، وفي أحاديث خاتم النبوة

أَعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ « آل عمران : ٣٦ . فلم يصل إليه لذلك ، ولأنه لم يُخْلَقْ مِنْ مَنِيِّ الرَّجَالِ فَأَعِيذُهُ مِنْ مَعْتَزٍ ، وَإِنَّمَا خُلِقَ مِنْ نَفْخَةِ رُوحِ الْقُدُسِ ، ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على محمد - صلى الله عليه وسلم - لأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - قد نُزِعَ مِنْهُ ذَلِكَ الْمَعْتَزُ ، ومُلِيَ قَلْبُهُ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، بعد أن غَسَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ بِالتَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْتَزُ فِيهِ لِمَوْضِعِ الشَّهْوَةِ الْمُحَرَّكَةِ لِلْمَنِيِّ ، والشهواتُ يُحْضِرُهَا الشَّيَاطِينُ ، لا سيما شهوةٌ مَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ ، فكان ذلك الْمَعْتَزُ راجعا إلى الأب ، لا إلى الابنِ الْمُطَهَّرِ - صلى الله عليه وسلم عليه .

وفي الحديث فائدة أخرى ، وهي من نَفْسِ الْعِلْمِ ، وذلك أن خاتَمَ النُّبُوَّةِ لم يدر هل خُلِقَ بِهِ ، أم وُضِعَ فِيهِ بعد ما وُلِدَ ، أو حين نُبِيَ ، ، فبيّن في هذا الحديث متى وُضِعَ ، وكيف وُضِعَ ، ومَنْ وُضِعَ ، زادنا الله علما ، وأوزعنا شُكْرَ مَا عَلَّمَ ، وفيه البيانُ لما سأل عنه أبو ذر - رضِيَ اللهُ عنه - حين قال : كيف عَلِمْتَ أَنَّكَ (١)

= مغايرة لما ورد من وصف الخاتم هنا ، كما أن في ألفاظ بعض أحاديث الشق ما يوحي بأنه أحداث منام ، لا أحداث واقع ، أما الإسراء فيقظة بنص القرآن وسيأتي (١) كل حديث يزعم فيه أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يعرف أنه نبي هو حديث كذب ، لا يعتد به ، لأنه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يعرف حتى ليلة الوحي أنه نبي . هذا وعن خاتم النبوة ورد في حديث - رواه الشيخان والترمذي عن السائب بن يزيد : ونظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة ، الزر : البيضة وعن جابر في مسلم : رأيت خاتما في ظهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأنه بيضة حمام ، وفي مسلم والترمذي : وكان خاتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي بين كتفيه غدة حمراء مثل بيضة الحمامة ، وعن عبد الله بن سرة جس : ونظرت إلى خاتم النبوة بين =

نبي ، فأعلمه بكيفية ذلك ، غير أن في هذا الحديث ، وهما من بعض الثقلّة ، وهو قوله : بينما أنا بطحَاءِ مَكَّةَ ، وهذه القصة لم تعرّض له إلا وهو في بني سَعْدٍ مع حلّيمة ، كما ذكر ابن إسحاق وغيره ، وقد رواه البزار من طريق عُروَةَ عن أبي ذرٍّ - رضی الله عنه - فلم يذكر فيه بطحَاءِ مَكَّةَ .

== كنفه عند ناغض كتفه اليسرى جمعاً عليه خيلان ، كأمثال التأليل ، مسلم وأحمد . والناغض : أعلى الكنف ، أو ما يظهر من عظمه عند التحرك . مجتمعا : أى كصورة الكنف بعد جمع الاصابع وضمها . الخيلان : جمع خال وهى الغدة الصغيرة . التأليل : جمع : تؤلول حبيبات تعلو الجسد ، وفي مسلم أيضا عن جابر بن سمرة أنه كبيضة الحمامة . وعند الحاكم والترمذى وأبي يعلى والطبرانى من حديث عمرو بن أحطب أن الخاتم شعر مجتمع عند كتفه ، وعند البخارى فى تاريخه والبيهقى أنه : لحمه نائمة ، وفى جامع الترمذى ودلائل البيهقى : كالتفاحة ، وعند ابن حبان . وفى تاريخ ابن عساکر والحاكم : كالبندقة . وعند الترمذى : كبضعة ناشزة من اللحم . وعند الطبرانى : كان كأنه ركة عنز على طرف كتفه الايسر ، وعند ابن حبان : كان مثل البندقة من اللحم . . والحجلة تنطق بفتح الحاء والجيم ، وضم الحاء أو كسرهما وإسكان الجيم ، وضم الحاء وفتح الجيم . وجزم الترمذى بأن المراد بالحجلة : الطير المعروف ، وهو فى حجم الحمام ، أحمر المنقار والرجلين طيب اللحم ، وفسره النووى بأنها واحدة الحجال . وهى بيت كالقبة . لها أزرار كبار وعرا ، أو كما فسره الأزهري فى التهذيب : بيت كالقبة يستر بالثياب ، ويجعل له باب من جنسه ، فيه زر وعروة تشد إذا علقت

وقال القرطبي : اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئا بارزا أحمر عند كتفيه الايسر ، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة ، وإذا كبر جمع اليد . وفى الفتح : باب خاتم النبوة : أى صفته ، وهو الذى كان بين كتفى النبي ، وكان من علاماته التى كان أهل الكتاب يعرفونه بها ، وسيأتى عنه بيان آخر

مديت السكينة :

وذكر فيه أنه قال : وأوتيت بالسكينة كأنها رهرة ، فوضعت في صدري . قال : ولا أعلم العروة سماعا من أبي ذر . وذكر من طريق آخر عن أبي ذر ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له : « يا أبا ذر ، وزنت بأربعين ، أنت فيهم فرجهم » والرهرة : بصيص البشرة ، فهذا بيان وضع الخاتم متى وضع .

مسألة سؤ الصدر مرة أخرى :

وأما متى وجبت له النبوة ، فروى عن ميسرة أنه قال له : متى وجبت لك النبوة يا رسول الله ؟ فقال : وآدم بين الروح والجسد ، ويروى : وآدم مجندل في طينته (١) .

(١) وهكذا كل إنسان في قدر ؛ فإن الله كتب عنده مقادير الكائنات جميعها ، وإلا فالنبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يعرف حتى ليلة الوحي الأولى أنه نبي . أو أن النبوة ستأتيه . وإلا ما رجع في ارتجاعه الشديد إلى خديجة رضي الله عنها يحدثها أنه خائف على نفسه . وفي رواية للحديث : ولاني لمكتوب عند الله من النبيين . وحديث العرباض بن سارية قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : لاني عبد الله ، وخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم عن ذلك : لاني دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين ، وإن أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأت حين وضعتها نورا أضاءت له قصور الشام ، أحمد وابن حبان والحاكم . وفي حديث أبي أمامة عند أحمد نحوه ، ونصه عن لقمة بن عامر سمعت أبا أمامة قال : قلت يا نبي الله -

وهذا الخبر يُروى عنه - عليه السلام - على وجهين ، أحدهما : أنه سُقَّ عن قلبه ، وهو مع رابته ومُرُضته في بني سعد ، وأنه جرى بطَسْتٍ من ذهب ، فيه ثلج ففسل به قلبه ، والثاني فيه : أنه غُسِلَ بماء زمزم ، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين أُعرج به إلى السماء بعد ما بُعث بأعوام ، وفيه أنه أتى بطَسْتٍ من ذهبٍ ممتلئ حكمة وإيمانا ، فأفرغ في قلبه . وذكر بعضُ من أَلَفَ في شرح الحديث أنه تعارضَ في الروایتين ، وجعل يأخذ في ترجيح الرواة وتخليط بعضهم ، وليس الأمرُ كذلك ، بل كان هذا التقديسُ وهذا التطهيرُ مرتين .

الأولى : في حالِ الطُفُولِيَّةِ لِيُنَقِّيَ قَلْبُهُ مِنْ مَغَمَزِ الشَّيْطَانِ ، وَلِيُطَهِّرَ وَيُقَدِّسَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ ، حَتَّى لَا يَتَلَبَّسَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُعَابُ عَلَى الرَّجَالِ ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ إِلَّا التَّوْحِيدُ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ : فَوَلِيًّا عَنِّي ، يَعْنِي : الْمَلَائِكِينَ ، وَكَأَنِّي أَعَايِنُ الْأَمْرَ مُعَايِنَةً .

والثانية : في حالِ الْاِكْتِهَالِ ، وَبَعْدَ مَا نُبِّيَ ، وَعِنْدَمَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى الْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي لَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا الْمُقَدَّسُ ، وَعُرِجَ بِهِ هُنَاكَ

== ما كان بدء أمرك؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاء منه قصور الشام ، تفرد به أحمد ، ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة . وقد روى قصة شق الصدر في الطفولة أبو نعيم في الدلائل عن طريق عمر ابن صبح مطولة جدا ، وعمر متروك كذاب متهم بالوضع .

لُتَفَرِّضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ ، وَلِيُصَلِّيَ بِمَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ ، وَمِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ : الطَّهُّورُ ،
فَتَقَدَّسَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَغُسِّلَ بِمَاءِ زَمْزَمِ .

وفي المرة الأولى بالثلج لما يُشْعِرُ الثلجُ من ثَمَجِ اليقينِ وَبَرْدِهِ عَلَى الْفؤَادِ ،
وكذلك هناك حصل له اليقينُ بِالْأمرِ الذي يُرَادُ بِهِ وَبِوَحْدَانِيَةِ رَبِّهِ .

وأما في الثانية ، فقد كان مُوقِنًا مُنْبَأً ، فَإِنَّمَا طَهَّرَ لِمَعْنَى آخِرٍ ، وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ .
من دخولِ حَضْرَةِ الْقُدُّسِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا ، وَلِقَاءِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ، فَفَسَلَهُ رُوحُ
الْقُدُّوسِ بِمَاءِ زَمْزَمِ الَّتِي هِيَ هَزْمَةُ رُوحِ الْقُدُّوسِ ، وَهَمْزَةُ عَقْبِهِ (١) لِأَبِيهِ إِسْمَاعِيلَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَجِيءَ بِطَسْتٍ مُنْتَلِيَةٍ حَكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَأَفْرِغْ فِي قَلْبِهِ ، وَقَدْ
كَانَ مُؤْمِنًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الْفَتْحُ : ٤
وَقَالَ : ﴿ وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ الْمَدَّثَرُ : ٣١ . فَإِنْ قِيلَ : وَكَيْفَ يَكُونُ
الإِيمَانُ وَالْحِكْمَةُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَالإِيمَانُ عَرَضٌ ، وَالْأَعْرَاضُ لَا يُوَصَفُ
بِهَا إِلَّا مَحَلُّهَا الَّذِي تَقُومُ بِهِ ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ الْإِنْتِقَالُ ، لِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ مِنْ صِفَةِ
الْأَجْسَامِ ، لَا مِنْ صِفَةِ الْأَعْرَاضِ ؟ قُلْنَا :

إِنَّمَا عَبَّرَ عَمَّا كَانَ فِي الطَّسْتِ بِالْحِكْمَةِ وَالإِيمَانِ ، كَمَا عَبَّرَ عَنِ اللَّبَنِ الَّذِي
شَرِبَهُ ، وَأَعْطَى فَضْلَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِالْعِلْمِ ، فَكَانَ تَأْوِيلُ مَا أُفْرِغَ فِي
قَلْبِهِ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، وَلَعَلَّ الَّذِي كَانَ فِي الطَّسْتِ كَانَ ثَلَجًا وَبَرْدًا - كَمَا ذَكَرَ فِي

(١) هزم البئر : حفرها ، والهمزة : النقرة ، هذا وسيأتي بيان أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء بنص القرآن والاحاديث الصحيحة . هذا وقوله : كأني أعين الأمر معاينة يؤكد أنه رؤيا منامية .

الحديث الأول - فعبّر عنه في المرة الثانية بما يؤول إليه ، وعبّر عنه في المرة الأولى بصورته التي رآها ؛ لأنه في المرة الأولى كان طفلاً ، فلما رأى الثلج في طست الذهب اعتقده تلمجاً ، حتى عرّف تأويله بعد . وفي المرة الثانية كان نبيئاً ، فلما رأى طست الذهب مملوءاً تلمجاً علم التأويل لحينه واعتقده في ذلك المقام حكمة وإيماناً ، فكان لفظه في الحديثين على حسب اعتقاده في المقامين .

مناسبة الذهب للمعنى المقصود :

وكان الذهبُ في الحالتين جميعاً مناسباً للمعنى الذي قصدَ به . فإن نظرتَ إلى لفظِ الذهبِ ، فطابق للإذهابِ ، فإن الله - عز وجل - أراد أن يذهبَ عنه الرِّجْسَ ، ويُطَهِّرَهُ تطهيراً ، وإن نظرتَ إلى معنى الذهبِ وأوصافِهِ وجدته أنتى شيءٍ وأصفاه ، يقال في المثل : أنتى من الذهب . وقالت بريرةُ في عائشة - رضی الله عنها - ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصَّائغُ على الذهبِ الأحمر . وقال حذيفةُ في صلّةِ بنِ أشيمٍ رضی الله عنهما : إنما قلبه من ذهب ، وقال جرير بن حازمٍ في الخليلِ بنِ أحمد : إنه لرجلٌ من ذهب ، يريدون : النقاء من الأُمُوبِ ، فقد طابق طستُ الذهبِ ما أريدُ بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من نقاء قلبه . ومن أوصافِ الذهبِ أيضاً المطابِقَةُ لهذا المقامِ ثِقَلُهُ ورُسُوبُهُ ، فإنه يُجْعَلُ في الزَّيْبِقِ الذي هو أنقلُ الأشياءِ ، فيرسبُ ، والله تعالى يقول : (إِنَّا سُنِّقُوكَ عَلَيْكَ قَوْلًا نَزِيمًا) المزمّل : ٥٠ . وقال عمرُ بن الخطّاب - رضی الله عنه : إنما تُقَامُ موازينُ المُحَقِّقِينَ يومَ القيامةِ ، لاتباعهم الحقَّ ، وحقُّ لِمِيزَانٍ لا يوضعُ فيه إلا الحقُّ

أن يكونَ تَمَثُّلاً ، وقال في أهلِ الباطلِ بعكسِ هذا . وقد روى : أنه أنزلَ عليه الوحي ، وهو على ناقته ، فَتَمَثَّلَ عليها حتى ساخت قوائمها في الأرض ، فقد تطابقت الصفةُ الممقولةُ والصفةُ المحسوسةُ . ومن أوصافِ الذهبِ أيضا أنه لا تأكله النارُ ، وكذلك القرآنُ : لا تأكل النارُ يومَ القيامةِ قلباً وعاء ، ولا بدناً عَمَلَ به ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم : « لو كان القرآنُ في إهابٍ ، ثم طُرِحَ في النارِ ما احترق (١) » ومن أوصافِ الذهبِ المناسبةِ لأوصافِ القرآنِ والوحي : أنَّ الأرضَ لا تُباليه ، وأن الثرى لا يذريه ، وكذلك القرآنُ لا يَخْتَلِقُ على كَثْرَةِ الرَّدِّ ، ولا يُسْتَطَاعُ تغييرُهُ ولا تبدُّلُهُ ، ومن أوصافه أيضا : نفاسته وعزَّته عند الناسِ ، وكذلك الحقُّ والقرآنُ عزَّيزٌ ، قال سبحانه : (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزَّيزٌ) فَصَّلَتْ : ٤١ . فهذا إذا نظرت إلى أوصافِهِ ولقِظَهُ ، وإذا نظرت إلى ذاته وظاهره ، فإنه زُخْرُفُ الدُّنْيَا وزينتها ، وقد فُتِحَ بالقرآنِ والوحي على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمنه خزائنُ الملوكِ ، وتصيرُ إلى أيديهم ذهبها وفضتها ، وجميعُ زُخْرُفِهَا وزينتها ، ثم وعدوا باتباعِ القرآنِ والوحي قُصُورَ الذهبِ والفضةِ في الجنةِ . قال - صلى الله عليه وسلم : « جَنَّتانِ من ذهبٍ ، آتيتهما وما فيهما من ذهب (٢) » وفي التنزيلِ : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ) الزُّخْرُفُ : ٧١ (وَيُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) الحج : ٢٣ وفاطر : ٣٣

() رواه الطبراني . وفي الجامع للسيوطي أنه ضعيف .

(٢) من حديث رواه الجماعة إلا أبا داود : وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن .

فكان ذلك الذهب يُشعر بالذهب الذي يصير إليه من اتبع الحق ، والقرآن وأوصافه نشعر بأوصاف الحق ، والقرآن ولفظه يُشعر بإذهاب الرّجس ، كما تقدم ، فهذه حكم بالغة^(١) لمن تأمل ، واعتبار صحيح لمن تدبر ، والحمد لله .

وفى ذكر الطّستِ وحروفِ اسمِها حكمة تنظر إلى قوله تعالى :

(طس . تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مبین^(٢)) النمل : ١ وما يسئل عنه : هل خُص هو - صلى الله عليه وسلم - بفعل قلبه فى الطست ، أم فعل ذلك بغيره من الأنبياء قبله ، فى خبر التابوت والسكينة ، أنه كان فيه الطستُ التى غُسلتُ فيها قلوبُ الأنبياء عليهم السلام . ذكره الطبرى^(٣) ، وقد انتزع بعضُ الفقهاء من حديث الطست حيثُ جُعِلَ محلاً للإيمان والحكمة جوازَ تَحْلِيَةِ المُصْحَفِ بالذهب ، وهو فقه حَسَن^(٤) ، فى حديث أبي ذر - رضى الله عنه - هذا الذى قدمناه ، متى علم أنه نبيّ .

- (١) تأويلات مغربة ، وإن كانت تشهد بذكاء ، لكنها لا ترف بسكينة على القلب ، وشأن القرآن أعظم .
- (٢) وهذا أغرب ، وأشدّ بعدا ، وتقرأ طس هكذا : « طاسين » .
- (٣) يشير إلى قوله تعالى : « وقال لهم نبيهم : إن آية ملكة أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم ، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة) البقرة : ٢٤٨ . وقد روى العوفى عن ابن عباس أن السكينة هى الرحمة . كما فرها عطاء تفسيرا طيبا ، إذ قال لابن جريج لما سأله عنها : أما تعرفون من آيات الله فتسكنون إليه . وروى ابن كثير ما ذكره السهيلي بصيغة تفيد تضعيفه إذ جاء قبله بكلمة : وقيل . وخب فيها وهب بن منبه ووضع ، فأتى بالعجب العجيب من الأساطير . فقال : السكينة : رأس هرة ميتة .
- (٤) رد ابن القيم هذا الراى .

(١٢٢ م) - الروض الأنتف ج ٢

الحكمة في غم النبوة :

والحكمة في خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه لما ملئ قلبه حكمةً وبقينا، ختم عليه كما يُختم على الوعاء المملوء مسكاً أو دُرّاً ، وأما وضعه عند نُفُض (١) كتفه ، فلا نَهَ معصومٌ من وسوسة الشيطان ، وذلك الموضع منه يُوسوسُ الشيطانُ لابن آدم . روى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز أن رجلاً سأل ربه أن يُريَهُ موضعَ الشيطان منه (٢) ، فأرى جسدَ أممِّي (٣) يرى داخله من خارجه ، والشيطانُ في صورة ضفدعٍ عند نُفُضِ كتفه (٤) حذاء قلبه ، له خرطوم ، كخرطوم البعوضة ، وقد أدخله إلى قلبه يوسوس ، فإذا ذكر الله تعالى العبدُ خنس (٥) .

(١) هو أعلى منقطع غضروف الكتف .

(٢) في شرح المواهب : « موضع الشيطان من ابن آدم . وفي النهاية : موقع

(٣) ضبطها في اللسان وفي معجم ابن فارس وفي النهاية هكذا ، وضبطها الزرقاني بضم الميم الأولى وسكون الثانية ، وتخفيف الهاء اسم مفعول من : أمها ، أي مصفئ ، وفي النهاية : أنه رأى ذلك منا ما ، قال : والمها : البلور ، وكل شيء صفئ ، فهو مهي تشبها به . زاد في الفائق : ومقلوب من موه ، وهو مُفَعَّلٌ من أصل الماء . أي مجموع ماء ص ١٥٤ ج ١ .

(٤) في شرح المواهب : « وأرى الشيطان في صورة ضفدع عند كتفه ، »

(٥) في شرح المواهب : « وقد أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، والحديث مقطوع . ص ١٥٤ ج ١ شرح المواهب . وفي اللسان نقلا عن النهاية لابن الأثير : « فرأى فيما يرى النائم جسد رجل مُسَمَّى ، . وحذاء : مقابل . وخنس : تأخر وغاب . وانظر ص ٤٣٩ وما بعدها فتح الباري ج ٦ .

رواه عليمه النبي «ص» :

فصل : وكان ردُّ حلِيمَةَ إِيَّاهُ إِلَى أُمَّهُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ وَشَهْرٍ ،
فِيمَا ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو (١) ، ثُمَّ لَمْ تَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا مَرَّتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا بَعْدَ تَزْوِجِهِ خَدِيجَةَ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - جَاءَتْهُ تَشْكُو إِلَيْهِ السَّنَةَ ، وَأَنَّ قَوْمَهَا قَدْ أُسْنَتُوا (٢)
فَسَكَّرَهَا خَدِيجَةَ ، فَأَعْطَتْهَا عِشْرِينَ رَأْسًا مِنْ غَنَمٍ وَبَكْرَاتٍ ، وَالْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ : يَوْمَ
حُنَيْنٍ (٣) وَسَيَأْتِي ذِكْرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

تأويل النور الذي رأته آمنه :

فصل : وذكّر النورَ الذي رأته آمنه ، حين ولدته عليه السلام ، فأضاءت
لها قصور الشام ، وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد ، حتى كانت الخلافةَ فيها
مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلادُ وغيرُها بنوره - صلى الله عليه وسلم -
وكذلك رأى خالدُ بنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي قَبْلَ الْمَبْعَثِ يَسِيرًا نُورًا يُخْرِجُ مِنْ
زَمْرَمَ ، حَتَّى ظَهَرَتْ لَهُ الْبُسْرُ (٤) فِي نَخِيلِ يَثْرِبَ ، فَقَصَّهَا عَلَى أَخِيهِ عَمْرٍو ،

(١) يعنى ابن عبد البر . وفي الاصل : عمرو وهو خطأ . وفي المواهب
نقلًا عن ابن عبد البر أنها ردت بعد خمس وبومين ، وتفيد بعض الروايات أنها
ردته في السنة الثالثة ، أو الرابعة ، أو السادسة ، وجزم الحافظ العراقي وابن
حجر أنها ردت في الرابعة ص ١٥٠ ج١ المواهب .

(٢) أسنتوا : أجدبوا .

(٣) ذكره الاموى .

(٤) البسر أوله : ططلع ثم : خلال بالفتح ، ثم بلح بفتحين ، ثم مبسر ،

ثم : رطب ثم : تمر .

عود إلى حديث ابن إسحاق :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ما مِن نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدَرَ عَى النَّعَمِ ، قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لأصحابه : « أنا أعرَبُكُمْ ، أنا قرشيٌّ ، واشترُضتُ في بني سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ » . [حديث ضعيف] قال ابن إسحاق : وزعم الناسُ فيما يتحدثون ، والله أعلم : أن أمَّ السعدية لما قدمت به مكة أضلَّها في الناس ، وهي مقبلة به نحو أهله ، فالتمسته فلم تجده ، فأتت عبد المطلب ، فقالت له : إني قد قدِمتُ بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضلَّني ، فوالله ما أدري أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجدَه ورقةُ بنُ نوفل بنِ أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناهُ بأعلى مكة ، فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه ، وهو يطوف بالكعبة يُعوِّذه ويدعوه ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم ، أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه ، مع ما ذكرتُ لأمه مما أخبرتها عنه ، أن نقرأ من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعدَ فِطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه وقلَّبوه ، ثم قالوا لها : لَنَا خَدَنٌ هَذَا الْغَلَامَ ، فَلَنَذْهَبَنَّ بِهِ إِلَى مَلِكِنَا وَبَلَدِنَا ؛ فَإِنْ هَذَا غَلَامٌ كَأَنَّ لَهُ شَأْنَ نَحْنُ نَعْرِفُ أَمْرَهُ ، فزعم الذي حدثني أنها لم تسكِّدْ تنفلت به منهم

فقال له : إنها حَفِيرَةٌ عبدِ المطلبِ ، وإن هذا النورَ منهم ، فكان ذلك سببَ مُبادرتِهِ إلى الإسلام .

وفاة أمّنة

وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بعدها

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أمّنة بنت وهب ، وجده عبد المطلب بن هاشم في كَلَاءَةِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ ، يُدَبِّتُهُ اللَّهُ نَبَاتًا حَسَنًا ، لَمَا يَرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - سِتِّ سِنِينَ ، تُوَفِّيَتْ أُمُّهُ أَمْنَةَ بِنْتَ وَهَبٍ .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم :

أَنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَمْنَةَ تُوَفِّيَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - ابن ستّ سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، كانت قد قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، تَزِيرُهُ إِيَّاهُمْ ، فَمَاتَتْ ، وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ إِلَى مَكَّةَ .

قال ابن هشام : أمّ عبد المطلب بن هاشم : سَلَمَى بِنْتُ عَمْرٍو النَّجَّارِيَّةُ فَهَذِهِ الْحُمُولَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِيهِمْ .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يُوضَعُ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ فِرَاشٌ فِي ظِلِّ السَّكْبَةِ ، فَكَانَ بَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَ فِرَاشِهِ ذَلِكَ ، حَتَّى يُخْرَجَ إِلَيْهِ ، لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إِجْلَالًا لَهُ ، قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَأْتِي ، وَهُوَ غُلَامٌ جَنَمٌ ، حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ ، فَيَأْخُذُهُ أَعْمَامُهُ ، لِيُوَخَّرُوهُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ

إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابْنِي ، فوالله إن له لشأنا ، ثم يُجلسه معه على الفراش ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

رعي الغنم :

فصل : وذكر قول النبيّ - صلى الله عليه وسلم : « ما من نبيّ إلا وقد رعى الغنم » . قيل : وأنت يارسول الله ؟ قال : وأنا . وإنما أراد ابن إسحاق بهذا الحديث رعايته الغنم في بني سعدٍ مع أخيه من الرضاعة ، وقد ثبت في الصحيح أنه رعاها بمكة أيضا على قرابط لأهل مكة . ذكره البخاري ، وذكر البخاري عنه أيضا أنه قال : ما هممت بشيء من أمر الجاهلية إلا مرتين ، وروى أن إحدى المرتين كان في غنم يرعاها هو وغلام من قريش ، فقال لصاحبه : اكنفني أمر الغنم حتى آتي مكة ، وكان بهأعرس فيها لهو وزمره . فلما دنا من الدار ليحضر ذلك ، ألقى عليه النوم ، فنام حتى ضربته الشمس عصمة من الله له . وفي المرة الآخرة قال لصاحبه مثل ذلك ، وألقى عليه النوم فيها ، كما ألقى في المرة الأولى . ذكر هذا المعنى ابن إسحاق في غير رواية البكائي . وفي غريب الحديث للقتبي : « بعث موسى - صلى الله عليه وسلم - وهو راعي غنم ، وبعث داود - صلى الله عليه وسلم - وهو راعي غنم ، وبعثت ، وأنا راعي غنم أهل بأجياد^(١) » وإنما جعل الله هذا في الأنبياء

(١) جبل بمكة ، وهما أجيادان كبير وصغير ، وهما حلتان بمكة . وقيل فيه : جباد بنير ألف وقد سبق .

تَقْدِمَةً لَهُمْ ، لِيَكُونُوا رِعَاةَ الْخَلْقِ ، وَلِتَكُونَ أُمَّمُهُمْ رِعَايَاهُمْ ، وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ يَنْزِعُ عَلَى قَلْبَيْ (١) وَحَوْلَاهَا غَنَمٌ سُودٌ ، وَغَنَمٌ عُفْرٌ (٢) . قَالَ : ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَزَعَّ نَزْعًا ضَعِيفًا ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ عَزْبًا (٣) يَعْنِي : الدَّلْوُ ، فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا يَغْفِرُ قَرِيْبَهُ (٤) فَأَوْلَاهَا النَّاسُ فِي الْخِلَافَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَلَوْلَا ذِكْرُ الْغَنَمِ السُّودِ وَالْعُفْرِ لَبَعْدَتْ الرُّوْيَا عَنْ مَعْنَى الْخِلَافَةِ وَالرِّعَايَةِ ؛ إِذِ الْغَنَمُ السُّودُ وَالْعُفْرُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ لَمْ يَذْكُرُوا الْغَنَمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ . ذَكَرَهُ الْبَزَّازُ فِي مُسْتَدْرِكِهِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَيْضًا ، وَبِهِ يَصِحُّ الْمَعْنَى ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

في كفاية العم :

فصل : وذكر كَوْنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي كِفَالَةِ عَمِهِ يَكْتَلُوهُ

(١) القليب : البئر قبل أن تبني بالحجارة ونحوها يذكر ويؤنث . وقال أبو عبيدة : هي البئر العادية القديمة . ونزع الدلو : استقى بها .

(٢) العفر : جمع عفراء : ما يعلو بياضها حمرة ، أو البياض ليست بالشديدة البياض ، أو التي في سراتها حمرة ، وخاصرتها بياض . والسراة : أعلى الظهر والوسط

(٣) السدلو العظيمة .

(٤) يعمل عمله العظيم ، ويقطع قطعه . وفسره به فقال : بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الياء أيضا ، والحديث متفق عليه بدون ذكر الغنم . وحديث : أنا أعربكم رواه ابن سعد والطبراني ، وفي روايته مبشر بن عبيد ، وهو متروك ، وقال السيوطي : ضعيف .

وَيَحْفَظُهُ . فَمِنْ حَفَظَ اللهُ لَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَتِيمًا لَيْسَ لَهُ أَبٌ يَرْحَمُهُ ، وَلَا أُمَّ تَرَأَاهُ (١) لِأَنَّهَا مَاتَتْ ، وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَكَانَ عِيَالُ أَبِي طَالِبٍ ضَفَفًا ، وَعَيْشُهُمْ شَفَفًا (٢) ، فَكَانَ يَوْضِعُ الطَّعَامَ لَهُ وَلِلصَّبِيِّ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي طَالِبٍ ، فَيَتَطَاوَلُونَ إِلَيْهِ ، وَيَتَقَاصِرُ هُوَ ، وَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ ، وَتَنْقَبِضُ يَدُهُ تَكَرُّمًا مِنْهُ وَاسْتِحْيَاءً وَنِزَاهَةً نَفْسٍ وَقِنَاعَةً قَلْبٍ ، فَيَصْبَحُونَ غُصْمًا رُغْمًا ، مُصْفَرَّةً أَلْوَانُهُمْ (٣) وَيُصْبِحُ هُوَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - صَقِيلًا دَهِينًا (٤) كَأَنَّهُ فِي أَنْعَمِ عَيْشٍ ، وَأَعَزِّ كِفَايَةٍ ، لُطْفًا مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِهِ . كَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْفَتْحِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ .

موت آمنه وزيارتها لها :

فصل : وذكر موت أمه آمنه بالأبواء ، وهو موضع معروف بين مكة

(١) تحبه وتحنو عليه وتعطف . والمذكور في السيرة مع الحفظ والسكارة هو : عبد المطالب ، لا أبو طالب كما في الروض .

(٢) الضفف : كثرة العيال . والشظف والشظاف : الضيق والشدة ، ويبس العيش وشدته .

(٣) الرغص - كما في الصحاح - وسخ يجتمع في الموق ، فإن سال فهو غمص ، وإن جمد فهو رمص ، يقال : عين رمصاء ، وهو أرمص . وهو أغمص ، وهي غمصاء (٤) صقيل : مجلوع . ودهين : مدهون بالدهن كناية عن حسنه ونضارته .

وفي حديث الرضاع كليات نفسرها هنا : ظئر : أصلها الناقة التي تعطف على ولد غيرها ، فتدر عليه ، فسميت المرأة التي ترضع ولد غيرها ظئرا . والجفرف : الغليظ الشديد . منتقع : متغير . الحافل : الممتلئة الضرع . اربعى علينا : أقبى وانتظري . والمعجف : الهزال « عن الحشني ص ٥٦ »

والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب كأنه سُمِّيَ بجمع بَوَّ ، وهو جلد الخولر^(١)
المَحْشُوُّ بالتبين وغيره ، وقيل : سُمِّيَ بالأبواء لتبوء الشُّيُولِ فيه ، وكذلك
ذَكَرَ عَنْ كَثِيرٍ . ذَكَرَهُ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ .

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — زَارَ قَبْرَ أُمِّهِ
بِالْأَبْوَاءِ فِي أَلْفِ مُقَمَّعٍ ، فَبَكَى وَأَبَكَى ، وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ^(٢) ، وَفِي الصَّحِيحِ
أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ : اسْتَأْذَنْتَ رَبِّي فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّي ، فَأَذَنَ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتَهُ أَنْ اسْتَغْفِرَ
لَهَا ، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي^(٣) . وَفِي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ مِنْ حَدِيثِ بَرِيدَةَ أَنَّهُ — صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — حِينَ أَرَادَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِأُمِّهِ ، ضَرَبَ جَبْرَيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
صَدْرِهِ ، وَقَالَ لَهُ : لَا تَسْتَغْفِرْ لِمَنْ كَانَ مُشْرِكًا ، فَرَجَعَ وَهُوَ حَزِينٌ .

وَفِي الْحَدِيثِ زِيَادَةٌ فِي غَيْرِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ بُكَائِهِ ، فَقَالَ : ذَكَرْتُ
ضَعْفَهَا وَشِدَّةَ عَذَابِ اللَّهِ ، إِنْ كَانَ صَحَّ هَذَا .

(١) وَلِدِ النَّاقَةِ حَتَّى يَفْصَلَ . وَذَكَرَ صَاحِبُ الْمَرَاصِدِ : أَنَّ الْأَبْوَاءَ قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْفَرَعِ
وَالْفَرَعُ قَرْيَةٌ مِنْ نَوَاحِي الرِّبْدَةِ عَنِ يَسَارِ السَّقِيَا ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَةٌ بَرْدٍ ، مِنْ
الْمَدِينَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجَحْفَةِ مِائَةٌ إِلَى الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ مَيْلًا . وَقِيلَ : جَبَلٌ عَنِ
يَمِينِ آرِهِ وَيَمِينِ الْمُصْعَدِ إِلَى مَكَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ .

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَفِيهِ : وَثِمَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ
ابْنُ الْخَطَّابِ ، وَفَدَاهُ بِالْأَبِ وَالْأُمِّ ، وَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ، مَا لَكَ ؟ قَالَ : إِنِّي سَأَلْتُ
رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْاسْتِغْفَارِ لِأُمِّي ، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، فَدَمَعَتْ عَيْنَايَ رَحْمَةً لَهَا
مِنَ النَّارِ .

(٣) مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَةَ .

وفي حديثٍ آخرَ ما يُصَحِّحُهُ ، وهو أن رجلاً قال له : يا رسولَ الله : أين
أبي ؟ فقال : في النار ، فلما ولىَّ الرجلُ ، قال عليه السلام : إن أبي وأباك
في النار (١) ، وليس لنا أن نقولَ نحن هذا (٢) في أبيه — صلى الله عليه وسلم
لقوله عليه السلام : لا تُؤذُوا الأحياءَ بِسَبِّ الأُمواتِ ، واللهُ عزَّ وَجَلَّ
يقول : ﴿ إن الذين يُؤذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ [لنهم الله في الدنيا والآخرة] ﴾

(١) في رواية مسلم : فلما قفا : دعاه ، فقال : إن أبي وأباك في النار . والحديث
رواه أبو داود أيضا . وقيل عن الرجل الذي سأل : أنه أبو رزين العقيلي
أو حصين بن عبيد والد عمران . وفي مسند أحمد أن أبا رزين سأل عن أمه : أين هي ،
فقال : كذلك . هذا ، وقد ذكر البيهقي عدة أحاديث في هذا ، ثم قال بعد روايته
لها في دلائل النبوة : وكيف لا يكون أبواه وجده - عليه الصلاة والسلام - بهذه
الصفة في الآخرة ، وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ، ولم يدينوا دين
عيسى بن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يقدر في نسبه - عليه الصلاة والسلام -
لأن أنكحة الكفار صحيحة . الأترام يسلمون مع زوجاتهم ، فلا يلزمهم تجديد
العقد ، ولا مفارقتن إذا كان مثله يجوز في الإسلام ، ويقول ابن كثير :
« وإخباره عن أبيه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا يناق في الحديث
الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون
في العرصات يوم القيامة كما بسطناه سندا ومتنا — في تفسيرنا — عند تفسير
قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الإمرأ : ١٥ . فيكون منهم من
يجيب ، ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب ، فلا منافاة والله
الحمد والمنة ، ص ٢٨١ ج ٢ البداية ، ورغم هذا فإنني أذكر بقول الله : (تلك أمة
قد خلت لها ما كسبت ، وألهم ما كسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون)
البقرة : ١٤١ .

(٢) إذا سئلنا صدعنا بالحق .

الأحزاب : ٧٥ . وإنما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لذلك الرجل هذه
المقالة ، لأنه وجد في نفسه ، وقد قيل : إنه قال : أين أبوك أنت ؟ فحينئذ قال
ذلك ، وقد رواه مَعْمَرُ بن راشدٍ بغير هذا اللفظ ، فلم يذكر أنه قال له : إن
أبي وأباك في النار ، ولكن ذكر أنه قال له : إذا مررتَ بقبرِ كافرٍ ، فبشره
بالنار (١) ، ورُوِيَ حديثٌ غريبٌ لعله أن يصحَّ . وجدته بخط جدِّي أبي عمران
أحمد بن أبي الحسن القاضي - رحمه الله - بسندٍ فيه مجهولون ، ذكر أنه نقله من
كتابٍ ، انسخ من كتابِ مَعُوذِ بن داود بن مَعُوذِ الزاهدٍ رفعه إلى [عبد الرحمن
ابن] [أبي الزناد عن] [هشام بن] [عروة ، عن] [أبيه عن] [عائشة - رضی الله عنها - أخبرت أن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سأل ربه أن يُحْيِي أبويه ، فأحياهما له ، وآمنا به ،
ثم أماتهما ، والله قادر على كلِّ شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيُّه
عليه السلام أهلٌّ أن يُخَصَّه بما شاء من فضله ، ويُنعم عليه بما شاء من كرامته
- صلوات الله عليه وآله وسلم - قال القرطبي في تذكرته : جزم أبو بكر
الخطيب في كتاب : السابق واللاحق ، وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب
الناسخ والنسوخ له في الحديث بإسناديهما عن عائشة - رضی الله عنها -
قالت : حجَّ بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجة الوداع ، فر على قبر أمه ،
وهو باكٍ حزينٌ مُتَمِّمٌ ، فبكيت لبكائه - صلى الله عليه وسلم - ثم إنه نزل
فقال : يا أحميراء استمسكي ، فاستندتُ إلى جنبِ البعير ، فمكثتُ عنى طويلاً
مَلِيًّا ، ثم إنه عاد إلي ، وهو قَرِحٌ مُتَمِّمٌ ، فقلت له : بأبي أنت وأمي

(١) ورواه البيهقي والبخاري والطبراني في الكبير وفيه عن الأب : إنه في النار
وقال عنه ابن كثير : غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وفاة عبد المطلب : ومارثي به من الشعر

فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم ، وذلك بعد الفيل بثمانى سنين .

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، عن بعض أهله : أن عبد المطلب توفى ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن ثمانى سنين

يارسول الله نزلت من عندى ، وأنت باك حزين مُقْتَمٌ . فبكيت لبكائك .
ثم عدت إلى ، وأنت فَرِحَ مَبْتَسِمٌ ، فَمِمَّ ذَا يارسول الله ، فقال : ذهبت لقبر
أمنة أُمى ، فسألت أن يحييها ، فأحيها فأمنت بي (١) ؛ أو قال : فأمنت .
وردها الله عز وجل .

(١) قال ابن كثير في البداية عن حديث ابن أبي الزناد : منكر جداً . وقال
في التفسير عن أحد الأحاديث : وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي
في كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة أن الله أحيأمه
الخ وقال الدارقطني : باطل ، وكذا ما رواه السهيلي في الروض بسند فيه جماعة مجهولون
أن الله أحيأ له أباه وأمه ، وقال ابن دحية عن حديث إحياء الأم : وهذا الحديث
موضوع يردده القرآن والإجماع . قال تعالى : « ولا الذين يموتون ، وهم كفار ،
وقال : دُفِئَتْ وهو كافر ، فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة ، بل
لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ، وكيف بعد الإعادة ، ص ١٦٨ ح ١ المواهب .

وقيل إن أمه ماتت وسنه أربع كما حكى العراقي ومغلطاي ، وقيل : ست وبه
قطع ابن إسحاق ، وقيل : سبع كما حكاه ابن عبد البر ، وقيل : تسع ، وينسب إلى
حكاية مغلطاي أيضاً ، وقيل : اثنتا عشرة سنة وشهر وعشرة أيام ، وينسب إلى حكاية
مغلطاي . وقيل : ثمان ، وهو قول ابن حبيب .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن سعيد بن المسيَّب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة ، وعرف أنه ميت جمع بناته ، وكنَّ ست نسوة : صفية ، وبرّة ، وعاتكة ، وأمّ حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى ، فقال لهن : ابكين عليّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت .

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيَّب ، كتبناه :

فقلت صفيّة بنت عبد المطلب تبكي أباه :

أرقتُ لصوت نائحةٍ بدليلٍ	على رَجُلٍ بقارعة الصَّعيدِ
ففاصتْ عند ذلكم دُموعي	على خدي كمنحدر الفريدِ
على رَجُلٍ كريمٍ غيرِ وغلٍ	له الفضلُ المبين على العبيدِ
على الفيّاض شيبَةَ ذي المعالي	أيك الخَيْرِ وارثِ كلِّ جودِ
صدوق في المواطن غير نكسٍ	ولاشختِ المقام ولا سنيدي
طويلِ الباع ، أروع شيطميّ	مُطاع في عشيرته حميدي
رفيعِ البيت أبلج ذى فضولٍ	وغيثِ النَّاسِ في الزَّمنِ الحرودي
كريمِ الجَدِّ ليس بندي وُصومٍ	يروقُ على السُّودِّ والمَسودِ
عظيمِ الحليم من نقرِ كرامٍ	خَصَّارِمَةٍ ملاوثةٍ أسودِ
فلو خَدَّ امرؤٌ لتقديمِ مجدٍ	ولكن لا سبيلَ إلى الخلودِ
لكان مُخَدِّداً أُخرى اللَّيالي	لفضلِ المجدِ والحسبِ التَّليدِ

• • • • •

وقالت برة بنت عبد المطلب تبكي أباه :

أَعْيَنِي جُودًا بِدَمْعِ دِرَزٍ عَلَى طَيِّبِ الْخِيَمِ وَالْمُنْتَصِرِ
عَلَى مَاجِدِ الْجَدِّ وَارِي الزَّنَادِ جَمِيلِ الْمُحْيَا عَظِيمِ الْخَطَرِ
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَذِي الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُنْتَخَرِ
وَذِي الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ فِي النَّائِبَاتِ كَثِيرِ الْمَكَارِمِ ، جَمِّ الْفَجَرِ
لَهُ فَضْلٌ مَجْدٌ عَلَى قَوْمِهِ مُنِيرٌ ، يَلُوحُ كَقَصْوَةِ الْقَمَرِ
أَنْتَهُ الْمَنَايَا ، فَلَمْ تُشَوِّهِ بَصْرَفِ الْإِيَالَى ، وَرَبِّ الْقَدَرِ

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباه :

أَعْيَنِي جُودًا ، وَلَا تَبْخَلَا بِدَمْعِكَا بَعْدَ نَوْمِ النَّيَامِ
أَعْيَنِيَّ وَاسْتَحْنَفِرَا وَاسْكُبَا وَشُوبَا بِكَاءِ كَمَا بِالتَّيْدَامِ
أَعْيَنِي ، وَاسْتَخْرِطَا وَاسْجُمَا عَلَى رَجُلٍ غَيْرِ نِكْسِ كَهَامِ
عَلَى الْجَحْفَلِ الْعَمْرِ فِي النَّائِبَاتِ كَرِيمِ الْمَسَاعِي ، وَفِي الذَّمَامِ
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ ، وَارِي الزَّنَادِ وَذِي مَصْدُقٍ بَعْدُ ثَبِتِ الْمَقَامِ
وَسَيْفِ لَدَى الْحَرْبِ صَمَّصَامَةَ وَمِرْدَى الْمُخَاصِمِ عِنْدَ الْحَصَامِ
وَسَهْلِ الْخَلِيقَةِ طَلَقِ الْيَدَيْنِ وَفِي عُدْمِ لِي صَمِيمِ لِهَامِ
تَبَنَّكَ فِي بَاذِخِ بَيْتِهِ رَفِيعِ الذُّؤَابَةِ صَعْبِ الْعَرَامِ

وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكي أباه :

أَلَا يَا عَيْنُ جُودِي وَاسْتَهْلِي وَبَكِّي ذَا النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ

.....

أَلَا يَا عَيْنٌ وَيَمْحَكَ أَسْعَفِينِي بدمع من دُمُوعِ هَاطَلَاتِ
وَبَكِّي خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا أَبَاكَ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفُرَاتِ
طَوِيلِ الْبَاعِ شَيْبَةَ ذَا الْمَعَالِي كَرِيمِ الْخَلِيمِ مُحَمَّدِ الْهَبَاتِ
وَصُؤلاً لِلْقَرَابَةِ هِرْزِيًّا وَغَيْثَا فِي السَّيْنِ الْمُسْحَلَاتِ
وَلَيْثَا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي تَرُوقُ لَهُ عُيُونُ النَّاطِرَاتِ
عَقِيلَ بَنِي كِنَانَةَ وَالْمَرْجَى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَقْبَلَ بِالْهِنَاتِ
وَمَفْرَعَهَا إِذَا مَا هَاجَ هَيْجٌ بَدَاهِيَةَ ، وَخَصَمَ الْمُفْضَلَاتِ
فَبَكِيهِ ، وَلَا تَسْمِي بِحُزْنٍ وَبَكِّي ، مَا بَقِيَتْ ، الْبَاكِيَاتِ

وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكي أباه:

أَلَا هَلَّاكَ الرَّاعِي الْعَشِيرَةَ ذُو النَّمَدِ وَسَاقِي الْحَجِيجِ ، وَالْحَامِي عَنِ الْمَجْدِ
وَمَنْ يُؤَلِّفُ الصَّيْفَ الْغَرِيبَ بِيوتِهِ إِذَا مَا سَمَاءَ النَّاسِ تَبْتَخَلُّ بِالرَّعْدِ
كَسَبْتَ وَلِيداً خَيْرَ مَا يَكْسِبُ الْفَتَى فَلَمْ تَنْفَكِكِ تَزْدَادُ يَا شَيْبَةَ الْحَمْدِ
أَبُو الْحَارِثِ الْفَيَّاضُ ، خَلَى مَكَانَهُ فَلَا تَتْبَعْدَنَ ، فَكَلِّ حَى إِلَى بُعْدِ
فَإِنِّي لِبَاكِ — مَا بَقِيَتْ — وَمَوْجَعٌ وَكَانَ لَهُ أَهْلًا لِمَا كَانَ مِنْ وَجْدِ
سَقَاكَ وَلِيُّ النَّاسِ فِي الْقَبْرِ مُمِطِراً فَسَوْفَ أَبْكِيهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْأَحْدِ
فَقَدْ كَانَ زَيْنَاً لِلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا وَكَانَ حَمِيداً حَيْثُ مَا كَانَ مِنْ حَمْدِ

وقالت أروى بنت عبد المطلب تبكي أباه:

بَكَتْ عَيْنِي ، وَحَقُّ لَهَا الْبُكَاهُ عَلَى تَمْنَحٍ ، سَجِيئَةُ الْحَيَاهُ

.....

عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِي كَرِيمِ الْخَلِيمِ ، نَيْتَهُ الْعَلَاءِ
عَلَى الْفَيَاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي أَيْبِكِ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
طَوِيلِ الْبَاعِ أَمْلَسَ ، شَيْطَمِيَّ أَغْرَ كَانَ غُرْتَهُ ضِيَاءُ
أَقَبَّ السَّكْشَحِ ، أَرْوَعِ ذِي فُضُولِ لَهُ الْمَجْدُ الْمَقْدَمُ وَالسَّنَاءُ
أَبِي الضَّمِيمِ ، أَبْلَجَ هَبْرِيَّ قَدِيمِ الْمَجْدِ لَيْسَ لَهُ خَفَاءُ
وَمَعْقِلِ مَالِكِ ، وَرَبِيعِ فِهْرِ وَفَاصِلِهَا إِذَا التَّمَسَ الْقَضَاءُ
وَكَانَ هُوَ الْفَتَى كَرَمًا وَجُودًا وَبِأَسَا حِينَ تَنْسُكِبُ الدَّمَاءُ
إِذَا هَابَ السَّكْمَةُ الْعَمُوتَ حَتَّى كَانَ قُلُوبَ أَكْثَرِهِمْ هَوَاءُ
مَضَى قَدُمًا بَدَى رُبْدَ خَشِيبِ عَلَيْهِ حِينَ تُبْصِرُهُ الْبِهَاءُ

قال ابن إسحاق : فرزع لي محمد بن سعيد بن المسيب أنه أشار برأسه ، وقد
أضمت : أن هكذا فابكيني .

قال ابن هشام : المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران
ابن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي
يبكي عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويذكر فضله ، وفضل قصي على
قريش ، وفضل ولده من بعده عليهم ، وذلك أنه أخذ بغيره أربعة آلاف درهم
بمكة ، فوقف بها فمرّ به أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، فافتكّه :

أَعْيَى جُودًا بِاللُّمُوعِ عَلَى الصَّدْرِ وَلَا تَسَامَا ، أَسْقِيْتِمَا سَبَلَ الْقَطْرِ

وجُوداً بدمعٍ، واسفحاً كلَّ شارِقٍ
 وسُحّاً، وُجماً، واسجُماً ما بقيتما
 على رجلِ جَدِّ القَوَى، ذى حَفِيظَةِ
 على الماجدِ البُهُولِ ذى الباعِ واللّهِى
 على خَيْرِ حَافٍ من مَعَدَّةٍ وناعلِ
 وخيرِهم أَصلاً وفرعاً ومعدّنا
 وأولّاهمُ بِالْمَجْدِ وَالْحِلْمِ والنّهَى
 على شَيْبَةِ الحَمْدِ الذى كان وجهُهُ
 وساقى الحَجِيجِ ثم للخُبَيْرِ هاشمِ
 طوى زَمْرَ ما عند المَقامِ، فأصبحتُ
 لِيَبِيكَ عَلَيْهِ كُلُّ عَانٍ بِكُرْبَةٍ
 بنوه سِرّاءٌ، كَهَلْهُمُ وشَبَاهُهُمْ
 قُصَى الذى عادى كِنانَةَ كَلِّها
 فإن تَكُ غالتُهُ الأمانيا وصَرَّهْها
 وأبقَى رِجالاً سادَةً غيرَ عَزَلِ
 أبو عَعبَةَ المُلْتَقَى إلى حِباءِها
 وحمزةٌ مِثْلُ البَدْرِ، يَهْتَرُ للندى
 وعبدُ منافِ ماجدِ ذو حَفِيظَةِ
 كَهولُهُمُ خَيْرُ الكُهولِ، ونَسَلُهُمُ

بُكاءِ امرئٍ لم يَشُوهُ نائِبُ الدَّهْرِ
 على ذى حَياءٍ من قُرَيْشٍ، وذى سِنْدِ
 جميلِ المُحَيّا غيرِ نَكسٍ ولا هَدْرٍ
 ربيعِ لُوىٍّ فى التُّحُوطِ وفى المُسرِّ
 كَرِيمِ المِسامِى، طيبِ الخِمْ والنَّجْرِ
 وأحْظَاهُمُ بِالْمَكْرُماتِ وبِالذِّكْرِ
 وبالْفَضْلِ عند المَجْجِفاتِ مِنَ العُبرِ
 يَضِيءُ سِوَادَ اللَّيْلِ كالقَمَرِ البَدْرِ
 وعبدُ منافِ، ذلِكَ السَّيِّدِ الفِهرى
 سِقايتُهُ فَخْرًا على كُلِّ ذى فَخْرِ
 وآلُ قُصَىٍّ من مُقِلِّ ذى وَفْرِ
 نَفَلَقَ عَنهُمُ بِيضَةَ الطائِرِ الصَّقرِ
 ورابطَ بَيْتَ اللَّهِ فى العُسْرِ واليُسْرِ
 فقد عاشَ مَيْمُونٌ النَّقِيبَةَ والأمرِ
 مِصالِيتَ، أمثالَ الرُّدْبِنيَّةِ السُّمْرِ
 أغرٌّ، هِجانَ اللّوْنِ من نَفَرِ غُرِّ
 نَقى الثيابِ والذِّمامِ مِنَ العَدْرِ
 وَصولَ لَدى القُرْبى رَحيماً بَدى الصَّهْرِ
 كَنَسَلِ المُلوكِ، لانتَبورَ ولا تَحْرِى

متى ما تلاقى منهم الدهر ناشئنا
 ثم ملئوا البطحاء مجدأ وعزة
 وفيهم بناء للعلماء ، وعمارة
 بإنساح عوف بنته ، ليجيرنا
 فسرنا تهايم البلاد وتجدها
 وهم حضروا والناس باد فريتهم
 بنوها دياراً جمّة ، وطووا بها
 لكي يشرب الحجّاج منها ، وغيرهم
 ثلاثة أيام تظلّ ركابهم
 وقدما غنينا قبل ذلك حقة
 وهم يفرّون الذنب ينقم دونه
 وهم جموا حلف الأحابيش كلها
 فخارج ، إماماً أهليكن ، فلا نزل
 ولانس ما أسدى ابن لئبي ؛ فإنه
 وأنت ابن لئبي من قصي إذا انتموا
 وأنت تناولت الملا ، فجمعتها
 سبقت ، وقت القوم بذلاً وناثلاً
 وأمك سري من خزاعة جوهر
 إلى سبأ الأبطال ننى ، وتلتى

تحذه بإجزياً أوائله يجرى
 إذ أسدى الخيرات في سالف العصر
 وعبد مناف جدتم ، جابر الكسر
 من أعدائنا إذ أسلمتنا بنو فهر
 بأمنه حتى خاضت العير في البحر
 وليس بها إلا شيوخ بنو عمرو
 بثاراً تسح الماء من نبع البحر
 إذا ابتدروها صبح تابعة النخر
 تحيسة بين الأخاشب والحجر
 ولا نستقى إلا بجم أو الحفر
 ويؤمنون عن قول السفاهة والأهجر
 وهم نكلوا عنأ غواة بنى بكر
 لهم شاكرأ حتى تقيب في القبر
 قد أسدى بدأ تحفوقة منك بالشكر
 بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر
 إلى محتد للمجد ذى تسج جسر
 وسدت وليدا كل ذى سؤدد غمر
 إذا حصل الأنساب يوماً ذووا الخبر
 فأكرم بها منسوبة في ذرا الزهر

أَبُو شَمِيرٍ مِنْهُمْ ، وَعَمْرُو بْنُ مَالِكٍ وَذُو جَدَانٍ مِنْ قَوْمِهَا وَأَبُو الْجُبْرِ
وَأَسْعَدُ قَادَ النَّاسِ عَشْرِينَ حِجَّةً يُؤَيِّدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ بِالنَّصْرِ

قال ابن هشام : « أمك سيرة من خراعة » ، يعني : أبا لهب ، أمه : لُبَيْبَةُ
بنت هاجر الخزاعي . وقوله : « يا جرياً أوائله » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المطلب
وَبَنِي عَبْدِ مَنْفٍ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ هَلَّا سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنْفٍ
هَبَّتْكَ أُمَّكَ ، لَوْ حَلَلْتَ بَدَارَهُمْ ضَمِنُوكَ مِنْ جُرْمٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ
الْخَالِطِينَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
الْمُنْعَمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَفَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِبْلَافِ
وَالْمُنْعَمِينَ إِذَا الرِّيَّاحُ تَنَاوَحَتْ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ
إِنَّمَا هَلَكْتَ أبا الفَعَالِ فَمَا جَرَى مِنْ فَوْقِ مِثْلِكَ عِقْدَ ذَاتِ نِطَافِ
إِلَّا أَيْبُكَ أَخِي الْمَكَارِمِ وَحَدَاهُ وَالْفَيْضِ مُطَلِّبِ أَبِي الْأَضْيَافِ

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولي زمزم والسقاية
عليهما بعده العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ من أحدث إخوته سناً ، فلم
تزل إليه ، حتى قام الإسلام وهي بيده . فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم له
على ما مضى من ولايته ، فهي إلى آل العباس ، بولاية العباس إياها ، إلى
اليوم .

كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- بعد عبد المطلب مع عمِّه أبي طالب ، وكان عبدُ المطلب - فيما يزعمون - يُوصى به عمِّه أبا طالب ، وذلك لأنَّ عبدَ الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا طالب أخوان لأب وأمَّ أُمُّهُمَا : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم [بن بَقَّةَ بن مُرَّة] .

قال ابن هاشم : هائذ بن عمران بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جدِّه ، فكان إليه ومعه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه : أن رجلا من لُهب - قال ابن هشام : ولُهب : من أزد شنوءة - كان عائفاً ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بفيلمانهم ينظر إليهم ، ويعتاف لهم فيهم . قال : فأتى به أبو طالب ، وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغلام . علىَّ به ، فلما رأى أبو طالب حرَّصه عليه غيَّبه عنه ، فجعل يقول : وَيَلِكُكُمْ ! رُدُّوا علىَّ الغلام الذى رأيت آنياً ، فوالله لَيَسْكُونَنَّ له شأن . قال : فانطلق أبو طالب .

وفاة عبد المطلب

قول صفية :

ففاضت عند ذلك دُموعي على خدي كمنحدر الفريد

يروى : كمنحدر بكسر الدال أى : كالدر المنحدر ، ومنحدر بفتح الدال
فيكون التشبيه راجعاً للفيض ، فعلى رواية الكسر : شَبَّهت الدمعَ بالدرِّ الفريد ،
وعلى رواية الفتح شَبَّهت الفيضَ بالأحداًرِ .

وقولها : أَيْبِكِ الْخَيْرِ . أرادت : الْخَيْرُ نَحَفْتُ ، كما يقال : هَيْنٌ وَهَيْنٌ ، وفي
التنزيلِ : (خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) الرحمن : ٧٠ . وكان اسمُ أمِّ الدرداءِ : خَيْرَةٌ بنتُ أبي
حَدْرَدٍ (١) وكذلك أم الحسن بن أبي الحسنِ البصرى ، اسمُها : خَيْرَةٌ ، فهذان
المخفف ، ويموز أن يكونَ الْخَيْرُ هُنَا هُوَ ضِدُّ الشَّرِّ ، جعلته كله خيراً على المبالغة
كما تقول : ما زيدٌ إلاَّ عِلْمٌ أو حُسْنٌ ، وما أنت إلاَّ سَيْرٌ ، وهو تجاز حَسَنٌ ،
فعلى هذا الوجه لا يثنى ولا يُجمع ولا يؤنثُ ، فيقال : خَيْرَةٌ .

(١) هى صحابية ، وكانت زوجا لآبى الدرداء . وكانت له زوجتان كل
واحدة منهما كنيتهما : أم الدرداء ، وهما كبرى وصغرى . والكبرى : هى الصحابية ،
والصغرى : تابعة ، وهى التى روت فى الصحيح ، أما الكبرى فليس لنا فى الصحيحين
حديث ، وهى خَيْرَةُ بنتُ أبى حدرد ، واسمها : سلامة بن عمير . وهى أصلية
وفى القاموس : أبو الحدرد الأسلى : صحابى ، ولم يجهى . فمعلتغ بتكرير العين
غيره . والحدرد : القصير .

وقولها : ولا شَخَتْ المقامِ ولا سَنَيْدُ : الشَّخْتُ : [الدقيق الضامِرُ لا هُزَّ الأ]
ضدُّ الضَّخْمِ ، تقول : ليس كذلك ، ولكنه ضَخْمٌ المقامِ ظاهرُهُ . والسَّيْدُ :
الضَّعِيفُ الذي لا يَسْتَقِيلُ بنفسه ، حتى يَسْنُدَ رأيه إلى غيره .

وقولها : خَضَارِمَةٌ مَلَاوِيَةٌ . ملاوئته : جَمْعُ مِلْوَثٍ (١) من اللَّوْثَةِ ، وهي
القوة ، كما قال المُكْتَبِرُ :

عند الحَفِيزَةِ إنَّ ذُو لَوْنَةٍ لائِثا

وقد قيل : إنَّ اسْمَ اللَّيْثِ منه أُخِذَ ، إلاَّ أنَّ وَآوَهُ انْقَلَبَتْ ياءُ ؛ لأنه
فِعْمَلٌ ، فَنُخِفَ كما تَقَدَّمَ : في هَمِيْنٍ وَهَمِيْنٍ ، وَلَمِيْنٍ وَلَمِيْنٍ .

وقول بَرَّةَ :

أنته المنايا فلم تُشَوِّه

أى : لم تُصِبِ الشَّوِيَّ (٢) ، بل أصابَتِ المَقْتَلَ ، وقد تَقَدَّمَ في حديث
عبد المطلب وضرَّبه بالقِدَاحِ على عبد الله ، وكان يَرَى أن السَّهْمَ إذا خَرَجَ
على غيره أنَّه قد أُشْوِيَ ، أى : قد أخطأ مَقْتَلَهُ ، أى : مَقْتَلَ عبد المطلب وابنه ،

(١) في اللسان : الملائك بفتح الميم والمملووث : السيد الشريف والشيظمي :
الفتى الجسم . والخضارمة : جمع خضرم بكسر الخاء والراء : الكثير العطاء .
النكس : الضعيف الذي لا خير فيه . الحرود : الناقة القليلة الدر .

(٢) الشوأة : جلدة الرأس ، والشوي : اليدان والرجلان والأطراف ، وما كان

غير مقتل .

ومن رواه : أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذى أشوى وأخطأ ، وبكلا الضبطين وجدته ، ويقال أيضاً : أشوى الزرعُ : إذا أفركَ (١) فالأول من الشوى ، وهذا من الشىِّ بالنار ، قاله أبو حنيفة .

وقول عاتكة : ومِرْدَى المَخَامِمْ ، المِرْدَى : مِفْعَلٌ مِنَ الرَّدَى ، وهو الحجر الذى يَقْتَلُ مَنْ أُصِيبَ بِهِ ، وفى المثل : كُتِبَ عِنْدَهُ مِرْدَاتُهُ (٢) [أى : يقرب منه حتفه ، لأنه يُرمى به فيقتل]

وقولها : وَفِى . أَى : وَفَى ، وخفف للضرورة ، وقولها : عُدْمَلِي . العُدْمَلِي : [وَالْعُدْمَلِيُّ وَالْعُدْمَالِيُّ] الشديد . وَاللَّهُمَّ : فُعَالٌ مِنَ لَهْمَتُ الشىءِ ، أَلْهَمَهُ : إِذَا ابْتَلَعْتَهُ ، قال الراجز : [رُؤْبَةٌ بِنِ الْمَجَّاحِ] .

كالحوت لا يُرْوِبُهُ شَيْءٌ بِلَهْمِهِ يُصْبِحُ عَطْشَانًا (٤) وفى البحرِ فَمَةٌ
ومنه سُمِّيَ الْجَيْشُ : أَلْهَامًا

(١) أفرك : حان له أن يفرك . وفى اللسان : أشوى التمتع : أفرك ، واصلح أن يشوى .

(٢) هذا والخيم فى قصيدة برة : السجبة والطبيعة . وطيب المعتصر : جواد حين يسأل .

(٣) فى الأصل : عند . وفى مجمع الأمثال وسط اللام : «عنده» . والمرداة : الحجر الذى يرمى به ، والضرب قليل الهداية ، فلا يتخذ حجره إلا عند حجر يكون علامة له . فن قصده ، فالحجر الذى يرمى بالضرب به يكون بالقرب منه . ففى المثل : لا تأمن الحدثان والسيير . فإن الآفات مُعَدَّةٌ مع كل أحد : يضرب إن تعرض للهِلْسَكَةِ .

(٤) فى ديوان رؤبة : ظلمان . وانظر ص ٣٤٣ > خزائن البغدادى .

وقولها : على الْجَحْفَلِ . جعلته كالجحفل ، أى : يقوم وحده مقامه ،
وَالْجَحْفَلُ : لفظ مَنْحُوتٌ من أصلين ، من : جَحَفَ وَجَفَلَ ، وذلك أنه يَجْحَفُ
ما يمر عليه أى : يَقْشِرُهُ وَيَجْفِلُ : أى يَقْلَعُ (١) ونظيره نَهَشَلُ : الذئبُ ، هو
عندهم منحوت من أصلين أيضاً ، من : نَهَشَتُ اللحمَ ونَشَلْتُهُ (٢) وعاتكة : اسم
منقول من الصَّفَاتِ ، يقال : امرأةٌ عاتِكةٌ ، وهى المصْفرةُ لبدنها بالزَّعْفَرَانِ
والطَّيْبِ . وقال القُتَيْبِيُّ : عَتَكَتِ القوسُ : إذا قَدَمَتْ (٣) وبه سُمِّيتِ المرأةُ .
والقول الأولُ قولُ أبى حنيفة .

وقول أَرْوَى : ومَعْقِلُ مالِكٍ وربيعٍ فِهْرٌ . تريد : بنى مالك بن النضر
ابن كِنانةَ . وقولها : بذى رُبْدٍ . تريد : سيفاً ذا طرائقَ . والرُّبْدُ : الطرائقُ .
وقال صَخْرَةُ النُّعْمِيِّ [الهُدَلِيُّ] :

وصارمٌ أَخْلِصَتْ خَشِيبَتَهُ أبيضُ مَهْوٌ فى مَتْنِهِ رُبْدٌ (٤)

(١) يجفل فى اللسان ويجحف : يقشر : وفى الأصل : حجف بدلا من جحف ،
وهذه أنبتنا خطأ الأولى .

(٢) نهشه : كمنعه ، نهسه . والنهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان ونشفه . ونشل
اللحم : أخرجه من القدر بيده بلا مغرفة ، أو أخذ بيده عضواً ، فتناول ما عليه
من اللحم بفيه .

(٣) فى القاموس : عتك القوس عتكا . وعتوكا ، فهى عاتك :
احمرت قدماً ، وكذلك فى اللسان .

(٤) خشبية فى الأصل : خشيشة ، وهو خطأ صوبته ، من اللسان . والخشيشة : الطبيعة
أخلصتها المداوس والصقل ، يقال : خشب السيف : طبعه أو صقله . المهو : السيف
الرفيق السفرتين . وهى على وزن فلح ، لأنها مقلوبة من موه ، لأنها من الماء الذى لاهه =

وقول عاتكة : تَبَنِّكَ في باذخ بيته . أى : تَبَنِّكَ بيته في باذخ
من الشَّرَفِ ، ومعنى تَبَنِّكَ : تَأَصَّل من البُنْكَ وهو : الأَصْلُ . وَالبُنْكَ أيضاً :
ضَرْبٌ من الطَّيْبِ ، وهو أيضاً عود السوس^(١) [شجر يغمى به البيوت ،

== هاء ، بدليل قولهم في جمعه : أمواه . والربد : شبه غبار أو مدب نمل في جوهره
وقيل : الخَشَبُ الذي في السيف هو أن يضع عليه سنانا عريضا لمس ، فيدلكه به .
والمعنى : أن هذا السيف أرق حتى صار كالماء في رفته . والبيت في اللسان في مادة
خشب : ومرهف - برفعها ورفع أبيض - ومهوو . وفي مادة : مها - وصارم ،
كما في الروض ، وقد ورد البيت في معجم ابن فارس في مادة ربد كما في الروض
وقال عن الربد : وفأما ربد السيف فهو فرند ديباجته ، وهي «ذلية» .

وقال في مهو : « وسيف مهو : رقيق الحد كأنه يمر في الضريبة مر الماء » .
واللسان يرويه في مادتي ربد ومهو كما ذكر الأستاذ عبدالسلام هارون في تعليقه على
معجم ابن فارس . ويوجد البيت في ديوان الهذليين وشرح السكري للهذليين . .
ومن معاني قصيدة عاتكة : اسحنفرا : صبا الدموع بكثرة . الالتدام : ضرب
النساء وجوههن في النياحة . استخرط الرجل في البكاء : لج فيه . الكهام : الرجل
الكليل السن . ومن معاني قصيدة أم حكيم : استهلى ، أظهرى البكاء . التيار :
معظم الماء . والفرات : الماء العذب . الهيرزى : الحاذق في أموره .
تشتجر العوالى : تختلط الرماح في الحرب . الهنات : جمع هنة ، وهي كناية عن
القبیح . ولا تسمى ، أرادت : ولا تسمى . ومن غريب شعر أميمة : ذو الفقد :
الفياض الكثير العطاء ، فإني لباك : أخبرت عن نفسها لإخبار المذكر على معنى
الشخص . ومن غريب شعر أروى ، السجية : الطبيعة ، أبطحى : نسبة إلى بطحاء
مكة ، وهو الموضع السهل منها . الأقب : الضامر . الكشخ : الخصر .

(١) في اللسان وفي القاموس ما وضعت بين قوسين عن عود السوس ، ويقول
الأزهري عن البنك : إنها فارسية ومعناها : الأصل . ولهذا يقول ابن فارس
في مادة بنك : كلمة واحدة وهو قولهم : تبنيك بالمسكان ، أقام به .

ويدخل عصيره في الأدوية ، وفي عروقه حلاوة شديدة ، وفي فروعه مرارة [.
وقوله : فأشار إليهن برأسه ، وقد أضمت بفتح الهمزة والميم ، هكذا قيده
الشيخ عن أبي الوليد ، ويقال : صمت وأصمت ، وسكت وأسكت
بمعنى واحد ، [وسّح وأسّح ، وعصفت الريح وأعصفت ، وطلعت على القوم
وأطلعت . ابن قتيبة في أدب الكاتب] .

أبو جههم :

وذكر شعر حذيفة بن غانم العدويّ ، وهو والد أبي جهم بن
حذيفة (١) ، واسم أبي جهم : عبّيد ، وهو الذي أهدى الخميصة (٢)

(١) قال البخاري وجماعة : اسمه عامر ، وكنيته في الإصابة : أبو جهم . وأبو
جهم من المعمرين ، وفي نسب قريش : أبو جهم بن حذيفة بن غانم ، بن عامر ،
ابن عبد الله بن عبّيد بن عويج ، بن عدى بن كعب القرشي العدوي . وقد ضبط
النووي عبّيد بفتح العين ، وضبطت في النسب بضمها . انظر ص ٣٦٩ نسب
قريش ، وترجمة أبي جهم في التهذيب للنووي .

(٢) الخميصة ، ثوب حر ، أو صوف معلم ، وقيل : لا تسمى خميصة إلا أن
تكون سوداء مُعشّلة ، وكانت من لباس الناس قديما . وهو يشير إلى ما روى
في الصحيحين من طريق عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : صلى النبي -
صلى الله عليه وآله وسلم - في خميصة لها أعلام . فقال : اذهبوا بخميصتي هذه
إلى أبي جهم . واثبتوا بأنبجانية أبي جهم . فإنها الهنتى آتفا عن صلاتي .
والأنبجانية - بفتح الباء وكسرها وفتح الهمزة - نسبة إلى منبج أو أنبجان ، وهو كساء
يتخذ من الصوف ، وله خمائل [القليفة أو أهداها] ، ولا علم له . وهي
من أدون الثياب الغليظة . وإنما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأنبجانية
لثلايوثر رد الهدية - وهي الخميصة - في قلبه .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى علمها . الحديث . وقد روى
أيضاً هذا الحديث على وجه آخر ، وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أتى بجميحتين ، فأعطى إحداهما أبا جهم ، وأمسك الأخرى ، وفيها علم ،
فلما نظر إلى علمها في الصلاة أرسلها إلى أبي جهم ، وأخذ الأخرى بدلا
منها ، هكذا رواه الزبير^(١) . وأم أبي جهم : بسيرة بنت عبد الله بن أذاة
ابن رياح ، وابن أذاة : هو خال أبي قحافة ، وسيأتي نسب أمه ، وقد قيل :
إن الشعر لحذافة بن غانم ، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافة ، وله يقول
فيه : أخرج إن أهلك . وفي الشعر : غير نكس ولا هذر . النكس من
السهم : الذي نكس في الكنانة ليمزه الرامي ، فلا يأخذه لردائه . وقيل :
الذي انكسر أعلاه ، فنكس ورد أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرمي .

وقوله : لا تبور ولا تحرى . أى : لا تهلك ولا تنقص ، ويقال للأفمى : حارية
لرقتها^(٢) وفي الحديث : ما زال جسم أبي بكر يحرى حُرنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أى : ينقص لحمه ، حتى مات ، والإجرباء : السيرة وهي
إفملاء من الجرى^(٣) ، وليس لها نظير في الأبنية إلا الإهجيراء في معنى

(١) رواه مرسلا .

(٢) هي التي كبرت ، ونقص جسمها ، ولم يبق إلا رأسها ونفسها وسعها .

(٣) في الاصل : إجرباء والحرى بالحاء ، وهو خطأ صوابه ما أثبتته . والإجرباء
في اللسان : الوجه الذي تأخذ فيه ، وتحرى عليه . وتقصر وتمد .

الهِجِيرِي (١)

وفيهما قوله: وليس بها إلا شيوخ بني عمرو . يريد: بَنِي هَاشِمٍ ؛ لأن اسمه عمرو .

وفيهما: غَيْرُ عَزَلٍ ، وهو: جمعُ أُعْزَلٍ ، ولا يُجمعُ أَفْعَلٌ على فُعْلٍ ، ولكن جاء هكذا ؛ لأن الأَعْزَلَ في مقابلة الرامح (٢) وقد يحملون الصفة على ضدها ، كما قالوا: عَدُوَّةٌ - بناء التانيث - حَمَلًا على صديقة ، وقد يجوز أن يكون أجراه تجري: حُسْرٍ جمع: حَاسِرٍ ؛ لأنه قريبٌ منه في المعنى (٣)

تهامم وشأم:

وقوله: فسرنا تهامي البلاد مخففا مثل يمانياً ، والأصلُ في يمانٍ: يَمَيٌّ ، تخففوا الياء ، وعوضوا منها ألفاً ، والأصل في تهامٍ: تهامي بكسر التاء من تهامي لأنه منسوب إلى تهامة (٤) ولكنهم حذفوا إحدى الياءين ، كما فعلوا في يمانٍ

(١) الدأب والعادة والقول السيء وكثرة الكلام . ولا تمكاد تستعمل إلا في العادة الذميمة .

(٢) في اللسان: العزل ، بضم العين والزاي ، والأعزل الذي لا سلاح معه ، فهو يعتزل الحرب . أو الذي لا رمح معه . وجمعهما أعزالٌ وعزُلٌ وعُزْلانٌ ، وعُزْلٌ . والأعزل والرامح: نجمان نيران . قال الأزهري: وفي نجوم السماء سما كان ، أحدهما: السماك الأعزل ، والآخر: السماك الرامح . وفي شرح الشافية للرضي . و المطارد في تكسير أفعال: فعلاء . وفي مؤنثه: فَعْمَلٌ ، ولا يضم عينه إلا لضرورة الشعر ، ويجيء فعولان أيضاً كثيراً . كسودان وبيضان .

(٣) الحاسر: من لا مِفْقَر له ولا درع ، أو لا جنة له .

(٤) تهامة: تسائر البحر . منها: مكة . وقيل: طرف تهامة من قبل الحجاز: =

وفتحوا التاء من تَهَامٍ لما حذفوا الياء من آخره ، لتسكون الفتحة فيه كالعوض من الياء ، كما كانت الألف في يَمَانٍ ، وكذلك الألف في شَامٍ بفتح الهمزة ، وألف بعدها عَوْضًا من الياء المحذوفة ، فَإِنْ شَدَّدَتِ الياء من شَامٍ قلت : شَامِيَّ بسكون الهمزة ، وتذهب الألف التي كانت عوضا من الياء الرجوع الياء المحذوفة ، ولا تقول في غير النسب : شَامٍ بالفتح والهمز ، ولا في النسب إذا شددت (١)

=مدارج العرج ، وأول تهامة قبل نجد: ذات عرق ، وقيل : يخرج من مكة . فلا يزال في تهامة حتى يبأغ عُسْتَفَان .

(١) هذا من النسب المسموع ، ويتميز هذا النوع بتخفيف ياء النسب المشددة ، والإتيان بألف التعويض عنها قبل لام السكلمة . فيقال في يَمَانِيَّ : يمانى وفي شَامِيَّ : شامى بياء واحدة ساكنة فيها . وبهذا يصير الاسم منقوصاً ، فتقول : قام اليماني ، ورأيت اليماني ، ومررت باليماني . ولا تجتمع ألف التعويض مع الياء إلا شذوذاً في ضرورة الشعر . ويستحسن الاختصار على المسموع . ولم يرد غير يمان وشَامٍ وتَهَامٍ وزاد الجوهري في الصحاح : نباطى ونباط ، وفي اللسان : ورجل شَامٍ وتَهَامٍ إذا نسبت إلى تهامة والشام ، وكذلك : رجل يمان ، زادوا ألفاً فخففوا ياء النسبة . وفيه أيضاً عن تهامة : والنسبة إليه تَهَامِيَّ بكسر التاء وتشديد الياء ، وتَهَامٍ بفتح التاء على غير قياس ، كأنهم بنوا الاسم على تَهَمِيَّ أو تَهَمِيَّ ، ثم عوضوا الألف قبل الطرف من إحدى الياءين اللاحقتين بعدها . ويقول الجوهري : إذا فتحت التاء في تَهَامٍ لم تشدد ، كما قالوا : يمان وشَامٍ إلا أن الألف في تَهَامٍ من لفظها والألف في يمان وشَامٍ عوض من ياء النسبة . وفي شرح الشافية ص ٨٣ ح ٢ : وقالوا : يمان وشَامٍ وتَهَامٍ . ولأربع لها . والأصل : يمني وشَامِيَّ وتَهَمِيَّ محذوف في الثلاثة إحدى ياء النسبة ، وأبدل منها الألف ، وجاء : يمني وشَامِيَّ على الأصل ، وجاء تَهَامِيَّ بكسر التاء وتشديد الياء منسوبا إلى تهامة ، وجاء يمانى وشَامِيَّ =

الياء شأمي. وسألت الأستاذ أبا القاسم بن الرماك - وكان إماماً في صنعة العربية عن البيت الذي أملاه أبو علي في النوادر ، وهو قوله :

[أَتَظَنُّ عَن حَبِيبِكَ نَمَّ تَبْكِي عَلَيْهِ ، فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى الْفِرَاقِ]
[كَأَنَّكَ لَمْ تَذُقْ لِلْبَيْبِنِ طَعْمًا فَتَمَلَّمْ أَنَّهُ مُرٌّ الْمَذَاقِ]
[أَقِيمْ وَانْعَمْ بِطَوْلِ الْقَرَبِ مِنْهُ وَلَا تَظَنُّ فُتْكَبْتَ بِاشْتِيَاقِ]
فَمَا عَتَاضَ الْمَفَارِقِ مِنْ حَبِيبٍ وَلَوْ يُعْطَى الشَّامُ مَعَ الْعِرَاقِ
فقال : مُحَدَّث ، ولم يره حُجَّةً . وكذلك وَجَدَتْ فِي شِعْرِ حَبِيبٍ : الشَّامُ
بِالْفَتْحِ كَمَا فِي هَذَا الْبَيْتِ . وَلَيْسَ بِحُجَّةٍ أَيْضًا .

[فِي الْلسَانِ : «وَقَدْ جَاءَ الشَّامُ لَفَةً فِي الشَّامِ قَالَ الْمَجْنُونُ :
وَخُبِّرْتُ لَيْلِي بِالشَّامِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُودَهَا
وَقَالَ آخِرُ :
أَتَنَا قَرِيشٌ قَصَّهَا بِقَضِيضِهَا وَأَهْلُ الْحِجَازِ وَالشَّامُ تَقَصَّفُ (١)]
وَقَوْلُهُ :

حَذَفَ الْيَاءَ مِنَ هَاءِ الْكِنَايَةِ :
حَذَفَ الْيَاءَ مِنْ هَاءِ الْكِنَايَةِ بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتْ الْعَيْرُ فِي الْبَحْرِ *

= وَكَأَنَّهَا مَسْبُوبَةٌ إِلَى يَمَانٍ وَشَّامٍ الْمَسْبُوبِينَ بِحَذْفِ يَاءِ النِّسْبَةِ دُونَ أَلْفِهَا . إِذْ لَا اسْتِقَالًا فِيهِ كَمَا اسْتَقَالَ النِّسْبَةُ إِلَى ذِي الْيَاءِ الْمَشْدُودَةِ لَوْلَمْ تَحْذَفْ . وَالْمُرَادُ بِيَمَانَ وَشَّامٍ فِي هَذَا مَوْضِعٌ مَسْبُوبٌ إِلَى الشَّامِ وَالْيَمَنِ . فَيَنْسَبُ الشَّيْءُ إِلَى هَذَا الْمَسْكَنِ الْمَسْبُوبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يَمَانِي وَشَّامِي جَمْعًا بَيْنَ الْعَوْضِ وَالْمَعْوِضِ عَنْهُ وَأَنْ يَكُونَ الْأَلْفُ فِي يَمَانِي لِلْإِشْبَاعِ . وَانظُرِ الْمَرْهَمَ لِلْيَوْطِيِّ ص ١٠١ ح ٢ (١) عَنِ الْلسَانِ وَالْأَمَالِيِّ

ضرورة ، كما أنشد سيديويه : سأجعل عينيه لنفسه مَمْنَمًا (١) * في أبيات كثيرة
أنشدها سيديويه ، وهذا مع حذف الياء والواو ، وبقاء حركة الهاء ، فإن سكنت
الهاء بعد الحذف ، فهو أقل في الاستعمال من نحو هذا ، وأنشدوا :

وَنُضْوَايَ مُشْتَقَاتَانَ لَهَ أَرِقَانَ (٢)

وهذا الذي ذكرناه هو في القياس أقوى ؛ لأنه من باب حمل الوصل على
الوقف نحو قول الراجز :

لما رأى أن لادعة ولا شبع

ومنه في التنزيل كثير نحو إثبات هاء السكت في الوصل ، وإثبات الألف
من أنا ، وإثبات ألف الفواصل نحو : ﴿ وَتَنْظُنُونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾ الأحزاب : ١٠٠
وهذا الذي ذكره سيديويه من الضرورة في هاء الإضمار إنما هو إذا
تحرك ما قبلها نحو : به وله ، ولا يكون في هاء المؤنث البتة خلفه الألف ، فإن
سكن ما قبل الهاء نحو : فيه وبنيه كان الحذف أحسن من الإثبات ؛ فإن قلت

(١) الشعر لمالك بن خُزَيمِ الهمداني وهو :

فإن يك غثا أو سميئا فإنني سأجعل عينيه لنفسه مَمْنَمًا

أراد لنفسه ، لحذف الياء ضرورة في الوصل تشبيها بها في الوقف إذ قال :
لنفسه . يصف ضيفا فيقول : إنه يقدم إليه ما عنده من القرى ويحكمه فيه ،
ليختار منه أفضل ما تقع عليه عيناه ، فيقنع بذلك انظر ص ١٠ ح ١ الكتاب
لسيديويه ط ١ .

(٢) النضو : البعير المهزول والناقة .

فقد قرأ عيسى بن مينا: نُضَلِّهِ وَيُؤَدُّهُ وَأُرْجِهْ (١) ونحو ذلك في اثني عشر

(١) يعني الآيات القرآنية: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى، ونُضَلِّهِ جهم، وساءت مصيراً) النساء: ١١٥ و: (ومن أهل الكتاب مَن إن تأمنه بقنطار يؤدُّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً) آل عمران: ٧٥ و: (قالوا: أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين) الأعراف: ١١١. وفي «يؤده ونضله»، خمس قراءات. إحداها: بكسر الهاء، وصلتها بياء في اللفظ، والثانية: بكسر الهاء من غير ياء. اكتفى بالكسرة عن الياء لدالاتها عليها، ولأن الأصل ألا يزداد على الهاء شيء كبقية الضمائر، والثالثة: إسكان الهاء، وذلك أنه أجرى الوصل مجرى الوقف، وهو ضعيف، وحق هاء الضمير الحركة، وإنما تسكن هاء السكت، والرابعة: ضم الهاء وصلتها بواو في اللفظ على تبيين الهاء المضمومة بالواو، لأنها من جنس الضمة كما بينت المكسورة بالياء. والخامسة: ضم الهاء من غير واو لدلالة الضمة عليها، ولأنه الأصل، ويجوز تحقيق الهمزة وإدخالها واوا للضمة قبلها. وأرجه يقرأ بالهمزة وضم الهاء من غير إشباع «أرجته»، وهو الجيد، وبالإشباع وهو ضعيف، ويقرأ بكسر الهاء مع الهمزة وهو ضعيف، ويقرأ من غير همزة من أرجيت بالياء، ثم منهم من يكسر الهاء ويشبعها ومن لا يشبعها. ومنهم من يسكنها. هذا، ومن معاني مفردات قصيدة حذيفة - كما ذكر الخشني: السبل: المطر: كل شارق: عند طلوع الشمس. سُحْحًا: صبا. جُمُعًا: أجمعاً وأكثر. واسجاً: أسبلاً. والحفيظة: الغضب مع عزة. والهدر: الكثير الكلام في غير فائدة. الهلول: السيد. واللبي: العطايا. وفي رواية: الندى، وأخرى: النهش. والنجر: الأصل. والمجحفات: التي تذهب بالأموال. والغبر: السنين المقطعات. وسراة: خيار. غالته: ذهبت به. النقيبة: النفس وميمون النقيبة: يسعد فيما يتوجه له. مصاليت: شجعان. ردينية: رماح. جباء: عطاء. هجان اللون: بيض. والإجريا: ما يجري عليه من أبقال آبائه ويتعوده. وفي القاموس: الوجه الذي تأخذ فيه وتجري عليه. وهي بالماء =

موضوعاً بحذف الياء ، وقبل الهاء متحرك ، فكيف حسن هذا ؟ قلنا : إن ما قبل الهاء في هذه المواضع ساكن ، وهو الياء من نُصَلِيهِ وَيُؤَدِّيهِ وَيُؤْتِيهِ ، ولكنه حذف للجازم ، فمن نظر إلى اللفظ ، وأن ما قبل الهاء متحرك أثبت الياء كما أثبتناها : به وله ، ومن نظر إلى الكلمة قبل دخول الجازم ، رأى ما قبل الهاء ساكناً ، فحذف الياء ، فهما وجهان حسنان بخلاف ما تقدم

من شرح قصيدة مزينة :

وذكر في هذا الشعر : وأسعدُ قَادِ الناس . وهو أسعدُ أبو حَسَّانِ بنِ أسعد ، وقد تقدم في التَّبَاعِيَةِ ، وكذلك أبو شَمِيرٍ ، وهو شَمِيرُ الذي بنى سَمَرْقَنْدَ (١) ، وأبوه : مالك ، يقال له : الأملوك (٢) ، ويحتمل أن يكونَ أرادَ أباشِيرَ القَسَانِيِّ والدَّ الحَرثِ بنِ أَبِي شَمِيرٍ .

وعمرُو بنِ مالكِ الذي ذَكَرَ أَحْسَبَهُ عَمراً ذَا الأذْعارِ ، وقد تقدم في التَّبَاعِيَةِ ،

== القصر . تهاى البلاد ونجدها : ما انخفض منها وما علا . ثبج الشيء : أعلاه ومعظمه . مخيسة : مذلة . الأخشاب : جبال يسكنها وهما جيلان ، لجمعهما مع ما عليهما ، وخم : اسم بئر . والحفر : اسم بئر . والمُجْر : القبيح من الكلام الفاحش . والأحابيش : من حالف قريشاً من القبائل ودخل في عقدها وذمتها . ونكلوا : صرفوا بخارج : أراد : يا خارجة فحذف حرف النداء ، ورخم . وأسدى : أعطى ، والمحمد : الأصل . جسر : ماض في أموره قوى عليها . غمر : كثير العطاء . أمك سر : خالصة النسب .

(١) في القاموس : شمير بن أفریقش غزا مدينة السغد ، فقلعها ، فقيل : شَمِرْكَند ، أو بناها ، فقيل : شمير كنت ، وهي بالتركية : القرية فمررت : سمرقند .

(٢) الأملوك : اسم جمع للملك ، وقوم من العرب ، أو هم مقاول حمير .

(م ١٤ - الروض الأنف ج ٢)

وهو من ملوك اليمن ، وإنما جعلهم مَفْخَرًا لأبي لهب ؛ لأن أمه خُزاعية من سبأ ، والتبابعة كُثْمٌ من حَمِير بن سَبَأ ، وقد تقدم الخلاف في خُزَاعَة .
 وأبو جَبْرِ الذي ذكره في هذا الشعر : ملكٌ من مُلوك اليمن ذكر القُتَيْبِيُّ أن سُمَيَّةَ أم زياد ، كانت لأبي جَبْرِ ملكٍ من ملوك اليمن ، دفعها إلى الحرث بن كَلْدَةَ المْتَطَبِّبِ في طِبِّ طَبَّه .

زيد أفضل إخوته :

وذكر ولاية العباس - رضى الله عنه - السَّقَايَة ، وقال : كان من أ حَدَثِ إِخْوَتِهِ سَنَا ، وكذلك قال في صفة النبي - صلى الله عليه وسلم : كان من أفضل قومِه مُرُوءَةً ، وهذا مما منعه النحويون أن يقال : زيد أفضل إخوته ، وليس بمتنع ؛ وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وغيره ، وحسُنُ لأن المعنى : زيد يُفْضَلُ إِخْوَتَهُ ، أو يُفْضَلُ قَوْمَهُ ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير ، وإنما الذى يمتنع بإجماع : إضافة أفضل إلى التثنية مثل أن تقول : هو أكرم أخويه ، إلا أن تقول : الأخوين ، بغير إضافة (١) .

(١) ما اشترط النحاة في أفعال التفضيل المضاف أن يكون المضاف بعضها من المضاف إليه بشرط إرادة التفضيل ، وبقاء معناه ووجوده . ويقول الأشموني في شرح الألفية : « وإن لم تنو بافعل معنى : من ، بأن لم تنوبه المفاضلة أصلاً ، أو تنوبها ، لأعلى المضاف إليه وحده ، بل عليه وعلى كل ماسواه كقولهم : الناقص والأشج (يعنى يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان لتقصه أرزاق الجند ، وعمر بن عبد العزيز لشجته أصابته بضرب الدابة ، أعدلا بنى مروان . أى : عادلاهم ، فكان أفعال بمعنى فاعل ، وليس في هذا تفضيل ، ونحو : محمد - صلى الله عليه وسلم -

أفضل قريش . أى : أفضل الناس من بين قريش . وإضافة هذين النوعين مجرور -

من شرح شعر مطرود :

فصل : وذكر في شعر مطرود : منعوك من جورٍ ومن إقراف (١) ،

التخصيص ؛ ولذلك جازت إضافة أفعل فهما إلى ما ليس هو بعضه بخلاف المنوى فيه معنى من « أى : إرادة التفضيل ، فإنه لا يكون إلا بعض ما أضيف إليه ، فلذلك يجوز : يوسف أحسن إخوته ، إن قصد : الأحسن من بينهم ، أو قصد : حسنهم — رأى جعله صفة مشبهة — ويمتنع إن قصد أحسن منهم ، ص ٤١ ج ٣ ط ١٣٠٥ هـ ويقول ابن يعيش في شرح المفصل : « قد علم أن أفعل إنما يضاف إلى ما هو بعضه . فليعلم أنه لا يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، وذلك أنك إذا أضفت الإخوة إلى ضميره خرج من جملتهم ، وإذا كان خارجا منهم ، صار غيرهم وإذا صار غيرهم لم يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، كما لا يجوز أن تقول : الياقوت أفضل الزجاج ؛ لأنه ليس من الزجاج ، حينئذ يلزم من المسألة أحد أمرين ، كل واحد منهما ممنوع . أحدهما : ما ذكرناه من إضافة أفعل إلى غيره ، إذ إخوة زيد غير زيد . والثاني : إضافة الشيء إلى نفسه ، وذلك أنا إذا قلنا : إن زيدا من جملة الإخوة — نظرا إلى مقتضى إضافة أفعل ، ثم أضفت الإخوة إلى ضمير زيد ، وهو من جملتهم — كنت قد أضفته إلى نفسه ، بإضافتك إياه إلى ضميره وذلك فاسد . فأما النوع الثاني — يعنى ابن يعيش : أفعل بمعنى فاعل ، وهو غير دال على معنى التفضيل — وهو أن يكون أفعل فيه للذات بمعنى فاعل ، فإنه يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، ولا يمتنع فيه كاستناعه من القسم الأول إذ المراد أنه فاضل فيهم ، لأنه لا يلزم في هذا النوع أن يكون أفعل بعض ما أضيف إليه ، وعليه جاء قولهم لنصيب الشاعر : أنت أشعر أهل جلدتك ، لأن أهل جلدته غيره . وإذا كانوا غيره لم تسخ إضافة أفعل إذا كان هو إياه إليهم ؛ لما ذكرته ويجوز على الوجه الثاني لأنه بمعنى : الشاعر فيهم ، أو شاعرهم ، ص ٨ ج ٣ شرح المفصل لابن يعيش . وبهذا يتبين أن النحويين لم يمنعوا هذا منعا مطلقا . بل أجازوا نفس ما ذكره السهيلي .

(١) الذى فى السيرة، ضمنوك . والمقرف الذى دانى الهجنة من الفرس وغيره =

أى : منعوك من أن تُسكِحَ بِنَاتِكَ أو أَخَوَاتِكَ من لثيمٍ ، فيكون الابن مُقْرِفًا لِلوِثْمِ أبيه ، وكرم أمه ، فيلحقك وَصْمٌ من ذلك ، ونحو منه قول مُهْلَبِ (١) :

أَسْكَحَهَا فَقَدُّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْحِبَاءُ مِنْ أَدَمِ (٢)

وهو الذى أمه عربية ، وأبوه ليس بعربى ، فالإعراف من قبل الأب ، والهجنة من قبل الأم .

(١) المهلهل : قال الأمدى : اسمه : امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير ابن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب ، وهو الشاعر المشهور ، ويقال اسمه : عدى ، وقال ابن قتيبة : مهلهل بن ربيعة ، هو : عدى بن ربيعة ، وسمى مهلهلاً ؛ لأنه هلهل الشعر ، أى : أرقله ، ويقال ! لأنه أول من قُصد القصيد . وهو خال امرئ القيس صاحب المعلقة . وهو أخو كليب الذى هاج بمقتله حرب البسوس . وقيل : لأنه مات أسيراً ، وذلك أنه لما نزل اليمن نزل فى بنى جنب ، وجنب من مذحج ، فخطبوا إليه ابنته . فقال لهم : لاني طريد بينكم ، فمتى أنسكتكم ؟ قالوا : فأجبروه على تزويجها ، وساقوا إليه فى صداقها أدم ، فقال :

أَسْكَحَهَا فَقَدُّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحِبَاءُ مِنْ أَدَمِ
ثم انحدر ، فلقبه عوف بن مالك أبو أسماء صاحبة المرقش الأكبر ، فأسره ، فمات فى أسره . وقيل فى وفاته غير ذلك ص ٢٣ وما بعدها ج ٢ خزانه الأدب للبغدادى ط دار المعصور .

(٢) قيل عن جنب إنه لقب لا اسم أب . وفى نهاية الأرب ج ٣ ص ٦٧ جاء هذان البيتان :

أَعَزَّزَهُ عَلَى تَغْلِبِ بِنَا لَقِيَتْ أَخْتِ بَنِي الْأَكْرَمِينَ مِنْ جُشَمِ
لَيْسُوا بِأَكْفَانِنَا الْكِرَامِ ، وَلَا يُغْنُونَ مِنْ ذَلَّةٍ وَلَا عَدَمِ =

أى : أنكِحْت لغيرتها من غير كُفء . قال مَبْرَمَان (١) : أنشدنا أبو بكر ابن دريد : وكان الخِباء من أَدَم ، بجاء معجزة الأعلى ، وهو خطأ وتصحيف ، وإنما هو بالحاء المهملة ، وهو معدود في تصحيقات ابن دريد ، وفيه يقول المَفَجَّع [البصرى] ردًا على ابن دُرَيْدٍ :

أَلَسْتَ قَدِيمًا جَمَلْتَ تَفْتَرِقُ مِ الطَّرْفِ بِجَهْلٍ مَكَانَ تَفْتَرِقُ (٢)
وقلت : كان الخِباء من أَدَمِ وهو حِباءٌ يُهْدَى ، وَيُصَلِّدَقُ
وذلك أن مُهْلِلًا نَزَلَ فِي جَنْبِ ، وهو حَيٌّ وَضِيعٌ مِنْ مَذْحِجٍ .
فخطبت ابنته ، فلم يستطع مَنَعَهَا ، فزَوَّجَهَا ، وكان نَقْدُهَا مِنْ أَدَمِ ، فأنشد :
أَنْكَحَهَا فَقَدُّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبِ ، وكان الخِباء من أَدَمِ
لو بِأَبَانَيْنِ جَاءَ خَاطِبُهَا ضُرَّجَ مَا أَنْفُ خَاطِبِ بَدَمِ (٣)

== والاول منهما قيل : د أنكحها فقدها الخ ، والآخر بعد قوله : لو بأبانين ، الذى سياتى . والاراقم : حى من تغلب قوم المهلهل . وقد تقدم من قبل الحديث عن جنب .

(١) لقب لابي بكر الازمى .

(٢) تفترق الطرف : تشغلهم بالنظر لايها عن النظر إلى غيرها حسنا ، وانظر المزهر ص ٣٦٦ ج ٢ للسيوطى ففيه قول المفجع . وقد روى بدر الدين الزركشى ابن دريد بهذا التصحيف كما ذكر السبيلى ، وأورده التيجانى فى تحفة العروس وروى الشطرة الاولى هكذا : د ألم تصحف ، فقلت تفترق الخ ، وروى أيضا فى غيره : د ألسنت مماصحفت تفترق .

(٣) الابانان : جبلان بالبادية اسم أحدهما : أبان ، والآخر : متالع ، أحدهما : ==

وقوله : حتى تغيب الشمس بالرجاف^(١) . يعنى : البحر . لأنه يرَجُف .
ومن أسمائه أيضاً : خُضَارَةٌ ، [سُمِّيَ بذلك لخُضْرَةِ مائه] . والدَّأْمَاءُ [سُمِّيَ بذلك
لتداؤم أمواجه أى : تراكمها ، وتكسر بعضها على بعض] وأبو خالد .

وقوله : عِقْدُ ذَاتِ نِطَافٍ . النُّطْفُ^(٢) : اللؤلؤ الصافى . ووصيفةٌ
مُنَطَّفَةٌ [ومُنَطَّفَةٌ أى : مُقَرَّطَةٌ بِتَوَمَّتَيْنِ [والتَّوَمَةُ : اللؤلؤة ، أو حبة تعمل
من النضة كالذرة] والنُّطْفُ فى غير هذا : التَّاطُّخُ بِالتَّغْيِبِ ، وكلاهما من
أصل واحد ، وإن كانا فى الظاهر متضادين فى المعنى ؛ لأنَّ النُّطْفَةَ هى الماء
القليل ، وقد يكون الكثير ، وكان اللؤلؤ الصافى أُخِذَ من صفاء النُّطْفَةِ .
والنُّطْفُ الذى هو العيب : أُخِذَ من نُطْفَةِ الإنسان ، وهى ماؤه ، أى :
كانه لُطِّخَ بها .

وقوله : والفَيْضُ مُطَّلَبُ أبى الأضياف . يريد : أنه كان لأضيافه

أبيض ، وهولبى أسد ، والآخِرُ : أسود ، وهولبى فزارة ، هذا ، وقد روى اللسان
البيتين . وفيهما : « الحباء ، ورُمُلٌ » بدلا من « الحباء ، وضرع » .

(١) فى السيرة : فى الرجاف .

(٢) مفردا . نطفة كهزمة « بضم النون وفتح الطاء » .

ملحوظة : فى السيرة أن فاطمة بنت عمرو بن عائذ هى أم عبدالله وأبى طالب . فى
نسب قريش وعند السدوسى هى : أمهما أيضا ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم . وفى السيرة
فى نسب فاطمة هذه قال ابن إسحاق : « ابن عائذ بن عبد بن عمران » ، وفى نسب
قريش لا توجد عبد بين عائذ وعمران ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم ، وعند السدوسى ،
وللى هذا ذهب ابن هشام ، وما بين قوسين فى نسب ذمته فاطمة من كتب النسب .

كالأب . والعرب تقول لكل جواد : أبو الأضياف . كما قال مُرَّةُ بن
تَحْكَانَ [السَّعْدِيُّ التَّمِيمِيُّ سِيدُ بَنِي رَبِيعِ] :

أَدْعَى أَبَاهُمْ ، وَلَمْ أَقْرِفْ بِأُمَّهُمْ وَقَدْ عَمِرْتُ . وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبًا

اللهم العائف :

فصل : وذكر خَبَرُ اللَّهْبِيِّ العائفِ . قال ابن هشام : ولِئِبُّ : حَيٌّ مِنْ
الأزْدِ : وقال غيره : وهو لِهْبُ بْنُ أُحْجَنَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الحارثِ بْنِ كَعْبِ
ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزْدِ . وهي القبيلة التي تُعْرَفُ بِالعِيافةِ
والزَّجْرِ (١) . ومنهم اللَّهْبِيُّ الذي زَجَرَ حين وقعت الحِصاةُ بِصَلْمَةَ عُمَرَ

(١) العِيافة : تتبع آثار الأقدام والاختفاف والحوافر في المقابلة للأثر ، وهي
التي تكون في تربة حرة تشكّل بشكل القدم . وقد اشتهر بها قديما بنو مدج قبيلة
من كنانة وبنو لُهب وبلوغ الأرب للألوسي ، وانظر ص ٤٩١ الاشتقاق ، واللسان
في مادة لُهب ، والزجر : الاستدلال بأصوات الحيوانات وحركاتها وسائر
أحوالها واستعلام ما غاب عنهم . ويقول ابن خلدون عنه : هو ما يحدث من
بعض الناس من التسكّم بالغيّب عند سماع طائر أو حيوان . ويقول ابن القيم
في مفتاح دار السعادة عنه : وأصل هذا أن العرب كانوا يزجرون الطير ، والوحش
ويثيرونها ، فأتيا من منها وأخذ ذات اليمين سموه سائحا ، وماتياسر منها سموه :
بارحا ، وما استقبالهم منها فهو : الناطح ، وما جاءهم من خلفهم فهو القعيد . . . ومن
العرب من يمين بالسائح ويتشاءم بالبارح ومنهم غير ذلك . وقيل عن السائح والبارح
غير هذا . ويقول الأزهري : العِيافة : زجر الطير ، وهو أن يرى طائرا ، أو
غرابا ، فيتطير ، وإن لم ير شيئا ، فقال بالحدس كان : عِيافة أيضا ، وفي القاموس :
العائف : المتسكّم بالطير ، وكل هذا حرمه الإسلام ، وقيل في تعريفهما غير ذلك .

قصة بحيرى

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركبٍ تاجرًا إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسيرَ صبَّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون - فرقًا له ، وقال : والله لأُخرُجنَّ به معي ، ولا يفارقني ، ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركبُ بُصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له : بحيرى في صومعة له ، وكان إليه علمُ أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قطَّ راهبٌ ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون

رضى الله عنه - فأدتمته ، وذلك في الحج ، فقال : أشعر أمير المؤمنين . والله لا يحُجُّ بعد هذا العام ، فكان كذلك (١) واللَّهْبُ : شقٌّ في الجبل (٢) [والجمع : ألهاب وألُوب] . وبنو ثمالة رَهَطُ المُبرِّدِ الثَّمَالِيِّ : هم بنو أسلم بن أحنبن ابن كعب . وُثْمَالَةٌ : أمُّهم . وكانت العيافة والزجر في لُهب قال الشاعر (٣) :

سألتُ أخا لُهبٍ ليزجرَ زجرَةً وقد رُدَّ زجرُ العالمين إلى لُهبٍ

وقوله : لِيَعْتَفَ لَهُمْ : وهو يَفْتَعِلُ من العَيْفِ . يقال : عَفَتُ الطيرَ . واعتفتها عيافةً واعتيفاً : وعَفَتُ الطعامَ أعافه عَيْفًا . وعافت الطيرُ الماءَ عيافًا .

(١) هذا خرف أسطوري . فالله وحده هو عالم الغيب .

(٢) عند ابن دريد في الاشتقاق ، واللَّهْبُ : الشعب الضيق في أعلى الجبل والجمع ألهاب ولُوب .

(٣) هو كثير عزة ، والبيت في نهاية الأرب هكذا :

تيسمت لها أبتنى العلم عندهما وقد رد علم الطائفين إلى لُهب

يتوارثونه كبراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببجيري ، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك ، فلا يكلمهم ، ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا ، وعمامة تظله من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فنزلوا في ظلّ شجرة قريباً منه ، فنظر إلى العمامة حين أظلت الشجرة ، وهتّرت أغصانُ الشجرة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى استظلّ تحتها ، فلما رأى ذلك بجيري نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إني قد صنعت لكم طعاماً بامعشر قريش ، فأنا أحبُّ أن تحضروا كلُّكم ، وصغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحرّكم ، فقال له رجل منهم : والله يا بجيري إن لك لشأنا اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنّا نمرّ بك كثيراً ، فما شأنك اليوم ؟! قال له بجيري : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم ، وأصنع لكم طعاماً ، فتأكلوا منه كلُّكم . فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين القوم ، لحدائثة سنة ، في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بجيري في القوم لم ير الصمّة التي يعرف ويجدّ عنده ، فقال : بامعشر قريش : لا يتخلّفن أحدٌ منكم عن طعامي ، قالوا له : يا بجيري ، ما تخلّف عنك أحدٌ ينبي له أن يأتيك إلا غلامٌ ، وهو أحدثُ القوم سناً ، فتخلّف في رحالهم ، فقال : لاتفعلوا ، ادعوه ، فليحضّر هذا الطعام معكم قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللّات والعزرى ، إن كان

لَلَّذِينَ بَنَّا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَنِ طَعَامٍ مِنْ بَيْنِنَا ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ . فَلَمَّا رَأَى بَحِيرَى ، جَعَلَ يَلْحَظُهَا لَحْظًا شَدِيدًا ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءٍ مِنْ جَسَدِهِ ، وَقَدْ كَانَ يَحِيدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا ، قَامَ إِلَيْهِ بَحِيرَى ، فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بَحِيرَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا ، فَرَعَمُوا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بَغْضَهُمَا ، فَقَالَ لَهُ بَحِيرَى : فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي عَمَّا بَدَاكَ . فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ ، فَيُؤَافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَى مِنْ صِفَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ ، فَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ .

قال ابن هشام : وكان مثل أثر المحجّم .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ ، أقبل على عمّه أبي طالب ، فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال له بَحِيرَى : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا ، قال : فإنه ابن أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حُبَلَى به ، قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه ، وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرًّا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم ، فأسرِع به إلى بلاده .

نفرج به عمه أبو طالب سريعا ، حتى أقدمته مكة حين فرغ من تجارته بالشام
فزعوا فيما روى الناس : أن زُريرا وتما ما ودريسا - وهم نفر من أهل الكتاب -
قد كانوا رأوا من رسول الله - صلى عليه وسلم - مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر
الذى كان فيه مع عمه أبي طالب ، فأرادوه ، فردم عنه بحيرى ، وذكروا الله
وما يحدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم
يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه
وانصرفوا عنه . فشب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله تعالى يكفؤه ، ويحفظه
ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان
رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم
جوارا ، وأعظمهم حِلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من
الفحش والأخلاق التي تُدنس الرجال ، تنزها وتكرها ، حتى ما سمع في قومه
إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - يُحدّث عما كان
الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته ، أنه قال :

لقد رأيتني في غلمان قريش ننقلُ حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ،
كلنا قد تعرّس ، وأخذ إزاره ، فجعله على رقبتة ، يحمل عليه الحجارة ، فإني لأقبل
معهم كذلك وأدبر ، إذ لَكَمَنِي لَأَكِمَّ ما أراه ، لكمة وجيعة ، ثم قال :
شدّ عليك إزارك . قال : فأخذته وشدته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على
رقبتي وإزاري على من بين أصحابي .

قصه بحيرى :

فصل : فى قصه بحيرى وسفر أبى طالب بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وقع فى سِيرَ الزُّهْرِيِّ أن بحيرى كان حَبْرًا من يهود تَيْمَاء (١) ، وفى السعوىدى : أنه كان من عبد القيس ، واسمه : سَرَجِسُ ، وفى المعارف لابن قُتَيْبَةَ ، قال : سُمِعَ قبل الإسلام بقاليل هاتفت يهتف : أَلَا إِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ : بِحَيْرَى ، وَرِبَابُ بْنُ الْبَرَاءِ الشَّيْ (٢) وَالثَّالِثُ : الْمُنتَظَرُ ، فكان الثالثُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال الْفَتَيْيُّ : وكان قَبْرُ رَبَابِ الشَّيْ ، وقبر ولده من بعده ، لا يزال يُرى عليها طَشٌّ ، وَالطَّشُّ : المطرُ الضَّعِيفُ (٣) .

وقال فيه : فَصَبَّ (٤) رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعمه . الصَّبَابَةُ : رِقَّةُ الشَّوْقِ ، يقال : صَدَبْتُ - بكسر الباء - أَصَبْتُ ، ويذكر عن بعض السلفِ أنه قرأ : ﴿ أَصَبْتُ إِلَيْهِمْ وَأَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ يوسف : ٣٣

(١) بليد فى أطراف الشام ، بينها وبين وادى القرى على طريق حاج دمشق .

(٢) هو فى المعارف : أرباب بن رثاب من عبد القيس .

(٣) نص قول ابن قتيبة فى المعارف : د كان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن لإلأرأوا طشا على قبره ، ونص كلامه عن الرسول - كما زعموا - صلى الله عليه وسلم - د وآخر لم يأت بعد . النبي (ص) ، ص ٣٠ تحت باب : من كان على دين قبل مبعث النبي (ص) ، وهو خبر مصنوع ولا شك

(٤) وفى رواية - كما جاء فى الطبرى وشرح الحشنى - صب ، وفسرها الأخير بقوله : تعلق به وامتسك .

وفي غير رواية أبي بَحرٍ: ضَبَّتْ به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَى :
لَزِمَهُ قال الشاعر :

كأن فؤادى فى يد ضَبَّتَتْ به مُحاذِرَةً أن يَقْضِبَ الحِجْلَ قاضِبُهُ

فكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إذ ذاك ابنَ تسع سنين فيما
ذكر بعضُ من ألف فى السَّيرِ ، وقال الطبرى : ابنُ نِثْتَى عشرة سنة (١) .

من صفات هتم النبوة :

وذكر فيه خاتم النبوة وقول ابن هشام : كان كَأَثَرِ المِجْجَمِ يعنى : أَمْرَ
المِجْجَمَةِ القابضة على اللحم ، حتى يكون نَاتِبًا . وفى الخبر أنه كان حوله
خيلاًن فيها شعراتٌ سُودٌ . وفى صفته أيضاً أنه كان كالنفاحة ، وكزُرِّ الحَجَلَةِ
وفسره الترمذى تفسيراً وهم فيه فقال : زِرُّ الحَجَلَةِ يقال : إنه بَيضٌ له فتوهم
الحَجَلَةِ من القَبِجِ (٢) وإِنما هى حَجَلَةُ السَّرِيرِ ، واحدة : الحِجَالِ ، وزرُّها الذى
يدخل فى عُرْوَتِهَا - قال على - رضوانُ الله عليه - لأهل العراق : يا أشباهَ الرجال :

(١) فى الطبرى : وهو ابن تسع سنين ، وقبل ، ثلاث عشرة . حكاه أبو عمر
وقال ابن الجوزى ، اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام . وفى سيرة مغلطى : وشهر
(٢) هو الحجل ، وفى اللسان أنه الكروان ، وأنه معرب ، وهو بالفارسية .
كبيج معرب ؛ لأن القاف والجيم لا يجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب ، وقد ضبط
البنخارى الحجل بضم الحاء ، وقال : لأنه من حجل الفرس بضم الحاء وسكون الجيم ، الذى بين
عينيه ، وهو بعيد لأن الذى بين العينين اسمه الفرة لا الحجل ، والتججيل فى القوام .

ولارِجَالٍ، وَيَاطْغَامَ الْأَحْلَامِ . وَيَاعْقُولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ (١) . وفي حديث آخر: كان كبيضة الحمامة ، وفي حديث عيَّاذِ بنِ عَبْدِ عَمْرٍو، قال: رأيت خاتَمَ النبوة ، وكان كَرُّ كَبَةِ الْعَنْزِ . ذكره النعمريُّ مُسْنَدًا في كتاب الاستيعاب ، فهذه خمس

(١) من خطبة منسوبة إلى علي بن أبي طالب ، وقدرها المبرد في أول الكامل وهي في كتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه الشريف الرضى خطبا رائعة ، ونسبها إلى علي . وفي رأى كثير أنها للشريف نفسه ، وفي المبرد كما هنا . ومعنى طغام : من لا معرفة عنده — كما ذكر المبرد — أو أوغاد الناس ورذال الطير ، مفردا : طغامة وفي نهج البلاغة « وحلوم الأطفال وعقولُ رباتِ الحجال ، برفع حلوم وعقول . وربات الحجال : النساء . وبداية الخطبة كما في النهج : « أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتجه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة الخ ، انظر ص ٧٤ وما بعدها نهج البلاغة ط الرحمانية ، و ص ١٦٤ ج ١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط ٣ دار الفكر لبنان .

(٢) أما عيَّاذ فترجمته في الإصابة عيَّاذ بن عمرو ، أو ابن عبد عمرو الأزدي أو السلمي أو عيَّاد بدلا من عيَّاذ ، وكان — كما جاء في بعض الروايات — يخدم النبي « ص » فخطبه يهودى ، فسقط رداؤه عن منكيبه — وكان النبي صلى الله عليه وسلم — يكره أن يرى الخاتم . يقول عيَّاد . فسويته عليه ، فقال : من فعل هذا ؟ فقلت ، أنا . قال : تحول إلى ، جلست بين يديه ، فوضع يده على رأسي ، فأمرها على وجهي وصدرى ، وكان الخاتم على طرف كتفه الأيسر ، كأنه رقبة عنز وهذه رواية ابن منده والطبراني ، ومن تبهما وسنده ضعيف ، وللخطيب من هذا الوجه ، وفيه أن الخاتم مثل ركبة العنز ، وفي سنده من لا يعرف « الإصابة باختصار » هذا وقد سبق الحديث عن الخاتم ، ويقول ابن حجر في الفتح ماورد من أن الخاتم كان كأثر المحجم ، أو الشامة السوداء ، أو الخضراء — كما في تاريخ ابن أبي خيثمة — المكتوب عليها : محمد رسول الله — كما في تاريخ الحاكم وغيره ، أو سر فإنك المنصور ، لم يثبت منها شيء ، ولا يغتر بشيء مما وقع في صحيح ابن حبان ؛ فإنه غفل حيث صحح ذلك .

روايات في صفة الخاتم: كالنفاحة وكبنيضة الحمامة، وكزير الحجلة، وكأثر المخرجم
 وكركبة العنزور ورواية سادسة: وهي رواية عبد الله بن سرجس: قال: رأيت
 خاتم النبوة كأجمع يعني: كالمخجمة، [وهي الآلة التي يجتمع بها دم الحجامه
 عند المص] لا كجمع الكف، ومعناه كمنى الأول أى كأثر الجتمع. وقد
 قيل في الجتمع: إنه جمع الكف: قاله القتيبي (١): والله أعلم.

ورواية سابعة عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - وقد سئل عن
 خاتم النبوة: فقال: بضعة ناشزة (٢) هكذا: ووضع طرف السبابة في مفصل
 الإبهام، أو دون المفصل، ذكرها يونس عن ابن إسحاق، وفي صفته أيضاً
 رواية ثامنة، وهي رواية من شبهه بالسلعة (٣)، وذلك لتتوه، وقد تقدم
 حديث، فيه عن أبي ذر - رضى الله عنه - مرفوعاً بيان وضع الخاتم بين كتفيه

(١) يقول الزرقاني في شرح المواهب عن تفسير السهلي . وهو تكلف
 والمتبادر في تفسير ابن قتيبة، وقد تبعه عليه عياض، والنووي والمصنف وغيرهم،
 من ١٥٧ ج ١ وجمع بضم الجيم. وحكى ابن الجوزي وابن دحية كسرهما، وجزم
 به في المفهم. والجمع صورة الكف بعد أن تجمع الأصابع وتضمها وحديث ابن
 سرجس في مسلم ومسنده أحمد.

(٢) حديث الخدري رواه الترمذي في الشمائل.

(٣) حديث السلعة رواه البيهقي، وبضعة ناشزة: قطعة لحم مرتفعة، وتروى
 بضعة بفتح الباء، وضمها وكسرهما، وانظر المواهب ص ١٥٥ ج ١، ولأحمد عن
 الخدري: لحم ناشز بين كتفيه، والبيهقي، والبخاري في التاريخ عنه: لحم ناتئة
 وأحمد وابن سعد من طرق عن أبي رمثة، والسلعة: زيادة تحدث في البدن كالغدة
 تتحرك إذا حركت، وقد تكون من حمصة إلى بطيخة.

متى كان ، وروى التِّرْمِذِيُّ^(١) في مصنفه ، قال : حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي ، حدثنا عبد الرحمن بن غَزْوَانَ أبو نوح ، أخبرنا يونس ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبي - صلى الله عليه وسلم - في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا ، فَحَلَّوْا رِحَالَهُمْ : فخرج إليهم الراهبُ ، وكانوا قبل ذلك يمرون به ، فلا يخرج إليهم ، ولا يلتفت : فجعل يتخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ : وهم يَمْحُونَ رِحَالَهُمْ : حتى جاء فأخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : ما عَلمَكَ ؟ . فقال : إنكم حين أشركتم من العَقَبَةِ لم يبق حَجَرٌ ، ولا شجر إلا خَرَّ ساجداً : ولا يسجدان إلا للنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من عُضْرُوفِ كَتِفِهِ . ويقال : عُضْرُوفٌ مثل التفاحة . ثم رجع : فصنع لهم طعاما ، فلما أتاهاهم به - وكان هو في رِعْيَةِ الإبل - قال : أرسلوا إلي . فأقبل وعليه عَمَامَةٌ تُظِلُّهُ ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جاس مال فيء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه ، قال : فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدُهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة ، فيقتلونه ، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم فقالوا : جئنا أن هذا النبيَّ خارجٌ في هذا الشهر ،

(١) ورواه أيضاً الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم والحرانطي وابن أبي عساكر ، وابن أبي شيبة .

فلم يبق طريق إلا بُعِثَ إليه بِأَنَاسٍ ، وإنا قد اخترنا خيرة بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خَلَفْتُمْ أَحَدًا هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ ، فقالوا : إنا اخترنا خيرة لطريقك (١) هذا ، قال : أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ : هل يستطيع أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ ؟ قالوا : لا ، قال : فبِأَيُّعُوهُ (٢) وأقاموا معه . قال : أَتَشُدُّكُمْ بِاللَّهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ ؟ قالوا : أَبُو طَالِبٍ ، فلم يزل يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ ، وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَزُوْدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَمَكِ وَالزَّيْتِ (٣) ، قال

- (١) في لفظ الحديث اضطراب وخطأ ، وفي المواهب وشرحها ما يأتي : ج ١ ص ١٩٥ : « فلم يبق طريقين إلا بعث إليها بأناس ، وأنا هذا أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خلفكم أحدهم هو خير منكم ؟ قالوا : إنا أخبرنا خبره بطريقك هذا ، وانظر الخصائص للسيوطي > ١ ص ٢٠٨ و ١٤٢ و ١ السيرة الحلبية .
- (٢) معناه : بايعوا بحيرا على ألا يأخذوا النبي «ص» ، ولا يؤذوه على حسب ما أرسلوا فيه ، وأقاموا مع بحيرا خوفا على أنفسهم إذا رجعوا بدونه ، انظر ص ٢٨٥ > ٢ البداية والمواهب ، ومن أسماء بحيرا : جرجس وجرجيس .
- وأكرر مرة أخرى بحجة من القرآن أن رسول الله «ص» لم يكن هو نفسه يعرف عن أمر نبوته شيئا قبل أن ينزل عليه الوحي ، والآيات التي جعلت آيات له - كما ورد في القرآن والإنجيل والتوراة - لا تتعلق بصفات جسمية ، وإنما بالحقائق النورانية من دعوته صلى الله عليه وسلم ، فهو نبي أمي اسمه : أحمد يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ، ويحرم الخبائث ، ويضع الأغلال والإصر عن البشر .
- (٣) يقول القسطلاني والزرقاني في المواهب وشرحه : « وضعف الذهبي الحديث - حديث بحيرى - لقوله في آخره : وبعث معه أبو بكر بلالا ، فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن متأهلا . قال ابن سيد الناس : لأنه حينئذ لم يبلغ عشر سنين ، فإن المصطفى أزيد منه بعامين ، وكان له يومئذ تسعة أعوام على ما قاله الطبري وغيره ، أو اثنا عشر عاما على ما قاله آخرون ، ولا اشترى =
- (١٥ م - الروض الأنتف ج ٢)

أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وما
قاله أبو طالب في هذه القصة :

== بلالا . قال اليعمرى : لأنه لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد ذلك بأزيد من ثلاثين
عاما ، فإنه كان لبني خلف الجمحين . وعندما عذب في الله اشتراه أبو بكر رحمة
له ، واستنقاذا له من أيديهم . ولفظ الذهبي في الميزان في ترجمة عبد الرحمن ابن
غزوان : كان يحفظ وله مناكير ، وأنكر ماله : حديث عن يونس بن أبي إسحاق
عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبي موسى في سفر النبي « ص » ، وهو مرافق مع
أبي طالب إلى الشام .

وما يدل على أنه باطل قوله : وبعث معه أبو بكر بلالا ، وبلال لم يكن
خلق ، وأبو بكر كان صيباً ، وقال في تلخيص المستدرک بعد ما ذكر تصحيح
الحاكم للحديث : قلت : أظنه موضوعاً ؛ فبعضه باطل ، ويقول عنه عباس الدوري :
ليس في الدنيا أحد يحدث به - أي بهذا الحديث - غير قراد أبي نوح - أي
عبد الرحمن بن غزوان - وقد سمعه منه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين لغرابته
وانفراده . وفي رواية الترمذى لم يذكر اسم الراهب ، وهو تارة يهودى ، وتارة
نصرانى ، وتارة بجزى ، وأخرى مرجس وغيره 11 هذا وبصرى التى فى القصة بلد
بالشام ، وهى قسبة كورة حوران . ولا ريب فى أن قصة بجزى مخترة وإفك
صراح ، وقد استغلها عدو الإسلام ، فزعموا أنه - صلى الله عليه وسلم - اقتبس
دينه مما تعلمه من رهبان النصارى وأجبار اليهود ، وقد تردى فى هذه المهلكة مؤرخ
ينتسب إلى الإسلام ، فزعم أن رحلتى الرسول إلى الشام كان لهما أثرهما فيما صدر
عنه من تشريع .

وأقول : لو أنها حدثت لتواتر خبرها ، ولاجَّ فى مكة وما حولها من القرى ،
ولبدا من رسول الله العلم بما جاءه ليلة الوحي الأولى ، وكيف ، وهو كما أكد
القرآن - لم يكن يعرف حتى الإيمان قبل الوحي 11 .

هذا وفى رواياته متناقضات ، فبجزى من يهود تيماء ، كما جاء فى بعض السنن
للزهري ، وفى مروج الذهب وغيره أنه كان نصرانياً من عبد القيس . والرحلة
كانت مع أبي طالب ، والرحلة مع أبي بكر ، والرحلة وهو فى سن التاسعة ==

ألم ترني من بعدهم همته
بأحمد لما أن شدت مطيقي
بكي حزنا والعيس قد فصلت بنا
ذكرت أباه ، ثم رقرقت عبرة
فقلت : تروح راشدا في عمومة
فرحنا مع العير التي راح أهلها
بفرقة حرّ الوالدين كرام
لترحل إذ ودعته بسلام
وأمسكت بالسكفين فضل زمام
تجود من العينين ذات سجّام
مواسين في البأساء غير لثام
شامي الهوى ، والاصل غير شامي

== أو الثانية عشرة أو الثامنة عشرة . وأبو بكر هو الذي يتوجه إلى الراهب في
رواية ، وبحيرا هو الذي ينزل في رواية ، والراهب مجهول الاسم في رواية ، والراهب
سرجس ، أو جرجس ، أو جرجيس في رواية ١١ والراهب يحذر أبا طالب
من الروم ، والراهب يحذر أبا طالب من اليهود في رواية ، وعدد الروم سبعة ،
وعددهم تسعة في رواية . هذا والكاتب الهندي خدا بخش - علي ما في قوله من
اتهم لابن عباس بأنه واضع الحديث ، وابن عباس برىء من إفسكه - يحكم بزيف
هذه القصة فيقول : « ولكن القصة بأكملها ليست حقيقية ، بل موضوعة ،
وهي من صنع خيال ابن عباس ١١ وربما تكون قد دونت حوالي سنة ١٠٠ هـ ،
ثم يستعرض موقف الصليبية من قصة هذا الراهب ، فيذكر أموراً مذهلة ترينا
إلى أي حد استغل أعداء الدين هذه القصة المنتزعة ، فانظر كتابه (الحضارة
الإسلامية ترجمة الدكتور الخربوطلي) من ص ٤٠ . ويقول المؤرخ
سيديو - رغم اعتداله : « وكان أول سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب
في سنة ٥٨٣ م فبلغ بصرى ، فاجتمع فيها بيجيرى الذي كان اسمه لدى النصارى
جرجيس أو سرجيس ، فنال حظوة عنده ، ص ٦٦ تاريخ العرب العام ، ويقول
غستاف لوبون عن قصة بيجيرى : (وتقول القصة : إن محمداً سافر مرة مع عمه إلى
سورية ، فتعرف في بصرى براهب نسطورى في ديسر نصراني ، فتلقى منه علم
التوراة) ص ١٣٠ حضارة العرب . وذكر هذا في مثل هذا الأسلوب الهادى
الذى يختال بأنه سكينه من اليقين ينتج قلب من لا يعي لهذا الباطل الصريح ١١

فَلَمَّا هَبَّ طِفْلاً أَرْضَ بَصْرَى تَشَرَّفُوا لَنَا فَوْقَ دُورٍ يَنْظُرُونَ حِسَامَ
بِحَاءِ بَجَيْرَى عِنْدَ ذَلِكَ حَاشِداً لَنَا بِشَرَابٍ طَيِّبٍ وَطَعَامٍ
قَالَ: اجْمَعُوا أَصْحَابَكُمْ لِطَعَامِنَا فَقُلْنَا: جَمَعْنَا الْقَوْمَ غَيْرَ غِلَامٍ (١)
ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْهُ، وَذَكَرَ بَاقِيَ الشَّعْرَ .

مَفْظَةٌ فِي الصَّفَرِ :

فصل : وَذَكَرَ مَا كَانَ اللهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْفَظُهُ بِهِ: أَنَّهُ كَانَ صَغِيراً يَلْعَبُ
مَعَ الْغُلَامَانِ ، فَتَعَرَّى فَلَسَكَمَهُ لَا كَمَّ . الْحَدِيثُ . وَهَذِهِ الْقِصَّةُ إِذَا وَرَدَتْ
فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي حِينِ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ — صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَنْتَقِلُ الْحِجَارَةَ مَعَ قَوْمِهِ إِلَيْهَا ، وَكَانُوا يَجْعَلُونَ أُرُؤَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ
لِتَقِيمَهُمْ الْحِجَارَةَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَجْمَأُهَا عَلَى
عَاتِقِهِ ، وَإِزَارُهُ مَشْدُودٌ عَلَيْهِ ، فَقَالَ نَبِيُّ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يَا بَنَ أَخِي !
لَوْ جَعَلْتَ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ ، فَقَمَلْتَ نَسْفَظَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِزَارِي
إِزَارِي ! فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ ، وَقَامَ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ (٢) ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : أَنَّهُ لَمَّا
سَقَطَ ، ضَمَّهُ الْعَبَّاسُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ نُودِيَ مِنَ
السَّمَاءِ : أَنْ اشْدُدْ عَلَيْكَ إِزَارَكَ يَا مُحَمَّدَ ، قَالَ : وَإِنَّهُ لِأَوَّلُ مَا نُودِيَ . وَحَدِيثُ
ابْنِ إِسْحَاقَ ، إِنْ صَحَّ أَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ فِي صَفَرِهِ ، إِذْ كَانَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَامَانِ : فَمَحَمَلُهُ عَلَى
أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً فِي حَالِ صَفَرِهِ ، وَمَرَّةً فِي أَوَّلِ اكْتِمَالِهِ هُنْدَ
بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ .

(١) تَبْدُو فِي الشَّعْرِ رَائِحَةُ الْوَضْعِ ، فَاعَلِيهِ مِنَ الْعَصْرِ الَّذِي قِيلَ فِيهِ سِمَةٌ ،
وَلِهَذَا لَمْ يَرَوْهُ ابْنُ هِشَامٍ .
(٢) الْحَدِيثُ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

حرب الفجار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أربع عشرة سنة ، أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني أبو عبيدة النحوي ، عن أبي عمرو بن العلاء - هاجت حربُ الفجار بين قريش ، ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان . وكان الذي هاجها أن عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، أجار أطيمة للنعمان ابن المنذر ، فقال له البرّاض بن قيس ، أحد بني صمرة بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة : أتجبرها على كنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الخلق ، فخرج فيها عروة الرحّال ، وخرج البرّاض يطنب غفنته ، حتى إذا كان بتيمن ذى طلال بالعالية ، غفل عروة ، فوثب عليه البرّاض ، فقتله في الشهر الحرام ، فلذلك سُمي : الفجار . وقال البرّاض في ذلك :

وداهية لهمُ النَّاسُ قَبْلِي شَدَدْتُ لَهَا - بَنِي بَكْرٍ - ضُلُوعِي
هَدَمْتُ بِهَا بُيُوتَ بَنِي كِلَابٍ وَأَرْضَعْتُ الْمَوَالِيَ بِالضَّرْعِ
رَفَعْتُ لَهُ بَدْيَ طَلَّالٍ كَفِي فَجَرَّ يَمِيدُ كَلْبُذَعِ الصَّرِيْعِ

وقال لبيد بن مالك بن جعفر بن كلاب :

أُبْلِغُ - إِنْ عَرَضَتْ - بَنِي كِلَابٍ وَعَامِرَ وَالْخَطُوبُ لَهَا مَوَالِي
وَبَلَغَ إِنْ عَرَضَتْ بَنِي مُنْمِرٍ وَأَخْوَالَ الْقَتِيلِ بَنِي هِلَالٍ
بَأَنَّ الْوَأْفِدَ الرَّحَّالَ أَمْسَى مُقِيمًا عِنْدَ تَيْمَنِ ذِي طَلَّالِ

.

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام .

قال ابن هشام : فأتى آتٍ قريشا ، فقال : إن البرأض قد قتل عروة ، وهم في الشهر الحرام بمكأظ ، فارتحلوا ، وهوازن لا تشمرو ، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقبتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم التفتوا بعد هذا اليوم أياما ، والقوم متساندون ، على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

وشهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعض أيامهم ، أخرجه أعمامه معهم ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : كنت أنبئ على أعمامى ، أى : أزد عنهم ، فبيل عدوهم ، إذا رموهم بها .

قال ابن إسحاق : هاجت حرب الفجار ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن عشرين سنة ، وإنما سمي يوم الفجار ، بما استحل هذان الحيطان : كنانة وقيس عيلان فيه المحارم بينهم .

وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس ، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

قال ابن هشام : وحديث الفجار أطول مما ذكرت ، وإنما منعى من استقصائه قطعه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • • • •

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمساً وعشرين سنة ، تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المديني .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه ، بشئ يجعله لهم ، وكانت قريش قوماً تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بلغها ، من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ، وتُعطيه أفضل ما كانت تُعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له : ميسرة ، فقبِله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قَدِم الشام .

فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة ، فقال له : مَنْ هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجلٌ من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي .

ثم باع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلعة التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ، ومعه ميسرة ، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة ، واشتد الحر ، يرى ملكين يظلالاً من الشمس - وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بما لها ، باعت ما جاء به ، فأضف أو قريبا . وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعمّا كان يرى من إظلال الملكين إياه ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت له - فيما يزعمون : يا بن عمّ ، إني قد رغبتُ فيك لقرابتك ، وسطيتك في قومك وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا ، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو بقدر عليه .

وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . وأمها : فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رباحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر . وأم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو ابن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر . وأم هالة : قلابة بنت سعيد ابن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . فلما قالت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكر ذلك لأعمامه ، ففرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب - رحمه الله - حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه ، فتزوجها .

قال ابن هشام : وأُضِدَّقَهَا رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — عشرين
بَكْرَةً ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم يتزوج
عليها غيرها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

قصة الفجار

والفِجَار بكسر الفاء بمعنى : المُفَاجِرَة كالقتالِ والمُقَاتَلَة ، وذلك أنه كان
قتالاً في الشهرِ الحرامِ ، فَفَجَرُوا فيه جميعاً ، فسمى : الفِجَارَ ، وكانت للعرب
فِجَارَاتٌ أربع ، ذكرها للسعودي ، آخرُها : فِجَارُ البَرَّاصِ (١) اللذ كور في السيرة .
وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مَذْ كورة : يوم شَمْطَة ، ويوم الشَّرِبِ ، وهو
أعظمها يوماً ، وفيه قَيْدُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ وسُفْيَانَ وأبوسُفْيَانَ أبناء أُمَيَّةَ أَنفُسَهُمْ
كي لا يَفْرُوا ، فَسَمُّوا : العنَابِسَ (٢) ، ويوم الحُرَيْرَةِ عند نخلة ، ويوم الشَّرِبِ انهرمت
قيسٌ إلاّ بنى نَصْرٍ منهم ، فإنهم ثبتوا ، وإنما لم يقاتل رسولُ الله — صلى الله
عليه وسلم — مع أعمامه ، وكان يَنْبُلُ عابهم ، وقد كان بلغ سِنَّ القتالِ ؛ لأنها
كانت حَرْبَ فِجَارٍ ، وكانوا أيضاً كلهم كُفَّاراً ، ولم يأذنِ اللهُ تعالى لمؤمن
أن يقاتل إلاّ لتكون كلمة الله هي العليا .

(١) هي : فِجَارُ الرجل ، أو فِجَارُ بدر بن معشر ، وفِجَارُ القرد ، وفِجَارُ المرأة ،
والأولى بين كنانة وهوازن . والثانية أيضاً : بينهما ، والثالثة : بين قريش وهوازن ،
وكانت البراص بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن ، وتسمى : ثلاثة الفجارات .
الأول : أيام الفجار الأول . أما البراص فالفجار الآخر .

(٢) العنابس من أسماء الأسد ، والعنابس من قريش أولاد أُمَيَّةَ بن عبد
شمس الأكبر ، وهم ستة ، منهم الذين ذكرهم السهيلي والآخرون هم : أبو حرب
وعمر و أبو عمرو ، وسموا بالأسد ، والباقيون يقال لهم : الأعماص

وَاللَّطِيمَةُ : عَيْرٌ تَحْمِلُ الْبُرَّ وَالْعِطَرَ .

وقوله : بذى طَلَّالٍ (١) بتشديد اللام ، وإنما خففه لبيدٌ في الشعر الذي ذكره ابن إسحاق ههنا للضرورة .

ضع تنوين العلم :

وقول البرّاضِ : رفعتُ له بذى طَلَّالٍ كَنَفِي . فلم يَصْرِفْهُ ، يجوز أن يكون جعله اسمَ بُقْعَةٍ ، فتَرِكَ إجراء الاسم للتأنيث والتعريف ، فإن قلت : كان يجب أن يقول : بذاتِ طَلَّالٍ ، أي : ذات هذا الاسم للمؤنث ، كما قالوا : ذو عمرو وأى : صاحبُ هذا الاسم ، ولو كانت أنثى ، لقالوا : ذاتُ هذا ، فالجواب : أن قوله : بذى يجوز أن يكون وصفاً للطريق ، أو جانب مضافٍ إلى طَلَّالٍ اسم البقعة . وأحسنُ من هذا كَلَّمَهُ أن يكونَ طَلَّالُ اسماً مذكراً عاماً ، والاسمُ العلمُ يجوز تركُ صرفه في الشعرِ كثيراً ، وسيأتي في هذا الكتاب من الشواهدِ عليه ما يدلُّك على كثرتِه في الكلام ، ونؤخِّرُ القولَ في كشفِ هذه المسئلةِ وإيضاحِها إلى أن تأتي تلك الشواهدُ - إن شاء الله - ووقع في شعر البرّاضِ مُشَدِّداً ، وفي شعر لبيدٍ الذي بعد هذا مُخَفِّفاً ، وقلنا : إن لبيداً خففه للضرورة ، ولم يُقَل : إنه شَدَّدَ للضرورة ، وإن الأصل فيه التخفيف ، لأنه فَعَّالٌ مِنَ الطَّلِّ ، كأنه موضعٌ يكثر فيه الطَّلُّ ، فَطَلَّالٌ بالتخفيف لا معنى له ، وأيضاً ؛ فإننا وجدناه في الكلام المنشورِ مُشَدِّداً ، وكذلك تقييد في كلام ابن

(١) تنطق بالظاء أيضاً ، وتيمن ذى طلال ، قيل : إنه واد إلى جنب فذلك ، والصحيح : أنه بعالية نجد ، كما ذكر ابن هشام . والعالية : كل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة . وما كان دون ذلك : فالسافلة .

إسحاق هذا في أصل الشيخ أبي بجر (١).

من تفسير سمر البراصم :

وقوله في البيت الثاني : وألحقتُ الموالى بالضروع (٢) . جمع : ضَرَعٌ ، هو في معنى قولهم : لثيمٌ راضعٌ ، أى : ألحقتُ الموالى بمنزلتهم من اللؤم . ورضاع الضرُوع ، وأظهرت فسألتهم (٣) وهتكتُ بيوتَ أشرفِ بني كلابٍ وضرَحَهم .

وقول لييد : بين تيمَنَ ذى طلالٍ . بكسر الميم وفتحها ، ولم يضرِفهُ لوزنِ النعل ، والتعريف ؛ لأنه تَفَعَّلَ ، أو تَفَعَّلَ من التيمَنَ أو التيمين .
آخر أمر الفجاء :

وكان آخرُ أمرِ الفجاءِ أن هَوَازِنَ وَكِنانة تواعدوا للعام القابلِ بِمِساكَاظِ فجاءوا للوعدِ ، وكان حربُ بنِ أميةَ رَئِيسَ قُرَيشٍ وَكِنانة ، وكان عتبةُ بنِ ربيعةَ يتيمًا فى حجْرِهِ ، فَضَنَّ به حربٌ ، وأشفق من خُروجه معه ، فخرج عتبةُ بغيرِ إذْنِهِ ، فلم يَشْعُرُوا إلَّا وهو على بعيره بين الصَّفِينِ ينادى : يا مَعْشَرَ مُضَرَ ، عَلَامَ تَقَاتِلُونَ ؟ فقالت له هَوَازِنُ : ما تدعو إليه ؟ فقال : الصالح ، على أن ندفع إليكم ديةَ قَتَلَاكُمْ ، وَنَعْفُو عن دماننا ، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رهنا مينا ، قالوا : وَمَنْ لنا بهذا ؟ قال : أنا . قالوا : وَمَنْ أنت ؟ قال : عتبةُ بنِ ربيعةِ بنِ عبدِ شمس ، فرَضُوا ورضيت كِنانةُ ، ودفَعُوا إلى هَوَازِنَ أربعين رجُلًا : فيهم : حكيمُ بنِ حزامٍ [بنِ خُوَيْلِدٍ] ، فلما رأَت بنوعامر بنِ صَعْصَعَةَ الرَّهْنِ

(١) انظر عن هذا ص ٦١ شرح السيرة للخشني .

(٢) فى السيرة : وأرضعت .

(٣) الفسل من الرجال : الرذل .

في أيديهم ، عَفَوْا عن الدماء ، وأطلقوهم وانقضت حَرْبُ النَّجَّارِ (١) ، وكان يقال : لم يَسُدَّ من قريشٍ مُمْلِقٌ إِلَّا عُتْبَةُ وأبو طالب ، فإنهما سادا بغير مال .

فصل في تزويجه عليه السلام خديجة رضي الله عنها

شرح قول الراهب :

ذكر فيه قول الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إِلَّا نَبِيٌّ . يريد : ما نزل تحتها هذه الساعة إِلَّا نَبِيٌّ ، ولم يُرِدْ : ما نزل تحتها قط إِلَّا نَبِيٌّ ؛ لبعده العهد بالأنبياء قيل ذلك ، وإن كان في لفظ الخبر : قَطُّ ، فقد تسكلم بها على جهة التوكيد للنفى ، والشجرة لَا تُعَمَّرُ في العادة هذا العُمُرَ الطويل حتى يَدْرِي أنه لم يَنْزِلْ تحتها إِلَّا عيسى ، أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - وَيَبْعُدُ في العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن يَنْزِلَ تحتها أحدٌ ، حتى يجيء نبي إِلَّا أن تَصِحَّ رواية من قال في هذا الحديث : لم يَنْزِلْ تحتها أحدٌ بعد عيسى بن مريم - عليه السلام - وهي رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم . وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نَسْطُوراً (٢) وليس هو بخيرا المتقدم ذكره .

(١) ومن حديث حرب الفجار نفسر ما ياتني : اللطيمة : الإبل تحمل التجارة والطيب والبرز وأشباههما القوم متساندون : ليس لهم أمير واحد يجمعهم . ولم يرد في حضور النبي ، ص ، حرب الفجار حديث يعتمد به .
(٢) قلت : إن الصليبية استغلت هذه الأكذوبة ، فادعى أحدهم وهو =

تحقيق معنى الوسط :

وقول خديجة - رضى الله عنها : لِسِطَتِكَ فى عَشِيرَتِكَ ، وقوله فى وصفها :
هى أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَبًا . فالسَّطَةُ : من الوَسَطِ ، مَصْدَرٌ كَالْعِدَّةِ وَالزَّيْنَةِ ، وَالْوَسَطُ
من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن فى مقامين : فى ذكر النسب ، وفى ذكر
الشهادة . أما النسب ؛ فلأن أَوْسَطَ القَبِيلَةِ أَعْرَفُهَا ، وأولاهها بالصميم وأبعدُها
عن الأطراف والوسيط ، وأجدُرُ أن لاتضاف إليه الدعوة ؛ لأن الآباء والأمهات
قد أحاطوا به من كل جانب ، فكان أَوْسَطُ من أجل هذا مَدْحًا فى النسب
بهذا السبب ، وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه : (قال أوسطهم) وقوله :
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ البقرة : ١٤٣
فكان هذا مدحا فى الشهادة ؛ لأنها غاية العَدَالَةِ فى الشاهد أن يكون وَسَطًا
كالميزان ، لا يميل مع أحد ، بل يُصَمِّمُ على الحقِّ تصميماً ، لا يجذبُه هوى ،
ولا يميل به رغبة ، ولا رهبة من ههنا ، ولا من ههنا ، فكان وصفه بأَوْسَطِ
غاية فى التزكية والتعديل ، وظن كثير من الناس أن معنى الأوسط : الأفضلُ
على الإطلاق ، وقالوا : معنى الصلاة الوُسْطَى : التُّضَلَى ، وليس كذلك ، بل هو
فى جميع الأوصاف لأمْدَحٍ ولأَدَمٍّ ، كما يقتضى لفظ التَّوَسُّطِ ، فإذا كان وَسَطًا فى
السَّمَنِ ، فهى بين المُمِخَّةِ (١) والمعجفاء . والوسط فى الجمال بين الحسناء

= نيكولس ، أن اثنين من اليهود ، ومسيحياً يعقوبياً يدعى : بيميرى أمدأ
محمدأ بكثير من المعلومات التى استفاد منها فى دينه ص ٣٢ - الحضارة الإسلامية ،
ويزعم د أندريا داندولو ، أن هذا الراهب النسطورى د نسبه إلى فرقة مسيحية ،
أراد محاربة الكنيسة ، فاستغل محمدأ فى هذا . وكما مفتريات من تن فرية خديجة
انظر خدابخش الحضارة الإسلامية .

(١) فى اللسان : الممخة بضم فكسر نحاء مشددة مفتوحة : السمينة
وفى المثل : بين الممخة والمعجفاء .

والشَوْهَاءَ ، إلى غير ذلك من الأوصاف ، لا يعطى مدحا ، ولا ذما ، غير أنهم قد قالوا في المثل : أُنْقَلِ مِنْ مُغْنٍ وَسَطٍ عَلَى الذَّمِّ ؛ لأن المغنى إن كان مجيدا جدا أمتع وأطرب ، وإن كان باردا جدا أضحك وألهى ، وذلك أيضا مما يمتنع . قال الجاحظ : وإنما الكَرْبُ الذى يَجْمُ على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس الفناء الفاتر الوَسَطُ الذى لا يمتنع بِمُسْنٍ ، ولا يُضْحِكُ بِلَهْوٍ ، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو : أَوْسَطُ النَّاسِ . أى : أفضاهم ، ولا يوصف بأنه وَسَطٌ فى العِلْمِ ، ولا فى الجود ، ولا فى غير ذلك إلا فى النسب والشهادة ، كما تقدم ، والحمد لله ، والله المحمود .

من الذى زوج خديجة؟

فصل : وذكر مشى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى خُوَيْلِدِ بْنِ أُسْدٍ مع عمه حمزة — رضى الله عنه — وذكر غيرُ ابن إسحاق أن خُوَيْلِدًا كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة — رضى الله عنها — هو عمها عمرو بن أسد ، قاله المبرد وطائفة معه ، وقال أيضا : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو الذى خَطَبَ خُطْبَةَ النِّكَاحِ ، وكان مما قاله فى تلك الخطبة : « أما بعد : فإن محمداً يَمِّنُ لا يُؤَاوِزُنْ به فتى من قريش إلا رَجَحَ به شرفا ونُبلا وفضلا وعقلا ، وإن كان فى المال قُلُوبًا ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسْتَرْجَعَةٌ ، وله فى خديجة بنت خُوَيْلِدٍ رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » فقال عمرو : هو الفحل الذى لا يُقْدَعُ أنفه ، فأنكحها منه ، ويقال : قاله وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، والذى قاله المبرد هو الصحيح ؛ لما رواه

(١) ونص الخطبة فى نهاية الأرب : والحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم =

الطَّبْرِيُّ عن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، وعن ابنِ عَبَّاسٍ ، وعن عائِشَةَ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ — قال : إنَّ عَمْرُو بنَ أَسَدٍ هو الَّذي أنكَحَ خَدِيجَةَ رَسولَ اللهِ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وأنَّ خُوَيْلِدًا كانَ قد هَلَكَ قَبْلَ الفِجَارِ ، وخُوَيْلِدُ ابنِ أَسَدٍ هو الَّذي نازَعَ تَبَعًا لِإِخْرَ حينَ حَجَّجَ ، وأرادَ أنْ يَحْتَمِلَ الرِّكْنَ الأَسودَ مَعَهُ إلى المِينِ ، فقامَ في ذلكَ خُوَيْلِدٌ ، وقامَ مَعَهُ جَماعَةٌ ، ثمَّ إنَّ تَبَعًا رُوِّعَ في مَنامِهِ تَرويعًا شَدِيدًا حَتَّى تَرَكَ ذلكَ ، وانصَرَفَ عَنهُ وَاللهُ اعْلَمُ .

فصل : وذكر الزُّهْرِيُّ في سِيَرِهِ ، وهى أولُ سَـمِيرةِ أُلْتِ في

== ووزع إسماعيل ، وضِضِيءُ معد ، أى معدنه وأصله ، وعنصر مضر ، وجعلنا حَضْنَةَ بَيْتِهِ ، وَسُؤَاسَ حَرَمِهِ ، وجعل لنا بَيْتًا مَجْجوجًا ، وحرما آمنًا ، وجعلنا الحِسْكَامَ على الناسِ ، ثمَّ إنَّ ابنَ أخِي هذا مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِ اللهِ لا يوزنُ بِهِ رَجُلٌ لِإِلراجِحِ بِهِ ، فإنَّ كانَ في المَالِ قَسْلٌ ، فإنَّ المَالِ ظَلَّ زائِلٌ ، وأمرُ حائِلٌ ، ومُحَمَّدٌ من قَدِ عَرَفْتُمُ قَرابَتَهُ ، وقد خَطَبَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وبذلَ لها مِنَ الصِّداقِ ما أَجَلُهُ وَعاجِلُهُ مِنَ مَالِي كِذا . وهو وَاللهُ بَعْدَ هَذا نَبِيٌّ عَظِيمٌ ، وخَطَبَ جَليلٌ ، ص ٩٨ - ١٦ نَهايةِ الأربِ . وفي رِوايَةٍ أَنَّ صِداقَها كانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أوقِيَةَ ذَهَبًا وَنِشْأًا ، وقالَ المِجْبُ الطَّبْرِيُّ في السَّمطِ اثْنينِ : لِأنَّهُ كانَ عَشْرينِ بَكْرَةً وفي المِنتَقى : أربعمائةِ دِينَارٍ . وفيهِ أيضًا أَنَّ ورَقَةَ بنَ نُوْفَلٍ خَطَبَ بَعْدَ أَبِي طالِبٍ فقالَ : هُوَ المِجْدُ اللهُ الَّذي جَعَلنا كِما ذَكَرْتُمُ ، وَفَضَلنا على ما عَدَدْتُمُ ، فَتَحنِ سادَةَ العَرَبِ وَقادِئِها ، وَأَنتُمُ أَهلُ ذلكَ كَلِمَةٍ ، لا تَنكُرُ العَشيرةَ فَضلكُمُ ، ولا يَرِدُ أَحَدٌ مِنَ الناسِ مِغْرَمًا وَشَرَفَكُمُ ، وَقَدِ رَغَبنا في الاِئْتِصالِ بِمِجْلِكُمُ وَشَرَفِكُمُ ، فَاشْهَدوا عَلَيَّ بِاِمعاشِ قَرِيشِ بَأَنِّي قَدِ زَوَّجْتُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، مِنَ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ على أربعمائةِ دِينَارٍ ثُمَّ سَكَتَ ، فَقالَ أَبُو طالِبٍ ، قَدِ أَحْبَبْتُ . أَنَّ يَشْرَكَكَ عَمَها هُوَ فقالَ عَمَها : اشْهَدوا على يا مِعاشرَ قَرِيشِ أَنِّي قَدِ أنكَحْتُ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِ اللهِ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وَشَهِدَ على ذلكَ صِنادِيدُ قَرِيشِ .

الإسلام ، كذا روى عن [عبد العزيز بن محمد بن عبيد] الدَّرَّاءُورِدِي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لشريكه الذي كان يَتَجَرُّ معه في مالِ خديجة : هَلُمَّ فَلَمَنَّا جَدْتُ عِنْدَ خَدِيجَةَ ، وَكَانَتْ تُسَكِّرُ مُمَّهَما وَتُحَفِّهُمَا (١) ، فلما قاما من عندها جاءت امرأة مُسْتَشْشِئَة (٢) - وهى الكاهنة - كذا قال الخطابي في شرح هذا الحديث ، فقالت له : جئت خاطبا يا محمد ، فقال : كلا ، فقالت : ولم؟! فوالله ما فى قریش امرأة ، وإن كانت خديجة إلا تراك كُفْتًا لها ، فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطبا لخديجة مُسْتَحْفِيًا منها ، وكان خويلد أبوها سكران من الخمر ، فلما كُلم في ذلك أنكحها ، فألقت عليه خديجة حُلَّةً وَضَمَّخَتْهُ بِخُلُوقِ (٣) فلما صجعا من سُكْرِهِ قال : ما هذه الحُلَّةُ والطَّيبُ؟ فقيل : إنك أنكحت محمدا خديجة ، وقد ابنتى بها ، فأنكر ذلك ، ثم رَضِيَهُ وأمضاه ، ففي هذا الحديث أن أباهما كان حيا ، وأنه أدى أنكحها . كما قال ابن إسحاق . وقال راجزٌ من أهل مكة فى ذلك :

لَا تَزْهَدِي خَدِيجَ فِي مُحَمَّدٍ نَجْمٌ يَضِيءُ كِبَاضِ الْفَرَقَدِ (٤)

(١) التحفة بالضم وكهزمة : البر والطف والطفرة .

(٢) كانت من موالدات قریش ، يقال : يستشئ الاخبار ، أى : يبحث عنها . وقال الأزهري : إن مُسْتَشْشِئَة علم املك الكاهنة .

(٣) الخلق : ضرب من الطيب . والضمخ : طخ الجسد بالطيب .

(٤) الفرقد : النجم الذى يهتدى به ، وفى شرح المواهب : « كإضاءة الفرقد ،

بدلا من « كإضاءة الفرقد » .

أولاده صلى الله عليه وسلم منها :

قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم : القاسم ، وبه كان يُسكنى صلى الله عليه وسلم ، والظاهر ، والطَّيِّب ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام .

قال ابن هشام : أكبر بنيهِ : القاسم ، ثم الطَّيِّب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته : رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال ابن إسحاق : فأما القاسم ، والطَّيِّب ، والظاهرُ فهلكوا في الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه : مارية القبطية . حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن كهيعة ، قال : أم إبراهيم : مارية سُريَّةُ النبي صلى الله عليه وسلم التي أهداها إليه المقوقسُ من خفن من كورة أنصنا .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد المزي وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تدبّع الكتب ، وعلم من علم الناس — ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظللانه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتظر ، هذا زمانه ، أو كما قال :

فجعل وَرَقَةً بِسَبْطِيَّ الْأَمْرَ وَيَقُولُ : حَتَّى مَتَى ؟ فَقَالَ وَرَقَةً فِي ذَلِكَ :

لَجِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرَى مُجُوجَا أَيُّهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوَصَّفَ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصْفِ فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
بِئْسَانَ الْمَكْتَبِينَ عَلَى رَجَائِي حَدِيثَكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ مِنَ الرَّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَبْعُوجَا
بِأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا وَيُخَصِّمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نُورٍ يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا
فِيَلْتَقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا
فِيَالْيَتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ شَهِدْتُ فَكُنْتُ أَوْلَاهُمْ وَتُوجَا
وَلُوجَا فِي الَّذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا
أُرْجَى بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعَا إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَقَلُوا عُرُوجَا
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ بَيْنَ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا
فَإِنْ يَبْقُوا وَأَبَقَ تَكُنْ أُمُورٌ يَصِحُّ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَحِيجَا
وَإِنْ أَهْلِكَ فَكُلُّ فَتَى سَيَلْتَقَى مِنَ الْأَقْدَارِ مَتَلَفَةٌ حَرُوجَا

وقيل : إن عمرو بن خُوَيْلِدٍ أَخَاهَا هُوَ الَّذِي أَنْسَكَهَا مِنْهُ ، ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ .

أوردته من ضديحة :

فصل : وذكر ولده منها - صلى الله عليه وسلم - فذكر البنات ، وذكر القاسم والطاهر والطيب ، وذكر أن البنين هلكوا في الجاهلية ، وقال

الزبير — وهو أعلم بهذا الشأن — ولدت له القاسم وعبد الله ، وهو الطاهر ، وهو الطَّيِّبُ سُمِّيَ بالطاهر ، والطيبُ لأنه وُلِدَ بعد النبوة ، واسمُهُ الذي سُمِّيَ به أوَّلُ هو : عبد الله ، وبلغ القاسمُ المشي ، غير أن رضاعته لم تكن كملت ، وقع في مُسند الفِرْيَابِيِّ أن خديجةَ دخل عليها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — بعد موت القاسم ، وهي تبكي : فقالت : يا رسول الله دَرَّتْ لُبَيْنَةَ القاسمِ فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعة لهوَّنَ عليٌّ ، فقال : إن له مَرَضًا في الجنة تستكمل رضاعته ، فقالت : لو أعلم ذلك لهون علي ، فقال : إن شئتَ أسمعُكَ صوته في الجنة ، فقالت : بل أصدق الله ورسوله . قولها ، لُبَيْنَةَ هي تصغير لُبَيْنَةٍ ، وهي قِطْعَةٌ من اللبن ، كالعُسَيْيَةِ ، تصغير عَسَلَةٍ ذكر سيبويه اللَّبَنَةَ وَالْعَسَلَةَ والشُّهْدَةَ على هذا المعنى . قال المؤلف : وهذا من فقها — رضى الله عنها — كرهت أن تؤمن بهذا الأمر مُعَايِنَةً ، فلا يكون لها أجرُ التصديق والإيمان بالغيب ، وإنما أتى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب . وهذا الحديث يدل أيضاً على أن القاسمَ لم يهلك في الجاهلية . واختلفوا في الصُّغْرَى والكبرى من البنات ، غير أن أم كلثوم لم تسكن الكبرى من البنات ، ولا فاطمة ، والأصحُّ في فاطمة أنها أصغرُ من أم كلثوم (١)

(١) في نسب قريش ص ٢١ : « فولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — القاسم ، وهو أكبر ولده ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ثم هكذا الأول فالأول ، ثم مات عبد الله ، ثم ولدت له مارية بنت شمعون ابنه إبراهيم ، وفي زاد المعاد : وقد قيل في كل واحدة ممن إنها أسن من اختها ، وقد ذكر عن ابن عباس : رقية أسن الثلاث ، وأم كلثوم أصغرهن

خديجة وجرير وجريرها :

وخديجة بنت خويلد تسمى : الطاهرة في الجاهلية والإسلام ، وفي سير
المتيمين . أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم -
حين أخبرها عن جبريل ، ولم تكن سمعت باسمه قط ، ركبت إلى بحيرى الراهب ،
واسمها سَرَجِس (١) فيما ذكر السمودي ، فسأته عن جبريل ، فقال : قُدُوسٌ
قُدُوسٌ يا سيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم ؟! فقالت : بعلى وابن عوى
محمد أخبرنى أنه يأتيه ، فقال : قُدُوسٌ قُدُوسٌ ما علم به إلا نبيٌّ مُقَرَّبٌ ، فإنه
السفير بين الله وبين أنبيائه ، وإن الشيطان لا يجترىء أن يتمثل به ، ولا أن
يتسمى باسمه ، وكان بمكة غلامٌ اِعْتَبَةٌ بن ربيعة سيأتى ذكره ، اسمه : عَدَّاسٌ
عنده علم من الكتاب ، فأرسلت إليه تسأله عن جبريل ، فقال : قُدُوسٌ
قُدُوسٌ ! أنى لهذه البلاد أن يُذكرَ فيها جبريلُ يا سيدة نساء قريش ، فأخبرته
بما يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال عَدَّاسٌ مثل مقال الراهب ،
فكان مما زادها الله تعالى به إيماناً و يقيناً .

وذكر ابن إسحاق نسب أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم ، ولم يذكر اسم
الأصم ، وذكره الزبير وغيره ، فقال : جُنْدُب بن هِذَم بن حَجْر ، بفتح الحاء والجيم
من حَجْر . كذا قيده الدارقطنى (٢) ، وأخوه : حُجَيْرُ بن عبد بن معيص بن عامر ،

(١) استغلت الصليبية هذا الإفك المفترى ، فهبت القديسة العظيمة خديجة
بأنها كانت على صلة بهذا الراهب المزعوم .

(٢) صوب الخثنى أيضاً في ضبط حجر رواية الدارقطنى ص ٦٢ وفي نسب
ص ٢١ ، ٢٣٠ قريش عن أم خديجة : د وأما : فاطمة بنت زائدة بن جندب ، وهو
الأصم بن هدم بن رواحة بن حجير بن عبد بن معيص ، وضبط حَجْر بضم الحاء . .

وأما حَجْرُ بَسْكَونِ الجِمْ ففى حَى ذى رُعَيْنِ وإليه ينسب الحَجْرِيُّونَ ، وأما حَجْرُ
بِكسر الحاء ، ففى بنى الدَّيَّانِ : عبدُ الحَجْرِ بن عبد المَدَّانِ ، وهم من بنى الحارث
ابن كعب بن مَدْحِج ، وذكر يونس عن ابن إسحاق نسب أم خديجة ، كما ذكرنى
رواية ابن هشام ، وزاد فقال : كانت أم فاطمة بنت زائدة : هالة بنت عبد مناف بن
الحارث بن عبد بن مُنْقِذِ بن عمرو بن مَعِيصِ بن عامر بن لُؤَيٍّ ، وأمها قِلابَة ، وهى
العَرِيقَة بنت سَعِيدِ بن سَعْدِ (١) بن سهم بن عمرو بن هُصَيْنِ بن كعب بن لُؤَيٍّ
وأُمها : أُمَيْمَة بنتُ عامرِ بن الحارثِ بن فِهْرِ (٢) .

من نزلت خديجة قبل الرسول ؟

وكانت خديجة قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند أبى هالة ، وهو
هند بن زُرارة ، وقد قيل فى اسمه : زُرارة ، وهند : ابنة : ابن النُّبَاشِ من بنى عَدِيٍّ
ابن جِرْوَة بن أُسَيْدِ (٣) ابن عمرو ابن تميم ، فهو أُسَيْدِيٌّ بالتخفيف ، منسوب إلى
أُسَيْدٍ بالتشديد ، كما قال سيبويه فى النسبِ إلى أُسَيْدٍ . وعدى بن جرّوة . يقال

(١) فى نسب قريش : ه قلابه ، وهى العرقة بنت سعيد بن سهم بن عمرو
الخ ، وأما قلابه بنت سعيد بن سعد بن سهم فلا تلقب بالعرقة انظر ص ٢٢ ،
٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٣٨ . وفى نسب قريش . وفى نسب هالة جدة خديجة المذكور فى ابنه
هشام مخالفة لما فى نسب قريش ، فهو فى هذا كما يأتى ه هالة بنت عبد مناف بن
الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص ، ص ٢٢ و ص ٤٣٨

(٢) فى نسب قريش : ه أميمة بنت عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر ، .

(٣) فى مشابه القبائل لابن حبيب : ه أن كل شىء فى العرب أسيد - بفتح
الهمزة وكسر السين سوى أسيد بن عمرو فى بنى تميم فإنه على مثال التصغير ،

ص ٤٥١ ج ٢ المزهر .

إن الزُّبَيْرَ صَحَّفَهُ ، وإِنَّمَا هُوَ عِدِيُّ بْنُ جِرْوَةَ ، وكانت قبل أبي هَالَةَ عند عَتِيقٍ (١) بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ولدت له عبد مناف بن عتيق ، كذا قال ابن أبي خَيْثَمَةَ ، وقال الزُّبَيْرُ : ولدت لعتيق جارية اسمها : هندُ (٢) وولدت لهند أبي هالة ابنا اسمه : هِنْدُ (٣) أيضاً ، مات بالطاعون طاعون البَصْرَةِ ، وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين ألفاً ، فَشَغِلَ النَّاسُ بِجِنَازَتِهِمْ عَنْ جِنَازَتِهِ ، فلم يوجد من يحامها ، فصاحت نادبته : واهند بن هنداه !! واربيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم تبق جنازة إلا أتركت ، واحتملت جنازته على أطراف الأصابع إعظاماً لريب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكره الدُّوَلَابِيُّ ، وخذيجة من أبي هالة ابنان غير هذا ، اسم أحدهما : الطاهر ، واسم الآخر : هَالَةُ . واختلِفَ في سنِّه - صلى الله عليه وسلم - حين تزوج خديجة فقيل ما قاله ابن إسحاق ، وقيل : كان ابن ثلاثين سنة ، وقيل ابن إحدى وعشرين سنة (٤) .

مارية وإبراهيم :

فصل : وذكر أن خديجة - رضى الله عنها - ولدت للنبي صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، فإنه من مارية التي أهداها إليه المموقس ،

(١) وقيل : إن عتيق تزوجها بعد أبي هالة والقولان في الإصابة .

(٢) قيل : إنها أسلت ولها حجة .

(٣) صحابي روى حديث صفة النبي شهد بدرا ، وقيل : أحدا . وذكر الدارقطني

وابن بكار أنه قتل مع علي يوم الجمل .

(٤) في البيهقي والحاكم أن عمره كان خمسا وعشرين ، وعمرها خمسا وثلاثين .

وقد تقدم اسمُ الْمُقَوِّسِ ، وأنه جُرَيْجُ بن مينا ، وذكرنا معنى الْمُقَوِّسِ في أول الكتاب ، وذكرنا أنه أهدى ماريةَ مع حَاطِبِ بن أبي بَلْتَعَةَ ، ومع جَبْرِ مَوْلى أبي رُفَهِمِ الْفِقَارِيِّ ، واسم أبي رُفَهِمِ : كَلْثُومُ بن الْحَصِيِّنِ . وذلك حين أرسلها إليه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوهُ إلى الإسلام ، وأهدى معها أختها سِيرِينَ ، وهي التي وهبها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لِحَسَّانِ ابنِ ثَابِتٍ - رضى الله عنه - فأولدها عبد الرحمن بن حسان ، وأهدى معها الْمُقَوِّسُ أيضاً غلاماً خَصِيّاً اسمه : مَابُورُ ، وبغلةً تسمى : دُؤْلُدُ ، وقد حَا من قَوَارِيرِ كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يشرب فيه ، وتوفيت ماريةَ - رضى الله عنها - سنة ستَّ عَشْرَةَ في خلافةِ عُمرَ - رضى الله عنه - وكان عُمرُ هو الذى يَحْشُرُ الناسَ إلى جِنَازَتِها بنفسِهِ ، وهي ماريةُ بنتُ شَمُونِ (١)

الْقِطِيَّةِ من كُورَةِ حَفَنَ . وأما إبراهيمُ ابن رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فمات ، وهو ابن ثمانيةَ عَشَرَ شهراً في سنة عَشْرٍ من الهجرة في اليوم الذى كَرِهَتْ فيه الشمسُ ، وكانت قابلتهُ ، سَمَى امرأَةَ أبى رافعٍ ، وأرضعته أمُّ بُرْدَةَ بنتُ الْمُنْذِرِ النَّجَّارِيَةِ امرأةَ الْبَرَاءِ بنِ أَوْسٍ ، وسَمَى : هي مَوْلَاةُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وقابلهُ بنى فاطمةَ كَأَهِمٍ ، وهي غَسَلَتْها مع أسماءَ بنتِ عُمَيْسِ الْخُثَمِيَّةِ ، وغسلها معها على بنِ أبى طالبٍ - كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ - وفي الْمُسْنَدِ من طريقِ أَنَسِ أَنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - حين

(١) زاد في نسب قريش بعد شمعون : ابن إبراهيم .

ولدت له مَارِيَّةُ ابْنَتَهُ إِبرَاهِيمَ وَقَع فِي نَفْسِهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
قَالَ لَهُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِبرَاهِيمَ (١) .

زُهْرَةُ وَرَقَةُ :

وَذَكَرَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْمِيِّ ، وَأُمُّ وَرَقَةُ : هُنْدُ بِنْتُ
أَبِي كَبِيرٍ بْنِ عَبْدِ بْنِ قُصَيٍّ ، وَلَا عَقِبَ لَهُ (٢) ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ —

(١) فِي زَادِ الْمَعَادِ : أَنَّ الطَّيِّبَ وَالطَّاهِرَ لِقَبَانِ لَوْلَدِهِ الْمُسَمَّى : عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي
وُلِدَ بَعْدَ النَّبُوَّةِ . وَأَمَّا إِبرَاهِيمُ فَذَكَرَ ابْنُ الْقَيْمِ أَنَّهُ وُلِدَ فِي الْعَامِ الثَّامِسِ مِنَ الْحِجْرَةِ .
وَأَنَّ الَّذِي بَشَّرَهُ بِهِ هُوَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَاهُ . فَوَهَّبَ لَهُ عَبْدًا ، أَمَّا الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ عَنْ
طَرِيقِ أَنَسٍ ، فَفِيهِ ابْنُ لَهِيْعَةَ ، وَلَا يَعْتَدُ بِحَدِيثِ يَرْوِي عَنْ طَرِيقِهِ ، وَفِي رَوَايَاتِ
الْحَدِيثِ أَنَّ مَآبُورًا هَذَا كَانَ يَدْخُلُ كَثِيرًا عَلَى مَارِيَّةَ ، فَهَلْ يَصْدُقُ مُسَلِّمٌ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْذَنُ لِمِثْلِ هَذَا أَنْ يَغْشَى بَيْتَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ؟ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي مَآبُورِ ،
فَقِيلَ لِأَنَّهُ أَخُوهَا ، وَقِيلَ أَيْضًا : لِأَنَّهُ ابْنُ عَمِّهَا ، وَهُوَ خَصْمِي ، وَيَقُولُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ
— عَلَى تَشْبِيهِهِ — فِي شَرْحِهِ لِنَهْجِ الْبَلَاغَةِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَمَّا بَهَّتْ بِهِ عَائِشَةُ ، وَعَنْ
بِرَائَتِهَا فِي سُورَةِ النُّورِ ، وَقَوْمٌ مِنَ الشَّيْعَةِ زَعَمُوا أَنَّ الْآيَاتِ الَّتِي فِي سُورَةِ النُّورِ
لَمْ تَنْزَلْ فِيهَا . وَإِنَّمَا أَنْزَلَتْ فِي مَارِيَّةِ الْقَبْطِيَّةِ ، وَمَا قَذَفَتْ بِهِ مَعَ الْأَسْوَدِ الْقَبْطِيِّ .
وَجَعَدَمُ لِإِنْزَالِ ذَلِكَ فِي عَائِشَةَ جَعَدَ لَمَّا يَعْلَمُ ضَرُورَةَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ .
ص ٤٤٢ > ٣ طبع لبنان ، وَأَمَّا الْمُرْتَضِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَمْثَالِ الْمَعْرُوفِ بِاسْمِهِ .
فَافْتَرَضَ صَحِيحَةَ الْحَدِيثِ ، وَرَاحَ بِزَوْلِ الْأَفَاطِلِ أَنْظَرَ ص ٥٤ ج ١ أَمْثَالِ
الْمُرْتَضِيِّ ط ١ .

(٢) -م- أَبِي كَبِيرٍ : مِنْهُبٌ بِضَمِّ الْمِيمِ وَسُكُونِ النَّوْنِ وَكَسْرِ الْهَاءِ أَنْظَرَ ص ٢٠٧
نَسَبِ قَرِيْشٍ ، ٢٥٦ -و- مَا بَعْدَهَا .

صلى الله عليه وسلم - قبل التَّبَثِ (١) ، وروى التِّرْمِذِيُّ أن رسولَ الله -
صلى الله عليه وسلم - قال : رأيتُه في المنام ، وعليه ثيابٌ بيضٌ ، ولو كان من
أهلِ النار ، لم تكن عليه ثيابٌ بيضٌ ، وهو حديثٌ في إسناده ضَعْفٌ . لأنه يدور
على عُثْمَانَ بن عبد الرَّحْمَنِ ، ولكن يُقَوِّيه ما يأتي بعد هذا من قوله عليه
السلام : رأيتُ القَسَّ يعني ، وَرَقَةَ وعليه ثيابٌ حريرٌ ، لأنه أولُ مَنْ آمَنَ
بني ، وصدقني ، وسيأتي بقيةٌ من خبره (٢) فيما بعد - إن شاء الله - وقد أُلْفِيتُ
للحديث الذي خرَّجه التِّرْمِذِيُّ في وَرَقَةَ إسنادا جيِّداً غير الذي ذكره
التِّرْمِذِيُّ ، وهو ما رواه الزُّبَيْرُ بن أبي بكرٍ عن عبد الله بن مُعَاذِ الصَّنَعَانِيِّ
عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ - رضِيَ اللهُ عنه - قال : سئل
رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عن ورقة بن نوفل ، كما بلغنا فقال : رأيتُه
في المنام ، عليه ثيابٌ (٣) بيضٌ ، فقد أُظنُّ أن لو كان من أهلِ النارِ لم أرَ عليه
البياضَ ، وكان يذكرُ الله في سفره في الجاهلية ، ويسبِّحه ، وهو الذي يقول :

(١) يقول ابن عساكر : لا أعرف أحداً قال إنه - أي ورقة - أسلم .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل وقال : إنه منقطع .

(٣) أخرجه أحمد عن طريق ابن لهيعة ، ولا يعتد بحديث يروى عن
طريقه . وهكذا كل حديث يتحدث عن إسلام ورقة أو آخرته ، فهو ضعيفه
وحسبنا ما ورد عنه في الصحيحين .

لقد نصحت لأقوام ، وقت لهم : أنا النذير ، فلا يغرركم أحد
لا تعبدن (١) إلها غير خالقكم فإن دعواكم (٢) فقولوا : بيننا جدد (٣)
سبحان ذي العرش سبحانه يدوم له وقبلنا (٤) سبح الجودي والجمد
مسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يناوي (٥) ملكه أحد
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تكن عن هرمز يوما خزائنه وأخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح به والإنس والجن فيما بينها مرد (٦)
أين الملوك التي كانت لعزتها من كل أوب إليها وافد يفد
خوض هنالك موزود بلا كذب لا بد من وزده يوما كما وردوا (٧)

(١) في نسب قريش جعل لا نافية فأثبت الواو وهو خطأ - كما اعتقد - من محقق الكتاب .

(٢) في النسب « فإن أبيت » .

(٣) في الأغاني وفي النسب « حدد ، بالحاء لا بالجيم .

(٤) « في الأغاني » نعوذ به ، وقبل قد » .

(٥) في النسب : يساوي ، وفي الأغاني كما هنا .

(٦) في الأغاني : « والجن والإنس تجرى بينها البرد ، وكذلك في نسب قريش بدون الواو قبل « الجن » .

(٧) هذا البيت غير موجود في الأغاني ص ١١٥ مجلد ٣ والقصيدة في

نسب قريش ، وبينها وبين ما هنا اختلافات وزيادات مثل :

سبحان ذي العرش الخ فقد ورد هكذا في نسب قريش

سبحان ذي العرش لا شيء يعادله رب البرية فرد واحد صمد

وورد بعده في نسب قريش :

نسبه أبو الفرج (١) إلى وَرَقَةَ ، وفيه أبياتٌ تُنسب إلى أُمِّيَّة بن أبي الصَّلْتِ ، ومن قوله فيما خبرته به خديجةُ - رضى الله عنها - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

باللرجالِ اصْرَفِ الدهرِ والْقَدَرِ (٢)
حتى خديجةُ تدعوني لأخبرها
وما لشيءٍ قضاء الله من غيرِ
أمر أراه سيأتي الناس من آخر (٣)
نخبرتني بأمرٍ قد سمعت به
فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمدَ يأتيه فيخبره
جبريلُ : إنك مبعوثٌ إلى البشرِ
فقلت : علّ الذي ترَجِّينَ ينجزه
لك الإلهُ فرَجَّي الخيرَ وانتظري
وأرسلته إلينا كي نسأله
عن أمره ما يرَى في النوم والسهر
فقال حين أتانا منطلقاً عَجَبًا
يقفُ منه أعلى الجلد والشعرِ
إني رأيتُ أمينَ الله واجهني
في صورة أكلت في أهيبِ الصورِ
ثم استمر فكان الخوف يدعُرني
مما يُسلمُ من حولى من الشجرِ

== سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبل سبحانه الجودي والجد
والبيتان الأخيران في الروض غير المذكورين في النسب انظر نسب قريش
ص ٢٠٨ .

(١) يعني صاحب كتاب الأغاني .

(٢) في الإصابة ، و صرف الدهر .

(٣) في الإصابة

هذي خديجة تأتيني لأخبرها وما لنا بخفي الغيب من خير

قلت : ظني وما أدرى أَيْضُذُنِي أَنْ سَوْفَ تُبْعَثُ تَمَلُّومُنْزَلِ الشُّورِ
وسوف أبليك إن أعلنت دعوتهم من الجهاد بلا من ولا كدرٍ
متى بقصد به الفرد :

فصل : وفي شعر ورقة :

بِئْطَانِ الْمَسْكِينِ عَلَى رَجَائِي حَدِيثِكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجًا

ثِيَّ مَكَّةَ ، وهي واحدة ؛ لأن لها بَطَاحًا وظواهر ، وقد ذكرنا من أهل
البطاح ، ومن أهل الظواهر فيما قبل ، على أن للعرب مذهباً في أشعارها في
ثنائية البقعة الواحدة ، وجمعها نحو قوله : وَمَيِّتٌ بِغَزَاتٍ . يريد : بغزاة وبغادين .
في بَغْدَادَ ، وأما التثنية فكثير نحو قوله :

بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ وَالْحَمَّتَيْنِ سَقَاكَ اللهُ مِنْ دَارِ (١)

وقول زهير : ودار لها بالرَّقْمَتَيْنِ (٢) . وقول ورقة من هذا : بيطان

(١) في اللسان : الرقمة : الروضة ، ورقمة الوادي حيث يجتمع الماء ، وأجر :
جمع جرو ، وجمع العيرس وهي امرأة الرجل ورجلها ، ولبؤة الأسد : أعراس
وقد استعاره الهذلي للأسد فقال :

لَيْتَ مَهْزَبِشْرٍ مُدِلٌّ حَوْلَ غَابَتِهِ بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ
قال ابن بري : البيت لمالك بن خويلد الخنيساعى وقبله .

يامي لا يعجز الأيام مجبري فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ رَزَامٌ وَفَرَّاسُ
الرزام الذي له زمبر ، والفراس الذي يدق عنق فريسته

(٢) الرقنان — كما في اللسان — روضتان بناحية الصَّبَّانِ ، وإياهما أراد زهير -
ودار لها بالرَّقْمَتَيْنِ كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم

المكتبين . لا معنى لإدخال الظواهر تحت هذا اللفظ ، وقد أضاف إليها
البطن ، كما أضافه المبرق حين قال :

ببطن مكة مشهور ومفتون .

وإنما يقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كل بلدة ، أو الإشارة إلى
أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المعنى ، وقد قالوا : صدنا
بقتونين^(١) وهو قنا اسم جبل ، وقال عنتره .

شربت بماء الدحرضين^(٢) .

وهو من هذا الباب في أصح القولين ، قال عنتره أيضا ،

بعنزتين وأهلنا بالغيم^(٣)

(١) في القاموس : القنسونان . جبلان

(٢) الدحرضان : موضعان أحدهما : دحرض ، والآخر : وسيع وقال
الجوهري : الدحرضان : اسم موضع . وقال : وسيع ودحرض ماءان ثناهما
بلفظ الواحد ، وبيت عنتره :

شربت بماء الدحرضين ، فأصبحت

زورا تنفر عن حياض الديلم

(٣) في المرصد : عنيزة . موضع بين البصرة ومكة ، وأيضاً : برعلى ميلين من
القربتين ببطن الرمة ، وعنيزة من أودية اليمامة قرب سواح ، وقرى عنيزة بالبحرين
وعنزتن تشية الذي قبله . قيل : هو موضع آخر ، وقيل : هو الذي قبله ، ثنى كما
قالوا في عماية : عمياتان ، وفي رامة : رامتان وأمثاله كثير .

والغيم بالغين لا بالعين . ففي المرصد . واللسان : الغيلم : موضع في شعر عنتره .

كيف المزار وقد تربع أهلها بعنزتين وأهلنا بالغيم

وَعُمَيْرَةُ اسْمُ مَوْضِعٍ ، وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

عَشِيَّةَ سَالِ الْمِرِّ بَدَانَ كِلَاهِمَا (١)

وَأَمَّا هُوَ مِرْبِدُ الْبَصْرَةِ . وَقَوْلُهُمْ :

تَسَأَلُنِي بِرَامَتَيْنِ سَلْجَمًا (٢)

(١) الشعر للفرزدق :

عَشِيَّةَ سَالِ الْمِرِّ بَدَانَ كِلَاهِمَا عَجَاجَةٌ مَوْتٌ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
وَالْمِرْبِدُ : الْمَسْكَنُ الَّذِي يَحْبَسُونَ فِيهِ الْإِبِلَ وَبِهِ سَمِي مِرْبِدُ الْبَصْرَةِ وَبِهِ كَانَتْ
مَفَاخِرَاتُ الشُّعْرَاءِ ، وَبِجَالِسِ الْخُطْبَاءِ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي بَيْتِ الْفَرَزْدَقِ لِأَنَّهُ عَنَى
بِهِ سَكَّةَ الْمِرْبِدِ بِالْبَصْرَةِ ، وَالسَّكَّةُ الَّتِي تَلِيهَا مِنْ نَاحِيَةِ بَنِي تَمِيمٍ جَعَلَهُمَا الْمِرْبِدِينَ كَمَا يُقَالُ
الْأَحْوَصَانُ وَهُمَا : الْأَحْوَصُ وَعَوْفُ بْنُ الْأَحْوَصِ وَاللِّسَانُ الْمُرَاصِدُ ، يَأْقُوتُ ،
(٢) رَامَةٌ : مَنْزِلٌ فِي طَرِيقِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ وَبَعْدَهُ بِمَرِحَلَةٍ أُخْرَى دِيَارُ بَنِي تَمِيمٍ ،
وَقِيلَ : جَبَلُ بَنِي دَارِمٍ ، وَرَامَةٌ أَيْضًا مِنْ قَرْيَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَالسَّلْجَمُ عِدَّةٌ مَعَانَ مِنْهَا
أَنَّهُ نَبْتٌ ، وَقِيلَ : هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْبِقُولِ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ السَّلْجَمُ : مَعْرَبٌ وَأَصْلُهُ بِالسِّينِ
وَالْعَرَبُ لَا تَسْكُرُ بِهِ إِلَّا بِالسِّينِ ، وَكَذَا ذَكَرَهُ سَيُوهُ بِالسِّينِ فِي بَابِ عِلَلِ
مَا يَجْعَلُهُ زَائِدًا فَقَالَ : وَتَجْعَلُ السِّينُ زَائِدَةً إِذَا كَانَتْ فِي مِثْلِ سَلْجَمٍ . وَقِيلَ لِرَامِي .
لَمْ زَرَعْتِ السَّلْجَمَ ، فَقَالَ مَعَانِدَةٌ لِقَوْلِهِ :

تَسَأَلُنِي بِرَامَتَيْنِ سَلْجَمًا

بَاقِي لَوْ سَأَلْتَ شَتَا أَمَّا

جَاءَ بِهِ السَّكْرِيُّ أَوْ تَجَشَّمَا

لَوْ أَنَّهَا تَطَلَّبَ شَيْئًا أَمَّا

وَفِي اللِّسَانِ دَفَامًا لِكَثَرِهِمْ مِنْ تَثْنِيَّةِ رَاصَةٍ فِي الشُّعْرِ فَعَلِي قَوْلُهُمْ لِلْبَعِيرِ ذَوْعَانَيْنِ
كَأَنَّهُ قَسَمَهَا جَزَائِنَ . وَيَقُولُ ابْنُ سَيِّدَةَ إِنَّهَا سَمِيَتْ رَامَتَيْنِ لِلضَّرُورَةِ لِأَنَّهَا لَوْ
كَانَتْ أَرْضَيْنِ لَقِيلَ : الرَّامَتَيْنِ .

وإنما هو رامة وهذا كثير . وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة وبستان ، فتسميها جنتين في فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنتك إذا دخلتها ، ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قُرَّةً ، وصدرك مَمْرَّةً ، وفي التنزيل : [لقد كان لسبأ في مسكنهم آية . جَنَّاتٍ [عن يمين وشمال] إلى قوله سبحانه : ﴿ وَبَدَّلْنَا هُمْ بَجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ﴾ . سبأ : ١٥ . وفيه : ﴿ جعلنا لأحدهما جنتين ﴾ الآية . السكف : ٣٢ ، وفي آخرها : (ودخل جنته) فأفرد بعد مائتي ، وهي (١) هي ، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه ﴿ وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ الرحمن : ٤٦ ، والتول في هذه الآية يتسع ، والله المستعان .

النور والضياء :

فصل : وقال في هذا الشعر : ويظهر في البلاد ضياء نور . هذا البيت بوضع لك معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ، وأن النور هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفي التنزيل : ﴿ فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ﴾ البقرة : ١٧ . وفيه : ﴿ جعل الشمس ضياء ، والقمر نورا ﴾ يونس : ٥ . لأن نور القمر ، لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ، [و] لاسيما في طرفي الشهر ، وفي الصحيح : الصلاة نور ، والصبر ضياء ، وذلك أن الصلاة هي

(١) في البيضاوي : « أفراد الجنة ، لأن المراد ما هو جنته ، وهي ما منع به في الدنيا تنبيهها على أنه لا جنة له غيرها ، ولاحظ له في الجنة التي وعد المتقون ، أولا أعمال كل واحد من جنتيه بالأخرى ، أو لأن الدخول يكون في واحدة ، وهو أجود .

عمود الإسلام ، وهي ذكر وقرآن ، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن ، والذكر ، وفي أسماء الباري سبحانه (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه - سبحانه - وقد أميت في غير هذا الكتاب من معنى نور السموات والأرض ما فيه شفاء ، والحمد لله .

نونه الوقاية في إبه وأغواها :

فصل : وفي شعر ورقة : فياليتي إذا ما كان ذاكم . بحذف نون الوقاية ، وحذفها مع ايتردى ، وهو في لعل أحسن منه ، لقرب مخرج اللام من النون ، حتى لقد قالوا : لعلّ ولعنّ ولأنّ بمعنى واحد ، ولاسيما وقد حكى يعقوب أن من العرب من يخفض بامل ، وهذا يؤكّد حذف النون من لعلني ، وأحسن ما يكون حذف هذه النون في إنّ وأنّ ولكنّ وكانّ لاجتماع النونات ، وحسنه في لعل أيضاً كثرة حروف الكلمة ، وفي التنزيل : ﴿أعلىّ أرجع إلى الناس﴾ يوسف : ٤٦ . بغير نون ، وبجى . هذه الياء في ليتي بغير نون مع أن ليت ناصبة ، بذلك على أن الاسم المضمّر في ضربني هو الياء ، دون النون كما هو في : ضربك ، وضربه حرف واحد ، وهو الكاف ، ولو كان الاسم هو النون مع الياء - كما قالوا في المحفوض : مني وعني بفونين نون : من ، ونون أخرى مع الياء ، فإذا الياء وحدها هي الاسم في حال الخفض ، وفي حال النصب .

هول تفرم صلة المصدر عليه :

فصل : وفيه : حديثك أن أرى منه خروجاً . قوله منه الماء راجعة على الحديث ،

وحرف الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك ؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم ، فلا يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدر بأن والفعل ، فما يعمل فيه هو من صلة أن ، فلا يتقدم ، فمن أطلق القول في هذا الأصل ، ولم يخص مصدراً من مصدر ، فقد أخطأ المَفْصِل ، وناه في تَضَلُّلٍ ؛ ففي التنزيل : ﴿أَ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا [إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ]﴾ يونس : ٢ . ومعناه : أ كان عجباً للناس أن أوحينا ، ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بمجب ؛ لأنها ليست في موضع صفة ، ولا موضع حال لعدم العامل فيها ، وفيه أيضاً : ﴿لَا يَتَّبِعُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ الكهف : ١٠٨ : ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ الكهف : ٥٣ . وفيه أيضاً : ﴿لَوْلَايَتِ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ الكهف : ١٨ . وتقول : لى فيك رغبة ، ومالى عنك مُعَوَّلٌ ، فيحسُن كلُّ هذا بلا خلاف ، وقد أجاز ابن السراج أبو بكر ، و [محمد بن يزيد] المبرِّد أيضاً فى ضَرْبًا زِيدًا ، إذا أردت الأمر : أن تقدم المفعول المنصوب بالمصدر ، وقال : لأن ضَرْبًا هاهنا فى معنى : اضرب ، فقد خصص لك ضرباً من المصادر بجواز تقديم معمولها عليها فإن كان المصدر غير أمر ، وكان نكرة لم يتقدم المفعول خاصة عليه ، بخلاف المجرور والظرف ، فالواجب إذا رَبطَ هذا الباب وتفصيله .

متى يجوز تقديم معمول المصدر ؟

فتقول : كل مصدر نكرة غير مضاف إلى ما بعده يجوز تقديم معموله عليه إلا المفعول لأن المصدر النكرة لا يتقدر بأن والفعل ؛ لأنك إن قدرته بأن والفعل بقى الفعل بلا فاعل ، وما كان مضافاً إلى ما بعده ، فالمضاف إليه فاعل فى المعنى أو مفعول ؛ فإذلك يصير المصدر مقدرًا بأن والفعل ، فقف على هذا الأصل ، فمنه (١٧٢ - الروض الأنت ج ٢)

حُسْنُ قول ورقة: أن أرى منه خُرُوجًا ، أى : أرى خروجًا منه ، وكذلك لو ذكر الدخولُ ، فقال : أرى فيه دخولا ، يريد : دخولا فيه ، اسكان حسنا ، وتقول : اللهم اجعل من أمرنا فَرَجًا ونَحْرَجًا ، فَمِنْ أمرنا : متعلق بما بعده ، وهو مصدر ، ولا خفاء في حُسْن هذا التقديم لما ذكرناه .

ومن قول وَرَقَةَ بن نوفل في معنى ما تقدم من رواية يونس عن ابن إسحاق :

أُتْبِكِرُ أم أنت العَشِيَّةَ رَأْحُ وفي الصدر من إضمارِكَ الحزن قَادِحُ (١)
لِفُرْقَةٍ قومٍ لا أحب فِرَاقَهُمْ كأنك عنهم بعسد يومين نازح
وأخبارِ صِدْقٍ خَبَّرْتَ عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح
فتاك الذي وجهت يا خَيْرَ حُرَّةِ بِنُورٍ وبالنجْدِ بنِ حيث الصَّحاصِحُ (٢)
إلى سُوْقٍ بَصْرَمِي في الركاب التي غدت وَهُنَّ من الأحمال قُفُصٌ دَوَالِحُ (٣)
نَجَّيْنَا عن كُلِّ خَيْرٍ بِعَلْمِهِ ولالحق أبوابٌ لهنَّ مَفَاتِحُ

(١) إما أن تكون اسم فاعل من قدح الزند ، أو هي أكال يقع في الشجر والاسنان ، وهي الصدع في العود .

(٢) الغور : ما بين ذات عرق إلى البحر ، وكل ما انحدر مغربا عن تهامة ، وموضع بديار بني سليم . والنجد : ما خالف الغور أي تهامة : أعلاه : تهامة واليمن ، وأسفله : العراق والشام ، وأوله من جهة الحجاز . ذات عرق ، والصحاصح : جمع صحص الأرض الجرداء المستوية .

(٣) دلح كمنع مشى بحمله منقبض الخطو لثقله ، والتقصص : الموت السريع والقعاص : داء في الصدر كأنه يكسر العنق ، وشاة قعوص : تضرب حالبة وتمنع الدرة .

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش في وضع الحجر

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم -خمسًا وثلاثين سنة- اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يهْمُونَ بذلك ، لِيُسَقِّفُوهَا وَيَهَابُونَ هَدْمَهَا ، وإنما كانت رَمًا فوق القامة ، فأرادوا رَفْعَهَا وَتَسْقِيفَهَا ، وذلك أن نفرًا سرقوا كنزًا للكعبة ، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وجد عنده الكنز دُوَيْكًا مولى لبني مُلَيْح بن عمرو من خزاعة. قال ابن هشام : فقطعت قريشُ يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْكٍ وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجَّار الروم ، فتحطمت ، فأخذوا خَشْبَهَا فَأَعَدُّوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبليّ نجار ، قهياً لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصَاحِبُهَا وكانت حَيَّةٌ تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطْرَحُ فيها ما يهدى لها كل يوم ، فتتشرَّقُ على جدار الكعبة ، وكانت تمايها بون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلا اخزألتْ وَكَشَّتْ ، وفتحت فإها ، وكانوا يهابونها . فبينما هي ذات يوم تتشرَّقُ على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع

بأن ابن عبد الله أحمد مرسله	إلى كلِّ مَنْ ضُمَّتْ عليه الأباطح
وظنني به أن سوف يبعث صادقاً	كما أرسل العبدان هوداً وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له	بهاءً ومنشوراً من الذكر واضح
ويتبعه حياً لؤي جماعة	شبابهم والأشديون الجحاجح ^(١)

(١) جمع جججج وجججاج : السيد.

بعث الله إليها طائراً فاختطفها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا نرجو أن يكون الله قدر غي ما أردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحجة .

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها ، قام أبو وهب بن عمرو بن عائد بن عبد بن عمران بن مخزوم . قال ابن هشام : عائد : ابن عمران بن مخزوم . فتناول من الكعبة حجراً ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه . فقال : يا معشر قريش ، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً ، لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس ، والناس ينتحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جحج بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤي . أنه رأى ابنا لجمدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو يطوف بالبيت ، فسأل عنه ، فقيل : هذا ابن لجمدة بن هبيرة ، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك : جد هذا ، يعني : أباهب الذي أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش : لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً . لا تدخلوا فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس .

فإن أبقى حتى يدرك الناس دهره فإن به مستبشر الأود فارح
ولا فإنى يا خديجة — فاعلمى عن ارضك في الأرض العريضة سأمح

قال ابن اسحاق : وأبو وهب : خالُ أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكان شريفاً ، وله بقول شاعر من العرب :

ولو بأبي وهب أنختُ مطيَّتي غَدَتُ من نَدَاهُ رَحَلُهَا غيرُ خائبِ
بأبيضَ من فرَعَى لُؤَيِّ بنِ غالبِ إذا حُصَلتْ أنسابُها في الذَّوائبِ
أبيُّ لأخذِ الصِّيمِ يرتاحُ للندى تَوسَّطَ جدَّاهُ فرُوعَ الأَطايِبِ
عظيمَ رَمادِ القِدرِ يَملأُ حِفائِه من أُلْهَبِزِ يعلوهُنَّ مِثْلُ السَّبابِ

ثم إن قريشا تجزأت الكعبة ، فكان شقُّ الباب لبني عبدمناف وزُهرة
وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم ، وقبائل من قريش
انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جُحج وسهم ، ابني عمرو بن هُصَيْنِ بن
كعب بن لُؤَيِّ . وكان شقُّ الحِجْرِ لبني عبد الدار بن قُصَيِّ ، ولبنى أسد بن
العُزَيِّ بن قُصَيِّ ، ولبنى عدي بن كعب بن لُؤَيِّ وهو الحَطِيمُ

ثم إن الناس هابوا هَدَمَها وقرِّقوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنه
أبدؤكم في هَدَمَها ، فأخذ المِعْوَلَ ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم تُرَعِ - قال
ابن هشام : ويقال : لم تُرِغِ - اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية
الركنَيْنِ ، فتربَّصَ الناسُ تلكَ اللَّيْلَةَ ، وقالوا : ننظرُ ، فإن أُصِيبَ لم نهدم
منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يُصِبْه شيءٌ ، فقد رضى الله صُنْعَنا ،
فهدمنا . فأصبح الوليدُ من ليلته غادياً على عمله ، فهدمَ وهدمَ الناسُ معه ،
حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساسِ أساسِ إبراهيم عليه السلام أفضوا إلى
حجارة خضر كالأسنمة أخذ بعضهم بعضاً .

• • • • •

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض من يروى الحديث : أن رجلاً من قريش ، ممن كان يهدمها ، أدخل عتلةً بين حَجْرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تنقّضت مكة بأسرها ، فاتمها عن ذلك الأساس .

قال ابن إسحاق : وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسرّانية ، فلم يدروا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : « أنا الله ذوبكة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحققتها بسبعة أملاك حنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشابها ، مبارك لأهلها في الماء واللبن » .
قال ابن هشام : أخشابها : جبلها .

قال ابن إسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : « مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سُبُل ، لا يُحلبها أولٌ من أهلها » .

قال ابن إسحاق : وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقاً - مكتوباً فيه : « من يزرع خيراً ، يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً ، يحصد ندامة . تعملون السيئات ، وتجزون الحسنات ! أجل ، كما لا يجتنى من الشوك العنب » .

قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم بنوها ، حتى بلغ البنيان موضع الركن ، فاخصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا

وتحالفوا ؛ وأعدوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسُموا : لَمَعَةَ الدَّمِ ، فسكنت قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمسا ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، وتشاورا وتناصفوا .

فزعم بعض أهل الرواية : أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان عامئذ أسن قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ! اجعلوا بينكم - فيما تختلفون فيه - أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا : فكان أول داخل عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينَا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : هَلُمَّ إِلَى ثَوْبَا ، فَأْتِي بِهِ ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لِنَأْخُذْ كُلَّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا : حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه الوحي : الأمين . فلما فرغوا من البنيان ، وبنوها على ما أرادوا ، قال الزبير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بُنْيَانَ الكعبة لها .

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبَتِ الْعُقَابُ إِلَى الثَّعْبَانِ وَهِيَ لَهَا اضْطِرَابُ
وَقَدْ كَانَتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشٌ وَأَخِيَانًا يَكُونُ لَهَا وَثَابُ
إِذَا قُمْنَا إِلَى التَّنَاسِيسِ . شَدَّتْ تَهَيَّبُنَا الْبِنَاءُ . وَقَدْ تَهَابُ

فلما أن خَشِينَا الرَّجْزَ . جاءت عُقَابٌ تَتَلَسَّبُ لَهَا انْصِبابُ
فَضَمَّتْهَا إِلَيْهَا ، ثم حَلَّتْ لَنَا البُنْيَانَ ، لَيْسَ لَهُ حِجَابُ
فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إِلَى بِنَاءِ لَنَا مِنْهُ القَوَاعِدُ وَالتُّرَابُ
غَدَاةَ تُرْفَعُ التَّاسِيسَ مِنْهُ وَلَيْسَ عَلَى مُسَوِّبِنَا ثِيَابُ
أَعَزَّ بِهِ المَلِيكُ بَنِي لُؤَيٍّ فَلَيْسَ لِأَصْلِهِ مِنْهُمْ ذَهَابُ
وَقَدْ حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ وَمُرَةٌ قَدْ تَقَدَّمَهَا كِلَابُ
فَبَوَّأْنَا المَلِيكُ بِذَلِكَ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ يُبَلِّغُ الشَّوَابُ

قال ابن هشام : وَيُرْوَى :

وليس على مسأوبينا ثياب

وكانت الكعبة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى عشرة ذراعا ، وكانت تُكسى القباطي ، ثم كُسيَت البرود . وأول من كساها الديباج : الحجاج بن يوسف .

بنيان الكعبة

ففي خبرها أنها كانت رَضْمًا فوق القامة . الرَّضْمُ : أَنْ تَنْصَدَّ الحِجَارَةُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ مِلاطٍ (١) كما قال :

رُزِئْتُهُمْ فِي سَاعَةٍ جَرَعَتْهُمْ كُشُوسَ المَنَايَا تَحْتَ صَخْرٍ مُرَضَّمٍ

وقوله : فوق القامة ، كلامٌ غيرُ مُبَيَّنٍّ لِقَدَارِ ارتِفَاعِهَا إِذْ ذَاكَ ، وَذَكَرَ

(١) الطين يجعل بين ساق البناء ، ويملط به الحائط .

غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل ، ولم يكن لها سقف ، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع ، فكانت ثمان عشرة ذراعا ، ورفعوا بابها عن الأرض ، فكان لا يصعد إليها إلا في درج أو سلم ، وقد ذكرنا أول من عمل لها غلما ، وهو تبع . ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع ، فكانت سبعا وعشرين ذراعا ، وعلى ذلك هي الآن ، وكان بناؤها في الدهر خمس مرات . الأولى : حين بناها شيث بن آدم (١) ، والثانية : حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة : حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قُبَيْس ، فوقعت في أستارها ، فاحترقت ، وقيل إن امرأة أرادت أن تُجَمِّرَها ، فطارت شرارة من المِجْمَرِ (٢) في أستارها ، فاحترقت ، فشاورا بن الزبير في هدمها من حضره ، فهابوا هدمها ، وقالوا : نرى أن تصالح ما وهى ، ولا تهدم . فقال : لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكل صلاح . ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها . فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم ، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر . فحركوا حجرا فأواتحته نارا وهو لا (٣) . أفزعهم فأمرهم أن يقرؤوا

(١) أول من بناها إبراهيم .

(٢) ما يوضع فيه الحجر بالدخنة ، والعود نفسه . ويقال أيضا بضم الميم .

الأولى وفتح الثانية .

(٣) لم يرد في الحديث الذى أخرجه مسلم ذكر لهذه النار بل ورد : فففضوه . أى بناء الكعبة - حتى بلغوا به الأرض . فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه . وفيه أنه زاد فيه خمسة أذرع ، وأن طول الكعبة كان ثمانية عشر ذراعا ، فلما زاد فيه استقصره ، فزاد في طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما : يدخل منه ، والآخر يخرج منه .

القواعد ، وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر . وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد ، فطاف الناس بتلك الأستار ، فلم تخل قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب ، واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا أجل يطوف بها ، فلما استتم بنيانها ، ألصق بابها بالأرض ، وعمل لها خلفاً أى : باباً آخر من ورائها ، وأدخل الحجرَ فيها ، وذلك لحديث حديثه به خالته عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : ألم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة ، ثم قال عليه السلام : لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها ، وجعلت لها خلفاً^(١) وألصقت بابها بالأرض ، وأدخلت فيها الحجرَ أو كما قال — عليه السلام — قال ابن الزبير : فليس بنا اليوم عجز عن النفقة ، فبناها على مقتضى حديث عائشة ، فلما قام عبد الملك بن مروان ، قال . لسنا من تخايط أبي خُبَيْب^(٢) بشيء ، فهدمها وبنها على ما كانت عليه في عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما فرغ من بنيانها جاءه الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقُبَاع^(٣) ، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، ومعه رجل آخر ،

(١) وردت في معناه أحاديث رواها البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي والترمذى .

(٢) هو عبد الله بن الزبير ، ويقال عنه وعن ابنه أو أخيه مصعب : الخبييان

(٣) القُبَاع بضم القاف وفتح الباء : مكيال ضخم ، ولقد لقب الحارث بهذا

لأنه اتخذها ، أو لأنه قال لأهل البصرة حين ولى عليهم وأتوه بمكيال : إن مكيالكم هذا لقباع ، وهو : الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . وقد سقط من الروض ، ابن عبد الله ، وأمه : بنت أبرهة . ويقال إنه وجد الصليب فى =

فحدثنا عن عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالحديث المتقدم ،

== عنقها حين ماتت ، فخرج إلى الناس . فقال : انصرفوا رحمكم الله ، فإن لها أهل دين هم أولى بها منا ومنكم ، فاستحسن ذلك منه . يقول عنه ابن سبة : « كان الحارث ابن عبد الله شريفا كريما ديننا وسيدا من سادات قريش ، وله قصص طريفة مع أخيه الشاعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة . انظر ص ٣١٨ نسب قريش ط ١ و ص ١١٤ المجلد الأول من الأغاني طبع لبنان .

وفي حديث مسلم عما ذكره الروض عن هذا أن الحجاج لما قتل ابن الزبير كتب إلى عبد الملك يخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة ، فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطخ ابن الزبير في شيء ، أما ما زاده في طوله فأفره ، وأما ما زاد فيه من الحجر ، فرده إلى بنائه ، وسد الباب الذي فتحه ، فنقضه وأعادته إلى بنائه . وفي رواية أخرى أن الحارث بن عبد الله وفد على عبد الملك بن مروان في خلافته ، فقال عبد الملك : ما أظن أبا مخشيب سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها ، فقال الحارث : « بلى أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حداته عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا ، فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنيه فهلسى لأريك ما تركوا منه ، وأراها قريباً من سبعة أذرع . هذا حديث عبد الله بن عبيد بن عمير في مسلم ، وزاد عليه الوليد بن عطاء : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض ، شرقياً وغربياً ، وهل تدريين لم كان قومك رفعوا بابها ؟ قالت : قلت : لا . قال : تمزراً ألا يدخلها إلا من أرادوا ، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقى ، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط . . وفي رواية : أن عبد الملك قال : قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين — ثم ذكر حديث عائشة — فقال الحارث لا تقتل هذا يا أمير المؤمنين ؛ فإنى سمعت أم المؤمنين تحدث هذا . قال : لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير . ويقول ابن كثير : فهذا الحديث

فقدم ، وجعل يَنْسُكُتُ في الأرض بِمِخْصَرَةٍ في يده ، ويقول : وَدِدْتُ أَنِّي تَرَكْتُ
أَبَاخُبَيْبَ ، وما تَحْمَلُ من ذلك ، فهذه المرة الخامسة ، فلما قام أبو جعفر المنصور ،
وأراد أن يبينها على ما بناها ابن الزبير ، وشاور في ذلك ، فقال مالك بن أنس :
أَشْهَدُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ تَجْعَلَ هَذَا الْبَيْتَ مَلْعَبَةً لِلْمَلُوكِ بَعْدَكَ ، لَا يَشَاءُ
أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُغَيِّرَهُ إِلَّا غَيْرَهُ (١) فتذهب هيئته من قلوب الناس ، فصرفه عن
رأيه فيه ، وقد قيل : إنه بنى في أيام جُرْهم مرة أو مرتين ؛ لأن السيل كان
قد صدع حائطه ، ولم يكن ذلك بنيانا على نحو ما قدمنا ، إنما كان إصلاحاً لما
وَهَى مِنْهُ ، وَجِدَاراً بَنَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّيْلِ ، بَنَاهُ عَامِرُ الْجَارُودِ (٢) ، وقد تقدم هذا
الخبر ، وكانت الكعبة قبل أن يبنها شيثٌ عايمه السلام خيمةً من يا قوتة حمراء
يطوف بها آدم ، ويأنس إليها ؛ لأنها أنزلت إليه من الجنة ، وكان قد حجج إلى
موضعها من الهند ، وقد قيل : إن آدم هو أول من بناها ، ذكره ابن إسحاق في
غير رواية البَكَّائِي . وفي الخبر أن موضعها كان غُثَاءَةً عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ
اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فلما بدأ الله بخلق الأشياء خلق التُّرْبَةَ قَبْلَ السَّمَاءِ ، فلما

== كالمقطوع به إلى عائشة ؛ لأنه قدرى عنهما من طرق صحيحة متعددة ، فدل هذا على
صواب ما فعله ابن الزبير ، فلو ترك لكان جيداً . ولكن بعد ما رجع الأمر إلى
هذا الحال ، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله .

(١) نقل النورى وعياض أن هذا حدث من الرشيد أو أبيه المهدي ، وأن
مالك قال : مالك يا أمير المؤمنين . لا تجعل كعبة الله ملعباً للملوك لا يشاء
أحد أن يهدمها إلا هدمها .

(٢) انظر ص ١٤ من نسب قريش ،

خلق السماء ، وقضاهن سبع سموات دحا الأرض ، أى : بسطها ، وذلك قوله سبحانه: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ النازعات: ٣. وإنما دحاها من تحت مكة؛ ولذلك سُمِّيَتْ أم القرى، وفي التفسير أن الله سبحانه حين قال للسموات والأرض ﴿اِثْنَيْتَيْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فصلت: ١١ لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم^(١) ، فذلك حرما . وفي الحديث : أن الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والأرض ، فصارت حرمتها كحرمة المؤمن ، لأن المؤمن إنما حرُم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه ، وأرض الحرم لما قالت : أتينا طائعين ، حرُم صيدها وشجرها وخلاها إلا الإذخر^(٢) ، فلا حرمة إلا لذى طاعة ، جعلنا الله يَمَن أطاعه .

(١) هذا من كلام كعب الأحبار وهو معروف بإسرائيلياته . وكل ما قيل عن حج آدم ، وعن أصل الكعبة وعن موضعها قبل إبراهيم وعن إجابة أرض الحرم . كل هذا أكاذيب مفتراة . ومن عيوب السبيل أنه يأتي أحيانا بأسطورة ثم يقيم عليها بناء يتوهمه ثابتا ، فليست أرض الحرم وحدها هى التى أطاعت الله ، بل الأرض كلها ، كما بين القرآن فما بالها لم تحرم ؟ !

(٢) فى حديث أخرجه البخارى ومسلم . « إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة ، ومعناه : أن الله قضى هذا كما قضى كل أمر له . هذا وفى حديث رواه مسلم : « إن إبراهيم حرم مكة ، ولانى أحرم ما بين لابتها ، وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن المدينة . « اللهم لانى أحرم ما بين جبلها مثل ما حرم إبراهيم مكة ، وفى حديث رواه البخارى : « إن إبراهيم حرم مكة ، ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وهذه الأحاديث تؤكد أن إبراهيم هو الذى حرم مكة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم حرم المدينة كما حرم إبراهيم مكة . . =

سبب آفة بنيان البيت :

وروى في سبب بنيان البيت خبر آخر ، وليس بمعارض لما تقدم ، وذلك أن الله سبحانه لما قال للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ البقرة : ٢٩ .

خافوا أن يكون الله عاتباً عليهم لاعتراضهم في علمه ، فطافوا بالعرش سبعا ، يسترضون ربهم ، ويتضرعون إليه ، فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة ، وأن يجعلوا طوافهم به ، فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ، ثم أمرهم أن يبنوا في كل سماء بيتا ، وفي كل أرض بيتا ، قال مجاهد : هي أربعة عشر بيتا ، كل بيت منها منا صاحبه ، أى : في مقابله ، لو سقطت لسقطت بعضها على بعض .

حول بناء الكعبة مرة أخرى :

روى أيضاً أن الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الأرض إلى منتهائها ، وقذفت فيها حجارة أمثال الإبل ، فتلك القواعد من البيت التي رفع إبراهيم وإسماعيل ، فلما جاء الطوفان رفعت ، وأودع الحجر الأسود أبا قبيس (١) .

= وفي هذا نظر ، فالله جل شأنه هو الذى يحل ويحرم لا النبيون ، ولم يذكر تحريم المدينة في القرآن كما ذكر تحريم مكة ، والإذخر : الحشيش الطيب الرائحة . (١) ليس لكل ما قاله عن الملائكة هنا سند صحيح ، ولم يرد حديث طواف الملائكة المذكور هنا سوى : « أبو الفرج » ، في كتابه « مشير الغرام » ، وليس من البر في الدين أن تفتري الأكاذيب لتعظيم أمر ، شأنه بالصدق في النفوس أعظم ، والحق لا يحميه لباطل ، والجمال يشينه الكذب

وذكر ابن هشام أن الماء يُعَلِّمُ حين الطوفان ، وسكنه قام حولها ، وبقيت في هواء إلى السماء (١) ، وأن نوحا قال لأهل السفينة ، وهي تطوف بالبيت : إنكم في حرم الله ، وحول بيته ، فأحرموا الله ، ولا يمس أحد امرأة ، وجعل بينهم وبين السماء حاجزا ، فتعدى حام ، فدعا عليه نوح أن يسودَّ لون بنيه ، فاشودَّ كُوشُ بن حام ونسله إلى يوم القيامة ، وقد قيل في سبب دعوة نوح على حام غير هذا (٢) ، والله أعلم .

وذكر في الخبر عن ابن عباس ، قال : أولُ من عاذ بالكعبة حوتٌ صغير ، خاف من حوت كبير ، فعاذ منه بالبيت ، وذلك أيام الطوفان . ذكره يحيى بن سلام ، فلما نَصَبَ ماء الطوفان ، كان مكان البيت رِبْوَةً من مَدْرَةِ (٣) وحبج إليه هود وصالح ، ومن آمن معهما ، وهو كذلك (٤) .

(١) كلام لا سند له ، وقد روى أن من أسباب بنائها احتراقها أو تصدعها من السيل ، فكيف لم ترتفع إلى الهواء .
هذا وفي السيرة عن السفينة أنها كانت لرجل من تجار الروم ، ولكن ورد عن الاموي أنها كانت لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الرومي إلى الكنيسة التي أحرقها الفرس للحبشة وقيل عن باقوم القبطي لأنه كان مولى سعيد بن العاصي بن أمية وفي الإصابة أن اسم الرجل الذي بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا ، وكان في سفينة حبستها الريح ، فخرجت إليها قريش ، وأخذوا خشبها ، وقالوا له : ابنها على بناء الكنائس .

(٢) لأنه رأى عورة أبيه لإصحاح ٩ سفر التكوين .

(٣) المدر — محرمة — قطع الطين اليابس ، أو العلك الذي لا رمل فيه واحدة مدرة .

(٤) لم يرد هذا في نقل صحيح .

وَيُذَكَّرُ أَنْ يَعْرُبَ قَالَ لهُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلَا نَبِيَّهُ ؟ قَالَ : إِنَّمَا بَيْنِيهِ نَبِيٌّ كَرِيمٌ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي يَتَّخِذُهُ الرَّحْمَنُ خَلِيلًا ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَشَبَّ إِسْمَاعِيلُ بِمَكَّةَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمُ بِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، فَدَلَّتْهُ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ (١) ، وَظَلَّتْ لَهُ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ ، فَكَانَتْ عَلَيْهِ كَالْجُحْفَةِ (٢) ، وَذَلِكَ أَنَّ السَّكِينَةَ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ ، فَجُعِلَتْ عَلامًا عَلَى قِبْلَتِهَا حِكْمَةً مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ (٣) ، وَبَنَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبِلٍ ، كَانَتْ الْمَلَأْسُكَةُ تَأْتِيهِ بِالْحِجَارَةِ مِنْهَا ، وَهِيَ : طَوْرُ تَيْنَا ، وَطَوْرُ زَيْتَا (٤) الَّذِينَ بِالشَّامِ ، وَالْجُودِيَّ وَهُوَ بِالْجَزِيرَةِ (٥) ، وَتَيْنَانَ (٦) وَحِرَاءَ وَهَا بِالْحَرَمِ ، كُلُّ هَذَا جَمَعْنَاهُ مِنْ آثَارِ مَرْوِيَةٍ . وَانْتَبَهَ لِحِكْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ جَعَلَ بِنَاءَهَا مِنْ خَمْسَةِ أَجْبِلٍ ، فَشَاكِلُ ذَلِكَ مَعْنَاهَا ؛ إِذْ هِيَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَعَمُودِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ بَنَى عَلَى خَمْسٍ ، وَكَيْفَ دَلَّتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ؛ إِذْ هُوَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ ، وَالسَّكِينَةُ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَأَتَوْهَا

(١) وَهِيَ عِنْدَ رِوَاةِ هَذَا : رِيحٌ خَجُوجٌ ، وَلَهَا رَأْسَانٌ ، فَاتَّبَعَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مَكَّةَ ، فَتَطَوَّتْ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ كَطَيِّ الْجُحْفَةِ . وَالْخَجُوجُ : الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الْمَرَّةً ، أَوْ الْمَلْتَوِيَّةُ فِي هَبْوِهَا .

(٢) بَقِيَّةُ الْمَاءِ فِي جَوَانِبِ الْحَوْضِ .

(٣) مَرَّةً أُخْرَى بَنَى عَلَى أُسْطُورَةٍ رَأَى وَحَدِيثِ السَّكِينَةِ لَيْسَ لَهُ سِنْدٌ صَحِيحٌ

(٤) تَيْنَا تَقَالُ بِالْكَسْرِ وَبِالْفَتْحِ وَيَقُولُ الْقَامُوسُ وَتَيْنَا هِيَ بِمَعْنَى سَيْنَاءَ

(٥) يَعْنِي جَزِيرَةَ ابْنِ عَمْرِو بْنِ شَرْقِيٍّ دَجَلَةَ مِنْ أَعْمَالِ الْمُوَصَّلِ

(٦) فِي الْمَرَاوِدِ ، لِبَنَانِ جِبْلَانَ قَرِبَ مَكَّةَ يُقَالُ لَهَا ، ابْنُ الْأَسْفَلِ وَابْنُ الْأَعْلَى

وَفَوْقَ ذَلِكَ جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ : الْمَبْرُكُ بَرَكَ الْفَيْلُ بِهِ

وعليكم السكينة^(١) « فلما بلغ إبراهيم الركن جاءه جبريلُ بالحجر الأسود من جوف أبي قُبَيْس ، وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « أنزل الحجر الأسودُ من الجنة أشد بياضا من اللبن ، فسودته خطايا بني آدم^(٢) » ، وروى الترمذى أيضاً من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعاً أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة ، ولولا ما طُمِسَ من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب ، وفي رواية غيره : لا بُرءاً من استلمهما من الخرسِ والجذامِ والبَرصِ^(٣) ، وروى غير الترمذى من طريق علي رحمه الله أن العهد الذي أخذَه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره ألا يُشركوا به شيئاً كتبه في صكِّه ، وألقمه الحجر الأسود ، ولذلك يقول المستمل له : إيماننا بك ، ووفاء بعهدك^(٤) ، وذكر هذا الخبر الزبير ، وزاد عليه أن الله سبحانه أجرى نهراً أطيب

(١) في حديث رواه الجماعة إلا الترمذى : « إذا سمعتم الإقامة ، فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ، ولا تسرعوا ، فما أدركتم ، فصلوا ، وما فاتكم فاتموا ،

(٢) لا يعتد بمثل هذا . وفي البخارى : « فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وهما - أى إبراهيم وإسماعيل - يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » وهو عند ابن أبي حاتم من كلام السدى ، ولم يرو البخارى ولا مسلم شيئاً من هذا .

(٣) الأحاديث الصحيحة تخالف ما رواه الترمذى ، وتخالف ما رواه بعده ، والقرآن يؤكد أن الله هو الذى بيده الشفاء لا الركن اليماني . وإنما هو مكر الأساطير بدين الله الحق !!

(٤) لا يشهد لما قاله حديث صحيح ، ولا آية من كتاب الله ، وإليك التفسير الصحيح لآية أخذ العهد عن الحسن البصرى ، كما رواه عنه جماعة من السلف والخلف =

(م ١٨ - الروض الأنت ^٢) -

من اللبن ، وأمين من الزبد ، فاستمد منه القلمُ الذى كتب العهدَ ، قال : وكان أبو قُبَيْسٍ يسمى : الأمين ؛ لأن الركن كان مُودَعاً فيه ، وأنه نادى إبراهيم حين .

== (وإذ أخذ ربك من بنى آدم) ولم يقل من آدم (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره (ذرياتهم) أى جعل نسلهم جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، كقوله تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأَرْض) وقال : (ويجعلكم خلفاء الأَرْض) وقال : (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) ثم قال : (وأشهدهم على أنفسهم : أَلست بربكم ، قالوا : بلى) أى : أوجدتم شاهدين بذلك ، قائلين له حالا . وقال : أى الحسن البصرى - والشهادة تكون تارة بالقول ، وتارة تكون حالا . كما أن السؤال تارة يكون بالمقال ، وتارة يكون بالحال . قالوا - يعنى جماعة من السلف والخلف - وما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم فى الإشراك ، فلو كان قد وقع هذا - يعنى استخراج الذرية من ظهر آدم واستنطاق الله لها - كما قال من قال لسان كل أحد يذكره ليكون حجة له) ثم فسروا هذا الإشهاد بأنه الفطرة التى فطر الله الناس عليها من الإقرار بالتوحيد . انظر ابن كثير فى تفسير الآية . هذا وقد حكم الطبرى بعدم صحة نسبة ما روى من أحاديث فى هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالحديث موقوف على ابن عمر . ولهذا قال : الظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : « وأشهدهم على أنفسهم . أَلست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا . فسكانه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا . فقالوا : بلى شهدنا . عليكم بما أقررتم به على أنفسكم . وفى مكان آخر : « وأشهدهم على أنفسهم ، أى : أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك . ويقول المرتضى فى أماليه . « وقد ظن بعض من لا بصيرة له ، ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية أن الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته ، وهم فى خلقت النور ، فقررهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه ، لأن الله تعالى قال : وإذ أخذ ربك من بنى آدم ، ولم يقل . من آدم ، وقال : من ظهورهم ، ولم يقل : من ظهره ، وقال : ذرياتهم ، ولم يقل . ذريته ، ثم أخبر تعالى بأنه ==

بلغ بالبنيان إلى موضع الركن ، فأخبره عن الركن فيه ، ودله على موضعه (١) منه ،
وانتبه من ههنا إلى الحكمة في أن سوّده خطايا بني آدم دون غيره من حجارة
الكعبة وأستارها ، وذلك أن العهد الذي فيه هي الفطرة التي فطر الناس عليها
من توحيد الله ، فكل مولود يولد على تلك الفطرة ، وعلى ذلك الميثاق ، فلو لا أن
أبويه يهودانه ويُنصرّانه ويمجّسانه ، حتى يسودّ قلبه بالشرك ، لما حال عن
العهد ، فقد صار قلب ابن آدم محلاً لتلك العهد والميثاق ، وصار الحجر محلاً لما
كتب فيه من ذلك العهد والميثاق ، فتناسبا ، فأسودّ من الخطايا قلب ابن آدم
بعدما كان وُلد عليه من ذلك العهد ، واسود الحجر بعد ابيضاضه ، وكانت
الخطايا سببا في ذلك حكمة من الله سبحانه ، فهذا ما ذكر في بنيان الكعبة
ملخصا ، منه ما ذكر المأوردى ، ومنه ما ذكره الطبري ، ومنه ما وقع في كتاب
التمهيد لأبي عمر ، ونبد أخذتها من كتاب فضائل مكة لِرزين بن معاوية ، ومن
كتاب أبي الوليد الأزرق في أخبار مكة ، ومن أحاديث في المسندات المروية ،
وسنورد في باقي الحديث بعض ما باعنا في ذلك مستعينين بالله . وأما الركن

= فعل ذلك ، لثلاثا يقولوا : إنهم كانوا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم ،
وأنهم نشموا على دينهم وسنتهم ، وهذا يقتضى أن الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه ،
وأنها تناولت من كان له آباء مشركون ، وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد
آدم ، فهذه شهادة الظاهر بطلان تأويله ، ثم استشهد بدليل عقلي على بطلانه
أيضا . واستدل ببعض النقول الصحيحة ، انظر ص ٢٠ وما بعدها ط ١

(١) لست أدري — والسبيل رجل كبير العقل - كيف يردد هذه الاساطير

الصغيرة ١٩ .

اليمني فسُمي باليمني - فيما ذكر القَتَيْبِيُّ - لأن رجلا من اليمن بناه اسمه: أُبَيُّ بن سالم وأنشد :

لنا الركنُ من بيتِ الحرامِ وراثَةٌ بقيةَ ما أُبقي أُبَيُّ بنُ سالم

حول بناء السجدة الحرام :

وأما المسجدُ الحرامُ فأول من بناه عمر بن الخطاب ، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولا بد للبيت من فناء ، وإنكم دخلتم عليها ، ولم تدخل عليكم ، فاشتري تلك الدورَ من أهلها وهدمها ، وبني المسجدَ المحيطَ بها ، ثم كان عثمان ، فاشتري دورا أخرى ، وأعلى في ثمنها ، وزاد في سعة المسجد فلما كان ابنُ الزبير زادا في إتقانه ، لافى سَعَتَهُ ، وجعل فيه عمداً من الرُّخَامِ ، وزاد في أبوابه ، وحسَّنَها ، فلما كان عبد الملك بن مروان زادا في ارتفاع حائطِ المسجد ، وحمل إليه السَّوَارِي في البحر إلى جُدَّةَ ، واحتملت من جُدَّةَ على العجل إلى مكةَ ، وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباجَ ، وقد كنا قدّمنا أن ابنَ الزبير كساها الديباجَ قبل الحجاج ، ذكره الزبير بن بكار ، وذكرنا أيضا أن خالد بن جعفر بن كلابٍ ممن كساها الديباجَ قبل الإسلام ، ثم كان الوليدُ بن عبد الملك ، فزاد في حليها ، وصرف في ميزابها وسقفها ما كان في مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهبٍ وفضةٍ ، وكانت قد احتملت إليه من طَبَيْطَلَةَ من جزيرة الأندلس ، وكانت لها أطواقٌ من ياقوتٍ وزبرجدٍ ، وكانت قد احتملت على بغل قوى فتفسخ تحتها ، فضرَبَ منها الوليدُ حلية

للكعبة، فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهديُّ زاد أيضا في إتقان المسجد، وتحسين هيئته، ولم يحدث فيه بعد ذلك عملٌ إلى الآن. وفي اشتراء عمر وعثمان الدور التي زادا فيها دليلٌ على أن رباع أهل مكة ملكٌ لأهلها، يتصرفون فيها بالبيع والشراء إذا شاءوا، وفي ذلك اختلاف.

كنز الكعبة والنجار القبطي :

فصل : وذكر ابن إسحاق ذَوَيْكَا الذي سرق كنز الكعبة، وتقدّم أن سارقاً سرق من مالها في زمن جُرهم، وأنه دخل البئر التي فيها كنزها فسقط عليه حجرٌ فخبسه فيها، حتى أُخرج منها، وانزِعَ السالُّ منه، ثم بعث الله حَيَّةً لها رأس كراس الجذدي، بيضاء البطن سوداء المَتْنِ، فكانت في بئر الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين، وهي التي ذكرها ابن إسحاق، وكان لا يدنو أحدٌ من بئر الكعبة إلا اخزألت (١) أي: رفعت ذَنبها، وكشّته أي: صَوَّنت (٢). وذكر ابن إسحاق أن سفينةً رماها البحر إلى جدة، فتحطّمت، وذكر غيره عن ابن مُنَبِّه أن سفينة خجّتها الريح إلى الشَّعْبِيَّة، وهو مَرَفَأُ السفن من ساحل بحر الحجاز، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة والشَّعْبِيَّة بضم الشين ذكره البكري، وفسر الخطابي خجّتها: أي دفعته بقوة، من الريح الخُجُوج أي: الدَّفُوع.

- (١) في الأصل، وفي شرح السيرة للخشني: اخزألت بالخاء، وهو خطأ صوبته من نسخ أخزى للسيرة ومن اللسان والقاموس.
- (٢) وللخشني: الكشيش صوت جلدها إذا تقبض بعضه في بعض. وفيه السيرة. تشرق: أي تبرز للشمس.

قال ابن إسحاق : وكان بمكة نجار قبطي ، وذكر غيره أنه كان عاججا (١)
في السفينة التي خَبَجَتْها الرياحُ إلى الشَّعْبِيَّةِ ، وأن اسمَ ذلك النجار : يا قوم (٢)
وكذلك روى أيضا في اسم النجار الذي عمل منبرَ رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - من طَرَفاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

الحية والداية :

فصل : وذكر خبر العُقَابِ ، أو الطائر الذي اختطف الحية من بئر الكعبة ،
وقال غيره : طرحها الطائر بالحُجُونِ ، فالتتمتها الأرض . وقال محمد بن الحسن
المقرئ هذا القول ، ثم قال : وهي الداية التي تسكلم الناس قبل يوم القيامة ،
واسمها : أقصى فيما ذُكِرَ ، ومحمد بن الحسن المقرئ هو النَّقَّاشُ ، وهو من
أهل العلم - والله أعلم بصحة ما قال ، غير أنه قد روى في حديث آخر أن موسى
عليه السلام سأل ربه أن يُرِيه الداية التي تُسكلم الناس ، فأخرجها له من
الأرضِ ، فرأى منظرا هالكا وأفرعه ، فقال : أي رَبِّ : رُدَّها ، فَرَدَّها (٣) .
لم نزع :

وذكر ابن إسحاق حديثَ الحَجَرِ الذي أُخِذَ من الكعبة ، فوثب من يد
أخذه ، حتى عاد إلى موضعه ، وقال غيره : ضربوا بالعمول في حجر من أحجارها ،

(١) الرجل من كفار المعجم .

(٢) وقيل . يا قوم أوبا قول . وقد سبق وانظر ص ٦٣ شرح

السيرة للخشني .

(٣) لا يروى في حقيقة صفات الداية حديث يعتد به . والداية تطلق على الإنسان .

فلنقف عند القرآن والنقاش بكذب ويروى المناكير وليس في تفسيره حديث صحيح .

فلمعت بركة كادت تحطف أبصارهم ، وأخذ رجل منهم حجرا ، فطار من يده ،
وعاد إلى موضعه . وذكر ابن إسحاق قولهم : اللهم لم تُرَع ، وهى كلمة تقال
عند تسكين الرّوع ، والتأنيس ، وإظهار اللين والبر في القول ، ولاروع في هذا
الموطن فيُنْفَى ، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ،
وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الرّوع الذى هو
مُحَالٌّ في حق البارئ تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا ، جاز النطقُ
بها^(١) ، وسيأتى في هذا الكتاب إن شاء الله زيادة بيان عند قوله : فاغفر فداءً
لك ما اقتنينا .

ويروى أيضاً : اللهم لم تُرِعْ ، وهو جلي لا يشكل .

من تفسير صبري أبي لهب : وذكر قولهم : لا تُدْخِلُوا في هذا البيت مهراً
بِنَفْيٍ وهى الزانية ، وهى فَعُولٌ مِنَ الْبِغَاءِ ، فاندغمت الواو فى الياء ، ولا يجوز
عندهم أن يكون على وزن فَعِيلٍ ، لأن فَعِيلًا بمعنى : فاعل يكون بالهاء فى المؤنث
كرحيمة وكريمة . وإنما يكون بغير هاء إذا كان فى معنى : مفعول نحو :
امرأة جريح وقتيل .

وقوله : ولا يبيع رباً يدل على أن الربا كان محرماً عليهم فى الجاهلية ، كما
كان الظلم والبغاء ، وهو الزنا محرماً عليهم ، يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع

(١) الرّوع : الفزع ، ولا يجوز مطلقاً نسبته إلى الله ، ثم لأنه لم يرد قول صحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا . وفى شرح الزرقانى على المواهب : اللهم لم
ترع . أى : لم تفزع الكعبة ، فأضمرها لتقدم ذكرها ، وهذا أولى من إعادة
السهيل الضمير لله ، وهو نقد حق ، وهو رأى الحشنى فى شرحه للسيرة . هذا إن
كان للحديث سند صحيح .

إبراهيم عليه السلام ، كما كان بقي فيهم الحجُّ والعُمرة وشيء من أحكام الطلاق
والميتق وغير ذلك . وفي قوله سبحانه : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾
البقرة : ٢٧٥ دليل على تقدم التحريم .

الحجر الذي طره مكتوباً :

فصل : وذكر الحجر الذي وجد مكتوباً في الكعبة ، وفيه : أنا الله ذوبكة .
لحديث . روى مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ فِي الْجَامِعِ عَنِ الزَّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ قَرِيشًا
حِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ ، وَجَدُوا فِيهَا حِجْرًا ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ صُفُوحٍ (١) فِي الصَّفْحِ
الأول : أنا الله ذوبكة صُفِّعْتُ يَوْمَ صُفِّعْتُ (٢) الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ إِلَى آخِرِ
كَلَامِ بْنِ إِسْحَاقَ ، وَفِي الصَّفْحِ الثَّانِي : أنا الله ذوبكة ، خَلَقْتُ
الرَّحِمَ ، وَاسْتَمْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتَهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّئْتُهُ ،
وَفِي الصَّفْحِ الثَّلَاثِ : أنا الله ذوبكة (٣) ، خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ
الْخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ :
لَا يُحِبُّهَا أَوْلُ مِنْ أَهْلِهَا ، يَرِيدُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مَا كَانَ مِنْ اسْتِحْلَالِ قَرِيشِ الْقِتَالِ

(١) في البداية « أصفح » وهو أنسب وصفة الشيء : جانبه

(٢) في البداية : صنعها وهو يناسب رواية : خلقتها التي في السيرة

(٣) في البداية : « إني أنا الله » في جميع المواضع . والقصة ولاشك مصنوعة ،
ووراء بعضها رجل من أهل الكتاب ، ففيها ذكر السهيلي وابن هشام ما يدل
على هذه النسبة . وإن كانت كليات حق . ففي الإصحاح الخامس والسادس والسابع
من إنجيل متى بعض كلماته . أما قوله : « خلقت الرحم » - إلى تبته ، لحديث رَوَاهُ
أَبُو دَاوُدَ وَاتِّرْمِذِيُّ « أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها من
اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته »

فيها أيام ابن الزبير، وحُصِّين بن مُمَيَّرِ ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن
أبي ربيعة :

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُعْنَى غَزَلٍ يُحِبُّ الْمُحَلَّةَ أُخْتِ الْمُحَلِّ

يعنى بالحلل : عبد الله بن الزبير لقتاله في الحرم .

هول الحجر الأسود وقواعد البيت :

فصل : وذكر اختلافهم في وضع الركن ، وأن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - هو الذي وضعه بيده ، وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة
شيخ نجدى ، وأنه صاح بأعلى صوته : يامعشر قريش : أرضيتم أن يضع هذا
الركن ، وهو شرفكم غلامٌ يتيماً دون ذوى أسنانكم ، فكاد يثير شراً فيما
بينهم ، ثم سكنوا ذلك . وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة في أيام ابن
الزبير ، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ،
وأبوه يصلى بالناس في المسجد اغتم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم
التنافس في ذلك ، وخاف الخلاف ، فأقره أبوه . ذكر ذلك الزبير بن أبي
بكر . وذكر ابن إسحاق أيضاً أنهم أفضوا إلى قواعد البيت ، وإذا هم
خضروا كالأسنمة ، وليست هذه رواية السيرة ، إنما الصحيح في الكتاب :
كالأسنة ، وهو وهم من بعض النقلة عن ابن إسحاق والله أعلم ؛ فإنه لا يوجد
في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدي ولا غيره ، وقد ذكر البخاري
في بيان الكعبة هذا الخبر ، فقال فيه عن يزيد بن رومان : فنظرت إليها ، فإذا
هي كأسنمة الإبل ، وتشبيهها بالأسنة لا يشبه إلا في الزرقة ، وتشبيهها بأسنمة

الإبل أولى ، لعظمتها ، ولما تقدم في حديث بنيان الملائكة لها قبل هذا (١) .

شعر الزبير بن عبد المطلب :

فصل : وذكر شعر الزبير بن عبد المطلب : عجبت لما تصوّبت
العقاب . إلى قوله : تَتَلَدَّبُ لها انصباب . قوله : تَتَلَدَّبُ ، يقال : اتلأب
على طريقه إذا لم يُعَرِّجَ يَمْنَةً (٢) ولايسرة ، وكأنه منجوت من أصلين كما تقدم
في مثل هذا من تلا : إذا تبع ، وألب : إذا أقام ، وأب أيضاً قريب من هذا
المعنى . يقال : أبّ إجابة - من كتاب العين - إذا استقام وتهايا ، فكانه مُقِيمٌ
مُسْتَمِرٌّ على ما يتاوه ويقبعه مما هو بسبيله ، والاسم من اتلأب : التلأبية على
على وزن الظمانينة والقشعريرة ، قاله أبو عبيد .

وقوله : وليس على مسوينا ثياب . أي : مسووى البنيان . وهو في

(١) عند أبي ذر الخشني في تفسير تشبيها بالاسنمة . و أراد أن الحجارة دخل
بعضها في بعض كما تدخل عظام السنام بعضها في بعض ، ومن رواه كالاسنة
فموجع سنان الرمح شهبها بالاسنة في الخضرة ، وفي القصيدة البائية في السيرة .
الدواب : يريد الأنساب الكريمة . والسباب : جمع سببية وهي ثياب رفاق بيض
تشبه الشحم الذي يماو الجفان بها . عن الخشني ، والحطيم : سمي حطيا ؛ لأن
الناس يزدحمون فيه ، حتى يحطم بعضهم بعضا ، وقيل : لأن الثياب كانت تجرد فيه
عند الطواف . وذومكة : اسم المسجد ، ومكة : اسم البلدة . تحاوزوا : انحازت كل
قبيلة إلى جهة . هلم إلى ثوبا : هي كلمة سمي بها الفعل . ومعناه : أقبلوا إلينا
تتلب : تتابع في انقضاضها

(٢) وفي القاموس : استقام وانتصب

حديث الخمس

قال ابن إسحاق : وقد كانت قُرَيْش - لا أدري أقبلَ القيل أم بعده - ابتدعت رأى الخُمس رأياً رَأَوْهُ وَأَدَارُوهُ ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحُرمة ، وولاية البيت ، وقُطَّان مكة وساكنها ، فليس لأحدٍ من العرب مثلُ حَقَّنَا ، ولا مثلُ منزلتنا ، ولا تَعْرِفُ له العربُ مثلَ ما تعرف لنا ، فلا نعظموا شيئاً من الحِلِّ كما تَعَبُّون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العربُ بِحُرْمَتِكُمْ ، وقالوا : قد عَظَّمُوا من الحِلِّ مثل ما عَظَّمُوا من الحرم . فتركوا الوقوفَ على عَرَفَةَ ، والإفاضة منها ، وهم يَعْرِفُونَ وَيُقَرِّونَ أنها من المشاعر والحجِّ ودين إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - وَيَرَوْنَ لسائر العرب أن يُفِيضُوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهلُ الحُرْمِ ، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحُرمة ، ولا نعظِّم غيرها ، كما نعظِّمها نحن الخمس ، والخمس : أهلُ الحرم ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحِلِّ والحرم مثل الذي لهم ، بولادتهم إليهم ، يحلّ لهم ما يحلّ لهم ، ويحرمُ عليهم ما يحرمُ عليهم . وكانت كِنَانَةٌ وَخَزَاعَةٌ قد دخلوا معهم في ذلك .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عُبَيْدَةَ الدجويّ : أن بني عامر بن صعصعة معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك ، وأنشدني لعمر بن معد يكرب :

معنى الحديث الصحيح في نقلناهم الحجارة إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عُرَاءَةً ، ويرون ذلك ديننا ، وأنه من باب التَّشْمِيرِ والجِدِّ في الطاعة . وقول ابن هشام : ويروى : مَسَاوِينَا ، يريد : السَّوَاءَاتِ ، فهو جمع مَسَاءَةٍ ، مفعلة من السَّوَاءَةِ والأصل مَسَاوِيءٌ ، فسهلت الهمزة .

أَعْبَاسُ لَوْ كَانَتْ شِيَاراً جِيَادُنَا بَثَلِيثَ مَا نَاصَبْتَ بَعْدِي الْأَحَامِسَا

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشيار : الحسان . يعنى بالأحامس :
بنى عامر بن صعصعة . وبعباس : عباس بن مرداس الشامي ، وكان أغار
على بنى زبيد بتثليث . وهذا البيت في قصيدة لعمرؤ .

وَأُنشِدُنِي لَلْقَيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ الدَّارِمِي فِي يَوْمِ جَبَلَةَ :

أَجْزِمُ إِلَيْكَ إِهْمَا بَنُو عَبْسِ الْعَشْرُ الْجِلَّةُ فِي الْقَوْمِ الْحَسِ

لأن بنى عبس كانوا يوم جبله حلفاء في بنى عامر بن صعصعة .

ويوم جبله : يوم كان بين بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ،
وبين بنى عامر بن صعصعة ، فكان الظفر فيه لبني عامر بن صعصعة على بنى
حنظلة ، وقُتِلَ يومئذ لقيطُ بن زُرَّارَةَ بنِ عُدُسَ ، وأسير حاجب بن زُرَّارَةَ بنِ
عُدُسَ ، وانهزم عمرو بن عمرو بن عُدُسَ بن زيد بن عبد الله بن دارم بن
مالك بن حنظلة . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقَيْطًا وَحَاجِبًا وَعَمْرَ بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَا بِاللَّدَارِمِ

وهذا البيت في قصيدة له :

ثم التقوا يوم ذى نجب فكان الظفر لحنظلة على بنى عامر ، وقُتِلَ
يومئذ حسان بن معاوية الكندي ، وهو أبو كبشة . وأسير يزيد بن الصمعي

• • • • •

السكلابي، وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو عامر بن الطفيل .
ففيه يقول الفرزدق :

ومنهن إذ نجى طفيل بن مالك على قُرْزُلِ رَجَلارِ كَوْضِ الهَزَامِ
ونحنُ ضَرَبْنَا هامةَ ابنِ خُوَيْلِدٍ يزيدُ على أمِّ الفِراخِ الجَوَامِ
وهذان البيتان في قصيدة له :

فقال جرير :

ونحنُ حَضَبْنَا لابنِ كَنْبِشَةَ نَاجِهَ ولاقى امرأَةً في صَمَّةِ الخَيْلِ مِصْقَعَا
وهذا البيت في قصيدة له .

وحديث يوم جَبَلَةَ ، ويوم ذى نَجَبٍ أطول مما ذكرنا . وإنما منعى من
استقصائه ما ذكرتُ في حديث يوم الفِجَارِ .

قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا :
لا يذنبى للحمس أن يأتقوا الأقط ، ولا يسئثوا السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا
بيتنا من شعير ، ولا يستظلموا - إن استظلموا - إلا في بيوت الأدم ما كانوا
حرمًا ، ثم رفعوا في ذلك ، فقالوا : لا يذنبى لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعام
جاءوا به معهم من الحِلِّ إلى الحرم إذا جاءوا حُجَّاجًا أو عُمَّارًا ، ولا يطوفوا
بالبيت إذا قدِموا أولَ طوافهم إلا في ثياب الخمس . فإن لم يجدوا منها شيئًا
طافوا بالبيت عُرَاةً ، فإن تكرّم منهم مُتَكَرِّمٌ من رجل أو امرأة ، ولم يجد

ثياب الحُمس . فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِلِّ ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يَمَسَّها هو ، ولا أحدٌ غيره أبدا .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : اللَّقَى ، فحملوا على ذلك العرب . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عُرَاءَ ، أمَّا الرجال فيطوفون عرأة . وأمَّا النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعا مَمَرَّجًا عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب ، وهي كذلك تطوف بالبيت :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ ، أَوْ كَلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحِلِّ ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، فقال قائل من العرب يذكر شيئًا تركه من ثيابه ، فلا يَقْرَبُهُ - وهو يُحِبُّهُ - :

كَفَى حَزَنًا كَرَّمِي عَلَيْهَا كَأَنَّهَا لَقِيَّ بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمُ

يقول : لا تُمَسُّ .

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا - صلى الله عليه وسلم - فأنزل عليه حين أحكم له دينه . وشرع له سنن حجّه : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ . إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ البقرة : ١٩٩ . يعني قريشا ، والناس : العرب ، فرفعهم في سنة الحج إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها ،

• • • • •

وأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ فِيمَا كَانُوا حَرَمُوا عَلَى النَّاسِ مِنْ طَعَامِهِمْ وَثِيْبِهِمْ عِنْدَ الْبَيْتِ . حِينَ طَافُوا عُرَاةً ، وَحَرَمُوا مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْحَلِّ مِنَ الطَّعَامِ : « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا . إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ : مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . قُلْ : هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » . الأعراف : ٣١ : ٣٣ . فوضع الله تعالى أمرَ الخمس ، وما كانت قُرَيْشٌ ابتدعت منه ، عن الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثني عبدُ الله بنُ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن عمِّه نافع بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم . قال : لقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه الوحي ، وإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ بَعْرَفَاتٌ مَعَ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ حَتَّى يَدْفَعَ مَعَهُمْ مِنْهَا تَوْفِيقًا مِنَ اللَّهِ لَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

الخمسة

فصل : وذكر الخمس ، وما ابتدعته قريش في ذلك ، والتَّحَمُّسُ : التشدد ، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهبَ التَّزَهُدِ والتَّأَلُّهِ (١) ، فكانت نساؤهم

(١) في البداية أنهم لقبوا بهذا من الشدة في الدين والصلابة ، لأنهم عظموا الحرم تعظيمًا زائدًا بحيث التزموا بسببه ألا يخرجوا من ليلة عرفة . . فكانوا لا يقفون بعرفات مع عليهم أنها من مشاعر إبراهيم عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا فرروه من البدعة الفاسدة

لا يَنْسُجَنَّ الشَّعَرَ وَلَا الْوَبَرَ، وَكَانُوا لَا يَسْلُكُونَ السَّمْنَ، وَسَلَا السَّمْنُ أَنْ
يُطْبَخَ الزُّبْدُ، حَتَّى يَصِيرَ سَمْنًا، قَالَ أَرْهَةٌ :

إِن لَنَا صِرْمَةً مُخَيَّسَةً نَشْرَبُ أَلْبَانَهَا وَنَسَلُّوْهَا (١)

ذكر قول ابن معد يكرب : أعباسُ لو كانت شياراً جيداً . البيت :
شياراً من الشارة الحسنة يعني : سماناً حسناً وبعد البيت :

ولكنها قيدت بصعدة مرة فاصبحن مايمشين إلا تكارسا (٢)

وأشد أيضاً : أجدم إليك إنها بنو عبس (٣) . أجدم : زجره
معروف للخيل وكذلك : أرحب ، وهب وهقط وهقط وهقب (٤) .

(١) صرمة بكسر الصاد: الإبل. مخيسة: لم تشرح ، وإنما حبست للتحرا والقسم
(٢) تكارس الشيء : تراكم وتلازب، وناصيت في البيت الذي قبله في السيرة
بالياء والباء معا — كما يقول الخشني — معناها وهي بالياء : عارضت ، وأردت
المساواة في المنزلة ، وقد يكون ناصبت : بمعنى إظهار العداوة ، وتثليث
موضع بالحجاز قرب مكة

(٣) في السيرة : د المعشر الجلة ، الجلة : العظام ، ومن رواه الحلة ، فعناه الذين
يسكنون الحل ، وفي رواية أبي ذر المعشم — وزن مقعد — بدلا من معشر
(٤) هقط : تكرار من الطبع ، وفي اللسان : أرحب أيضاً ، ولم أجد في مادة
هب إلا وهب إذا زجر ، وفي مادة رحب روى بيت السكيت بن معروف
نعلها هي وهلا وأرحب وفي أبياتنا ولنا افتلتينا

يوم جبلة :

وذكر يوم جبلة . وجبلة^(١) هضبة عالية ، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم ، وكان معهم في ذلك اليوم رئيس تجران ، وهو ابن الجون الكندي وأخ للنعان بن المنذر ، أحسب اسمه : حسان بن وبرة ، وهو أخو النعان لأمه ، وفي أيام جبلة كان مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولثنتين وأربعين سنة من ملك أنوشروان بن قباد ، وكان مولد أبيه عبد الله لأربع وعشرين ماضت من ملك أنوشروان المذكور ، فيبينه - عليه السلام - وبين أبيه عبد الله نحو من ثمان عشرة سنة .

عرس والحزة والطلس :

وذكر زرارة بن عدس بن زيد ، وهو : عدس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة ، فإنه كان يفتح الدال منه ، وكل عدس في العرب سواء فإنه مفتوح الدال . وذكر الحلة وهم ما عدا الحس ، وأنهم كانوا يطوفون عرأة إن لم يجدوا ثياب أحس ، وكانوا يقصدون في ذلك طرح الثياب التي اقترفوا فيها الذنوب عنهم ، ولم يذكر الطلس من العرب ، وهم صنف ثالث غير الحلة ، والحس كانوا يأتون من أقصى اليمن طلساً من الغبار ، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلس ، فسُموا بذلك . ذكره محمد بن حبيب .

(١) في > ٢٥ من نهاية الأرب كلام طويل عن أيام العرب . وفيه عن يوم جبلة أنه كان قبل الإسلام بأربعين سنة ، وفي الأغانى بتسع وخمسين سنة ، وفي النقائص بسبع وخمسين . وأم الفراع : الرماح . الجواثم : الساكنة اللاطئة مع الأرض ، وسيأتي تفسير السهيلي لها ، وهو مخالف للخشي

(م ١٩ - الروض الأثف > ٧)

اللقى :

فصل : وذكر اللقي وهو الثوب الذي كان يُطْرَحُ بعد الطواف فلا يأخذه أحدٌ ، وأنشد :

كفى حَزَنَا كَرَّمِي عَالِيهِ كَأَنَّهُ لَقِيَ بَيْنَ أَيْدِي الطَائِفِينَ حَرِيمِ

حريم : أى مُحَرَّم ، لا يؤخذ ، ولا ينتفع به ، وكل شيء مُطْرَح ، فهو لقي . قال الشاعر يصف فرخ قَطَاً :

تَرَوِي نَقِيَّ أَلْقِي فِي مَنَصَفِ (١) تَضَهَّرَهُ الشَّمْسُ ، فَمَا يَنْصَهَرُ

تَرَوِي بفتح التاء أى : تَسْتَقِي له ، ومن اللقي : حديث فاختة أم حكيم ابن حزام ، وكانت دَخَلَتِ السَّكْبَةَ وَهِيَ حَامِلٌ مُتِمٌّ بِحَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ ، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ الْخُرُوجَ مِنَ السَّكْبَةِ ، فَوَضَعَتْ فِيهَا ، فَلَقَّتْ فِي الْأَنْطَاعِ هِيَ وَجَنِينُهَا ، وَطَرِحَ مَثْبِرُهَا (٢) وَثِيَابُهَا الَّتِي كَانَتْ عَالِيهَا ، فَجَعَلَتْ لَقَى لِاتَّقْرُبَ .

رمز المرأة الطائفة :

فصل : وذكر قول المرأة: اليوم يبدو بعضه ، أو كله (٣) البيتين ويُذكر

(١) البيت لابن أحر ، والصفصف : المستوى من الأرض

(٢) الموضع تلد فيه المرأة

(٣) في مسلم والنسائي وابن جرير عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون بالبيت . عراة الرجال والنساء . الرجال بالنهار والنساء بالليل ، وكانت المرأة تتمول ، ثم ذكر البيت : اليوم يبدو بعضه الخ

أن هذه المرأة ، هي ضُبَاعَة بنت عامر بن صَعَصَعَة ، ثم من بنى سَلَمَة بن قُشَيْرٍ ،
وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم خطبها ، فذُكرت
له عنها كِبَرَة ، فتركها ، فقيل : إنها ماتت كَمَدًا وحُزْنَا على ذلك قال المؤلف :
إن كان صح هذا ، فما أخرها عن أن تكون أُمَّةً للمؤمنين ، وزوجا لرسوله
رب العالمين إلا قولها : اليوم يبدو بعضه أو كله . تَكْرِمَة من الله لنبيه وعلمه
منه بغيرته ، والله أَغْيَرُ منه .

أسطورة :

ومما ذُكر من تَعَرِّيهم في الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك ،
فانضم الرجل إلى المرأة تَلَدُّدًا واستمتعا ، فلصق عَضُدُه بَعْضِهَا ، ففزعوا عند
ذلك ، وخرجا من المسجد ، وهما ملتصقان ، ولم يقدر أحدهما على فكِّ عَضُدِه
من عَضُدِهَا ، حتى قال لهما قائل : توبا بما كان في ضميركما ، وأخلصا لله التوبة ،
ففعلا ، فأنحل أحدهما من الآخر (١)

قرزل وطفيل :

وأشد للفرزدق :

ومنهن إذ نبجى طفيل بن مالك على قرزلٍ رجلاً رَكِبَهُ ضَ المزامم (٢)

قرزل : اسم فرسه ، وكان طفيل يسمى : فارس قرزل ، وقرزل : القيد

سمى الفرس به ، كأنه يقيد ما يسابقه (٣) ، كما قال امرؤ القيس :

(١) هي أسطورة تروى .

(٢) في النقااض : أرخي : ورجلي .

(٣) وله عدة معانٍ آخر .

بِمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

وُطْفَيْلٌ هَذَا هُوَ : وَالِدُ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ، عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّ رَسُولِهِ ،
وَأَخُو طَفِيلِ هَذَا : عَامِرٌ مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ ، وَسَنَدُ كَرِّ لَمْ تُسَمَّيْ مَلَاعِبَ ، وَنَذَرَ كَرَّ
لِأَخْوَانِهِ وَأَلْقَاهُمْ فِي السِّكِّتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الهامة :

وقوله : على أم الفِراخِ الجِوائِمِ . يعنى : الهامة ، وهى البُوم ، وكانوا
يعتقدون أن الرجل إذا قُتِلَ خرجت من رأسه هامة تصيح : اسقونى
اسقونى ، حتى يؤخذ بنأره . قال ذو الإصبع العَدَوَانِي :
أضربك حتى تقول الهامة اسقونى (١)

شرح بيت جرير :

فصل : وأنشد لجرير :

وَنَحْنُ خَضَبْنَا لابن كَنْدَشَةَ تاجَهُ وِلاَقِي أَمْرًا فِي صَمَّةِ الخَيْلِ مِصْقَعًا

وجدت فى حاشية الشيخ أبى بحر هذا البيت . المعروف فى اللغة أن - المِصْقَعُ :
الخطيبُ البليغُ ، وليس هذا موضعه ، لكن يقال فى اللغة : صَمَّقَهُ : إذا ضَرَبَهُ على
شئٍ مُصَمَّتٍ يابس ، قاله الأصمى ، فيشبه أن يكون مِصْقَعٌ فى هذا البيت من

(١) البيت من ميمون قصائده ، والشطرة الأولى منه :
باعمرو إلا تدع شتى ومنقضى

هذا المعنى ، فيقال منه : رجل مصقع كما يقال : مخرب وفي الحديث : إن سعدا
لمخرب^(١) ، يعني [ابن] أبي وقاص .

ما نزل من القرآن في أمر الخمس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في أمر الخمس ، وهو قوله تعالى :
﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۗ ﴾ [الأعراف : ٣٠]
فقوله : وكُلُوا وَاشْرَبُوا إشارة إلى ما كانت الخمس حرمته من طعام الحج إلا
طعام أحمس ، وخذوا زينتكم : يعني اللباس ، وَلَا تَسْرِفُوا ، ولذلك افتتح بقوله :
يَا بَنِي آدَمَ ، بعد أن قص خبر آدم وزوجه ، إذ يُخَصِّفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ،
أى : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فآدم أبوكم ، ودينه : ستر العورة .
كما قال : ملة أبيكم إبراهيم ، أى : إن كانت عبادة الأصنام دين آبائكم ،
فإبراهيم أبوكم ، ولم يكن من المشركين ، ومما نزل في ذلك : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكْمًا وَتَضَدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥] . ففى التفسير أنهم كانوا
يطوفون عراة ، ويصفقون بأيديهم ويصفرون ، فالسكاه : الصغير ، والتضدية
التصفيق^(٢) قال الراجز : وأنا من غرو الهوى أصدى . ومما نزل من أمر
الخمس : ﴿ وَإِيسَ الْبِرِّ بَأَنَّ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

(١) تتشابه ألفاظه هنا بالخشنى في شرح السيرة . يقال : رجل حرب بفتح
فسكون ، ومخرب - بوزن منبر - ومخرب : شديد الحرب شجاع
(٢) رواه ابن أبي حاتم ، وقال مجاهد : وإنما كانوا يصنعون ذلك ، ليخطو
بذلك على النبي ، ص ، صلواته . وقال الزهري : يستهزئون بالمؤمنين

لأنَّ الحُمْسَ لا يدخلون تحت سقف ، ولا يحول بينهم وبين السماء عتبةُ باب ولا غيرها ، فإن احتاج أحدهم إلى حاجة في داره تسمَّ البيت من ظهره ، ولم يدخل من الباب ، فقال الله سبحانه : ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة : ١٨٩ (١) .

وقوف النبي بعرفة قبل الهجرة والنبوة :

وذكر وقوف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة مع الناس قبل الهجرة ، وقبل النبوة توفيقاً من الله ، حتى لا يفوته ثواب الحج ، والوقوف بعرفة قال جبير بن مطعم حين رآه واقفاً بعرفة مع الناس : هذا رجل أحسُّ ، فما باله لا يقف مع الحُمْس حيث يقفون (٢) ؟ !

(١) في هذا ورد عن البراء في البخارى : « كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره ، فأنزل الله : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ، وقال الحسن البصرى : كان أقوام من أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً ، وخرج من بيته يريد سفره الذى خرج له ، ثم بدا له بعد خروجه أن يقيم ، ويدع سفره لم يدخل البيت من بابه ، ولكن يتسوره من قبل ظهره ، فقال الله تعالى : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها . الآية . أقول : وهذا أقرب إلى مفهوم الآية وكذلك ما ذكر عن عطاء بن أبي رباح : كان أهل يثرب إذا رجعوا من عيدهم دخلوا منازلهم من ظهورها ، ويرون أن ذلك أدنى إلى البر . وسورة البقرة مدنية . (٢) أخرج البخارى عن عائشة . قالت . كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالزدلفة ، وكانوا يسمون : الحس ، وسائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — أن يأتي عرفات ، ثم يقف بها ، ثم يفيض منها ، فذلك قوله : « من حيث أفاض الناس ، وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسدى وغيرهم ، واختاره ابن جرير ، وحكى عليه الإجماع =

إخبار الكهان من العرب، والأخبار من يهود والرهبان من النصارى

قال ابن إسحاق : وكانت الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ،
والكهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل
مبعثه ، لما تقارب من زمانه . أمّا الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ،
فعمّا وجدوا في كتبهم من صفة وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم
فيه ، وأمّا الكهان من العرب : فأتتهم به الشياطين من الجن فيما سترق من
السمع إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن
والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكْرُ بعضِ أموره ، لا تُلقي العربُ لذلك فيه
بالأ ، حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذْكرون .
فعرّفوها .

فلما تقارب أمرُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحصر مبعثه .
حُجبت الشياطين عن السَّمع ؛ وحِيلَ بينها وبين المقاعد التي كانت تُتعد
لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرّفت الجن أن ذلك لأمرٍ حدث من

== وأخرج الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال : أضللت بعيرالي بعرفة . فذهبت
أطلبه فإذا النبي - صلى الله عليه وسلم - واقف ، قلت : إن هذا من الخمس
ما شأنه ههنا ، وأخرجه البخاري ومسلم ، ثم رواه البخاري من حديث موسى
ابن شعبة عن كريب عن ابن عباس بما يفيد أن المراد من الإفاضة هي الإفاضة
من المزدلفة لرمي الجمار .

أمر الله في العباد ، يقول الله تبارك وتعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حُجِبُوا عن السَّمْع ، فعرفوا ما عرفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا : ﴿ قُلْ : أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ . فَقَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا مَّجْبُورًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ، فَأَمْنَا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ؛ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ، وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا . . . إِلَى قَوْلِهِ : « وَأَنَا كُنَّا نَقْتَعِدُهُمْ مِنْهَا . قَاعِدَ لِّلسَّمْعِ . فَمَن يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا . وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرًّا أُرِيدُ بِمَن فِي الْأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبِّيُّمْ رَشَدًا ﴾ الجن : ١ - ٦ ثم ٩ ، ١٠

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما منعت من السَّمْع قبل ذلك ، لنلا يشكّل الوحي بشيء خبّر السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاهاهم من الله فيه ، لوقوع الحجة ، وقطع الشبهة . فآمنوا وصدقوا ، ثم : ﴿ وَكَلَّمُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنذِرِينَ . قَالُوا : يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ، وَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . . . الآية . الأحقاف : ٣٠

وكان قول الجن : « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا » . أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم

.....

إذا سافر فنزل بطن وادٍ من الأرض ليبيت فيه ، قال : إني أعوذ بعزير هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه .

قال ابن هشام : الرهق : الضفين والسفة . قال رؤبة بن العجاج .

إِذ تَسْتَبِي الْمَيَّامَةَ الْمُرَهَّقَا

[تَمْتَلْتِي رِيْمٍ وَحَيْدٍ أَرْشَقَا]

وهذا البيت في أرجوزة له . والرّهقُ أيضا : طلبك الشيء ، حتى تدنو منه ، فتأخذه . أو لا تأخذه . قال رؤبة بن العجاج يصف سمير وحش :

بَصْبَصْنَ وَأَشْعَرَزْنَ مِنْ خَوْفِ الرَّهَقِ

[يَمَصَعْنَ بِالْأَذْنَابِ مِنْ لَوْحٍ وَبَقٍ]

وهذا البيت في أرجوزة له . والرّهقُ أيضا : مصدر لِقَوْلِ الرَّجُلِ : رَهَقْتُ الْإِثْمَ أَوْ الْعُسْرَ ، الَّذِي أَرَهَقْتَنِي رَهَقًا شَدِيدًا ، أَيْ : حَمَلْتُ الْإِثْمَ أَوْ الْعُسْرَ الَّذِي حَمَلْتَنِي حَمَلًا شَدِيدًا ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ الْكَهْفُ : ٨٠ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَا تُرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ الْكَهْفُ : ٧٣ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس أنه حدث أن أوّل العرب فرزع للرّمى بالنجوم - حين رُمى بها - هذا الحى من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بني عِلاجٍ - قال : وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا - فقالوا له : يا عمرو : ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى فانظروا ، فإن كانت معالم النجوم

التي يُهتدى بها في البر والبحر ، وتُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ،
يَا يُصاح النَّاسُ في معاشهم ، هي التي يُرمى بها ، فهو والله طَيُّ الدنيا ،
وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها ، وإن كانت نجومًا غيرها ، وهي ثابتة على
حالتها ، فهذا لأمرٍ أراد اللهُ به هذا الخلق ، فما هو ؟

وقال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عليّ
ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عن عبد الله بن العباس ، عن نفرٍ من الأنصار :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : « ماذا كنتم تقولون في هذا الذَّجَم الذي
يُرمى به ؟ قالوا : يا نبي الله كذبًا نقول حين رأيناها يُرمى بها : مات مَلِكٌ ، مَلِكٌ
مَلِكٌ ، وُلد مولودٌ ، مات مولودٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك
كذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خَدْمَةِ أَمْرٍ سمعه حَمَلَةٌ
العرش ، فسَبَّحُوا ، فسَبَّحَ مَنْ تَحْتَهُمْ ، فسَبَّحَ لتَسْبِيحِهِمْ مَنْ تَحْتَ ذَلِكَ ،
فلا يزال التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حتى ينتهي إلى السماء الدنيا ، فسَبَّحُوا ثم
يقول بعضهم لبعض : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فيقولون : سَبَّحَ مَنْ فَوْقَنَا فسَبَّحْنَا
لتَسْبِيحِهِمْ ، فيقولون : أَلَا تَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَكُمْ : مِمَّ سَبَّحُوا ؟ فيقولون مثل
ذلك ، حتى ينتهوا إلى حَمَلَةِ العرش ، فيقال لهم : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فيقولون :
قضى الله في خَدْمَةِ كَذَا وكَذَا ، للأمر الذي كان ، فيهبِطُ به الخبرُ من سماء
إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا ، فيتحدَّثُ ثوابه ، فَتَسْتَرِقُهُ الشَّيَاطِينُ بالسَّمْعِ ،
على توهُمٍ واختلافٍ ، ثم يأتوا به الكهان من أهل الأرض ، فيجدُّونهم به ،
فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به الكهان ، فيصيبون بعضاً ويخطئون بعضاً . ثم

• • • • •

إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقدفون بها ، فانقطعت
السكّانةُ اليومَ ، فلا كهانة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن أبي جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن
ابن أبي لبيبة ، عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه بمثل حديث
ابن شهاب عنه .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن امرأة من بنى سَهْمٍ يقال لها
الغَيْطَلَةُ ، كانت كاهنة في الجاهلية ، فلما جاءها صاحبها في ليلة من الليالي ،
فأنقضَ تحمها ، ثم قال : أذِرِ ما أذِرِ ، . يوم عقر ونحّر ، فقالت قريش حين
بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فأنقضَ تحمها ، ثم قال :
شُعُوبٌ ، ماشُعُوبٌ ، مُتصرع فيه كغَبِّ اجنُوبٍ : فلما بلغ ذلك قريشا ،
قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا الأمر هو كائن ، فانظروا ما هو ؟ فما عرفوه
حتى كانت وقعة بدرٍ وأحد بالشعب ، فعرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبته .

قال ابن هشام : الغَيْطَلَةُ : من بنى مرّة بن عبد مناة بن كنانة ،
إخوة مدّيج بن مرة ، وهي أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله :

لقد سفّهت أحلام قومٍ تبدّلوا بني خلف قَيْضًا بنا والغياطل
فقيل لولدها : الغياطل ، وهم من بنى سهم بن عمرو بن هصيص . وهذا
البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني علي بن نافع الجُرَشِيُّ : أن جَدَّتْنا بَطْنًا

.....

من اليمن ، كان لهم كاهنٌ في الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله صلى الله وسلم ، وانتشر في العرب ، قالت له جَنب : انظرْ لنا في أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له في أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً مَتَّكِنًا على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل يَنْزُو ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومكثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتدَّ في جبله راجعاً من حيث جاء .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفان ، أنه حدث : أن عمر بن الخطاب ، بينما هو جالس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من العرب داخلاً المسجد ، يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لَعَلِّي شَرَّكَه ما فارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية . فسَلَّمَ عليه الرجلُ ، ثم جلس ، فقال له عمر - رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهناً في الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خَلت في ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رَعِيَّتِكَ منذ وَلِيتَ ما وَايتَ ، فقال عمر : اللهم غَفراً ، قد كُنَّا في الجاهلية على شرٍّ من هذا ، نعبد الأصنام ، ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ، قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية ، قال : فأخبرني ما جاءك به صاحبك ، قال : جاءني قبل الإسلام بشمراً أو شَيْعِهِ ، فقال : ألم تَرِ إلى الجنِّ وإبلاسهما ، وإباسها من دينها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها .

• • • • •

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمرُ بن الخطاب عند ذلك يُحدِّث الناس : والله إني لعندَ وثنٍ من أوثان الجاهلية في نفرٍ من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب مجلاً ، فنحن ننتظر قسمة ليقسم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قطُّ أنفد منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شهرين ، يقول : يا ذريح ، أمرٌ نجيح ، رجل يصيح ، يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجل يصيح ، باسان فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر .

عَجِبْتُ لَجِنٍ وَإِبْلَاسِهَا وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَخْلَاسِهَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من الكهان من العرب .

فصل في الكهانة

رُوي في مآثور الأخبار أن إبليسَ كان يخرق السَّمواتِ قبل عيسى ، فلما بعث عيسى ، أو ولد حُجِبَ عن ثلاث سموات ، فلما ولد محمدٌ حُجِبَ عنها كلها ، وقُذِفَت الشياطينُ بالنجوم وقالت قريش حين كثر القذف بالنجوم : قامت الساعة ، فقال عتبة بن ربيعة : انظروا إلى العَيُوقِ (١) فإن كان رُمي به ، فقد آن قيامُ الساعة ، وإلا فلا ، ومن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر .

(١) نجم أحمر مضيء في طرف الحجر الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

رمي السباطين :

وذكر ابن إسحاق في هذا الباب ما رُميت به الشياطين ، حين ظهر التذفُ
بالنجوم ، ثلثا يلبس بالوحي ، وليكون ذلك أظهر للحجة ، وأقطع للشبهة ،
والذي قاله صحيح : ولكن التذفُ بالنجوم قد كان قديما ، وذلك موجود
في أشعار القدماء من الجاهلية . منهم : عَوْفُ بنِ الجِرْع ، وأَوْسُ بنُ حَجْر ،
ويشْر بن أبي خازم ، وكلهم جاهلي ، وقد وصفوا الرمي بالنجوم ، وأبياتهم
في ذلك مذكورة في مُشْكِلِ ابنِ قُتَيْبَةَ في تفسير سورة الجن (١) ، وذكر
عبد الرزاق في تفسيره عن مَعْمَرٍ عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم :
أكان في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنه إذ جاء الإسلام غُلظَ وشُدِّدَ ، وفي قول
الله سبحانه : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فوجدناها مُمَلَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴾ الجن : ٨
الآية ولم يقل : حُرست دليل على أنه قد كان منه شيء ، فلما بُعث النبي - صلى الله
عليه وسلم - مُلِمَّتْ حرسا شديداً وشُهَبًا ، وذلك لِإِيْنَحَسِمِ أمرِ الشياطين ، وتخايطهم ،
ولتسكون الآية أبين ، والحجة أقطع ، وإن وجد اليوم كاهن ، فلا يدفع ذلك
بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع ، فإن ذلك التغليظ
والتشديد كان زمن النبوة ، ثم بقيت منه ، أعني من استراق السمع بقايا يسيرة

(١) انظر ص ١٨٤ > ٢ ط ١ كتاب القرطين الذي هذب فيه ابن مطرف
الكنتاني كتابي مشكل القرآن أو غريبه لابن قتيبة ، وفي هذا يقول ابن قتيبة
« وفي أيدي الناس كتب الأعاجم ، وسيرهم تنبيه عن انقراض النجوم في كل
عصر ، وكل زمان ، وفيه بشر بن خازم وهو خطأ صوابه ما أثبتته » انظر
ترجمة ابن أبي خازم في الشعر والشعراء لابن قتيبة ،

بدليل وجودهم على الثُّدُور في بعض الأزمنة ، وفي بعض البلاد . وقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكهَّان فقال : ليسوا بشيء ، فقيل : إنهم يتكلمون بالكلمة ، فتكون كما قالوا ، فقال : تلك الكلمة من الجن يحفظها الجنى ، فيُقرِّها في أذن وليه قرَّ الزَّجاجة ، فيخط فيها أكثر من مائة كذبة ، ويروى : قرَّ الدَّجاجة بالدال ، وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت في الدلائل . والزجاجة بالزاي أولى ؛ لما ثبت في الصحيح ، فيُقرِّها في أذن وليه ، كما تُقرُّ القارورة ، ومعنى يُقرِّها : يصبُّها ويُفرِّغها ، قال الراجز :

لا تُفْرِغَنَّ في أُذُنِي قَرَّهَا ما يَسْتَفِرُّ فَأَرِيكَ فِقْرَهَا

وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس ، قال : إذا رمى الشهابُ الجنى لم يُخْطِئْهُ ، ويحرق ما أصاب ولا يقتله ، وعن الحسن قال : في أسرع من طرفة العين ، وفي تفسير ابن سلام أيضا عن أبي قتادة أنه كان مع قوم ، فرمى بنجم ، فقال : لا تُتبعوه أبصاركم ، وفيه أيضا عن حفص أنه سأل الحسن : أيتبعُ بصره الكوكب . فقال : قال سبحانه : ﴿ وجعلناها رُجُوما للشياطين ﴾ الملك : ٥٠ . وقال : ﴿ أو لم ينظروا في مَلَكَوتِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ﴾ الأعراف : ١٨٥ . قال : كيف نعلم إذا لم ننظر إليه ، لا تُتبعنَّه بصرى .

الجن الذين ذكرهم القرآن :

وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن والذين : ﴿ ولَوْأ إلى قومهم ﴾

(١) وفي رواية : قرَّ الزجاجة بالزاي ، أى : بصوتها إذا صب فيها الماء

مُنْذِرِينَ، قَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ الْأَحْقَافِ: ٣٠. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ^(١). وَفِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهُودًا؛ وَكَانُوا قَالُوا: مَنْ بَعْدَ مُوسَىٰ، وَلَمْ يَقُولُوا مِنْ بَعْدِ عَيْسَىٰ ذَكَرَهُ ابْنُ سَلَامٍ^(٢). وَكَانُوا سَبْعَةً، قَدْ ذُكِرُوا بِأَسْمَائِهِمْ فِي التَّفَاسِيرِ وَالْمُسْنَدَاتِ، وَهُمْ: شَاعِرٌ، وَمَاعِرٌ، وَمُنْشَى، وَلَا شَى، وَالْأَحْقَابُ، وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ ذَكَرَهُمُ ابْنُ دُرَيْدٍ، وَوَجِدْتُ فِي خَبَرِ حَدِيثِي بِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ الْإِسْبِيلِيُّ الْقَيْدِيُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ النَّسَائِيِّ فِي فَضْلِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: بَيْنَمَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَمْشِي فِي أَرْضِ فَلَاحٍ فَإِذَا حَيَّةٌ مَيِّتَةٌ فَكَفَّنَهَا بِفَضْلَةٍ مِنْ رِدَائِهِ، وَدَفَنَهَا فَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ: يَا سُرَّقُ اشْهَدْ، لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَقُولُ لَكَ: سَتَمُوتُ بَأَرْضِ فَلَاحٍ، فَيَكْفِنُكَ وَيُدْفِنُكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْجِنِّ الَّذِينَ تَسْمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنَا وَسُرَّقُ، وَهَذَا سُرَّقُ قَدْ مَاتَ. وَذَكَرَ ابْنُ سَلَامٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ [عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ] السَّبْيِيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) ذَكَرَ أَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَعْزُبُهَا كَجَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّلَامِ، فَيَقُولُ: هَذِهِ نَصِيبُونَ وَهِيَ مَدِينَةٌ عَامِرَةٌ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ عَلَى جَادَةِ الْقَوَافِلِ مِنْ مَوْصِلَ إِلَى الشَّامِ وَنَصِيبِينَ أَيْضًا مِنْ قَرْيَةِ حَلَبٍ، وَنَصِيبِينَ كَذَلِكَ: مَدِينَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ كَبِيرَةٌ تَعْرِفُ بِنَصِيبِينَ الرُّومِ.

(٢) مَا هَذَا الَّذِي يَنْقُلُهُ عَنْ ابْنِ سَلَامٍ؟ لِأَنَّهُ تَهْوِيَةٌ خِيَالٌ. وَلَعَلَّهُمْ قَالُوا: مَنْ بَعْدَ مُوسَىٰ، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزَلْ بَعْدَ التَّوْرَةِ كِتَابٌ تَشْرِيحٌ يَنْسَخُ الشَّرَائِعَ قَبْلَهُ سِوَى الْقُرْآنِ، أَمَا الْإِنْجِيلُ فَيَذْكَرُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ

يمشون فرُفِعَ لهم إعصارٌ ، ثم جاء إعصارٌ أعظمُ منه ، ثم انقشع ، فإذا حيةٌ قتيلاً ، فعمدَ رجلٌ منا إلى رذائه فشقّه ، وكفّنَ الحيةَ ببعضه ودفنها ، فلما جنَّ الليلُ إذا امرأتان تنسأءان : أيكم دفن عمرو بن جابر ؟ فقالتا : ما ندرى من عمرو بن جابر ؟ فقالتا : إن كنتم ابتغيم الأجرَ فقد وجدتموه . إن فسنةَ الجنِّ اقتتلوا مع المؤمنين منهم ، فقتل عمرو ، وهو الحيةُ التي رأيتم ، وهو من نفر الذين استمعوا القرآن من محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم ولّوا إلى قومهم مُنذرين !!

ابن عرابط والجن :

فصل : وأما ما ذكره في معنى قوله سبحانه : ﴿ وَأَنه كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعْبُودُونَ بَرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ﴾ الآية : الجن : ٦ . فقد روى في معنى ذلك عن حجاج ابن عرابط السَّامِيُّ ، وهو والد نصر بن حجاج الذي قيل فيه :

أم لا سبيلَ إلى نصرِ ابنِ حجاج (١)

(١) يقول البغدادي في الخزانة ، وحكى السهيلي في الروض الاتف هذه الحكاية على خلاف ما تقدم . قال : الحجاج بن عرابط : وهو والد نصر الذي حلق عمر رأسه ، فنتفاه من المدينة ، فأتى الشام ، فنزل على أبي الأعور السلسي فهو يته امرأته ، وهويها ، وفطن أبو الأعور لذلك ، بسبب يطول ذكره ، فابتنى له قبة في أقصى الحى ، فكان بها ، فاشتد ضناه بالمرأة حتى مات كلنا بها ، وسمى المضنى ، وضربت به الأمثال ، وذكر الأصهباني في كتاب الأمثال له خبره بطوله ، انتهى . أقول : والقصة مشهورة في كتب الأدب والأمثال . قالوا : أول من عس بالليل في الإسلام : عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فبينما يعس ليلة سمع امرأة تقول :

(م ٢٠ - الروض الاتف ج ٢)

== ياليت شعري عن نفسى أراهقة منى ، ولم أقض ما فيها من الحجاج
ألا سبيل إلى خمر فأشربها أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فنى ماجد الاخلاق ذى كرم سهل المحيا كريم غير فجفاج
تتميه أعراق صدق حين تنسبه ذى نجدات عن المكروب فراج
سامى النواظر من بهزله كرم تضى سنته فى الحالك الداجى
نعم الفتى فى سواد الليل نصرته ليائس أو للمهوف ومحتاج
يامنية لم أرب فيها بضائرة والناس من صادق فيها ومن داجى

قالوا : فدعا عمر بالمرأة وهى الذلعا . لقب فريعة بنت همام أم الحجاج - وضربه
بالدرة ضربات ، ثم سأل عنها ، فلم يخبر عنها إلا بخير ، وأتى بنصر ، وأمر بشعره فخلق .
ثم أرسل به إلى البصرة إلى مجاشع بن مسعود السلمى ، فكان ما كان منه بما ذكره
السبيل مختصراً — كما جاء فى خزائن البغدادى : وقيل إن المرأة أرسلت إلى عمر
بهذه الأبيات :

قل للإمام الذى تخشى بواده مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
إنى فقتت أبا حفص بغيرهما شرب الحليب وطرف فاتر ساجى

أخ قالوا : فبكا عمر ، وقال : الحمد لله الذى حبس الهوى التقوى . وبعث عمر
إلى المرأة : لم يبلقنا عنك إلا خير ، وقد ضرب المثل بالمرأة هذه ، فقالوا : « أصب من
المتمنية ، وبنصر ، فمالوا : « أدنف من المتمنى ، وقالوا : إن هذه المتمنية هى
الفريعة بنت همام أم الحجاج بن يوسف الثقفى . والبيت الأول يروى : « لأسبيل إلى
خمر فأشربها ، وهى — كما يقص البغدادى — رواية الجاحظ وحمزة الأصهانى .
والسبيل لكنك ترى الرواية فى الروض « أم لا سبيل أخ . وروى المدائنى وغيره :
هل من سبيل ، ويروى الزجاج المصرع المذكور فى الروض :

أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

ودواه أبو على الفارسى فى إيضاح الشعر عن أبى عبيدة :

أولا سبيل إلى نصر بن حجاج

أنه قدِم مكة في ركب ، فأَجَبَهُم لليلِ بوادِ نَحُوفِ مُوحِش ، فقال له
الركب : قم خذ لنفسك أماناً ، ولأصحابك ، فجعل يطوف بالركب ويقول :

أَعِيذُ نَفْسِي وَأَعِيذُ صَاحِبِي
مَنْ كُلِّ جَيْءٍ بِهَذَا النَّقْبِ
حَتَّى أَهْوَبَ سَالِمًا وَرَكْبِي

فسبح قارئاً : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ
أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [فَاَنْفُذُوا ، لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ] ﴾ الآية .
الرحمن : ٣٣ . فما قدم مسكة خبَرَ كِنْفَرَ قَرِيْشَ بِمَا سَمِعَ ، فقالوا : أصبت (١)
يا أبا كلاب . إن هذا يزعم محمد أنه أنزل عليه ، فقال : والله لقد سمعته
وسمعه هؤلاء معي ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وابتنى بها
مسجداً فهو يُعرف به (٢) .

== على أن أو بمعنى : الواو وروايته و إلا ، يستشهد بها النحويون على أن
و ألا ، تستعمل للتمنى . ويقول البغدادي : وقال قوم : هذا الشعر مصنوع
إلا البيت الأول و الأسييل أخ ، وقد جمع البغدادي كل أطراف القصة ، وقال
عن الشعر : و لا يحفى ما فيه من الاختلاف من جميع الجهات حتى في البيت الشاهد ،
انظر ص ٥٩ وما بعدها ، ط السلفية خزائن الأدب للبغدادي والأمثال
الميداني في حرف الصاد ما جاء منه على وزن أفعل . و ص ٥١٣ > ٢ ألفه
بإم ليوسف بن محمد البلوي .

(١) روى البلوي نفس القصة ، وفيها و صبأت ، بدلا من أصبت وهو الأليق

(٢) ما ذكره هنا لا سند له ، وسنذكر ما ورد من أحاديث حول استماع الجن . روى

البيهقي في الدلائل عن ابن عباس : ما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ==

الجن ولا رآهم . انطلق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغارها ، وانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغارها يتبعون ما هذا الذى حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك نفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو بنحلة عامداً إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك حين رجعوا إلى قومهم : قالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشده ، فأما به ، ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنزل الله على نبيه — صلى الله عليه وسلم — (قل : أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) وإنما أوحى إليه قول الجن ، ورواه البخارى عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة به ، ورواه الترمذى والنسائى فى التفسير من حديث أبي عوانة ، وروى أحمد عن ابن عباس أنه قال : كان الجن يستمعون الوحي ، فيسمعون الكلمة ، فينبدون فيها عشرا ، فيكون ما سمعوا حقاً ، وما زادوا باطلا ، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك ، فلما بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان أحدهم لا يأتي بمقعد إلا رمى بشهاب يحرق ما أصابت

فشكروا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث . فبث جنوده فإذا بالنبي — صلى الله عليه وسلم — يصلى بين جبلي نخلة فأتوه ، فأخبروه . فقال : هذا الحدث الذى حدث فى الأرض . ورواه الترمذى والنسائى فى كتابى التفسير وقال الترمذى : حسن صحيح . وروى البخارى ، قال : حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة ، يقول : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : إن نبي الله — صلى الله عليه وعلى آله وسلم — قال : إذا قضى الله تعالى الأمر فى السماء —

== ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاً لقوله كأنه سلسلة على صفوان. فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ما ذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه خر فيها - وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة، فيلقها إلى من تحته، ثم يلقها الآخر إلى من تحته، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها - وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قاله لنا يوم كذا وكذا: كذا، وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء، انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه، وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والله أعلم. وروى أحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالساً في نفر من أصحابه، فرمى بنجم، فاستنار، فقال - صلى الله عليه وسلم: ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول: يولد عظيم، أو يموت عظيم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا حياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبح حلة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حلة العرش، فيقول الذين يلون حلة العرش حلة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطفه الجن السمع، فيرمون، فما جاءوا به على وجهه، فهو حق، ولكنهم يفرقون فيه ويؤيدون، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومعمل بن عبيد الله، أربعتهم، عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رجل من الأنصار به. وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث الزبيدي عن الزهري به، ورواه الترمذي فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي. عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رجل من الأنصار - رضي الله عنه، وحسب المؤمن في مثل هذا وغيره أن يتدبر القرآن أولاً، ثم الصحيح المشهود له بالصحة القوية من الحديث ==

مول انقطاع الكهانة :

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس وفيه : كنا نقول إذا رأينا : يموت عظيم أو يولد (١) عظيم ، وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن القذف بالنجوم كان قديماً ، ولكنه إذ بُعث الرسول عليه السلام غُظِّظَ وشُدِّدَ — كما قال الزهري — وملئت السماء حرساً . وقوله في آخر الحديث : وقد انقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة . يدل قوله : اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه ، والذي انقطع اليوم ، وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجَهْلَاءِ ، وعند تمسكها من سماع أخبار السماء ، وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خَبْرٌ منهم عما يروونه في الأرض ، مِمَّا لا نراه نحن كسرقه سارق ، أو خَبِيثَةٌ في مكان خَفِيٍّ (١) ، أو نحو ذلك ، وإن أُخبروا بما سيكون كان تحرُّصاً وتظنُّيًّا ، فيصيبون قليلاً ، ويخطئون كثيراً .
وذلك القليل الذي يصابون هو مما يتكلم به الملائكة في العنقان ، كما

== لأن موضوع الجن من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، ولا يعرف إلا عن الوحي .
وقول الله تعالى في سورة الاحقاف وسورة الجن يؤكد أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن الذين استمعوا له .

(١) ذكرته من قبل

(٢) هذا إلفك يفتره الدجاجة . وأحب أن أذكر بقصة الجن الذين مات سليمان أمام أعينهم دون أن يعلبوا (فلما خر تسبيحت الجن أن لو كانوا يعلبون الغيب مالبثوا في العذاب المهين) فلنتدبر هذه الآية المحكمة تؤمن بأن الجن لا يعرفون غيباً كما بين الله . بل إنهم لم يعرفوا حتى ما وقع تحت عيونهم !!

في حديث البخاري ، فَيُطَرَّدُونَ بالنجوم ، فيضيئون إلى الكلمة الواحدة
أكثر من مائة كذبة - كما قال عليه السلام - في الحديث الذي قدمناه ، فإن
قلت : فقد كان صاف بن صياد ، وكان يَتَكَهَّنُ ، ويدعى النبوة ، وخبياً له
النبي - صلى الله عليه وسلم - خبيثاً ، فعلمه ، وهو الدُّخُّ (١) فأين انقطاع الكهانة
في ذلك الزمان ؟ قلنا : عن هذا جوابان ، أحدهما ذكره الخطابي في أعلام الحديث
قال : الدُّخُّ نبات يكون من النخيل ، وخبياً له عليه السلام : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ
تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ الدُّخَانُ : ١٠ ، فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خبياً
له النبي - صلى الله عليه وسلم .

(١) بضم الدال وفتحها : الدخان ، ويقول ابن الأثير في النهاية : وفسر
في الحديث أنه أراد بذلك : (يوم تأتي السماء بدخان مبين) وقيل إن الدجال يقتله
عيسى عليه السلام بجبل الدخان . انتهى . فيحتمل أن يكون أرادته تعريضاً بقتله ، لأن
ابن صياد كان يظن أنه الدجال ، وحديث ابن صياد متفق عليه ، وفيه أن رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - قال لابن صياد : ماذا ترى ؟ قال ابن صياد : يأتيني صادق
وكاذب ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلط عليك الأمر ، قال
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لاني خبأت لك خبيثاً وخبياً له . (يوم
تأتي السماء بدخان مبين) فقال : هو الدُّخُّ ، فقال : اخساً : فلن تعدو قدرك
الحديث . وإذا كان الله سبحانه قد نفي علم الغيب عن الجن وعن الملائكة
وعن الرسل ، فكيف يجوز لنا أن ننسب إلى دجال كابن صياد أنه كان يعرف
الغيب ؟ ولأظن أن رسول الله ص ، - على فرض الصحة - قصد من الاختيار
عمل يعرف ابن صياد الغيب أو لا ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يؤمن قبل هذا بأن الله
وحده هو عالم الغيب ، وأنه لا ابن صياد ، ولا غيره يعلمون من الغيب شيئاً . إنما قصد
الرسول بالاختيار أن يظهر أمام الحضور وأن يوضح حقيقة ابن صياد . وهي أنه
مفتري كذاب ، وأن علم الغيب إنما هو لله وحده .

الثاني : أن شيطانه كان يأتيه بما خفي من أخبار الأرض ، ولا يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم ، فإن كان أراد بالدُّخَّ الدخان بقوة جُعِلت لهم في أسماعهم ليست لنا ، فأتى الكلمة عن لسان صافٍ وحدها ، إذ لم يمكن سماع سائر الآيات ؛ ولذلك قال له النبي - عليه السلام : اخسأ فلن تعدو قدر الله فيك أي : فلن تعدو منزلتك من العجز عن علم الغيب ؛ وإنما الذي يمكن في حقه هذا القدرُ دون مزيد عليه ، على هذا النحو فسرره الخطابي .

الغَيْطَلَةُ الطَّاهِنَةُ وَكِرَانَتُهَا :

فصل : وذكُر حديث الغَيْطَلَةِ الكَاهِنَةِ ، قال : وهي من بني مُرَّة بن عبد مناة بن كِنانة أخى مُدَلِجٍ ، وهي : أم الغَيَاظِل الذي ذكر أبو طالب ، وسنذكر معنى الغَيْطَلَةِ عند شعر أبي طالب إن شاء الله . ونذكر هاهنا ما ألفتيمه في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر في هذا الموضع . قال : الغَيْطَلَةُ بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِقِ ابن شَنُوقِ بن مُرَّة ، وشَنُوقِ أخو مُدَلِجٍ ، وهكذا ذكر نسبها الزبيرُ .

وذكر قولها : شُعُوبٌ وما شُعُوبٌ ، تُصْرَعُ فيها كَعَبٌ لَجُنُوبٌ . كَعَبٌ ههنا هو : كَعَبُ بنِ أُوَيْيٍّ ، والذين صُرِعُوا لجنوبيهم ببدرٍ وأحدٍ من أشرفِ قريشٍ ، معظمهم من كعب بنِ أُوَيْيٍّ ، وشُعُوبٌ ههنا أحسبه بضم الشين ، ولم أجده مقيدا ، وكأنه جَمْعُ شِعْبٍ ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال : فلم يُدَرَ ما قالت ، حتى قُتِلَ مَنْ قُتِلَ ببدرٍ وأحدٍ بالشَّعْبِ (١) .

(١) ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمنية لا يصرف ص ٦٨ الحشني

وذكر قول التابع: أذُر ما أذُر، وقيد عن أبي عليّ فيه رواية أخرى: وما بذُر؟ وهي أبين من هذه، وفي غير رواية البسكائني عن ابن إسحاق أن فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن، وكان إذا جاءها اقتحم عليها في بيتها، فلما كان في أول البعث أتاها، فقمعد على حائط الدار، ولم يدخل فقالت له: لم لا تدخل؟ فقال: قد بُعث نبي بتحريم الزنا، فذلك أول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة (١).

ثقيف ولهب والرمي بالنجوم:

فصل: وذكر إنكار ثقيف للرمي بالنجوم، وما قاله عمرو بن أمية أحد بني عِلاجٍ إلى آخر الحديث، وهو كلام صحيح المعنى، لكن فيه إبهاما لقوله: وإن كانت غير هذه النجوم فهو لأمرٍ حدث، فما هو وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لُهَبٍ عند فرعهم للرمي بالنجوم، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له: خَطَر، فبين لهم الخبر، وما حدث من أمر النبوة. روى أبو جعفر العقيلي في كتاب الصحابة عن رجل من بني لُهَبٍ يقال له: لُهَبٌ أو لُهَيْبٌ (٢). وقد تكلمنا على نسب لُهَبٍ في هذا الكتاب. قال لُهَيْبٌ: حضرت مع رسول

(١) لا أدري كيف يلتقي السهلي وأمثاله آذانهم إلى مثل هذا الحرف، وإلى الباطل الذي يؤكد القرآن أنه باطل. ولنتدبر عشرات الآيات في القرآن التي تنفي علم الغيب عن غير الله. وتابعتها: شيطان إنسى بدليل الزنا ١١
(٢) في الأصل: لُهَيْبٌ أو لُهَيْبٌ، وهو خطأ صوبته من الإصابة، فابن منده يقول: ولُهَيْبٌ بالتصغير بن مالك اللهي، وأبو عمر يقول: لُهَبٌ مكبرا وبه جزم الرشاطي . . .

الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت عنده الكهانة ، فقالت : بأبي وأمي : نحن أول من عرف حراسة السماء ، وزجر الشياطين ، ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم ، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له : خطر بن مالك ، وكان شيخاً كبيراً ، قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وكان من أعلم كهاننا ، فقلنا : يا خطرُ هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها ، فإننا قد فرعنا لها ، وخشينا سوء عاقبتها ؟ فقال :

إِنْتَوَى بِحَـرِّ

أَخْبِرْكُمْ الْخَبْرَ

أَبْجِيرِ أَمْ ضُرر

أَوْ لِأَمْنٍ أَوْ حذر

قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد في وجه السحر أتيناها ، فإذا هو قائم على قدميه ، شاخص في السماء بعينيه ، فننادينا : أخطرُ يا خطرُ؟ فأوماً إلينا : إن أن أمسكوا ، فانقض نجم عظيم من السماء ، وصرخ الكاهن رافعا صوته :

أَصَابَهُ إِصَابَهُ خَامَرَهُ عَمَابُهُ

عَاجِلُهُ عَذَابُهُ أَحْرَقَهُ شِهَابُهُ

زَالِيهِ جَوَابُهُ

يَا وَيْلَهُ مَا حَالَهُ بَدَبَتَهُ بَلْبَابُهُ

عَاوَدَهُ خَبَابُهُ تَقَطَّطَتْ حَبَابُهُ

وغيرت أحواله

ثم أمسك طويلا وهو يقول :
يا معشرَ بني قحطانِ أخبركم بالحقِّ والبيان
أقسمت بالسكبية والأركانِ والبلدِ المؤمنِ الشَّدانِ
لقد مُنِعَ السمعَ عتاةُ الجانِ بثاقبِ بكفِّ ذى سلطانِ
من أجلِ مبعوثِ عظيمِ الشأنِ يُبعثُ بالتنزيلِ والقرآنِ
وبالهدى وفاضلِ القرآنِ تبطلُ به عبادةُ الأوثانِ

قال: فقلنا: ونحك يا خطر إنك لتذكر أسراً عظيماً، فماذا ترى لقومك؟ فقال:

أرى لقومي ما أرى لنفسي أن يتبعوا خيراً نبيّ الإنس
برهانه مثلُ شعاعِ الشمسِ يُبعثُ في مكةَ دارِ الخمسِ
بمُحكَمِ التَّنزيلِ غيرِ اللبسِ

فقلنا له : يا خطرُ، ومَن هو؟ فقال : والحياة والعيش . إنه لمن
قريش ، ما في حِلْمِهِ طَيْشٌ ، ولا في خَلْقِهِ هَيْشٌ (١) يكون في جَيْشٍ ، وأى
جَيْشٍ ، من آلِ قحطانَ وآلِ أَيْشٍ ، فماتت له : بين لنا: من أى قريش هو؟
فقال : والبيت ذى الدعائمِ ، والركن والأحائمِ ، إنه كينِ نَجَلِ هاشمِ ، من
معشرِ كرائمِ ، يُبعثُ بالملاحِمِ ، وقتل كل ظالمِ ، ثم قال : هذا هو البيانِ ،
أخبرني به رئيس الجانِ ، ثم قال : الله أكبر ، جاء الحق وظهر ، وانقطع عن
الجن الخبر- ثم سكت وأغمى عليه ، فما أفاق إلا بعد ثلاثة ، فقال : لا إله إلا

(١) ليس في طبيعته وسجيته قول فيبح .

الله ؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لقد نطق عن مثل نُبوَّة ، وإنه
يُبيِّتُ يوم القيامة أمة وحده (١).

أصل ألف إصابه :

قال المؤلف : في هذا الخبر قوله : أصابه إصابه ، هكذا قيده بكسر الهمزة
من إصابه على أبي بكر بن طاهر ، وأخبرني به عن أبي علي القسائي ، ووجهه
أن تكون الهمزة بدلا من واو مكسورة مثل وشاح وإشاح [ووسادة
وإسادة] ، والمعنى : أصابه وصابه جمع : وصب مثل : جمل وجمالة ،
معنى كلمة أيش والأشام :

وقوله : من آل قحطان وآل أيش ، يعني بآل قحطان : الأنصار ؛ لأنهم من
قحطان . وأما آل أيش ، فيجتمعل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين ، ينسبون إلى
أيش ، فإن يكن هذا ، وإلا فله معنى في المدح غريب ، تقول : فلان أيش هو وابن
أيش ، ومعناه : أى شىء أى شىء عظيم فسكانه أراد من آل قحطان ، ومن المهاجرين
الذى يقال فيهم مثل هذا ، كما تقول : هم ، وما هم ؟ وزيد وما زيد ، وأى شىء زيد ،
وأيش فى معنى : أى شىء ، كما يقال وَيْلَهُ فى معنى : ويل أمه (٢) على الحذف

(١) هو فى الإصابة مع اختصار واختلاف يسير عما هنا . وعيب السهلى
أنه يصدق مثل هذا ، ويعلق عليه كأنه صحيح . بينما يقول أبو عمر : إسناده
ضعيف ، ورواته مجهولون ، وعارة بن زيد راوى الحديث اتهموه بوضع الحديث .
(٢) ويل أمه : أى هو داهية . ويقول ابن جنى : وأما وزن قوله : ويلمه
فإن حكيت أصله ، فوزنه (فَعْلُ عِلْه) وإن وزنت على ما صار إليه بعد .
التركيب فثالها (فيعلة) بسكون الياء وضم العين وتضعيف اللام مع فتح فإن قلت :
فإن هذا مثال غير موجود ، قيل : إنما ينكر هذا : لو كان المثال أصلا برأسه
، فاما وهو فرع أدى إليه التركيب شيئا بعد شىء ، فلا ينكر ذلك ... ويجوز =

لكثرة الاستعمال، وهذا كما قال : هو في جيش أيما جيش، والله أعلم. وأحسبه أراد بال آيش : بنى أقيش، وهم حلفاء الأنصار من الجن؛ فحذف من الاسم حرفاء، وقد تفعل العرب مثل هذا، وقد وقع ذكر بنى أقيش في السيرة في حديث البيهقي. وذكر الركن والأحائم يجوز أن يكون أراد : الأحوام بالواو، فهمز الواو لانكسارها، والأحوام : جمع أحوام والأحوام جميع حوام، وهو الماء في البئر، فكأنه أراد : ماء زمزم، والحوام أيضاً : إبل كثيرة ترد الماء، فعبر بالأحائم عن وُرَاد زمزم، ويجوز أن يريد بها الطير وحمام مكة التي تحوم على الماء، فيكون بمعنى الحوائم، وقلب اللفظ، فصار بعد فواعل : أفاعل، والله أعلم.

دى جنب :

فصل : وذكر أن جنباً وهم حتى من النمين اجتمعوا إلى كاهن لهم، فسألوه عن أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - حين رمى بالنجوم إلى آخر الحديث: جنبٌ هم من مذحج، وهم : عبيدُ الله، وأنسُ الله، وزيدُ الله، وأوسُ الله، وجعفي، والحكم، وجروة، بنو سعد العشيرة^(١) بن مذحج، ومذحج هو : مالك بن أدد، وسُموا : جنباً لأنهم جانبوا بنى عمهم صداء = أن يكون قولهم : (ويله) أصله: ويل لاهم، ثم حذف حرف الجر والهمزة - التي هي فاء - والتنوين، أو لم ينون، لأنه نوى المعرفة كغاق، فبقي : ويله) ص ١٦ التمام في تفسير أشعار هذيل ط بغداد. وقال ابن السجري، أنها تقال بضم اللام وكسرهما، وانظر ص ٢٥١ > ٣ خزانة البغدادى ط السلفية، فقد فصل القول فيها. وفيه أن معناها مدح خرج بلفظ الذم. وأنها تقال للاستجداد وللداهية. (١) في جمهرة ابن حزم عن ولد سعد العشيرة أنهم : الحكم - وبه كان يكنى - والصعب ونمرة لأمهات شتى، وجعفي وعائدُ الله، وأوهنُ الله، وزيدُ الله وأنسُ الله، والحمرُ أمهم : أسماء بنت أبي بكر بن عبد مناة بن كنانة ص ٣٨٣

ويزيدا بنى سعد المشيرة بن مذحج (١) . قاله الدارقطني . و ذكر في موضع آخر خلافا في أسماهم ، و ذكر فيهم بنى غَليّ بالعين ، و ايس في العرب غَليّ غيره ، قال مهليل :

أَنْكَحَهَا فَقَدُّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْجِبَاءُ مِنْ أَدَمَ

وهي خلت في وسيم

فصل : و ذكر حديث عمر ، و قوله للرجل : أ كنت كاهنًا في الجاهلية؟ فقال الرجل : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ خِلْتُ (٢) فِيَّ ، و استقبلتني بأمر ما أراك استقبلت به أحداً منذ وليت ! و ذكر الحديث ، و قوله : خِلْتُ فِيَّ هُوَ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ بَعْدَ خِلْتُ وَظَنَنْتُ ، كَقَوْلِهِمْ فِي الْمَثَلِ : مَنْ يَسْمَعُ يَحْتَلِ ، وَ لَا يَجُوزُ حَذْفُ أَحَدِ الْمَفْعُولِينَ مَعَ بَقَاءِ الْآخَرِ ، لِأَنَّ حَكْمَهُمَا حُكْمُ الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ ، فَإِذَا حُذِفَتِ الْجُمْلَةُ كُلُّهَا جَازَ ؛ لِأَنَّ حَكْمَهُمَا حُكْمُ الْمَفْعُولِ ، وَالْمَفْعُولُ قَدْ يَجُوزُ حَذْفُهُ ، وَلَسْكَنَ لِأَبَدٍ مِنْ قَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ ، فِي قَوْلِهِمْ : مَنْ يَسْمَعُ يَحْتَلِ دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَفْعُولِ ، وَهُوَ يَسْمَعُ ، وَفِي قَوْلِهِ ، خِلْتُ فِيَّ دَلِيلٌ أَيْضًا ، وَهُوَ قَوْلُهُ : فِيَّ ، كَأَنَّهُ قَالَ : خِلْتُ الشَّرْفِيَّ أَوْ نَحْوَهُ ، هَذَا وَقَوْلُهُ : قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ أَوْ شِعْهَ أَمَى : دُونَهُ بِقَلِيلٍ ، وَشِعْهَ كُلُّ شَيْءٍ : مَا هُوَ تَبَعٌ لَهُ ، وَهُوَ مِنْ

(١) فِي الْإِسْتِقْرَاقِ لِابْنِ دَرِيدٍ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ مَذْحِجٍ (وَمِنْ بَطُونِهِمُ ابْنُ مَتْبَعِ بْنِ حَرْبِ بْنِ يَزِيدٍ وَالْحَارِثُ وَالْعَلِيُّ وَسَيْحَانُ وَشُمْرَانُ وَهَنْسَانُ يُقَالُ لَهُمْ جَنْبٌ لِأَنَّهُمْ جَانَبُوا قَوْمَهُمْ) ص ٤٥٥ .

(٢) يُقَالُ : خِلْتُ بِالْكَسْرِ إِخَالَ وَهُوَ الْإِفْصَاحُ ، وَبِنَوَاسِدٍ يَقُولُونَ : أَخَالَ بِالْفَتْحِ وَهُوَ الْقِيَاسُ . الْمَعْنَى : مَنْ يَتَسْمَعُ أَخْبَارَ النَّاسِ وَمَعَايِمَهُمْ ، يَقَعُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِمُ الْمَكْرُوهُ .

الشَّيْبَاعُ وَهِيَ: حَطْبُ صَفَارٍ تَجْمَلُ مَعَ الْكِبَارِ تَبَعَالِهَا، وَمِنْهُ: الْمَشِيقَةُ، وَهِيَ: الشَّاةُ تَتَّبِعُ الْغَنَمَ، لِأَنَّهَا دُونَهَا فِي الْقُوَّةِ.

جَلِجُجٌ وَسَوَادٌ بِنُ قَارِبٍ :

وَالصَّوْتُ الَّذِي سَمِعَهُ عَمْرٌ مِنَ الْعَجَلِ يَا جَلِجِجٌ (١) سَمِعْتُ بَعْضَ أَشْيَاخِنَا يَقُولُ: هُوَ اسْمُ شَيْطَانٍ، وَالْجَلِجِجُ فِي اللُّغَةِ: مَا تَطَايَرُ مِنْ رَمُوسِ النَّبَاتِ، وَخَفَّ نَحْوِ الْقَطَنِ وَشَبَّهَهُ، وَالْوَالِدَةُ: جَالِحَةٌ، وَالَّذِي وَقَعَ فِي السَّيْرَةِ: يَأْذِرِيحُ، وَكَأَنَّهُ نِدَاءٌ لِلْعَجَلِ الْمَذْبُوحِ لِقَوْلِهِمْ: أَحْمَرُ ذَرِيحِي، أَيْ: شَدِيدُ الْحَمْرَةِ، فَصَارَ وَصْفًا لِلْعَجَلِ الذَّبِيحِ مِنْ أَجْلِ الدَّمِ: وَمَنْ رَوَاهُ: يَا جَالِجِجُ، فَمَالَهُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْعَجَلَ قَدْ جُلِّحَ أَيْ: كُشِفَ عَنْهُ الْجِلْدُ، فَانَّهُ أَعْلَمُ، وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ كَاهِنًا هُوَ سَوَادٌ بِنُ قَارِبِ الدَّوْسِيِّ فِي قَوْلِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ، وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ سَدَّوْسِيٌّ (٢) وَفِيهِ يَقُولُ الْقَائِلُ:

أَلَا اللَّهُ عِلْمٌ لَا يُجَارَى إِلَى الْغَايَاتِ فِي جَنَبِي سَوَادٍ
أَتَيْنَاهُ نَسَائِلَهُ امْتِحَانًا فَلَمْ يَبْعَلْ، وَأَخْبَرَ بِالسَّدَادِ (٣)

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي شِعْرِ وَخَبَرِ ذَكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْقَائِلُ فِي أَمَالِيهِ، وَرَوَى غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ هَذَا الْخَبَرَ عَنْ عَمْرِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ، وَأَنَّ عَمْرَ مَازَحَهُ، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ:

(١) هَذِهِ رَوَايَةُ الْبُخَارِيِّ.

(٢) قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ: كُلُّ سَدَّوْسٍ فِي الْعَرَبِ مَفْتُوحٌ إِلَّا سَدَّوْسُ بِنِ أَجْمَعِ ابْنِ أَبِي عَيْبِدِينَ بِنِ رَيْبَعَةَ بِنِ نَصْرٍ.

(٣) فِي الْأَمَالِيِّ (وَتَحْسَبُ أَنَّ سَعِيدَ الْعِنَادِ) وَالْخَبَرَ كَمَا قَالَ مَطُولًا فِي الْأَمَالِيِّ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ط ٢ وَالشَّعْرُ مَنْسُوبٌ إِلَى عَارِفِ الشَّاعِرِ. وَهُوَ كَلَامٌ مُغْسَبٌ كَلَامٌ لَا يَخْتَوِي عَلَيْهِ عَقْلٌ، وَلَا يَصَالِحُهُ دِينٌ

كها تُتَك يا سواد؟! فغضب ، وقال : قد كنت أنا وأنت على شرٍّ من هذا من عبادة الأصنام وأكل الميتات ، أفتعيرني بأمر تبت منه؟! فقال عمر حينئذ : اللهم غنراً . وذكر غير ابن إسحاق في هذا الحديث سيافة حسنة وزيادة مفيدة ، وذكر أنه حدث عمر أن رؤيته جاء ثلاث ليال متواليات ، هو فيها كلها بين النائم واليقظان ، فقال : قم يا سواد ، واسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، قد بُعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وعبادته ، وأنشده في كل ليلة من الثلاث الليالي ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة :

عجبت للجنِّ وتطلبها وشدها العيسَ بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما صادقُ الجنِّ ككذابها
فارحل إلى الصنوة من هاشم ليس قدأماها (١) كأذئابها

وقال له في الثانية :

عجبت للجنِّ وإبلاسها وشدها العيسَ بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما طاهرُ الجنِّ كأنجاسها
فارحل إلى الصنوة من هاشم ليس ذنابي الطير من رأسها (٢)

(١) في الخصائص للسيوطي : قدام ، وهو صحيح المعنى أيضا .

(٢) في البداية لابن كثير ، وفي الخصائص للسيوطي : ما مؤمنوها مثل أرجاسها - واسم بعينيك إلى رأسها . وفي السيرة الحلبية : ما خير الجنِّ كأنجاسها ، ورم بعينيك إلى رأسها ، بدلا من : « ما طاهر الجنِّ الخ و ليس ذنابي الطير الخ » .

وقال له في الدائنة :

عجبت للجنِّ وتنفأرها (١) وشدها العيسَ بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى مامونُ الجنِّ ككفارها (٢)
فارحل إلى الأتقين من هاشمٍ ليس قدامها كأدبارها (٣)

وذكر تمام الخبر، وفي آخر شعر سواد قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنشده ما كان من الجنى رثيةً ثلاث ليال متواليات، وذلك قوله :

أنا نبي نجي بمد هذه ورقدة (٤) ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك نبي (٥) من لؤمي بن غالب
فرفعت أذيال الإزار وشمرت بي العرمس الوجنا هجول السباسب (٦)
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنت مامون على كل غائب

(١) في الخصائص : وتجسارها.

(٢) في الخصائص : ليس ذو الشر كأخبارها .

(٣) في الخصائص : مامونو الجن ككفارها .

(٤) في الخصائص : درئي ، وليل وهجمة . .

(٥) في الخصائص : رسول .

(٦) في الخصائص :

فشمرت عن ساقى الإزار ، ووسطت في الذعطب الوجناء عند السباسب
والعرمس : الناقة الصلبة . والوجناء : العظيمة الوجنتين . والهجول : جمع هجل : المظمن من الأرض . والسباسب : جمع . سبب ، وهي المفازة من الأرض ، أو الأرض البعيدة المستوية . والذعطب بكسر الذال واللام أو الذعلبة : الناقة السريعة .

وَأَنْكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيْلَةً (١) إِلَى اللَّهِ يَا بَنِي الْأَكْرَمِينَ الْأَطْيَابِ
فَمُرُّنَا بِمَا يَأْتِيكَ مِنْ وَحْيِ رَبِّنَا (٢) وَإِنْ كَانَ فِي مَا جِئْتَ شَيْبُ الذَّوَابِ
وَكَانَ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ بِمَعْنَى (٣) فَتَبَيَّلًا عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

(١) فِي الْخِصَائِصِ : شَفَاعَةٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّهُ وَسِيْلَةٌ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِالْمَعْنَى
الشَّرْعِيَّةِ الْمَحْكَمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي الشَّرْكَ ، وَيُثْبِتُ التَّوْحِيدَ ، وَالْوَسِيْلَةَ هُنَا : حُبُّهُ وَحُبُّ اللَّهِ
وَطَاعَتُهُ وَطَاعَةُ اللَّهِ ، أَيْ : اتِّبَاعُ مَا جَاءَ بِهِ ، وَالِانْتِهَاءُ عَمَّا نَهَى عَنْهُ . أَمَّا الْمَعْنَى
الشَّرْكَ الَّتِي يَنْبَغِي الْإِيْمَانَ ، فَهِيَ أَنْ نَتَوَسَّلَ بِذَاتِهِ أَوْ قَبْرِهِ لَا بِطَاعَتِهِ وَحُبِّهِ .
(٢) فِي الْخِصَائِصِ : يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى ، وَفِي رِوَايَةٍ : يَا خَيْرَ مَرْسَلٍ .
(٣) فِي الْخِصَائِصِ : سَوَائِكُ . وَطَلَبُ الشَّفَاعَةِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ هُوَ طَلَبُهَا مِنْ لَا يَمْلِكُهَا ، وَلَا
يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَطْلُبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ الشَّفَاعَةَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا ، وَإِنَّمَا لَهُ أَنْ يَطْلُبَهَا مِنْ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَلِنَتَدَبَّرَ مَعَا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ : « مِنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَغَيْرِهَا .
مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ الشَّفَاعَةِ شَيْئًا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، وَهَذَا
الْبَيْتُ يُؤَكِّدُ أَنَّ الْقِصَّةَ مَوْضُوعَةٌ ، وَأَنَّ الْقِصِيدَةَ مَوْضُوعَةٌ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ دِينِ صَحَابِيٍّ ، بَلْ
لَمْ يَكُنْ مِنْ دِينِ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَوَجَّهَ بِطَلَبِ الشَّفَاعَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ «ص» . وَالْبَيْتُ مِنَ الْبَيْوتِ
الَّتِي يَسْتَشْهَدُ بِهَا النَّحْوِيُّونَ . وَالشَّاهِدُ فِيهِ قَوْلُهُ : « بِمَعْنَى » حَيْثُ أُدْخِلَ الْبَاءُ الزَّائِدَةَ
فِي خَبَرٍ لَا ، كَمَا تَدْخُلُ فِي الْخَبَرِ الْمُنْفِيِّ بِلَيْسَ وَمَا ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ ، وَهَذِهِ الْبَاءُ لِتَأْكِيدِ
النَّفْيِ عِنْدَ السُّكُوفِيِّينَ ، أَمَّا عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ فَهِيَ لِدَفْعِ تَوْحُمِ الْإِثْبَاتِ . وَرَأَى السُّكُوفِيُّونَ هُوَ
الصَّحِيحُ . وَلَا نَافِيَةَ حِجَازِيَّةً تَعْمَلُ عَمَلُ لَيْسَ ، وَلِهَذَا رَفَعْتُ ذُو . وَقَدْ رَوَى
الْبُخَارِيُّ قِصَّةَ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ فِي إِسْلَامِ عُمَرَ عَنِ يَحْيَى بْنِ سَلِيمَانَ الْحَوْفِيِّ عَنِ ابْنِ
وَهْبٍ ، عَنِ عُمَرَ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ - أَنَّ سَالِمًا حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - بِنَحْوِ
مَا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ . وَسَوَادُ بْنُ قَارِبٍ مِنْ أَهْلِ السَّرَاةِ - كَمَا قِيلَ - مِنْ جِبَالِ الْبَلْقَاءِ
لَهُ صُحْبَةٌ - كَمَا يَحْكِي - وَوَفَادَةٌ . وَقِيلَ : كَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْبَلْعَيْنِ ، وَهُنَاكَ فِي بَعْضِ
الطَّرِيقِ الَّتِي رَوَى مِنْهَا هَذَا الْحَدِيثُ مَا يُبَيِّنُ حَوْلَهُ الشُّكَّ ، بَلْ فِي الْفَائِظَةِ نَفْسَهَا .
وَالْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُ لَهُ ، وَتَدَبَّرْ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : (لِأَنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ

سواد ودوس عند وفاة الرسول « ص » :

واسواد بن قارب هذا مقامٌ حميدٌ في دوسٍ حين بلغهم وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقام حينئذ سوادٌ، فقال : يامعشر الأزد، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ، ومن شقاؤهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم، ومن لم تنفعه التجارب ضرته ، ومن لم يَسَعَهُ الحق لم يَسَعِ الباطلُ ، وإنما تسلّمون اليوم بما أسلّمتم به أمس ، وقد علمتم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تناول قوماً أبعد منكم فظفّر بهم ، وأوعد قوماً أكثر منكم فأخافهم ، ولم يمنعه منكم عدّة ولا عدد ، وكل بلاء منسبٌ إلا ما بقي أثره في الناس ، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكّر من أهل العافية للعافية ، وإنما كفّ نبيّ الله عنكم ما كفّكم عنه ، فلم ترالوا خارجين مما فيه أهل البلاء ، داخلين مما فيه أهل العافية ، حتى قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطيبكم وتقييكم فعَبَّرَ الخطيبُ عن الشاهد ، ونَقَبَ النقيب عن الغائب ، ولست أدري لعله تكون للناس جَوَلَةٌ فإن تكن ، فالسّلامَةُ منها: الأناةُ ، والله يُحِبُّها ، فأجابه القوم وسمعوا قوله ، فقال في ذلك سوادٌ بن قارب :

= لا تروهم ، ، والجليح - كما فسر - هو الوقح المكافح بالعداوة ، وفي رواية .
يا آل ذريح ، وهو بطن مشهور في العرب ، والقلاص : جمع قلاص ، وهذه جمع قلوص : الفتية من النياق ، والأحلاس : جمع حلس ما يوضع على ظهر البعير ليقى الرجل من الدبر ، وأبلس الرجل : سكت ذليلاً أو مغلوباً ، والعيس : الإبل الكرام . انظر ص ١٤٤ > ٧ فتح الباري ، و ص ٢٥٢ > ١ الخصائص للسيوطي > ١ دار الكتب الحديثة ، ص ٦٨ شرح السيرة للخشني ، وبلوغ الأرب > ٣ ص . ٢٣ ، ٢٠٢ ، وجمع الزوائد للهيتمي .

جَلَّتْ مَصِيبُكَ الْغَدَاةَ سَوَادُ وَأَرَى الْمَصِيبَةَ بَعْدَهَا تَزْدَادُ
أَبْقَى لَنَا فَقَدُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِ - مَا يَعْتَادُ
حُزْنُنَا لَعَمْرُكَ فِي الْفَوَادِ مُخَامِرًا أَوْهَلْ لِمَنْ فَقَدَ النَّبِيَّ فَوَادُ؟
كُنَّا نَحْلُ بِهَ جَنَابًا مُمْرِعًا جَفَّ الْجَنَابُ، فَاجْدِبِ الرَّوَادُ
فَبَكَتْ عَلَيْهِ أَرْضُنَا وَسَمَاؤُنَا وَتَصَدَّعَتْ وَجَدًا بِهِ الْأَكْبَادُ
قَلَّ الْمَتَاعُ بِهِ، وَكَانَ عِيَانُهُ خُمُومًا تَضَمَّنَ سَكْرَتَيْهِ رِقَادُ
كَانَ الْعِيَانُ هُوَ الطَّرِيفَ وَحِزْنُهُ بَاقِيَ لَعَمْرُكَ فِي النَّفُوسِ تِلَادُ
إِنَّ النَّبِيَّ وَفَاتِهِ كَحَيَاتِهِ الْحَقُّ حَقٌّ وَالْجَهَادُ جِهَادُ
لَوْ قِيلَ: تَقْدُونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا بُدِلَتْ لَهُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ
وَتَسَارَعَتْ فِيهِ النَّفُوسُ بِبَدَلِهَا هَذَا لَهُ الْأَغْيَابُ وَالْأَشْهَادُ
هَذَا، وَهَذَا لَا يَرِدُ نَبِيَّنَا لَوْ كَانَ يَقْدِيهِ فِدَاءُ سَوَادُ
أَنَّى أَحَازِرُ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً أَمْرًا لِعَاصِفِ رِيحِهِ إِرْعَادُ
إِنْ حَلَّ مِنْهُ مَا يُخَافُ فَانْتُمْ لِلْأَرْضِ - إِنْ رَجَفَتْ بِنَا - أَوْلَادُ
لَوْ زَادَ قَوْمٌ قَوْقُ مُنِيَّةٍ صَاحِبِ زِدْتُمْ، وَلَيْسَ لِمُنِيَّةٍ مَزْدَادُ

هذه فريسي

فإنجبت التوم شعره، وقوله: فأجابوا إلى ما أحب، ومن هذا الباب خبرُ
سَوْدَاءَ بِنْتِ زُهْرَةَ بْنِ كَلَابٍ، وَذَلِكَ أَنَّهَا حِينَ وُلِدَتْ وَرَأَاهَا أَبُوهَا زَرَقَاءُ
شَيْمَاءَ (١) أَمْرٌ بِوَادِيهَا، وَكَانُوا يَبْدُونَ مِنَ الْبَنَاتِ مَا كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ
فَأَرْسَلَهَا إِلَى الْحِجُونَ لَتُدْفِنَ هُنَاكَ، فَلَمَّا حَفَرُهَا الْخَافِرُ، وَأَرَادَ دَفْنَهَا سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ:

(١) صافية البياض فيها شامة، تعطىها جمالا.

لا تَتَذَن الصَّيِّبَةَ ، وَخَلَّهَا فِي الْبَرِّيَّةِ ، فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَعَادَ لِدَفْنِهَا ، فَسَمِعَ
الْمُهَاتِفَ يَهْتَفُ بِسَجْعِ آخَرٍ فِي الْمَعْنَى ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهَا ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ ، فَقَالَ :
إِنْ لَهَا لَشَأْنَا ، وَتَرَكَهَا ، فَكَانَتْ كَاهِنَةَ قُرَيْشٍ ، فَقَالَتْ يَوْمَ لَبِنِي زُهْرَةَ : إِنْ
فِيكُمْ نَذِيرَةٌ ، أَوْ تَلِدُ نَذِيرًا ، فَأَعْرِضُوا عَلَيَّ بِنَاتِكُمْ ، فَعُرِضَ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ فِي
كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ قَوْلًا ظَهَرَ بَعْدَ حِينٍ ، حَتَّى عُرِضَتْ عَلَيْهَا أَمْنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ ،
فَقَالَتْ : هَذِهِ النَّذِيرَةُ ، أَوْ تَلِدُ نَذِيرًا ، وَهُوَ خَيْرٌ طَوِيلٌ ذَكَرَ الزُّبَيْرُ مِنْهُ يَسِيرًا ،
وَأُورِدَهُ بِطَوْلِهِ أَبُو بَكْرٍ الْمَقَّاشُ ، وَفِيهِ ذَكَرَ جَهَنَّمَ — أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا — وَلَمْ
يَكُنْ اسْمُ جَهَنَّمَ ، مَسْوُوعًا بِهِ عِنْدَهُمْ ، فَقَالُوا لَهَا : وَمَا جَهَنَّمَ ، فَقَالَتْ : سَيَخْبِرُكُمْ
النَّذِيرُ عَنْهَا (١) .

(٢) ليس صدق النبوة في حاجة إلى أن نكذب له ، وتصديق مثل هذه
المفتريات تكذيب للقرآن الذي يؤكد أن علم الغيب إنما هو لله وحده . وإذا كان
محمد «ص» ، نفسه لم يكن يعرف الإيمان قبل النبوة ، ولم يكن يعرف بالتالي أنه
نبي ، فكيف نسب هذا العلم إلى غيره من طواغيت الوثنية ؟ وهذا وبعض اللغويين
يقول عن جهنم : لأنها معربة ، والأكثرون على أنها عربية أصيلة من جهنم مثلثة
الجم - يقال : ركية جهنم أو جهنم : بعيدة القعر وحديث عاصم بن عمرو هو
في البداية عاصم بن عمرو بن قتادة الانصاري ، وفي تفسير ابن كثير : عاصم بن عمرو
عن قتادة . ورواه ابن إسحاق أيضا عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة ، أو سعيد
ابن جبير عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا
ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود
ابن سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد
صلى الله عليه وسلم ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته ،

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن سحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه ، لما كنا نسمع من رجال يهود ، كنا أهل شريك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نزلنا منهم بعض ما بكرهون ، قالوا لنا : إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن تقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجابناه حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعّدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فأمنّا به ، وكفروا به ، فبينما وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ؛ فَذَمَّتْهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ) . البقرة : ٧٩

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يتشكّمون ، وفي كتاب الله تعالى : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم .

وقال أبو العالية في تفسير الآية : كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجدته مكتوباً عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى البيهقي : كانت اليهود تقول : اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس ، يستفتحون به ، أي : يستنصرون به .

وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) . الأعراف : ٨٩ .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن أبيد أخي بني عبد الأشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش - وكان سلمة من أصحاب بدر - قال : كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل ، قال : نخرج علينا يوماً من بيته ، حتى وقف على بني عبد الأشهل - قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً ، على بردة لي ، مضطجع فيها بفناء أهلي - فذكر القيامة والبعث والحساب والليزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شريك أصحاب أوثان ، لا يرون أن يمنا كائن بعد الموت ، فقالوا له : وَنَحْكَ يَافِلَانَ !! أَو تَرَى هَذَا كَائِنًا ، أَنْ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ ، يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ ؟ قال : نعم ، والذي يحلف به ، وبود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنوير في الدار ، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه ، بأن ينجو من تلك النار غداً ، فقالوا له : وَنَحْكَ يَافِلَانَ ! فَمَا آيَةُ ذَلِكَ ؟ قال : نبي مبعوث من نحو هذه البلاد - وأشار بيده إلى مكة واليمن - فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلي ، وأنا من أحدثهم سناً ، فقال : إِنْ يَسْتَنْفِذْ هَذَا الْفَلَامُ عَمْرَهُ يَدْرِكُهُ . قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو حتى بين أظهرنا ، فأمننا به ، وكفر به بغياً وحسداً . قال : فقلنا له : وَنَحْكَ يَافِلَانَ !! أَلَسْتَ الَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْتَ ؟ قال : بلى . ولكن ليس به .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال :

.....

قال لي : هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْيَة وأسيد بن سَعْيَة وأسَدِ
ابن عبيد نَفَرٍ من بني هَدَل ، إخوة بني قُرَيْظَة ، كانوا معهم في جاهليتهم
ثم كانوا ساداتهم في الإسلام . قال : قات : لا ، قال : فإن رجلاً من يَهُودِ
من أهل الشام ، يقال له : ابن الهَيَّيَّان ، قَدِمَ علينا قُبَيْلَ الإسلام بسنين ، فحل
بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قَطُّ لا يصلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا
فكنا إذا قَحَطَ عنا المطرُ قُلْنَا له : اخرج يا ابن الهَيَّيَّان فاستسقى لنا ، فيقول :
لا والله ، حتى تَقَدَّموا بين يدي تَخْرُجكم صدقةً ، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً
من تمر : أو مُدَيْنٍ من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر
حَرَّتْنَا ، فيستسقى الله لنا . فوالله ما يَبْرَحُ يجلسه ، حتى تمر السحابة وأنسقى ، قد
فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث . قال : ثم حَضَرَته الوفاة عندنا .
فلما عَرَفَ أنه مَيِّتٌ ، قال : يا معشر يَهُودَ ، ما ترونه أخرجني من أرض الخَمِرِ
والخَمِيرِ إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم ، قال : فإني إنما
قَدِمْتُ هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظَلَّ زمانه ، وهذه البلدة مهاجرة ،
فكنت أرجو أن يُبعثَ ، فأتبعه ، وقد أظَلَّكم زمانه ، فلا تُسَبِّحُنَّ إليه
يا معشر يهود ، فإنه يُبعثُ بسفك الدماء ، وسبِّ الذراري والنساء ممن خالفه ،
فلا يمنعكم ذلك منه . فلما بُعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاصر
بني قُرَيْظَة ، قال هؤلاء النثية ، وكانوا شباباً أحداثاً : يا بني قُرَيْظَة ،
والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابنُ الهَيَّيَّان ، قالوا : ليس به ،
قالوا : بلى والله ، إنه هو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم
وأموالهم وأهلبيهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

حديث سلمة :

فصل : و ذكر ابن إسحاق حديث سلمة بن سلامة بن وقش ، وما سمع من اليهودى حين ذكر الجنة والنار ، وقال : آية ذلك نبي : مبعوث قد أظل زمانه إلى آخر الحديث ، وإيس فيه إشكال ، وابن وقش يقال فيه : وقش بتحريك القاف وتسكينها ، والوقش : الحركة (١) .

حديث ابن الهيثام وبنو سعية :

فصل : و ذكر حديث ابن الهيثام (٢) ، وما بشر به من أمر النبي — صلى الله عليه وسلم — وأن ذلك كان سبب إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسدي بن سعية ، وهم من بني هذيل ، والهيثام من المسمين بالصفات ، يقال : قطن هيثان أى : منتفش ، وأنشد أبو حنيفة :

(١) روى حديث ابن وقش أحمد ، وصححه ابن حبان من طريقه ، ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير ج ٦ ص ٤٥٤ فتح الباري ، ص ٣٠٩ ج ٢ البداية . وقد ورد أن اسم الجار اليهودى هو : يوشع ، وهناك بعض كلمات فى أحمد تخالف ما هنا . فقد ذكر فروة مكان بردة ، ويطبطنونه مكان بطينونه . ووضع كلمة نحو مكان : إلى فى قوله : إلى مكة . و ذكر : ومتى تراه بدلا من : متى تراه ؟

(٢) معناها : الكثير والجبان والتيس والخفيف والراعى والتراب وزبد أفواه الإبل ، وقد يخفف ، وقد يقال : هيثان . بتضعيف الياء مع فتحها - وقوله فى حديث ابن الهيثام : أتوكف خروج نبي : أنتظر وأستشعر . أطل زمانه : أشرف وقرب .

تَطِيرُ اللُّغَامَ الْهَيْبَانَ ، كَأَنَّهُ جَنَى عُشْرِ تَنْفِيهِ أَشْدَاقُهَا الْهُدَلُ (١)
وَالْهَيْبَانَ أَيْضًا : الْجَبَانَ ، وَقَدْ قَدِمْنَا الْاِخْتِلَافَ فِي هَذَا ، وَأَمَّا أُسَيْدُ
ابْنِ سَعْيَةَ ، فَقَالَ إِبرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبرَاهِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الْمَدَنِيِّ ،
عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ أَحَدُ رَوَاةِ الْمَفَازِيِّ عَنْهُ أُسَيْدُ بْنُ سَعْيَةَ بِضَمِّ الْأَلْفِ ، وَقَالَ
يُونُسُ بْنُ بَكْرِ بْنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ قَوْلُ الْوَأَقْدِيِّ وَغَيْرِهِ أُسَيْدُ بَفَتْحِهَا قَالَ :
الِدَارُ قُطَيْيٌ : وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ ، وَلَا يَصِحُّ مَا قَالَهُ إِبرَاهِيمُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ،
وَبَنُو سَعْيَةَ هَؤُلَاءِ فِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (٢) ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ
قَائِمَةٌ ﴾ آلِ عِمْرَانَ : ١١٣ آيَةَ ، وَسَعْيَةُ أَبُوهُمْ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ الْعَرِيضِ ، وَهُوَ
بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْيَاءُ الْمَنْقُوطَةُ بَاثْنَيْنِ .

(١) الْبَيْتُ لَدَى الرِّمَّةِ يَصِفُ لِإِبْلَاءِ وَإِزْبَادِ مَشَافِرِهَا ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَجِي
الْعُشْرُ : يَخْرُجُ مِثْلَ رِمَانَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَتَنْشَقُّ عَنِ مِثْلِ الْقَرِّ ، فَشِبْهُ لِقَامِهَا بِهِ . . .
وَهُوَ فِي اللِّسَانِ : تَمَجُّجٌ . وَاللُّغَامُ : زَبْدُ أَفْوَاهِ الْإِبِلِ . وَالْعُشْرُ : نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ ،
يَحْشَى فِي الْخِتَادِ . وَالْهُدَلُ : اسْتِرْخَاءُ الْمَشْفَرِ الْأَسْفَلَ مِنَ الْجَمَلِ ، أَوْ عَظْمُ الشَّفَةِ
وَاسْتِرْخَاؤِهَا . وَهَدَلٌ : جَمْعُ هَدَلَاءَ . وَفِي الرُّوسِ : خَبِي عَشْرُ تَبْقِيهِ وَهُوَ خَطَأٌ .
(٢) فِي ابْنِ كَثِيرٍ نَقْلًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيمَنْ آمَنَ مِنْ أَحْبَارِ أَهْلِ
الْكِتَابِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ ، وَثَعْلَبَةَ بْنِ شَعْبَةَ . وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ عَنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ : أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْعِشَاءِ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى
الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ
أَحَدٌ يَذْكُرُ اللَّهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرِكُمْ . فَنَزَلَتْ : (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
— إِلَى قَوْلِهِ — وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) .

سنة الحبر وإسلامه :

وأما سُنْمَةُ بالنون ، فزيد بن سُنْمَةَ حبر من أحبار يهود ، كان قد داين النبي - صلى الله عليه وسلم - فجاءه يتقاضاه قبل الأجل ، فقال : ألا تَقْضِيَنِي يا محمد ، فإنكم يا بني عبد المطلب مُطْلَبُونَ ، وما أردت إلا أن أعلم علمكم ، فارتعد عمر ، ودار ، كأنه في فَلَاكٍ ، وجعل يلحظ يميناً وشمالاً ، وقال : تقول هذا لرسول الله يا عدو الله ؟ ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا إلى غير هذا منك أحوجُ يا عمر : أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التَّيْبَةِ ، قم فأقضيه عني ، فوالله ما حل الأجلُ ، وزده عشرين صاعاً بما رَوَّعته ، وفي حديث آخر : أنه قال : دعه ؛ فإن لصاحب الحق مقالا ، ويذكر أنه أسلم (١) لما رأى من موافقة وصف النبي عليه السلام لما كان عنده في التوراة ، وكان يجده موصوفاً بالحلم ، فلما رأى من حِلْمِهِ ما رأى أسلم ، وتوفى غاز يامع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تَبُوكَ ، ويقال في اسمه : سَفِيَةٌ بالياء كما في الأول ، ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون .

(١) روى قصة إسلامه الطبراني وابن حبان والحاكم وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم من طريق الواليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عن عبد الله بن سلام ، قال زيد بن سمنة : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا خصلتين . لم أخبرهما منه : يسبق حله جهله ، ولا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلها . . فذكر الحديث بطوله . . ومدار الحديث على محمد بن أبي السري الراوي له عن الواليد ، وثقه ابن معين ، ولينه أبو حاتم ، وقال ابن عدى : محمد كثير الغلط . وأخرجه أبو نعيم في الدلائل .

حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصمُ بنُ عمر بن قَتادة الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثني سلمان الفارسي من فيه قال : كنتُ رجلاً فارسياً من أهل إصْبَهان من أهل قَرْيَةٍ يُقال لها : جَبَّ ، وكان أبي دِهْمَانَ قَرْيَتِهِ ، وكنتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، لم يزل به حُبُّهُ إِيَّاي حتى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ ، واجتهدت في المحوسية حتى كنتُ قَظَنَ النَّارِ الَّذِي يوقدها ، لا يتركها تَحْبُو سَاعَةً . قال : وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمةٌ ، قال : فشُغِل في بُنيانٍ له يوماً ، فقال لي : يا بني ، إني قد شُغِلت في بُنياني هذا اليوم عن ضيعتي ، فاذهب إليها ، فاطلمها - وأمرني فيها ببعض ما يُريد - ثم قال لي : ولا تَحْتَبِسْ عني ؛ فإنك إن احتبست عني كنتَ أهم إلي من ضيعتي ، وشغلتني عن كل شيء من أمري . قال : فخرجت أريد ضيعتَه التي بعثني إليها ، فررتُ بكنيسة من كنائس النَّصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلُّون ، وكنت لا أدري ما أمرُ الناس ، لحبس أبي إِيَّاي في بيته ، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم ، أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم ، أعجبتني صلاتهم ، ورغبتُ في أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبي فلم آتِها ، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعت إلى أبي ، وقد بعث في طلبي ، وشغلتني عن عمله كله ، فلما جئته قال : أي .

بنى أين كنت؟ أو لم أكن عهدي إليك ما عهدت؟ قال: قلت له: يا أبت، مررتُ بأناس يصلُّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلتُ عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بُني، ليس في ذلك الدين خيرٌ، دينك، ودين أبائك خيرٌ منه، قال: قلت له: كلا والله، إنه لخيرٌ من ديننا. قال: تخافني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركبٌ من الشام فأخبروني بهم. قال: فقدم عليهم ركبٌ من الشام تجارٌ من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضاؤا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فأذِنوني بهم: قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم، أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم، حتى قدمت الشام فلما قدِمْتُها قلت: من أفضل أهل هذا الدين إلماً؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة.

قال: فحُتته، فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، فأحببت أن أكون معك، وأخدمك في كنيستك، فأتعلم منك، وأصلي معك، قال: ادخل، فدخلت معه. قال: وكان رجلاً سوءاً، يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزته لنفسه، ولم يُعطِ المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق. قال: فأبغضتُه بغضا شديداً، لما رأيتُه يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى، ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجلاً سوءاً، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جتمعوا بها، اكتنزها لنفسه، ولم يُعطِ المساكين منها شيئاً. قال: فقالوا لي: وما علمك بذلك؟

قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كنزهِ ، قالوا : فدُلُّنا عليه ، قال : فأرَبَهُمْ موضعَهُ ، فاستخرجوا سَبْعَ قِلَالٍ مملوءة ذهباً وَوَرِقاً . قال : فلما رأوها قالوا : والله لا نذفنه أبداً . قال : فصَابوه ، ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر ، فجملوه مكانه .

قال : يقول سلمان : فما رأيتُ رجلاً لا يصلى الخمس ، أرى أنه كان أفضلَ منه ، وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه . قال : فأحبيته حباً لم أحبه شيئاً قبله مثله . قال : فأقمتُ معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان ، إني قد كنت معك ، وأحبيتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حَضَرَكَ ماترى من أمر الله تعالى ، فإلى مَنْ تُوصى بي ؟ وبِم تأمرني ؟ قال : أى بُنى ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناس ، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بمَوْصِل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه فالحق به .

فلما مات وُغِيِبَ لحقتُ بصاحب المَوْصِل ، فقلت له : يا فلان ، إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحقَ بك ، وأخبرني أنك على أمره ، قال : فقال لي : أقم عندي ، فأقمتُ عنده ، فوجدته خيراً رجلاً على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة ، قلت له يا فلان : إن فلانا أوصى بي إليك ، وأمرني باللحوق بك ، وقد حضركَ من أمر الله ماترى ، فإلى مَنْ تُوصى بي ؟ وبِم تأمرني ؟ قال : يا بُنى ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنتُ عليه ، إلا رجلاً بنَصِيبين ، وهو فلان ، فالحق به .

فلما مات وعُيِّب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبري ، وما أمرني به .
صاحباي ، فقال : أقم عندي ، فأمتُ عنده فوجدته على أمر صاحبيه . فأقتُ مع
خير رجلٍ ، فوالله ما لبث أن نزل به الموتُ ، فلما حضر ، قلت له : يا فلان ،
إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من
توصى بي ؟ وجم تأمرني ؟ قال : يا بني ، والله ما أعلمه بقي أحدٌ على أمرنا
أمرك أن تأتيه إلا رجلاً بمشورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن
عليه ، فإن أحببت فاته ، فإنه على أمرنا .

فلما مات وعُيِّب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبري ، فقال : أقم
عندي ، فأقتُ عند خير رجلٍ ، على هدى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت
حتى كانت لي بقرات وغنيمة . قال : ثم نزل به أمرُ الله ، فلما حضر ، قلت
له : يا فلان ، إني كنت مع فلان ، فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى
فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصى بي ؟ وجم تأمرني ؟ قال : أي
بني ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس أمرك به
أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ،
يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات
لا تخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتمته خاتم النبوة ، فإن
استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وعُيِّب ، ومكنت بمشورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بي
نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتي

هذه وغنيمتي هذه ، قالوا : نعم فأعطيتموها ، وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني ، فباعوني من رجل يهودى عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذي وصّف لي صاحبي ، ولم يحقّ في نفسي ، فبينما أنا عنده ، إذ قدّم عليه ابنُ عمِّ له من بني قريظة من المدينة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها ، وبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر ، مع ما أنا فيه من شغل الرسق ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إنني لفي رأس عدنق لسيدى أعمل له فيه بعض العمل ، وسيدى جالس تحتي ، إذ أقبل ابنُ عمِّ له ، حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل الله بنى قيسة ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدّم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبي .

قال ابن هشام : قبيلة : بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث ابن سؤد بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، أم الأوس والخزرج .

قال النعمان بن بشير الأنصاري يمدح الأوس والخزرج :

بهايل من أولاد قبيلة لم يجد
عليهم خديط في مخاطرة عتبا

مساميح أبطال يرأحون للندى
يروون عليهم ففعل آباؤهم نجبا

وهذان البيتان في قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن محمود

• • • • •

ابن أبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني العرواء . قال ابن هشام : العرواء : الرعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عرق فهي الرخضاء ، وكلاهما ممدود - حتى ظننت أني سأسقط على سيدي ، فزلت عن النخلة ، فجمعت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ ففضب سيدي ، فلكني لكلمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عمك . قال : قلت : لاشيء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

قال : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعلك أصحاب لك غرباء ذؤوو حاجة ، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة ، فأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده ، فلم يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة . قال ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، ثم جثته به ، فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال : فقلت في نفسي : هاتان ثنيتان ، قال : ثم جثت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بقباء الفرقد ، قد تبسع جنازة رجل من أصحابه ، على شملتان لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسأمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ، فلما رأني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

استدبرته ، عَرَفَ أَنِّي أُسْتَدْبِرْتُ فِي شَيْءٍ وَصَفَ لِي ، فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ .
فَنظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ ، فَأَكْبَبْتُ عَلَيْهِ أُقْبَلَهُ ، وَأَبْكَى . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَحَوَّلْ ، فَتَحَوَّلْتُ لِحَاسَتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي ،
كَأَنَّكَ يَا بَنَ عَبَّاسَ ، فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -
أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ . ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقِيُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِدَرُو أُحُدِ .

قَالَ سَلْمَانُ : ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَاتِبُ يَاسَلْمَانَ .
فَسَكَتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثَةِ نَحْلَةٍ أَحْيَيْهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ ، وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَةً . فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ : أَعَيْنُوا أَحَاكِمَ ، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ ،
الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ وَدِيَّةً ،
وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ ، يُعِينُ الرَّجُلَ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ ،
فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اذْهَبْ يَا سَلْمَانَ فَفَقِّرْ لَهَا ، فَإِذَا فَرَّغْتَ
فَأْتِنِي ، أَكُنْ أَنَا أَضْعُمُهَا بِيَدِي . قَالَ : فَفَقَّرْتُ ، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا
فَرَّغْتُ جِئْتُهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَفَرَّجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعِيَ إِلَيْهَا ،
فَجَعَلْنَا نَقْرَبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّةَ ، وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ ،
حَتَّى فَرَّغْنَا . فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ ، مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ . قَالَ :
فَأَدَيْتُ النَّخْلَ ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ . فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَثَلِ
بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ ، مِنْ بَعْضِ الْأَعَادِنِ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ الْفَارَسِيُّ
الْمُسَكَّابُ ؟ قَالَ : فَدُعِيتُ لَهُ ، فَقَالَ : خُذْ هَذِهِ ، فَأَدِّهَا مِمَّا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانَ .

قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما على ؟ فقال : خذها ، فإن الله سيؤدّي بها عنك . قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها ، وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الخندق حراً ، ثم لم يفتني معه مشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبد القيس عن سلمان : أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذي على يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلّبها على لسانه ، ثم قال : خذها فأوفيتهم منها ، فأخذتها ، فأوفيتهم منها حقهم كلّهم ، أربعين أوقية .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبدالعزيز بن مروان ، قال : حدثت عن سلمان الفارسي : أنه قال : لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أخبره خبره : إن صاحب عمورية قال له : أنت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلا بين غيظتين ، يخرج في كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستحيزاً ، يعترضه ذؤوب الأسقام ، فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شفى ، فأسأله عن هذا الدين الذي تبتغي ، فهو ينجرك عنه ، قال سلمان : فخرجت حتى أتيت حيث وصف لي ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة ، مستحيزاً من إحدى الغيظتين إلى الأخرى ، فغشيه الناس بمرضاهم ، لا يدعو لمرض إلا شفى ، وغابوني عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل ،

.....

إِلَّا مَنْ كَبَّهُ . قَالَ : فَتَنَاوَلْتُهُ : فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَالتَفَتَ إِلَيَّ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ
اللَّهُ ، أَخْبَرَنِي عَنِ الْحَنَفِيِّيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ : إِنَّكَ لَتَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مَا يَسْأَلُ
عَنْهُ النَّاسُ الْيَوْمَ ، قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُ نَبِيِّ يُبْعَثُ بِهِذَا الدِّينِ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ ، فَأَتَيْتُهُ
فَهُوَ يَحْمَلُكَ عَلَيْهِ . قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - لِسَلْمَانَ : لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي يَا سَلْمَانُ ، لَقَدْ لَقِيتَ عَبْسِي بَنَ مَرْيَمَ
عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ .

حديث - سلمان :

فصل : وَذَكَرَ حَدِيثَ سَلْمَانَ بِطَوْلِهِ ، وَقَالَ : كُنْتُ مِنْ أَهْلِ إِصْبَهَانَ
هَكَذَا قَيْدَهُ الْبُسْكُرِيُّ فِي كِتَابِ الْمُعْجَمِ بِالْكَسْرِ فِي الْهَمْزَةِ (١) ، وَإِصْبَهَ بِالْعَرَبِيَّةِ :
فَرَسٌ ، وَقِيلَ : هُوَ الْعَسْكَرُ ، فَمَعْنَى الْكَلِمَةِ : مَوْضِعُ الْعَسْكَرِ أَوْ الْحَيْلِ (٢) ،
أَوْ نَحْوِ هَذَا . وَابْسَ فِي حَدِيثِ سَلْمَانَ عَلَى طَوْلِهِ إِشْكَالٌ ، وَوَقَعَ فِي الْأَصْلِ

(١) فِي الْمُرَادِ : فَتَحَ الْهَمْزَةَ هُوَ الْأَكْثَرُ وَالْأَشْهُرُ .

(٢) فِي الْبُسْكُرِيِّ : إِصْبَهَ بِلِسَانِ الْفَرَسِ : الْبَلَدُ ، وَهَانَ : الْفَرَسُ ، فَعْنَاهُ : بِلَهْ
الْفَرَسَانِ ، وَقَالَ : لِإِصْبَهَ بِالْفَارْسِيَّةِ : الْعَسْكَرُ ، وَإِنْ هَانَ مَعْنَاهُ : ذَلِكَ ، فَمَعْنَى الْاسْمِ :
الْعَسْكَرُ ذَلِكَ . وَفِي الْمُرَادِ : إِنَّهَا لِنَظَرٍ مَعْرَبٍ مِنْ سَبَاهَانَ بِمَعْنَى : الْجَيْشِ ، فَيَكُونُ
مَعْنَاهُ عَلَى حَذْفِ الْمِضَافِ : مَدِينَةُ الْجَيْشِ . وَإِصْبَهَانَ - كَمَا فِي الْمُرَادِ - مَدِينَةٌ
عَظِيمَةٌ ، مَشْهُورَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْمَدَنِ وَأَعْيَانِهَا . وَأِصْبَهَانَ : اسْمٌ لِلْأَقْلِيمِ بِأَسْرِهِ ، وَكَانَتْ
مَدِينَتَهَا أَوْلَا : جِي ، ثُمَّ صَارَتْ الْيَهُودِيَّةَ ، وَهِيَ مِنْ نَوَاحِي الْجَبَلِ .

في هذا الحديث : فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استذبرته ، ورأيت في حاشية الشيخ : أستديرُ به ، وكذلك وقع فيه : أحياها له بالفقير ، وفي حاشية الشيخ : الوجه التَّفْقِير .

أَسْمَاءُ النَّخْلَةِ :

وَالْفَقِيرُ لِلنَّخْلَةِ (١) . يقال لها في الكَرَمَةِ : حَيَّيَّة ، وجمعها : حَيَايَا ، وهي الحُفَيْرَةُ ، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي : دَرِيْسَةٌ ، ثم يقال لها : وَدِيَّةٌ ، ثم فَسِيلَةٌ ، ثم أَشَاءَةٌ ، فإذا فاتت اليد فهي : جَبَّارَةٌ ، وهي العَضِيدُ ، وَالكَتِيلَةُ ، ويقال للتي لم تخرج من النواة ، لكنها اجْتُمَّتْ من جنب أمها : قَلْعَةٌ وَجَيْثِيَّةٌ ، وهي الجُنَائِثُ وَالهِرَاءُ ، ويقال للنخلة الطويلة : عَوَانَةٌ بِلُغَةِ عُمَانَ ، وَعَيْدَانَةٌ بِلُغَةِ غَيْرِهِمْ ، وهي فَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ (٢) بِالْمَسْكَانِ ، واختلف فيها قول صاحب كتاب العين ، فجعلها تَارَةٌ : فَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ ، ثم جعلها في باب المعتل العين فَعَالَانَةٌ .

ومن الفَسِيلَةِ حديث أنس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) في الحُشْنَى هـ أحياها له بالفقير ، أى : بالحفر وبالفرس ، يقال ، فقر الأرض : إذا حفرها ، ومنه سميت البئر فقيرا . وقال الوقشي : الصواب هنا : التَّفْقِير . وأراد الوقشي هنا : المصدر ، وهو الأحسن . والفقير أيضا : البئر تنرس فيها النخلة الصغيرة ، والمسكان السهل يحفر فيه ، ويخرج الماء من القناة (٢) لزوم المسكان ، فلم يبرحه .

قال : إن قامت الساعة ، وبِيدِ أحدكم فَسِيلَةٌ ، فاستطاع أن يفرسها قبل أن تقوم الساعة ، فليفرسها^(١) من مصنف حماد بن سلمة . والذين صحبوا سلمان من النصارى كانوا على الحقِّ على دين عيسى بن مريم ، وكانوا ثلاثين يُداوِلُونَه سيِّداً بعد سيِّد^(٢) .

من فقه عمر بن الخطاب :

وذكر في آخر الحديث أنه جمع شيئاً ، فجاء به النبيّ - صلى الله عليه وسلم - ليختبره : أياكل الصدقة ، أم لا ، فلم يسئله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحرُّ أنت أم عبْدٌ ، ولا : من أين لك هذا ، ففي هذا من الفقه : قبول الهدية وترك سؤال المهدي ، وكذلك الصدقة .

حكم الصدقة للنبي ومصدر مال سلمان :

وفي الحديث : مَنْ قُدِّمَ إِلَيْهِ طَعَامٌ فَلْيَأْكُلْ وَلَا يَسْتَلْ . وذكر أبو عبيد في كتاب الأموال حديث سلمان حجّةً على من قال إن العبد لا يملك ، وقال : لو كان لا يملك ما قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - صدقته ، ولا قال لأصحابه : كلوا صدقته . ذكر غير ابن إسحاق في حديث سلمان الوجه الذي جمع منه سلمان ما أهدى للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : قال سلمان : كنت عبداً لامرأة ، فسألت سيدي أن تهب لي يوماً ، فعملت في ذلك اليوم على صاع أو

(١) أحمد في مسنده ، والبخارى في الأدب المفرد ، وقال السيوطي : ضعيف

(٢) في البخارى : تداول سليمان بضعة عشر من رب إلى رب .

صاعين من تمر، وجئت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما رأيت لا يأكل الصدقة، سألت سيدتي أن تهب لي يوماً آخر، فعملت فيه على ذلك، ثم جئت به هدية للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقبله وأكل منه، فبين في هذا الرواية الوجه الذي جمع منه سلمان ما ذكر في حديث ابن إسحاق، والصدقة التي قال النبي عليه السلام: لا تحلُّ لمحمد، ولا لآل محمد هي المفروضة دون التطوع، قاله الشافعي، غير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن تحل له صدقة الفرض ولا التطوع، وهو معنى قول مالك.

وقال الثوري: لا تحلُّ الصدقة لآل محمد فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم، لأن موالى القوم من أنفسهم، بذلك جاء الحديث. وقال مالك: تحل لمواليهم، وقالت جماعة، منهم أبو يوسف: لا تحلُّ لآل محمد صدقة غيرهم، وتحلُّ لهم صدقة بعضهم على بعض، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب (١).

(١) في حديث رواه مسلم: إنا لا نأكل الصدقة، وفي حديث رواه أحمد بإسناد قوي: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة. ويقول القسطلاني: والحكمة في ذلك صيانة منصبه الشريف عن أوساخ أموال الناس: ويقول الزرقاني عن الصدقة، ولأنها تنفي عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه. ص ٢٢٠ وما بعدها ج ٥ المواهب اللدنية. أما الهدية فكان يقبلها، ففي البخاري أنه أهديت إليه ديباج مزررة بالذهب، فقسمها في ناس من أصحابه، وعزل منها واحداً لخمة بن نوفل. وفيه أيضاً أن ملك أيلة أهدى إليه بغلة بيضاء، فكساه رسول الله بردة. وكان أصحابه يهدون إليه، فيكافئهم أضعافها. وفي حديث سلمان بضع كلمات إليك معها. دهقان: شيخ القرية العارف بالفلاحة، وما يصلح الأرض. فظن النار =

أول من مات بعد الهجرة :

وقول سلمان : فأتيت رسول الله وهو في جنازة بعض أصحابه . صاحبه .
الذي مات في تلك الأيام : كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي - صلى الله
عليه وسلم . قال الطبري : أول من مات من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم
بعد قدومه المدينة بأيام قليلة : كلثوم بن الهدم (١) ، ثم مات بعده أسعد بن
زُرارة .

فصل : وذكر ابن إسحاق في مكاتبة سلمان أنه فُقر لثلاثمائة وديّة
أى : حفر ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وضعها كلها بيده ، فلم
تمت منها وديّة واحدة ، وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق
غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده وديّة واحدة ، وغرس رسول الله -

عادهما . الأسقف في الكنيسة : هو عالم النصراني الذي يقيم لهم أمر دينهم ، ويقال :
أسقف بتخفيف الغاء أو تضعيفها مع ضم الهمة وإسكان السين وضم القاف . العذق بفتح
العين : النخلة . وبكرها : الكباش وهي عنقود النخلة وبها ليل : جمع بلول ، السيد .
يراحون ؛ يهزون . النجب : النذر . العرواء : الرعدة . الشملة . الكساء الغليظ .
يلتحف به .

(١) ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن
عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي . ذكر ابن عتبة وغيره أن
النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه بقباء أول ما قدم المدينة . وآخرون قالوا : إنه نزل على
سعد بن خيشمة . قال الواقدي : كان نزوله على كلثوم ، وكان يتحدث في بيت سعد .
ابن خيشمة ؛ لأن منزله كان منزل القرآن .

صلى الله عليه وسلم - سائرهما، فعاشرت كلها إلا التي غرس سلمان . هذا معنى حديث البخارى .

أسطورة نزول عيسى قبل بعثة النبي :

فصل : وذكر عن داود بن الحصين قال : حدثني من لا أتهم عن عمر ابن عبد العزيز قال : قال سلمان للنبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر خبير الرجل الذي كان يخرج مُسْتَجِيزاً من غَيْضَةٍ إلى غَيْضَةٍ ، ويلقاه الناسُ بمرضاهم . فلا يدعو لمريض إلا شفى ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إن كنت صدقتني يا سلمان ، فقد رأيت عيسى بن مريم . إسناد هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن ذلك الرجل هو الحسن بن عمارة (١) ، وهو ضعيف بإجماع منهم ، فإن صح الحديث ، فلا نكارة في مآثبه ، فقد ذكر الطبري أن المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع ، وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذي فيه الصليب يتكلمان (٢) ، فكلهما ، وأخبرها أنه لم يُقتل ، وأن الله رفعه

(١) وقيل عن الرجل المبهم إنه شيخ عاصم بن عمر بن قتادة . والحديث أيضا منقطع بل معضل بين عمر بن العزيز وسلمان رضي الله عنه . وقوله : لئن كنت صدقتني الخ غريب جداً بل منكر - كما ذكر ابن الأثير في البداية - ص ٣١٤ > ٢ .

(٢) إنها كذبة صافية لا يجوز ترددها . ولذا بر أن الله سبحانه لم يذكر له عيسى عليه السلام سوى ثلاثة أطوار ككل البشر : وهو السلام على يوم وُلدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعثت حيا ، كما قبلت تماما عن يحيى ، والصليبيون يزعمون أنه سينزل ، ويجعل العالم كله يركز بالإنجيل ، وآيات نزوله : عودة ملك سليمان إلى اليهودا ومن =

وأرسل إلى الحواريين ، ووجههم إلى البلاد ، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا، ولكن لا يُعلم أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح والله أعلم ، ويروى أنه إذا نزل تزوج امرأة من جذام^(١) ، ويدفن إذ مات في الروضة التي فيها النبي عليه السلام .

== أين جاء الطبري وغيره بما زعموه عن نزول عيسى؟ وقد يقال هنا — كما قالوا —
لئن صح الخبر ، فإنه يدل على أن عيسى قد هرب من الذي جاءوا يطلبونه ليصلبوه ،
وأن هؤلاء الطالبين أخذوا غيره ، وأن الذين رأوا عيسى بعد هذا ظنوا أنه بعث
بعد صلبه ؛ إذ كانوا يظنون أنه قد أخذ ، وصلب .

(١) لا يستفيد من ترديد مثل هذا سوى الذين يحجون القضاء على الإسلام .
وقد روى حديث نزول عيسى الشيخان والترمذي وأحمد ، أما تزوجه فقد ذكره
ابن الجوزي في كتاب الوفا . وقد قيل : إن هذا الحديث معارض في دلالة بما
تدل عليه أحاديث أخرى ، كالحديث الذي ورد في الصحيحين دالا على أن الحبش
سينقضون الكعبة ، والحديث الذي ورد في البخاري مؤكدا أن بين يدي الساعة
أى : قرب مجيئها — أياما ينزل فيها الجهل ، ويرفع العلم ، ويكثر فيها الهرج
— أى القتل — وكالحديث الذي شكاه بعض الناس لأنس من ظلم الحجاج
فقال لهم : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا
ربكم ، سمعته من نبيكم . على حين يذكر في حديث عيسى أنه سيكسر الصليب ،
ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، وأن المال سيفيض حتى لا يقبله أحد ، كما
يؤكد زوال الشقاء والتباعد والتحاسد ، فأين هذا من ذلك؟ وهل يعتبر هذا
شرا من أيامنا هذه ، كما يقول الحديث السابق؟ وقيل : إنه معارض أيضا بقوله
سبحانه الذي يقص به قول عيسى يوم القيامة : « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به
أن أعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتني كنت
أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد ، فأين الحديث هنا عن كسر الصليب
سوقتل الخنزير؟ لماذا لم يقل : فلما أنزلتني فعلت وفعلت ، وعلت أنهم غيروا ١٩

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى وعبيد الله

ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحاق : واجتمعت قُرَيْشُ يوماً في عيدٍ لهم عند صنمٍ من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وَيَنْحَرُونَ له ، وَيَكْفُونَ عنده ، وَيُدِيرُونَ به ، وكان ذلك عيداً لهم ، في كل سنة يوماً ، فخاصَّ منهم أربعة نفرٍ نَجِيًّا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكنتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهم : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، وعبيد الله بن جحش بن ريثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم ابن دودان بن أسد بن خزيمَةَ ، وكانت أمه أُمَيْمَةَ بنت عبد المطاب . وعثمان ابن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رِزَّاح بن عدى بن كعب ابن لؤي ، فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء ! لقد أخطأوا دينَ أبيهم إبراهيم ! ما حَجَرٌ نُطِيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضرب ولا ينفع؟! يا قوم اتمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شيء ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دينَ إبراهيم .

فأمَّا ورقة بن نوفل فاستحکم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علماً من أهل الكتاب . وأمَّا عبيد الله بن جحش ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم

حبيبة بنت أبي سفيان مُسَلِّمَةً ، فلما قدمها تنصّر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نصرانياً .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ؛ قال : كان عبّيد الله ابن جحش — حين تنصّر — يَمْزُرُ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم هنالك من أرض الحبشة ، فيقول : فقَّحْنَا وصَاصًا تُمَّ ، أى : أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تُبصروا بعد ، وذلك أن وَكَدَ الكَلْبُ إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر ، صَاصًا ؛ لينظر . وقوله : فقَّح : فتح عينيه .

قال ابن إسحاق : وَخَلَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بن حسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فخطبها عليه النجاشي ؛ فزوجها إياها ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعائة دينار . فقال محمد بن علي : ما نرى عبد الملك بن مروان وَقَفَ صدَاقَ النساءِ على أربعائة دينار إلا عن ذلك . وكان الذي أملاكها للنبي صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص .

قال ابن إسحاق : وأما عثمان بن الحويرث ، فقدم على قيصر ملك الروم فتنصّر ، وحسنت منزلته عنده . قال ابن هشام : ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديثٌ ، منعه من ذكره ما ذكرتُ في حديث حرب الفجار .

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف ، فلم يدخل في
يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميثة والدم
والذبائح التي تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبد
رب إبراهيم ، وبأدى قومه بعباد ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، عن أمه أسماء بنت
أبي بكر رضی الله عنهما ، قال : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا
مُسْنِدًا ظهره إلى السكبة ، وهو يقول : يا معشر قريش ، والذي نفس زيد
ابن عمرو بيده : ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم
لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ولكني لا أعلمه ، ثم يسجد
على راحته .

قال ابن إسحاق : وحدثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
ومعمر بن الخطاب ، وهو ابن عمه ، قالوا لرسول الله على الله عليه وسلم :
أستغفر لزيد بن عمرو؟ قال : نعم ، فإنه يبعث أمة وحده .

وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه ، وما كان لقي منهم
في ذلك :

أرباً وإحداً ، أم ألف رب
عزلت اللات والعزى جميعاً
فلا العزى ، أدب ولا ابنتيها
كذلك يفعل الجلد الصبور
أدب إذا تقسمت الأمور
ولا صنعني بني عمرو أزور

ولا هُبلاً أدينُ ، وكانَ رَبّاً
مَجْنُوتُ . وفي الأيالي مُعْجَبَاتُ
لنا في الدهر إذ حَلَيْي بِسِيرُ
وفي الأيامِ يَغْرِفُهَا البَصِيرُ
بأنَّ اللهَ قَدْ أَفْنَى رِجَالاً
كثيراً كانَ شَانَهُمُ الفُجُورُ
وأبى آخِرِينَ بَرِّ قَوْمِ
فَيَرِيْلُ مِنْهُمُ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ
وَبَيْنَا العَمْرُ يَعْتُرُ ثابِ يوما
كما يَتَرَوِّحُ العُضُنُ العَطِيرُ
وَلَكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمَنَ رَبِّي
لِيَغْفِرَ ذَنْبِي الرَّبُّ العَفُورُ
فَتَقْوَى اللهَ رَبِّكُمْ احْفَظُوهَا
مَتَى مَا تَحْفَظُوهَا . لا تَبُورُوا
تَرَى الأَبْرَارَ . دَارُهُمْ جِنَانِ
وللْكَفَّارِ حَامِيَةٌ سَعِيرُ
وَحَزِيٌّ فِي الحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوتُوا
يُبْلِقُوا مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً - قال ابن هشام : هي لِأُمَيَّةَ بن أبي
الصَّلْتِ في قصيدة له . إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز
البيت الأول عن غير ابن إسحاق : -

إلى الله أَهْدَى مِدْحَتِي وَتَنَايَا
وَقَوْلَا رَصِينَا لِابْنِي الدَّهْرَ بَاقِيَا
إلى المَلِكِ الأعلى الذي ليس فوقه
إله ، ولا رَبٌّ يَكُونُ مُدَانِيَا
ألا أيها الإنسانُ إِيَّاكَ والرَّدى
فإِنَّكَ لا تَخْفِي مِنَ اللهِ خَافِيَا
وإِيَّاكَ لا تَجْمَلُ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ
فإنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبَحَ بِادِيَا
حَتَانِيكَ إنَّ الجنَّ كانت رَجَاءَهُمْ
وأنتَ إلهي رَبُّنَا وَرَجَائِيَا
رضيتُ بِكَ - اللَّهُمَّ - رَبِّنا فإِن أَرَى
أدينُ إلهًا غيرَكَ اللهُ ثَانِيَا

وأنت الذي من فضل من ورحمة بعثت إلى موسى رسولا مُناديا
فقلت له: يا اذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له: أنت سويت هذه بلا وتد، حتى اطمانت كما هيا
وقولا له: أنت رفعت هذه بلا عمد، أرفق - إذا - بك بانيا
وقولا له: أنت سويت وسطها مُنيرا، إذا ما جته الليل هاديا
وقولا له: من يرسل الشمس غدوة

فيصبح ما مسّت من الأرض ضاحيا
وقولا له: من يُذبت الحَبّ في النَّزى

فيصبح منه البقل يَهتر رابيا
ويُخرج منه حبه في رءوسه وفي ذلك آيات لمن كان واعييا
وأنت بفضل منك نجيت بونسا وقد بات في أضغاف حوت لياليا
وإني لو سبحتُ باسمك ربنا لأكثر - إلا ما غفرت - خطائيا
فربّ العباد ألقى سيبا ورحمة على، وبارك في بني وماليا
وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمي.

قال ابن هشام: واسم الحضرمي: عبدُ الله أحد الصّدف، واسم الصّدف: عمرو بن مالك أحد السّكّون بن أشرس بن كِندي، ويقال: كِنْدَة بن ثور بن مُرتع بن عُفَيْر بن عدي بن الحارث بن مُرّة بن أدد ابن زيد بن مِهْصَع ابن عمرو ابن عريب بن زيد بن كَهْلان بن سبأ، ويقال: مُرتع بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ.

قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروجَ من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فكانت صفيّة بنت الحضرمي كلما رآته قد تهباً للخروج، وأرادته؛ آذنت به الخطاب بن نفيل، وكان الخطاب ابن نفيل عمه وأخاه لأمه، وكان يمآتبه على فراق دين قومه، وكان الخطاب قد وگل صفيّة به، وقال: إذا رأيتيه قدم بأمر فأذيني به - فقال زيد:

لأحبسني في الهوا نِ صَفِيٍّ مَادَانِي وَدَائِبُهُ
إني إذا خفيت الهوا ن، مُتَمِّعٌ ذُلُّلٌ رِ كَابُهُ
دُعْمُوصُ أَبْوَابِ الْمَلُوكِ كِ وَجَائِبٌ لِلخَرْقِ نَابُهُ
قَطَاعُ أَسْبَابِ تَدَلِّ بَغِيرِ أقرانِ صِ عَابُهُ
وَإِنَّمَا أَخَذَ الْهَوَا نَ الْعَبِيرُ إِذْ يُوَمِّي إِهَابُهُ
ويقول: إني لا أذلُّ بَصَكُ جَنْبِيهِ صِلَابُهُ
وأخي ابن أُمِّي، ثم عمِّي لا يواتيني خطابه
وإذا يمآتني بسو قلت: أعياني جوابه
ولو أشاء لقلت: ما عندي مَفَاتِحُهُ وَبَابُهُ

قال ابن إسحاق: وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل: أن زيدا إذا كان استقبل الكعبة داخل المسجد، قال: لبيك حقاً حقاً، تبعيداً ورقاً.

• • • • •

عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، وَهُوَ قَائِمٌ
إِذْ قَالَ :

أَنْفِي لَكَ اللَّهُمَّ عَانٍ رَاغِمٌ مَهْمَا تُجَسَّسْنِي فَإِنِّي جَاشِمٌ
الْبِرِّ أَبْنِي لَا الْخَالِ ، لَيْسَ مُهَجَّرٌ كَمَنْ قَالَ .

قال ابن هشام : ويقال : البرُّ أبقَى لا الخال ، ليس مُهَجَّرٌ كمن قال : قال
بوقوله : « مستقبل الكعبة » عن بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

وَأَسَلْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسَلْتُ لَهُ الْأَرْضُ تُحْمِلُ صَخْرًا نَقَلَا
دَحَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَمَوْتُ عَلَى الْمَاءِ ، أَرْضِي عَلَيْهَا الْجِبَالَا
وَأَسَلْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسَلْتُ لَهُ الْمَزْنُ تُحْمِلُ عَذْبًا زُلَالَا
إِذَا هِيَ سَيِّقَتْ إِلَى بَلَدَةٍ أَطَاعَتْ ، فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالَا

وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حِزَاءَ
مقابل مكة ، ووكل به الخطابُ شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفاهم ،
فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرا منهم ، فإذا علموا
بذلك ، آذَنُوا به الخطاب ، فأخرجوه ، وآذَوْه كراهية أن يُفسد عليهم دينهم ،
وأن يُتابعه أحدٌ منهم على قِراقه . فقال - وهو يعظّم حرّمته على من استحلَّ
منه ما استحل من قومه :

لَا مُمْ إِنْ مَحْرَمٌ لَا حِلَّةَ وَإِنْ بَيْتِي أَوْسَطَ الْمَحِلَّةِ

عند الصَّفَا لَيْسَ بَدَى مَضَلَّةً

ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأخبار ، حتى بلغ الموصلَ والحزيرة كلها ، ثم أقبل فجاء الشام كله ، حتى انتهى إلى راهب بميمنة من أرض البلقاء ، كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطب ديننا ما أنت بواجب من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظلم زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فاتحق بها ، فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شام اليهودية والنصرانية ، فلم يرخص شيئاً منهما ، فخرج سريعاً ، حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد لحم ، عدوا عليه فقتلوه - فقال ورقة بن نوفل بن أسد بيكيه :

رَشِدْتُ ، وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو ، وَإِنَّمَا
بَدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ
وَإِذْرَاكَ الدِّينَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ
فَأَصْبَحْتَ فِي دَارِ كَرِيمٍ مُقَامُهَا
تُتَلَّقَى خَلِيلَ اللَّهِ فِيهَا ، وَلَمْ تَكُنْ
وَقَدْ تُدْرِكُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ
تَجَنَّبْتَ تَنْوَرًا مِنَ النَّارِ حَامِيًا
وَتَرَكَ أوثَانَ الْعُلُوَانِي كَمَا هِيَ
وَلَمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ سَاهِيًا
تُعَلَّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِيًا
مِنَ النَّاسِ جَبَّارًا إِلَى الدَّارِ هَاوِيًا
وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَاذِيًا

قال ابن هشام : يروى لأمية بن أبي الصلت البيتان الأولان منها ، وآخرها

عبد الله ، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر ، وزعم الدارقطني أنه رزاح بالفتح ، وإنما رزاح بالكسر : رزاح بن ربيعة أخو قصى لأمه الذي تقدم ذكره (١) .

الزواح من امرأة الأب في الجاهلية :

وأُمُّ زيدى هي : الحنيداء بنت خالد الفهمية ، وهي امرأة جده نقييل ولدت له الخطَّاب (٢) فهو أخو الخطَّاب لأمه ، وابن أخيه ، وكان ذلك مباحا في الجاهلية بشرع متقدِّم (٣) ، ولم تكن من الحرمات التي انتَهَكوها ، ولامن العظام التي ابتدعوها ، لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله — صلى الله

طريق هشام من طريق الليث تعليقا ، والنسائي من طريق أبي أسامة ، والبغوى من طريق علي بن مسهر كاهم عن هشام ، وزادوا فيه : « يحيى الموءودة يقول للرجل إن أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، فأنا أكفيك موتها » ، وورد في رواية الطبراني أنه كان يسجد للكعبة بدلا من راحته وقال عنه ابن دريد في الجهرة : رضى الاوثان في الجاهلية ، وامتنع من أكل ما ذبح لغير الله — عزوجل — والتزم الحنيفية دين إبراهيم ، إلى أن قتله أهل ميفعة ، قرية من قرى البلقاء بقرب دمشق من لحم أو جذام .

(١) والحديث الذي ذكره ابن إسحاق ، وفيه سؤال سعيد بن زيد وعمر ، بن الخطَّاب لرسول صلى الله عليه وسلم الاستغفار لزيد . . . في رواية أحمد والطبراني والبخاري أن سعيدا هو الذي سأله ، وقال البيهقي عن الحديث : فيه المسعودى وقد اختلف ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) وكان عمرو بن نقييل قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نقييل أخوه الخطَّاب .

(٣) من أين له هذا ؟

عليه وسلم — فكِنَانَةٌ تزوج امرأة أبيه خُزَيْمَةَ ، وهى بَرَّةُ بنت مُرٍّ ، فولدت له النَّضْرَ بن كِنَانَةَ ، وهاشمٌ أيضا قد تزوج امرأة أبيه وائدة فولدت له ضعيفة^(١) ، ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنها لم تلد جدًّا له ، أعنى : وائِدَةَ ، وقد قال عليه السلام : أنا من نكاح لا من سِفَاح^(٢) ، ولذلك قال سبحانه : (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) النساء : ٢٢ . أى : إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام : وفائدة هذا الاستثناء ألا يُعبأ بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) وليعلم أنه لم يكن في أجداده من كان لِعِفَّةٍ^(٤) ولا من سِفَاح . ألا نرى أنه لم يقل فى شيء نهى عنه فى القرآن : إلا ما قد سلف ، نحو قوله : (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَا) ولم يقل إلا ما قد سلف : (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) الإسراء : ٣٠ ولم يقل إلا ما قد سلف ، ولا فى شيء من المعاصى التى نهى عنها إلا فى هذه ، وفى الجمع بين الأختين ؛ لأن الجمع بين الأختين قد كان سباحا أيضا فى شرع من قبلنا ، وقد جمع يعقوبُ بين راحيل وأختها إيا^(٥) فقوله : إلا ما قد سلف

(١) يقول المصعب الزبيرى فى نسب قريش ص ١٧ : « وكانت ضعيفة بنت هاشم عند عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، فولدت له عبد يغوث ، وعبيد يغوث ، »
(٢) لاريب فى طهارة نسبه الشريف ، ولا ريب فى أنه كان من نكاح صحيح بين عبد الله أبيه وآمنة أمه . لكن هذه الأحاديث التى ترفع هذه الكلية ، حتى آدم أحاديث ضعيفة ، ولهذا لم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة ، فلا تراها إلا عند ابن سعد وابن عساكر وابن أبي شيبة . وأحسن تعبير عن هذه الحقيقة جزء من حديث أخرجه أبو نعيم : « لم يلتق أبواى قط على سِفَاح . »

(٣) لا يجوز قصر الآية على ما ذكر وحده .

(٤) الزَّوْجَا ، وتقال بكسر الغين وفتحها .

(٥) هما فى سفر التكوين : راحيل وليثة ابنتا لابان ، وقصتهما مع يعقوب =

التَّفَانَةَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَتَذْيِبه عَلَى هَذَا الْمَفْرَظِ، وَهَذِهِ النَّسَكَةُ لَقِنْتُمَا مِنْ شَيْخِنَا
الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن العربي - رحمه الله - وزيد هذا هو: والد سعيد
ابن زيد أحد العشرة الذين شُهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأُمُّ سَعِيدٍ: فَاطِمَةُ بِنْتُ نَعْجَةَ
ابن خلف الخُزَاعِي [عند الزبير: بَعَجَةَ بن أُمَيَّة بن خُوَيْلِد بن خالد بن اليمعر
بن خَزَاعَةَ].

تفسير بعض قول ابن مجشش:

وذكر قول عبد الله بن جحش حين تنصر بالحبشة: فَمَقَّحْنَا وَصَاصًا أُمَّمٌ،
وشرح فَمَقَّحْنَا بقوله: فَمَقَّحَ الْجِرُوءُ: إِذَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ،
وَزَادَ: جَصَّصَ أَيْضًا، وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ: بَصَّصَ بِالْبَاءِ حَكَاهَا عَنْ أَبِي زَيْدٍ (١)،
وَقَالَ الْقَسَالِيُّ: إِنَّمَا رَوَاهُ الْبَصْرِيُّونَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ بَيَاءً مَنْقُوطَةً بِأُمَّنَتَيْنِ، لِأَنَّ
الْبَاءَ تَبَدَّلَ مِنَ الْجِيمِ كَثِيرًا كَمَا تَقُولُ: أَيْلٌ وَأَجْلٌ، وَلِرِوَايَةِ أَبِي عُبَيْدٍ وَجْهٌ،
وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بَصَّصَ مِنَ الْبَصِيسِ، وَهُوَ الْبَرِيقُ.

بعض الذين تنصروا:

فصل: وذكر عثمان بن الخُوَيْرِثِ مع زيد، وورقة وعبيد الله بن جحش،
ثم قال: وأما عثمان بن الخويرث فإنه ذهب إلى الشام، وله فيها مع قيصر خبر،
ولم يذكر ذلك الخبر، وذكر البرقي عن ابن إسحاق أن عثمان بن الخُوَيْرِثِ
قدم على قيصر، فقال له: إني أجعل لك خَرَجًا على قريش إن جاءوا

في الإصحاح التاسع والعشرين من التكوين، وفيه أن لابان خدع يعقوب وزوجه
غير التي كان يريدتها أولاً، لأنها الكبرى، ثم زوجه لينة.

(١) في القاموس: يصص الجرو: جصص. وانظر ص ١٣٦ نوادر أبي زيد

الشام لتجارهم ، وإلا منعتهم ، فأراد قيصر أن يفعل تفرج سعيد بن العاصي ابن أمية وأبو ذئب ، وهو : هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر إلى الشام ، فأخذ نجسها ، فمات أبو ذئب في الحبس ، وأما سعيد بن العاصي ، فإنه خرج الوليد بن المغيرة ، وهو أمية فتخلصوه في حديث طويل ، رواه ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأختس . وأبو ذئب الذي ذكر هو : جد الفقيه محمد بن عبد الرحمن ابن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، يُكنى : أبا الحارث من فقهاء المدينة ، وأمه بُرَيْهَةَ بنت عبد الرحمن بن أبي ذئب ، وأما الزبير فذكر أن قيصر كان قد تَوَجَّعَ عُثْمَانَ ، وولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا الملك ، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى : ألا إنَّ مكةَ حَيٌّ لِقَاحِ لا تدين الملك (١) ، فلم يتم له مرادُه ، قال : وكان يقال له : البَطْرِيقُ (٢) ، ولا عقب له ، ومات بالشام مسموماً ، سمه عَمْرُو بن جَمَنَةَ النَّسَائِي الملك .

اعتزال زبير بن عمر بن نفييل الأوثان :

فصل : وذكر اعتزال زيد الأوثان وتركه طوائفهم ، وتركه أكل ما نُحِرَ [على الأوثان] (٣) والنَّصْبِ . روى البخاري عن محمد بن أبي بكر ،

(١) أي لا تخضع للملوك .

(٢) في القاموس : البطريق : ككبريت ، القائم من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ، ثم الطرخان على خمسة آلاف ، ثم القصر مَس على مائتين ، والمخنال .

(٣) ما بين القوسين زدته من السيرة .

قال : أخبرنا فضيل بن سليمان ، قال : أخبرنا موسى ، قال : حدثني سالم
ابن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقي زيدا
ابن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح^(١) قبل أن ينزل على النبي - عليه السلام -
الوحي ، فقدمت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ، سفرة أو قدمها إليه النبي
صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل ما تذبحون
على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه ، وأن زيد بن عمرو بن
نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من
السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض الكلاء ، ثم تذبحونها على غير اسم الله !
إنكاراً لذلك ، وإعظاماً له . قال موسى بن سالم بن عبد الله : ولا أعلم إلا
ما تُحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ،
ويُبدعه ، فأتى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم ، وقال له إني لعلي أن أدين بدينكم ،
فأخبروني ، فقال : لا تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال
زيد : ما أفرأ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً ، وأنى
أستطيعه ، فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟
قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله ، ففرج زيد
فاتى عالماً من النصارى ، فذكر مثله ، فقال لن : تكون على ديننا ، حتى تأخذ
بنصيبك من لعنة الله ، قال : ما أفرأ إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ، ولا من
غضبه شيئاً أبداً ، وأنى أستطيعه ، فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب ، أو مكان في طريق التنعيم .

يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيفُ ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج ، فلما برز رفع يديه ، فقال : اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم . وقال الليث : كتب إلى هشام بن عروة عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مُسنداً ظهره إلى الكعبة ، يقول : يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري ، وكان يُحبيّ المؤمنة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أ كفيك مؤنتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤنتها . إلى هاهنا انتهى حديث البخاري . وفيه سؤال يقال : كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ما ذبح على التَّصْبُ ، وما لم يذكر اسمُ الله عليه ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له ؟ فالجواب من وجهين ، أحدهما : أنه ليس في الحديث حين تميّه ببلدح ، فقدمت إليه السفرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكل منها ، وإنما في الحديث أن زيدا قال حين قُدمت السفرة : لا آكل مما لم يُذكر اسم الله عليه : الجواب الثاني (١) : أن زيدا إنما فعل ذلك برأى

(١) جوابه الثاني غير مقبول ، وزعمه أن ما ذبح لغير الله لم يكن محرماً في دين إبراهيم قول بغير دليل . والأناصِب : أحجار كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأضنام . وإليك بعض الآراء حول هذا الحديث . قال ابن بطال : كانت السفرة لقريش قدموها للنبي ، فأبى أن يأكل منها ، فقدمها النبي صلى الله عليه وسلم ، لزيد بن عمرو ، فأبى أن يأكل منها ، وقال مخاطباً لقريش الذين قدموها أولاً : إنا لاناكل ما ذبح على أنصا بكم . وقال صاحب الفتح : وما قاله محتمل ، لكن لا أدري من أين له الجزم بتلك .

رآه، لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم بالعبادة، لا بتحرير ما ذُبح لغير
الله ، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام، وبعض الأصوليين يقولون : الأشياء قبل
وُرود الشرع عَلَى الإباحة ، فإن قلنا بهذا، وقلنا إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم
كان يأكل مما ذُبح على النصب ، فإنما قتل أمراً مباحاً، وإن كان لا يأكل منها
فلا إشكال ، وإن قلنا أيضاً : إنها ليست على الإباحة ، ولا على التحريم ، وهو
الصحيح ، فالذباح خاصة لها أصل في تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ، ونحو
ذلك ، مما أحلّه الله تعالى في دين من كان قبلنا ، ولم يقدّخ في ذلك التحليل
المتقدم ما ابتدعه ، حتى جاء الإسلام ، وأنزل الله سبحانه : (ولا تأكلوا مما لم
يُنذِرْكُمُ اللهُ عليه) الأنعام : ١٢١ . ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا
على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدّخ في التحليل ما أحدثوه من

— وقال الخطابي . كان النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يأكل مما يذبحون عليها
للأصنام ، ويأكل ما عدا ذلك ، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه ، لأن
الشرع لم يكن نزل بعد ، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه
إلا بعد المبعث بمدة طويلة . وقال صاحب الفتح : وهذا الجواب أولى مما ارتكبه
ابن بطال ، وعلى تقدير أن يكون زيد بن حارثة ذبح على الحجر المذكور ، فإنما
يحمل على أنه إنما ذبح عليه لغير الأصنام . وأما قوله تعالى : وما ذبح على
النصب ، فالمراد به ما ذبح عليها للأصنام ، وفي الفتح أيضاً : أن الجواب على قوله :
فذبحنا شاة على بعض الأنصاب يعني : الحجارة التي ليست بأصنام ، ولا معبودة
وإنما هي من آلات الجزاء التي يذبح عليها ؛ لأن النصب في الأصل حجر كبير ،
فمنها ما يكون عندهم من جملة الأصنام ، فيذبحون له ، وعلى اسمه ، ومنها ما لا
يعبد ، بل يكون من آلات الذبح ، فيذبح الذابح عليه لا للصنم ، وكان امتناع
زيد منها حسماً للمادة .

الكُفْرِ ، وعبادة الصُّلْبَانِ ، فكذلك كان ما ذبحه أهلُ الأوثانِ مُحَلَّلاً بالشرع
المتقدم ، حتى خصه القرآن بالتحريم .

زبير وصعصعة والموءودة :

فصل : و ذكر خبر الموءودة ، وما كان زبير يفعل في ذلك ، وقد كان
صَعَصَعَةُ بن معاويةَ جدَّ الفَرَزْدَقِ رحمه الله يفعل مثل ذلك ، ولما أسلم سأل
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : هل لي في ذلك من أجر؟ فقال في أصح الروايتين :
لك أجره إذا منَّ الله عليك بالإسلام ، وقال المُبَرِّدُ في الكامل عن النبي
- صلى الله عليه وسلم - كلاماً لم يصح لفظه ولا معناه ، ولا يشهد له أصل .
والأصول تشهد له بهذه الرواية التي ذكرناها ؛ لما ثبت أن الكافر إذا أسلم ،
وحسُن إسلامه ، كتب له كلُّ حسنة كان زلفها ، وهذا الحديث أخرجه
البخارى ، ولم يذَّكر فيه : كل حسنة كان زلفها ، وذكرها الدارقطني وغيره ،
ثم يكون القصاص بعد ذلك : الحسنَةُ بعشر أمثالها ، والموءودة مَفْعُولَةٌ من
وَأَدَّه إذا أنقله قال الفرزدق :

ومِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَالِدَاتِ ، وَأَحْيَا الْوَتِيدَ ، فَلَمْ يُؤَادِ

يعنى : جدّه صَعَصَعَةُ بن معاوية بن ناجية بن عمّال بن محمد بن سفيان بن
مُجَاشِع . وقد قيل : كانوا يفعلون ذلك غيرةً على البنات ، وما قاله الله في
القرآن هو الحق من قوله : (خَشِيَةَ إِثْلَاقٍ) وذكر النقاش في التفسير :
أنهم كانوا يثدّون من البنات ، ما كان منهن زرقاء أو برشاء أو شياء أو

كَشْحَاءُ (١) تَشَاوَمَا مِنْهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا التَّوْبَةُ وَدِدَةٌ .
سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٢) ﴾ التَّسْكُورِ : ٨ : ٩ .

العزى :

فصل : وذكر شِعْرَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَفِيهِ : عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى .
جَمِيعًا . فَأَمَّا اللَّاتُ فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ، وَأَمَّا الْعُزَّى ، فَكَانَتْ نَحْلَاتٍ مَجْتَمِعَةً ،
وَكَانَ عَمْرُؤُ بْنُ لُحَيٍّ قَدْ أَخْبَرَهُمْ - فِيمَا ذَكَرَ - أَنَّ الرَّبَّ يُشْتَّى بِالطَّائِفِ عِنْدَ
اللَّاتِ ، وَيُصَيِّفُ بِالْعُزَّى ، فَعَظُمُواهَا وَبَنَوْا لَهَا بَيْعًا ، وَكَانُوا يَهْدُونَ إِلَيْهِ كَمَا
يَهْدُونَ إِلَى السَّكْبَةِ ، وَهِيَ الَّتِي بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لِيَسْكَبَهَا ، فَقَالَ لَهُ سَادِمُهَا : يَا خَالِدُ اخْذَرْهَا ؛ فَإِنَّهَا تَجْدَعُ

(١) الزرقاء : العمياء أو من بها ذلك . والبرشاء : من في لونها نقط مختلفة
حمر ، وأخرى سوداء أو غبراء . والشبام : من كثرت في بدنها الشامات ، والشامة .
علامة في البدن ، يخالف لونها لون سائر ، والكشحاء : الموسومة بالنار في كشحها ،
بسبب داء في كشحها ، وربما كانت : الكسحاء .

(٢) ورد في فتح الباري ص ١١٥ ج ٧ : وكان أهل الجاهلية يدفنون البنات .
ومن بالحياة ، ويقال : كان أصلها من الغيرة عليهم لما وقع لبعض العرب حيث
سبي بنت آخر فاستقرشها ، فأراد أبوها أن يفتديها منه ، فخيرها ، فاخترت
الذي سبها ، خلف أبوها : ليقتلن كل بنت تولد له ، فتبيع على ذلك ، غير أن
القرآن ذكر أن وأدهن كان خشية الفقر ، أو من الفقر . ولهذا قال سبحانه : ونحن
نرزقكم وإياكم . لمن كانوا يمدون خشية الفقر ، وقال لمن يمدون من الفقر : ونحن
نرزقكم وإياهم . عجل لهم البشارة برزق الوائدين ، فهي في هذا المقام أولى
بالذكر .

وَتَسَكَّنْ ، (١) فهدمها خالدٌ وترك منها جذمها (٢) وأساسها ، فقال قَتِيمُها :
والله لتعودنَّ ولتنتقمينَّ مِنَّ فعل بها هذا ، فذُكر - والله أعلم - أن رسولَ
الله - صلى الله عليه وسلم - قال لخالد : هل رأيت فيها شيئاً ؟ فقال : لا ، فأمره
أن يرجع ، ويستأصل بقيتها بالهدم ، فرجع خالد ، فأخرج أساسها ، فوجد فيها امرأة
سوداءَ مُنتَفِشَةَ الشعرِ تَحْدِشُ وجهها ، (٣) ، فقتلها ، وهرب القَتِيمُ ، وهو
يقول : لا تُعْبِدُ العُزْرَى بعد اليوم . هذا معنى ما ذكر أبو سعيد النديسابوري
في التَّبَعَثِ . وذكره الأزرقي أيضاً ورزين .

معنى يربل :

وقوله : فَيَرِبِلُ منهم الطفلُ الصغير . أقيمت في حاشية الشيخ أبي بحر
رَبَلَ الطفلُ يَرِبِلُ إذا شبَّ وعظم . يربلُ بفتح الباء أى يكبر وينبت ،
ومنه أخذ رَبِيلُ الأرض (٤) . وقوله : كما يَتَرَوِّحُ الغصنُ : أى : يَنْبُتُ
ورقه بعد سقوطه (٥) .

(١) في بعض الروايات ورد: أن ذلك كان حين أرسل خالد إلى ذي الخلصة
ليهدمها ، وفيها صنم يعبدونه ، فقال له السادن : « لا تفعل ، فإنها مكنتك ، بضم
الميم وفتح الكاف وتضعيف النون مع كسرهما أى مقبضة يديك ، ومشتها .

(٢) الجذم بكسر الجيم وفتحها : الأصل

(٣) يجب أن نفهم أنها إن صح الحديث شيطانة من الإنس كانت تحدع
الناس بحيلها ، فيظنون أن للعزى حياة وقدرة أو جنيا يتلبس بها

(٤) في القاموس : ربلوا يربلون - بكسر الباء أو ضمها في المضارع ،

كثروا أو كثرت أموالهم وأولادهم وفي الحشني : ربل الطفل يربل بضم الباء
في المضارع : شب وعظم ، والربل : ما اخضر من الشجر

(٥) عند الحشني : يهتز ويخضر

أعراب نعت النكرة المتقدم :

وقوله : وللكفار حامية سَعِير . نصب حاميةً على الحال من سَعِير ؛ لأن نعت النكرة إذا تقدم عايبها نصب على الحال ، وأنشد سيبويه في مثله :

لِيَّةٌ مُوحِشًا طَلَّلُ (١)

وأنشد أيضاً [لذي الرِّمَّة] :

وتحت العوالي والقفنا مُستَكِنَةً ظبيلاً أعرستها العيون الجاذرُ

(١) يرى ابن الحاجب في أماليه على أبيات المفصل أنه يجوز أن تكون كلمة موحشا حالا من الضمير في دلية ، لأن جعل الحال من المعرفة أولى من جعلها من النكرة متقدمة عليها ، لأن هذا هو الكثير الشائع ، وذلك قليل ، فكان أولى ، ويذهب ابن جنى في شرح الحماسة والزغشري في تفسير : وجعلنا فيها لجاجا سبلا ، والخبصي في شرحه لكافية ابن الحاجب يذهبون إلى أن موحشا حال من طلل ، لأنها وصف للنكرة ، وتقدمت عليها ، والكرماني يرى أن موحشا لا يجوز أن تكون حالا من طلل ؛ لأنها مبتدأ ، والحال لا تكون إلا من الفاعل أو المفعول ، والبيت هو :

لمية موحشا طلل يلوح كأنه خلل

والخلل - بكسر الخاء - جمع خلة وهي بطائن يغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره والبيت ينسب لكثير عزة كافعل سيبويه ص ٢٧٦ ج ١ الكتاب ، ومن يقول بهذا يرويه ولعزة موحشا ، لأن عزة اسم محبوبة كثير ، وقيل إن البيت لذي الرمة ، ومن يقول بهذا يرويه : دلية موحشا ، لأن مية اسم محبوبة ذي الرمة انظر ص ٣٤٤ ج ٢ ، ص ١٨٩ ج ٣ خزائن الأدب للبغدادى طبع السلفية وهناك آخر :

لمية موحشا طلل قديم عفاه كل أسحم مستديم

والعامل في هذا الحال: الاستقرار الذي يعمل في الظرف، ويتعاقب به حرف الجر، وهذا الحال على مذهب أبي الحسن الأخفش لا اعتراض فيها؛ لأنه يجعل النكرة التي بعدها مرتفعة بالظرف ارتفاع الناعل، وأما على مذهب سيديويه، فالمسئلة عسيرة جداً؛ لأنه يلزمه أن يجعلها حالاً من المضمَر في الاستقرار؛ لأنه معرفة، فذلك أولى من أن يكون حالاً من نكرة، فإن قدر الاستقرار آخر الكلام، وبعد المرفوع كان ذلك فاسداً؛ لتقدم الحال على العامل المعنوي. وللاحتجاج له وعليه موضع غير هذا.

من معاني سهرزبير:

فصل: وأنشد أيضاً يزيد: إلى الله أهدى مدحتي وثنائياً. وفيه: ألا أيها الإنسان إيَّاك والردي. تحذير من الردي؛ والردي هو الموت، فظاهر اللفظ متروك، وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت، ويبيده وبكشفه من جزاء الأعمال؛ ولذلك قال: فإنك لا تخفي من الله خافياً. وفيه:

وإني وإن سبحتُ باسمك رَبَّنَا لَا كَثِيرُ إِلَّا مَا غَفَرْتَ خَطَايَا

معنى البيت: إني لا أكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك رَبَّنَا إلا ما غفرت «وما» بعد الإزائدة، وإن سبحت: اعتراض بين اسم إن وخبرها، كما تقول: إني لا أكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك رَبَّنَا إلا والله يغفر لي لأفعل كذا، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة، أي: لا أعتد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي.

تفسير هنانيك :

وقوله : حَنَانِيكَ بلفظ التثنية ، قال النحويون : يريد حنانا بمد حنان ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار ، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد . قال المؤلف رحمه الله : ويجوز أن يريد حنانا في الدنيا ، وحنانا في الآخرة ، وإذا قيل هذا المخلوق نحو قول طَرْفَةَ :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَدْبِقِ بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فإنما يريد : حنانَ دَفْعٍ ، وحنانَ نَفْعٍ ؛ لأن كل من أمّل ماسكا ، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضيّرًا ، أو ليجلب إليه خيرا .

تريفة أدين :

وقوله : فلن أرى أدين إلها . أى : أدين لإله ، وحذف اللام وعدى الفعل ؛ لأنه في معنى : أعبد إلها .

مول اسم الله :

وقوله : غيرك الله برفع الماء ، أراد : يا الله ، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام ، إلا أن حكم الألف واللام في هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها في سائر الأسماء ، ألا ترى أنك تقول : يا أيها الرجل ، ولا ينادى اسم الله بيا أيها ، وتقطع همزته في النداء ، فنقول : يا الله ، ولا يكون ذلك في اسم غيره إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعروفة ، ولعل بعض

ذلك أن يُذكر فيما بعد - إن شاء الله - وقد استوفيناها في غير هذا الكتاب ،
وفيه بيت حسن لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره أبو الفرج (١) في أخبار
زيد وهو :

أدين إلهما يُستجار ، ولا أرى أدين لمن لم يسمع الدهر داعياً

حذف المناري مع بقاء الباء :

وفيه : قلت : ألا يا اذهب (٢) على حذف المنادى ، كأنه قال : ألا يا هذا
اذهب ، كما قرئ : ألا يا اسجدوا ، يريد : يا قوم اسجدوا ، وكما قال غيلان :

ألا يا أسامي يا دارمي على البلي (٣)

(١) في كتابه الأغاني .

(٢) الذي في السيرة : فقلت له : يا اذهب ، وفي بعض نسخها :
فقلت له : اذهب .

(٣) هو لذى الرمة ، غيلان بن عقبة من بني صعب بن مالك بن عبد مناة
ويكنى أبا الحارث . انظر ص ٧٤ ج ١ خزنة الأدب ، ففيها تفصيل الأسباب
التي من أجلها لقب غيلان بذى الرمة ، وفي الروض بعضها ، وبيت الشعر كما قال ، وبقية :
« ولا زال منها بجرعائك القطر ، ويرى الجوهرى في الصحاح أن قوله سبحانه :
« ألا يا اسجدوا ، بالتخفيف معناه : يا هؤلاء اسجدوا ، لحذف المنادى اكتفاء
بحرف النداء . وقال غيره : إن ياقى هذا الموضع إنما هي للتنبيه ، كأنه قال :
ألا اسجدوا ، فلما أدخلت عليه ياء التنبيه سقطت الألف التي في اسجدوا ، لأنها
ألف وصل ، وذهبت الألف التي في « يا » لاجتماع الساكنين ، لأنها
والسين ساكتان

(م ٢٤ - روض الألف ج ٢)

وفيه : اذهب و هارونُ ، عطفًا على الضمير في اذهب ، وهو قبيح إذا لم يؤكّد ، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيدًا .

تصريف الطمأنت وأشباه :

وقوله : اطمأنت كما هيا ، وزنه أفلَعَلَّتْ ، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف ، لأنه من تطأمن أى : تطأطأ ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل ، فتكون أخف عليهم في اللفظ كما فعلوا في أشياء . حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه فرارا من تقارب الهمزتين (١) . كما هيا . ما : زائدة اتكف الكاف عن العمل ، وتتهيأ للدخول على الجمل ، وهي : اسم مبتدأ ، والخبر محذوف ، التقدير : كما هي عليه ، والكاف في موضع نصب على الحال من المصدر الذي دل عليه ، اطمأن ، كما تقول : سرت مثل سير زيد ؛ فمثل حال من سيرك الذي سرته ، وفيه : أرفق إذا بك بانيا . أرفق تعجب ، وبك في موضع رفع لأن المعنى : رفقت ، و بانيا تمييز ، لأنه يصلح أن يجر بمن ، كما تقول : أحسن بزيد من رجل ، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب ؛ إذ قد

(١) وزن أشياء عند الأخفش : أفلاء . وعند غيره أفعال ، وعند سيبويه والخليل ، لفعاء ، ويقول الخليل : أشياء اسم للجمع ، كان أصله : فعلاء ، شيئا فاستثقلت الهمزتان ، فقلبوا الهمزة الأولى إلى أول الكلمة ، فجعلت لفعاء ، كما قلبوا أنوقا ، فقالوا : أيتقا ، وكما قلبوا ، قووسا : قسيا . وقول الخليل هو مذهب سيبويه والمازني ، وجميع البصريين إلا الزيادي منهم . أما الأخفش ، فيقول : أصل أشياء ، أشيئا على وزن أشيعاء ، فاجتمعت همزتان بينهما ألف . فحذفت الهمزة الأولى .

علم أنك متعجب منه ، وَلَبَسْتَ هَذَا الْمَعْنَى وَكَشَفَهُ مَوْضِعَ غَيْرِ هَذَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَبَعْدَ قَوْلِهِ :

وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لِيَالِيَا

بَيْتٌ لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَوَقَعَ فِي جَامِعِ ابْنِ وَهْبٍ وَهُوَ :

وَأَنْبَتَ يَفْطِينًا عَلَيْهِ بِرِحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ أَصْبَحَ ضَاحِيًا (١)

صَفِيَّةَ بِنْتَ الْحَضْرَمِيِّ :

وَذَكَرَ صَفِيَّةَ بِنْتَ الْحَضْرَمِيِّ ، وَاسْمُ الْحَضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِمَارٍ (٢) ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ نَسَبِهَا عِنْدَ ذِكْرِ أُخْيَاهَا بَعْدُ .

الرُّعْمُوسُ وَالْحَرَمُ فِي الشَّعْرِ :

وَقَوْلُهُ : دُعْمُوسُ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ . يُرِيدُ : وَلَا جَأَ فِي أَبْوَابِ الْمُلُوكِ ، وَأَصْلُ الدُّعْمُوسِ : سَمَكَةٌ صَغِيرَةٌ كَحَيَّةِ الْمَاءِ ، فَاسْتَعَارَهُ هُنَا ، وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : صَفَارُكُمْ دَعَامِيصُ (٣) الْجَنَّةِ ، وَكَمَا اسْتَعَارَتْ عَائِشَةُ الْعَصْفُورَ

(١) الْيَقْتِينُ : كُلُّ شَيْءٍ مَذْهَبٌ بِسَطَا فِي الْأَرْضِ ، وَمِنْهُ : الْقِرْعُ وَالْبَطِيخُ وَغَيْرُهُمَا . وَضَاحِيًا : عَارِيًا بَارِزًا لِلشَّمْسِ .

(٢) فِي السِّيرَةِ وَرَدَ اسْمُ الْحَضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَادٍ . وَيَقُولُ الْحَشْنِيُّ : وَالصَّوَابُ : عِمَادٌ لَا عَبَادَ . قَالَهُ ابْنُ الدَّبَائِغِ وَابْنُ أَبِي الْخِصَالِ وَغَيْرُهُمَا .

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ . وَقَدْ فَسَّرَ الْحَشْنِيُّ الدُّعْمُوسَ =

حين نظرت إلى طفل صغير قد مات ، فقالت : طَوَّبَى له عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل سوءاً ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك ؟ إن الله خلق الجنة ، وخلق لها أهلاً ، وخلق النار ، وخلق لها أهلاً » أخرجه مسلم ، وفي هذه الآيات خَرَمٌ في موضعين ، أحدهما قوله :

ولو أشياء لقلت ما عندي مَفَاتِحُهُ وبابه

والآخر قوله :

وإنما أخذ الهوانَ العَمِيرُ إذ يُوهى إهابه

وقد تقدم مثل هذا في شعر ابن الزُّبَيْرِ ، وتكلمنا عليه هناك بما فيه كفاية . وقوله : ويقول . إني لأذِلُّ أَى : يقول العَمِيرُ ذلك بِصَمَكُ جَنْبِيهِ صِلَابُهُ ، أى : صِلَاب ما يوضع عليه ، وأضافها إلى العَمِيرِ لأنها عِبْوَةٌ وحمله .

لغويات ومجربات :

وذكر قوله : البرِّأُ بنى لا الخلال (١) قال ابن هشام : البرِّأُ بنى : بالنصب ، والخلال : الخَلِيلُ ، والكَبِيرُ : وقوله : ليس مُهَجَّرٌ كمن قال ، أى : ليس من هَجَّرَ وتكيس ،

== بقوله : « درية نفوس في الماء مرة بعد مرة ، يشبهها الرجل الذي يكثر الدلوج في الأشياء ، فيعنى أنه يكثر الدخول على الملوك . »

(١) هو في الطبراني والبراز مع اختلاف يسير ، وفيه المسعودى ، وقد اختلط

كَمَنَّ آثر القائلة والنوم^(١)، فهو من : قال يَقِيلُ ؛ وهو ثلاثي ، ولكن لا يُتَعَجَّبُ منه . لا يقال : ما أَقِيلُه !! قال أهل النحو : استَغْنَوْا عنه : بما أَنوَمَه ، ولِذِكر السر^(٢) في امتناع التعجب من هذا الفعل موضع غير هذا . وقول زيد : إني مُحْرِمٌ لا حِلَّةَ . مُحْرِمٌ أي : ساكن بالحرم ، والحِلَّةُ : أهلُ الحِلِّ . يقال للواحد والجميع : حِلَّةٌ . ذكر لقاء زيد الراهبِ بِمِيقَعَةٍ هكذا تقيد في الأصل بكسر الميم من مِيقَعَةٍ^(٣) ، والقياس فيها : الفتح ؛ لأنه اسمٌ لموضع أخذ من اليَفَاعِ ، وهو المرتفع من الأرض . وقوله : شامَّ اليهودية والنصرانية ، هو فاعل من الشَّمَّ كما قال يزيد بن شيبان حين سأل النَّسَّابَةَ من قُضَاعَةَ ، ثم انصرف ، فقال له النَّسَّابَةُ : شاممتنا مشامة الذئب الغنم^(٤) ، ثم تنصرف . في حديث ذكره أبو عليّ

(١) تعبير الحشني في تفسيرها أبسط ، فقد قال : المهجر الذي يسير في الهاجرة أي : القائلة وقوله : كمن قال : يريد كمن استراح في القائلة ، ولم يسر ص ٧٤ .

(٢) في المطبوعة : السير .

(٣) في المراد : بفتح الميم وبالفاء المفتوحة : قريبة من أرض البلقاء من الشام ، وهي أيضاً في دار همدان باليمن .

(٤) الخبر في الأمامي لأبي علي القالي ص ٢٩٧ ط ٢٠٠٢ . وفيه أن يزيد سأل الشيخ : من الرجل ؟ ومن القوم ؟ فأرم القوم ينظرون إلى الشيخ هيبة له ، فقال الشيخ : رجل من مهرة - بفتح الميم وإسكان الهاء وفتح الراء - ابن حيدان - بفتح الحاء وسكون الياء - ابن عمرو بن الحاف بن قضاة ، فقلت - القائل يزيد - حياكم الله ، وانصرفت فقال الشيخ : قف أيها الرجل ، نسبتنا فانتسبنا لك ، ثم انصرفت . ولم تكلمنا .. أو شامتنا مشامة الذئب الغنم ، ثم انصرفت ، والخبر كله خبر أدبي لطيف .

في النوادر ، ومعناه : استخبر ، فاستعاره من الشم ، فنصب اليهودية والنصرانية
نصب المفعول ، ومن خفض جعل شام اسم فاعل من شمت ، والفعل أولى
بهذا الموضع ، كما تقدم ، وقول ورقة : رشدت وأنعمت ابن عمرو ، أي : رشدت
وبالغت في الرشد ، كما يقال : أمتعنت النظر وأنعمته ، وقوله : ولو كان تحت
الأرض سبعين واديا بالنصب . نصب سبعين على الحال ، لأنه قد يكون صفة
للشكرة ، كما قال : فلو كنت في جب ثمانين قامة (١) وما [يكون] صفة
للشكرة يكون حالا من المعرفة ، وهو هنا حال من البعد ، كأنه قال : ولو بعد
تحت الأرض سبعين . كما تقول : بعد طويلا ، أي : بعدا طويلا ، وإذا حذف
المصدر ، وأمت الصفة مقامه لم تكن لإحالا ، وقد تقدم قول سيبويه في ذلك
في مسألة : ساروا رؤو يدا ، ونحو هذا : داري خلف دارك فرسخا ، أي : تقرب
منها فرسخا إن أردت القرب ، وكذلك إن أردت البعد ، فالبعد والقرب
مقدّران بالفرسخ ، فلو قلت : داري تقرب منك قريبا مقدرا بفرسخ ، لكان
بمنزلة من يقول : قريبا كثيرا أو قليلا ، فالفرسخ موضوع موضع كثيرا أو قليل
فإعرابه كإعرابه ، وكذلك قول الشاعر :

لانجبوا فلو ان طول قناته ميل إذا نظم الفوارس ميلا

(١) الشعر للأعشى ، وهو كما في اللسان :

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم
وصف بالثمانين ، وإن كان اسما لأنه في معنى طويل . والبيت من شواهد

سيبويه .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

قال ابن إسحاق: وقد كان - فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم
فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، مما أثبت يُحْتَسُّ الحواريُّ لهم ، حين نَسَخَ لهم الإنجيلَ
عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله - صلى الله عليه وسلم إليهم أنه
قال : من أبغضني فقد أبغض الرب ، ولولا أني صنعت بمحضرتهم صنائع لم
يَصْنَعُها أحدٌ قبلي ، ما كانت لهم خطيئةٌ ، ولكن من الآن بَطِرُوا وَظَنُّوا
أهم -م يُعزُّونني ، وأيضا للرب ، ولكن لا بُدَّ من أن تم الكلمة التي
في التاموس : أنهم أبغضوني مجانا ، أي : باطلاً . فلو قد جاء المُنْحَمَّناً هذا الذي
يُرسله الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس هذا الذي من عند الرب خَرَجَ ،
فهو شهيدٌ علي وأنتم أيضا ؛ لأنكم قديما كنتم معي في هذا ، قلت لكم :
لكيما لا تشكوا .

والمُنْحَمَّناً بالشرىانية : محمد : وهو بالرومية : البَرَقَائِطس ، صل الله عليه
وآله وسلم .

أى : نظمهم نظماً مستطيلاً ، ووضع ميلاً موضع مُسْتَطِيلًا ، فأعراه
كإعراه ، فهو وَصَفٌ للمصدر ، وإذا أقيم الوصفُ مقام الموصوف في هذا
الباب لم يكن حالاً من الفاعل ، لكن من المصدر الذي يدل الفعلُ عليه بلفظه
نحو : ساروا طويلاً ، وسقيتها أحسن من سقى إبلك ، ونحو ذلك .

مخمس الحوارى :

فصل : وذكر يُخَمِّسُ الْخَوَارِئِ (١) وسيأتى فى آخر الكتاب ذكر الخَوَارِئِ كَلِّمَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ . وذكر قوله : أَبغضتوني مجَّاناً ، أى : باطلاً ، وكذلك جاء فى الحكمة : يابنَ آدمَ علمٌ مجَّاناً ، كما علمت مجَّاناً ، أى : بلا ثمن ، وفى وصايا الحكماء : شاوِزْ ذَوَى الأَسنانِ والعقولُ يُعطوكُ من رأيهم مجَّاناً

(١) هو يوحنا صاحب الإنجيل الرابع فى العهد الجديد . هذا وقد ورد ما قاله ابن هشام فى الإصحاح الخامس عشر والسادس عشر من إنجيل يوحنا ، وأذكره هنا — كما هو اليوم فى هذا الإنجيل — لنوازن ، ولنعرف تحريف الكلم ، عن مواضعه : « الذى يبغضنى يبغض أبى أيضاً ، لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية ، وأما الآن ، فقد رأوا ، وأبغضونى . أنا وأبى ، لكن لىكى تم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم لأنهم أبغضونى بلا سبب . ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا لىسكن من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً ، لأنكم معى من الابتداء . . . قد كلمتكم بهذا الكيلا تعثروا ، وأنقل ما ورد بعد هذا من نفس الإنجيل ، وفى نفس الغرض من الإصحاح رقم ١٦ . « أقول لكم الحق : لأنه خير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتىكم المعزى « فى نسخة : الفارقليط ، ولكن إن ذهب أرسله لىلكم ، ومتى جاء ذاك يبكى العالم على خطية ، وعلى بر ، وعلى دينونة . . إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحملوا الآن ، وأمامتى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم لى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع ، يتكلم به ، ويخبركم بأمر آتية ، وهذه البشارة تنطبق تماماً على محمد صلى الله عليه وسلم . وهناك كثير من البشارات التى وردت فى العهد القديم والعهد الجديد . وقد حرف المفرضون ترجمة كلمة الفارقليط لىكيلا تنطبق البشارات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وحسبنا هذا . .

ما أخذوه بالثمن ، أى بطول التجارب ، ومن صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول الله سبحانه : أنت عبدي ورسولي (١) سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ ، لَيْسَ بِقَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَّابٍ (٢) فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوَاجِلَةَ ، فَيَفْتَحَ بِهِ عَيْونَنَا عُمَيَّا ، وَأَذَانَنَا نُصْمًا ، وَقُلُوبَنَا غُلْفًا ؛ بَأَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

مس صفات النبي عند الأخبار

ومما وجد من صفته - صلى الله عليه وسلم - عند الأخبار ما ذكره الواقدي من حديث النعمان التيمي . قال : وكان من أخبار يهود باليمن ، فلما سمع بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - قدم عليه ، فسأله عن أشياء ، ثم قال : إن أبى كان يختم على سفر ، ويقول : [لا تقرأه] على يهود (٣) حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب ، فإذا سمعت به فافتحه . قال نعمان : فلما سمعت بك فتحت السفر ، فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة ، وإذا فيه : ما تحل وما تحرم ، وإذا فيه : إنك خير الأنبياء وأمتك خير الأمم ، واسمك : أحمد ، وأمتك الحامدون . قرأ بهم : دماؤهم ، وأناجيلهم : صدورهم ، وهم لا يحضرون قتالاً

(١) جاء قبله : « لأنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن . (بأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزا للأمين ، .

(٢) في رواية : سخاب أو سخوب .

(٣) أصل العبارة في الروض : « على سفر يقول . على يهود ، والتصويب .

من السيرة الحلبية ص ٢٥٠ - ١ .

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الطلبي قال : فلما بلغ محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خلفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ : أَأَقْرَضُكُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ : أي نَقَلَ مَا حَمَلْتُمْ مِنْ عَهْدِي : ﴿ قَالُوا أَأَقْرَضْنَا ، قَالَ : فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ آل عمران : ٨١ ، فأخذ

إلا وجبريل معهم ، يتحزن الله عليهم كتحزن البشر على فراخه ، ثم قال لي : إذا سمعت به فاخرج إليه ، وآمن به ، وصدق به ، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يجب أن يسمع أصحابه حديثه ، فأتاه يوماً ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم : يا نعمان حدثنا ، فابتدأ النعمان الحديث من أوله ، فرؤي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ يتبسّم ، ثم قال : أشهد أني رسول الله ، وهو الذي قتله الأسود العنسي ، وقطعه عضوا عضوا ، وهو يقول : إن محمداً رسول الله ، وإنك كذاب مُفْتَرٍ على الله ، ثم حرّقه بالنار .

الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدوا ذلك إلى
من آمن بهم ، وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

قال ابن إسحاق : فذكر الزهري عن عروة بن الزبير ، عن عائشة
رضي الله عنها أنها حدثته : أن أول ما بدىء به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به : الرؤيا
الصادقة ، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت
كفلق الصبح . قالت : وحبب الله تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شيء
أحب إليه من أن يخلو وحده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان
ابن العلاء ابن جارية الثقفي ، وكان واعية ، عن بعض أهل العلم :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله بكرامته ، وابتدأه
بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسّر عنه البيوت ، ويُفِضِي إلى شعاب
مكة وبطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر ،
إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : فيلقت رسول الله صلى الله
عليه وسلم حوله ، وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة .
فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن
يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء في
شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، مولى آل الزبير .

قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ الزُّبير وهو يقول لعُبَيْدِ بنِ مُعَمَّرِ بنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيِّ :
حدِّثْنَا يَا عُبَيْدُ ، كيفَ كانَ بدءُهُ ما ابتَدَى بِهِ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
النَّبُوَّةِ ، حينَ جاءَهُ جَبْريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ قال : فقالَ عُبَيْدٌ - وأنا حاضِرٌ -
يُحَدِّثُ عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبيرِ ، وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ : كانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجاوِرُ في حِراءَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ شَهْرًا ، وكانَ ذلكَ ما تَحَدَّثُ بِهِ قَرِيشٌ
في الجاهلية . والتَّحَدَّثُ : التَّبَرُّرُ .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وَنَوَّرِ وَمَنْ أَرَسَى نَبِيرًا مَكَانَهُ وراقٍ لَبْرُقِي فِي حِراءَ وَنازِلِ

قال ابن هشام : تقول العرب : التَحَدَّثُ والتَّحَدَّثُ ، يريدون الحَنيفِيَّةَ
فَيُبَدِّلُونَ الفَاءَ مِنَ الثَّاءِ ، كما قالوا : جَدَفٌ وَجَدَّتْ ، يريدون القبر . قال رؤبة .
ابن العجاج :

لو كان أحجارى مع الأجداف

يريد : الأجداث : وهذا البيت في أرجوزة له . وبيت أبي طالب في قصيدة
له ، سأذكرها إن شاء الله في موضعها .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول : فُمٌّ ، في موضع : فُمٌّ ،
يبدلون الفاء من الثاء .

قال ابن إسحاق : حدثني وهب بن كيسان قال : قال عبيد [بن عمير] :

• • • • •

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجاور ذلك الشهر من كل سنة، يُطعم
مَنْ جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره، من
شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - السكبة، قبل أن
يدخل بيته، فيطوف بها سبعة، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته،
حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته، من السنة
التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك، الشهر: شهر رمضان، خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى جِراء، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي
أكرمها الله فيها برسائته ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله
تعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فجاءني جبريل، وأنا نائم،
بمنط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال ففتني به،
حتى ظننت أنه الموت، ثم أرساني، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: ففتني
به، حتى ظننت أنه الموت. ثم أرساني، فقال: اقرأ، قال: قلت: ماذا
أقرأ؟ قال: ففتني به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرساني، فقال: اقرأ،
قال: فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمنل
ما صنع بي، فقال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق»
اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم» قال:
فقرأتها، ثم انتهى، فانصرف عني، وهبت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي
كتابا. قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من
السماء يقول يا محمد أنت رسول الله، وأنا جبريل قال: فرفعت رأسي إلى
السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول:

• • • • •

يا محمد، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فرقت أنظر إليه فما أتقدم .
وما تأخرُ ، وجعلت أضرف وجهي عنه في آفاق السماء ، قال : فلا أنظر في
ناحية منها إلا رأيتُه كذلك ، فمازلتُ واقفا ما أتقدم أمامي ، وما أرجع ورأني ،
حتى بعثتُ خديجهُ رُسَلَهَا في طلي ، فبلغوا أعلى مسكة ، ورجعوا إليها ، وأنا
واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

وانصرفتُ راجعا إلى أهلي ، حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى نغذها مُضيفا إليها ،
فقلت : يا أبا القاسم ، أين كنتَ ؟ فوالله لقد بعثتُ رُسلي في طلبك ، حتى بلغوا
مكة ورجعوا لي ، ثم حدثتها بالذي رأيتُ ، فقالت : أبشر يا بن عمِّ وائتبتُ
فو الذي نفسُ خديجةَ بيده إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن
عبد العزى بن قصى ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصّر ، وقرأ الكتب ،
وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم ، أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قُدوس قُدوس ، والذي
نفس ورقةَ بيده ، لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموسُ الأكبرُ
الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة ، فقولى له : فليثبت . فرجعت
خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جوارَه وانصرف ، صنع كما كان يصنع بدأ
بالكعبة ، فطاف بها ، فنقيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال :
يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال له ورقة : والذي نفسى بيده ، إنك لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ

الأكبرُ الذي جاء موسى ، ولتُكذِّبَنَّه ولتُؤذِبنَّه ، ولتُخزِجنَّه ، ولتُفكَّنَّه .
ولئن أنا أدركتُ ذلك اليومَ لأنصُرَنَّ الله نصرًا يملئه ، ثم أدنى رأسه منه ،
فقبَّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله .

قال ابن إسحاق : وحدثني إسماعيل بن أبي حَكِيم مولى آل الزبير : أنه
حدَّث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
أى ابن عمِّ ، أستطيع أن تُخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم .
قالت : فإذا جاءك فأخبرني به . فجاءه جبريلُ عليه السلام ، كما كان يصنع ، فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : يا خديجة ، هذا جبريلُ قد جاءني ، قالت :
قم يا ابن عمِّ فاجلس على فخذي اليسرى ، قال : فقام رسول - الله صلى الله عليه
وسلم - فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول ،
فاجلس على فخذي اليميني ، قالت : فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فجلس على فخذي اليميني ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول
فاجلس في حجرى ، قالت : فتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس
في حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قال : فتجسَّرت وألقت حمارها -
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها - ، ثم قالت له : هل تراه ؟
قال : لا ، قالت يا ابن عمِّ ، اثبتْ وأبشِّر ، فوالله إنَّه لملكٌ وما هذا بشيطان .

قال ابن إسحاق : وقد حدثتُ عبدَ الله بن حسن هذا الحديث ، فقال : قد
سمعتُ أمى فاطمة بنت حُسين تحدِّث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها
تقول : أدخلتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها ، فذهب عند

ذلك جبريلُ ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا كَمَلَكٌ ،
وما هو بشيطان .

كتاب المبعث

منى بعث رسول الله ؟ :

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام (١) ، وهذا مروى عن ابن عباس ، وجبر بن مطعم وقبائث بن أشيم ، وعطاء وسعيد بن المسيب ، وأنس بن مالك . وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر ، وقد روى أنه نبي لأربعين وشهرين من مولده ، وقيل لقبائث بن أشيم : من أكبر ، أنت أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسول الله أكبر منى ، وأنا أسنُّ منه ، وولد رسول

(١) اضطربت الأقوال حول سنة صلى الله عليه وسلم حين بعث . فبعض يقول : إنه بعث بعد اثنتين وأربعين سنة ، وهو مروى عن مكحول . وآخرون يقولون : وهو ابن ثلاث وأربعين ، وهو رأى الواقدي وابن عاصم والدولابي . وما ذكره ابن حجر في الفتح : حديث ابن عباس : فكث بمكة ثلاث عشرة أصح مما عند أحمد من وجه آخر عنه : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ثلاث وأربعين ، فكث بمكة عشرا ، وأصح مما أخرجه مسلم من وجه آخر عنه : أقام بمكة خمس عشرة سنة .

وبعثه في رمضان هو المشهور عند الجمهور . وفي الفتح أيضاً : فعلى الصحيح المشهور أن مولده في ربيع الأول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر ، وفي حديث رواه الشيخان والترمذي أنه بعث لأربعين سنة ، ومكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه .

الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفيل ، ووقفت بي أمي على روثِ الفيل
ويُرْوَى: خَزَقِ الطير، فرأيته أَخْضَرَ مُجِيلاً ، أي: قد أتى عليه حَوْلٌ ، وفي غير
رواية البَكَّائِي من هذا الكتاب أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
قال لبلال: لا يَفْتُكَ صِيَامُ يَوْمِ الاثْنَيْنِ ؛ فَإِنِّي قَدْ وُلِدْتُ فِيهِ ، وَبُعِثْتُ فِيهِ ،
وَأَمُوتُ فِيهِ (١) .

إِعْرَابُ لَمَّا آتَيْنَكُم :

وذَكَرَ ابنُ إِسْحَاقَ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ
لَمَّا آتَيْنَكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ » (٢) الْآيَةَ . وَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ : اسْمٌ مُّبْتَدَأُ (٣)
بِمَعْنَى : الَّذِي ، وَالتَّقْدِيرُ : لِلَّذِي آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ
تَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ ، كَمَا يَنْتَصِبُ مَا يَشْتَفِلُ عَنْهُ الْفِعْلُ

(١) فِي مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَأَلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ
الْاِثْنَيْنِ ، فَقَالَ : « ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ ، وَأُنزِلَ عَلَيَّ فِيهِ ، أَحْمَدٌ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو
دَاوُدَ . وَزِيَادَةُ : « وَأَمُوتُ فِيهِ ، لَا تَتَّفِقُ وَهَدَى الْقُرْآنُ ، فَالْبَشَرُ لَا يَعْرِفُونَ :
مَتَى يَمُوتُونَ حَتَّى النَّبِيُّونَ .

(٢) يَقُولُ طَاوُوسٌ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَقَتَادَةُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ : « أَخَذَ اللَّهُ
مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ أَنْ يَصْدُقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ حَقٌّ . وَتَسْكِينُ كَلِمَةِ رَسُولٍ
فِي الْآيَةِ يُؤَيِّدُهُ .

(٣) يَقُولُ الْعَسْكَرِيُّ فِي إِعْرَابِهَا : « فِيهَا وَجْهَانٌ . أَحَدُهُمَا أَنْ مَا بِمَعْنَى الَّذِي
وَمَوْضِعُهَا رَفْعٌ بِالْاِبْتِدَاءِ ، وَاللَّامُ : لَامُ الْاِبْتِدَاءِ دَخَلَتْ لِتَوْكِيدِ مَعْنَى التَّقْسِمِ ، وَفِي
الْخَبَرِ وَجْهَانٌ . أَحَدُهُمَا : مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ . أَيْ الَّذِي أَوْ يَتَشَمَّوهُ مِنَ الْكِتَابِ .
وَالثَّانِي : الخَبَرُ : لِتَوْمُنِ بِهِ وَالْهَاءُ عَائِدَةٌ عَلَى الْمُبْتَدَأِ . وَاللَّامُ
(م ٢٥ — الرُّوضُ الْأَنْفُ ج ٢)

بضميره ، لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها ، ومالا يجوز أن يعمل فيه ما قبله ، فلا يجوز أن يكون تفسيراً لما يعمل فيه ، وقد قيل : إن ماهذه شرط . والتقدير : لهما آيتتكم من كتاب وحكمة لتؤمننَّ به ، وهو ظاهر قول سيبويه ، لأنه جعلها بمنزلة : إن ، وقول الخليل : إنها بمنزلة الذي ، أى : إنها اسم لا حرف ، ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا ، فتكون اسماً ، وتكون شرطاً ، ويحتمل أيضاً أن تكون على قول الخليل : خبرية في موضع رفع بالابتداء ، ويكون الخبر : لتؤمننَّ به ولتنصرنَّه ، وإن كان الضميران عائدتين على الرسول ، لا على الذى ، ولكن لما قال : رسول مُصَدِّقٌ لما معكم ، ارتبط الكلام بعضه ببعض ، واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود

==جواب القسم ، لأن أخذ الميثاق قسم فى المعنى ، فأما قوله : ثم جاءكم ، فهو معطوف على : ما آتيتكم ، والعائد على دماء من هذا المعطوف فيه وجهاً . أحدهما : تقديره : ثم جاءكم به ، واستغنى عن إظهاره بقوله : به فيما بعد . والثانى : أن قوله : لما معكم فى موضع الضمير ، تقديره : صدق له ؛ لأن الذى معهم هو الذى آتاهم ويجوز أن يكون العائد ضمير الاستقرار العامل فى مع ، ويجوز أن تكون الهاء فى : به ، تعود على الرسول ، والعائد على المبتدأ : محذوف ، وسوغ ذلك طول الكلام ، وأن تصديق الرسول تصديق للذى أوتيه ، والقول الثانى : أن ما : شرط واللام قبله ، لتلقى القسم كالتى فى قوله : اتن لم ينته المنافقون ، وليست لازمة بدليل قوله : وإن لم ينتهوا عما يقولون ، فعلى هذا تكون دماء فى موضع نصب بآيتتكم والمفعول الثانى : ضمير المخاطب ، ودم من كتاب ، مثل دمن آية ، فى قوله : ما ننسخ من آية ، وباقى الكلام على هذا الوجه ظاهر ، ثم ذكر وجه إعرابها إذا قرئت بفتح اللام وتشديد الميم ، كما ذكر قبل وجه إعرابها إذا قرئت بكسر اللام وتخفيف الميم ص ٨٣١ لأملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى .

على المبتدأ ، وله نظير في التنزيل منه قوله تعالى : (والذين يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ)
البقرة : ٢٣٤ خبره : يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِنَا ، ولم يعد على المبتدأ شيء ، لِنَسْبُتِ
الكلام بعبءه ببعض ، وقد لاح لي بعد نظري الكتاب أن الذي قاله الخليل
وقول سيبويه قول واحد ، غير أنه قال : ودخول اللام على ما ، كدخولها على
إن ، يعني : في الجزاء ، ولم يرد أن يعمل ما جزاء ، وإنما تكلم على اللام خاصة
والله أعلم .

النُبوءة وأولو العزم :

وذَكَرَ قول ابن إسحق : والنُّبوءة أنقال وموئنة لا يحملها ولا يستطيعها
إلا أهل القوة والعزم من الرسل ، ووقع في رواية يونس عن ابن إسحق في
هذا الموضع عن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن مُنَبِّه وهو
في مسجد مني - وذَكَرَ له يونسُ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : كان عبداً
صالحاً ، وكان في خَلْمَتِهِ ضيق ، فلما حَمَلَتْ عليه أنقالُ النُّبوءة ، ولها أنقالُ تَفْسِخَ
تحتها تَفْسِخُ الرُّبْعِ تحت الحِمْلِ الثَقِيلِ (١) ، فألقاها عنه وخرج هاربا ، وفي رواية
عن ابن إسحق : إن أولى العزم من الرسل منهم : نوحٌ وهودٌ وإبراهيمُ أما
نوحٌ فلقوله : (يَا قَوْمِ إِنَّ كَيْدَ كُفْرٍ عَلَيْكُمْ فَاسْمِعُوا أُنْيَ بَرِيٍّ مِمَّا تُشْرِكُونَ) هود : ٥٥
وأما هودٌ فلقوله : (إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تُشْرِكُونَ) هود : ٥٥
وأما إبراهيم ، فلقوله هو والذين معه : (إِنَّا بُرَّاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

(١) الرُّبْعُ بضم الراء وفتح الباء : الفصيل ، ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج
والمقصود : ضعف وعجز .

الله) وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء (١).

أول ما بدرى به النبي صلى الله عليه وسلم من النبوة :

(فصل) وذكر ابن إسحاق : ما بدرى به النبي — صلى الله عليه وسلم — من النبوة، إذ كان لا يمر بحجر، ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله (٢)، وفي مصنف الترمذى ومسلم أيضاً أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال: إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ قبل أن يُنزل علىّ، وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذى كان يُسلم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم: الأظهر فيه أن يكون حقيقة، وأن يكون الله أنطقه إنطاقا كما خلق الخنيزق فى الجذع (٣)، ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف: الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات، والصوت: عرض فى قول

(١) من أشهر الأقوال عن أولى العزم أنهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، ودليلهم أن الله نص على أسمائهم فى الأحزاب فقال: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم، ومنك، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) الأحزاب: ٧ كما نص عليهم فى سورة الشورى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك، وما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، الشورى: ١٣. وقيل إنهم جميع الرسل، وتكون من لبيان الجنس.

(٢) فى الترمذى والدارمى قال على: كنت مع النبي د ص، بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله، وروى مثله الطبرانى فى الأوسط، وفيه مجهول.

(٣) ورد حنين الجذع فى حديث رواه البخارى والنسائى والترمذى.

الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النَّظَام ، فإنه زعم أنه جِسْمٌ ، وجمله الأشعريُّ
اصْطِكَاكَافِي الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت
نفسَ الاصطكك ، ولكنه معنى زائد عليه ، وللاحتجاج على القولين ولهما
موضع غير هذا ، ولو قَدَّرت الكلام صفةً قائمة بنفس الحجر والشجر ،
والصوت عبارة عنه ، لم يكن بُدِثَ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ،
والله أعلم : أى ذلك كان ، أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم ، فيكون
الحجر به مؤمنا ، أو كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة ، وفى كلا الوجهين
هو عَلمٌ من أعلام النبوة (١) ، وأما حَنِينِ الجِدْعِ فقد سمي حنينا ، وحقيقة
الحَنِينِ يقتضى شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليمُ الحجارة أن يكون مضافا
في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، يَقْمُرُونَهَا ، فيكون
مجازا من قوله تعالى : (واشْتَلِ القَرِيَةَ) (٢) والأول أظهر ، وإن كانت كل صورة
من هذه الصور التي ذكرناها فيها عَلمٌ على نبوته — عليه السلام — غير
أنه لا يسمى معجزة (٣) في اصطلاح المتكلمين إلا ما تَحَدَّى به الخلق ،
فَعَجَزُوا عن معارضته .

- (١) ليس لاحد أن يتكلم عن حقيقة مثل هذا ، فانه وحده هو أعلم بالحقيقة .
(٢) القرية — كما يقول الراغب في مفرداته — اسم للوضع الذي يجتمع فيه
الناس ، وللناس جميعا . وبهذا لا يكون في الآية مجاز كما هو المشهور .
(٣) يجب أن نسميها بما سمي الله ، وهي : آية ، وبهذا تتجاوز الكلمة مع سكينه
القلب والفكر وتقديسها ، ونخلصها بما دار حول المعجزة من جدال ، واضطرم من
شحناء وموازنات بينها وبين السحر والكرامة . والله سبحانه يسمي ما أعطاه
لرسل آيات ، لامعجزات فلنقف عند هذا .

مدلول نفعل :

وذكر حديث عبيد بن عمير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجاور بفارجرء (١) ويتحنث فيه، قال : والتحنث : التبرر . تفعل من البر ، وتفعل : يقتضى الدخول فى الفعل ، وهو الأكثر فيها مثل : تنمّه وتعبّد وتذسك وقد جاءت فى ألفاظ بسيرة تعطى الخروج عن الشيء ، وأطراحه ، كالتأثم والتحرّج . والتحنث بالباء المثلثة (٢) ، لأنه من الحنث ، وهو الحمل التّميل ، وكذلك

(١) جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذهاب إلى منى ، ويقصر ويمد
(٢) فى كتاب الأضداد للصغاني : تحنث إذا أتى الحنث ، وإذا تجنبه ، ومثله فى كتاب الأضداد لابن بكر الأنبارى ، وفيه : تحوب الرجل إذا تجنب الحوب ، وهو الإثم العظيم ، ولا يستعمل تحوب فى المعنى الآخر . وقال بعض أهل اللغة . تصدق الرجل إذا أعطى ، وتصدق إذا سأل ، ص ١٤٥ ، ١٥٤ الأضداد ط ١٣٢٥ هـ لمحمد ابن القاسم بن بشار الأنبارى أبى بكر . ويقول الحشنى عن رأى ابن هشام فى التحنث وأنه التحنث : فالجيد فيه أن يكون فيه التحنث هو الخروج من الحنث أى : الإثم ، كما يكون التأثم الخروج عن الإثم ، لأن تفعل قد تستعمل فى الخروج عن الشيء ، وفى الانسلاخ عنه ، ولا يحتاج فيه إلى الإبدال الذى ذكره ابن هشام ، ص ٧٥ : هذا ولصيفة تفعل معان مذكورة فى مصادر هافانظرها مثل ج ١ ص ١٤٠ الشافية للرضى . وفى الصحيحين أنه جاور بحراء شهراً . وذكر ابن إسحاق أنه شهر رمضان . وليس هنالك نص صريح أو صحيح يبين لنا كيف كان يتحنث . وأذكر هنا بقول الله سبحانه عما كان عليه محمد قول البعثة : وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، وقوله : ووجدك ضالاً فهدى ، فهى إذا كانت عزلة عن مجتمع جاهلى عربدت فيه الخطيئة . والمنهوم من كلام ابن هشام أن هذا التحنث أمر كانت تأتبه قريش فى جاهليتها .

التَّقْدَرُ، إنه هو تَبَاعُدٌ عَنِ الْقَدْرِ، وأما التَّحْتَفُ بالفاء، فهو من باب التَّبَرُّر؛ لأنه من الحَنِيفِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنْ كَانَ الْفَاءُ مُبَدَّلَةً مِنَ النَّاءِ، فهو من باب التَّقْدَرُ والتَّحْتَفُ، وهو قول ابن هِشَامٍ، واحتجَّ بِجَدَفٍ وَجَدَثٍ، وَأَنشَدَ قَوْلَ رُوَيْبَةَ: لَوْ كَانَ أَحْجَارِيَّ مَعَ الْأَجْدَافِ، وَفِي بَيْتِ رُوَيْبَةَ هَذَا شَاهِدٌ وَرَدٌّ عَلَى ابْنِ جَنِّي حَيْثُ زَعَمَ فِي سِرِّ الصَّنَاعَةِ أَنَّ جَدَفَ الْفَاءِ لَا يَجْمَعُ عَلَى أَجْدَافٍ، وَاحْتَجَّ بِهَذَا لِمَذْهَبِهِ فِي أَنَّ النَّاءَ هِيَ الْأَصْلُ، وَقَوْلَ رُوَيْبَةَ (١) رَدٌّ عَلَيْهِ، وَالَّذِي نَذَبَ إِلَيْهِ أَنَّ الْفَاءَ هِيَ الْأَصْلُ فِي هَذَا الْحَرْفِ، لِأَنَّهُ مِنَ الْجَدَفِ وَهُوَ الْقَطْعُ، وَمِنْهُ جِدَافُ السَّفِينَةِ، وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ فِي وَصْفِ الْجَنِّ: شَرِبَهُمُ الْجَدَفُ وَهِيَ الرَّغْوَةُ، لِأَنَّهَا تُجَدَفُ مِنَ الْمَاءِ، وَقِيلَ: هِيَ نَبَاتٌ يَقْطَعُ وَيُؤْكَلُ. وَقِيلَ: كُلُّ إِنَاءٍ كَشَفَ عَنْهُ غَطَاؤَهُ: جَدَفْتُ، وَالْجَدَفُ: الْقَمْرُ مِنْ هَذَا، فَهِيَ مَادَّةٌ وَأَصْلٌ فِي الْأَشْتِقَاقِ، فَأَجْدِرُ بَأَنَّ تَسْكُونَ الْفَاءَ هِيَ الْأَصْلُ وَالنَّاءُ دَاخِلَةٌ عَلَيْهَا. (٢)

حول مجاورته في حراء:

وقوله: يُجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ. الجوار بالكسر في معنى المجاورة

(١) هو جزء من بيت من أرجوزة يعاتب بها رُوَيْبَةَ أَبَاهُ الْعِجَاجُ. وقوله. لا تَمَجِّلَنَّ الحَتَفَ ذَا الإِتْلَافِ وَالذَّهْرُ إِنْ الذَّهْرُ ذُو اذْدِلَافِ بِالْمِرَّةِ ذُو عَصْفٍ وَذُو انصِرَافٍ لَوْ كَانَ أَحْجَارِيَّ مَعَ الْأَجْدَافِ تَعَفَوْ عَلَى مُجْرَثُومَةِ الْعَوَافِي تَضَرَّبَهَا الْأَمْطَارُ وَالسَّوَافِي انظر ص ١٠٠ من ديوان رُوَيْبَةَ ط لَيْبَسِيَّةِ بِبَرْلِينِ

(٢) الجدَفُ بِالذَّالِ وَالذَّالُ: الْقَبْرِ، وَكَذَلِكَ الْجَدَثُ. وَفِي الْقَامُوسِ عَنِ الْجَدَفِ أَنَّهُ نَبَاتٌ بِاللَّيْنِ يَعْنِي آكَلَهُ عَنِ شَرْبِ الْمَاءِ عَلَيْهِ. وَهُوَ أَيْضًا مَارِيٌّ بِهِ التُّرَابُ مِنْ زَيْدٍ أَوْ قَدَى. وَكُلُّ مَا هُوَ بِالذَّالِ مِنْ هَذَا يُقَالُ بِالذَّالِ أَيْضًا.

وهي الاعتكاف ، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد ، والجوار قد يكون خارج المسجد . كذلك قال ابن عبد البر ، ولذلك لم يُسمَّ جواره بِجِراءِ اعتكافاً ، لأن حِراءَ ليس من المسجد ، واسكنه من جبال الحرم ، وهو الجبل الذي نادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قال له تَبِيرُ وهو على ظهره : اهبط عني ؛ فإني أخاف أن تُقتل على ظهري فأعذب ، فناداه حِراءَ : إني إلى إني يارسول الله (١) .

كيفية الوحي :

فصل : وذكر نزول جبريل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : في الحديث : فأتاني وأنا نائم ، وقال في آخره : فهبيت من نومي ، فكأنا كتبت . في قلبي كتاباً ، وليس ذكرُ النوم في حديث عائشة ولا غيرها ، بل في حديث عروة ، عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ ، كان في اليقظة ؛ لأنها قالت في أول الحديث : أول ما أبدى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حَبَّبَ الله إليه الخلاء - إلى قولها - حتى جاءه الحق ، وهو بفار حراء ، فجاءه جبريل . فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي - عليه السلام - بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة تَوْطئةً وتيسيراً عليه .

(١) حديث يروى في السير ، وذكره عياض في الشفاء بلا سند فهي أسطورة .

ورفقاً به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعبئوها ثقيل ، والبشر ضعيف ، وسيأتي في حديث الإسرائء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا وبصحة ، قد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكل به - إسرافيل ، فكان يترأى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشئ (١) ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي ، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه - صلى الله عليه وسلم - في أحوال مختلفة ، فمنها : النوم كافي حديث ابن إسحاق ، وكما قالت عائشة أيضاً : أول ما بدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : الرؤيا الصادقة (٢) وقد قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ فقال له ابنه : ﴿ افعل ما تؤمر ﴾ الصافات : ١٠٢ ، فدل على أن الوحي كان يأتيهم في المنام ، كما يأتيهم في اليقظة .

ومنها : أن يُنفث في رُوعه الكلام نفثاً ، كما قال عليه السلام : إن رُوح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل أجلها ورزقها ،

(١) هذا مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

(٢) ورد هذا في حديث - رواه الشيخان والترمذي . وقد روى البخاري حديث الوحي في كتاب التعبير من صحيحه وفي التفسير ، وفي بدء الوحي ، واختار ما في التعبير ، لأن سياقه فيه أتم . وفي زاد المعاد أنه قيل : إن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر ويقول النووي عن حديث الرؤيا الذي روته عائشة : إنه من مراسيل الصحابة ؛ لأن عائشة لم تدرك هذه القصة ، فتكون سمعتها من النبي - صلى الله عليه وسلم - أو من صحابه . ص ٥٨١ ج ٨ فتح الباري .

فأتقوا الله وأجملوا في الطلب^(١). وقال مجاهد، وأكثر المفسرين في قوله سبحانه: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ الشورى: ٥١. قال هو أن ينفث في رُوعه بالوحي.

ومنها: أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس^(٢)، وهو أشده عليه، وقيل: إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة، فيكون أوعى لما يسمع، وألقن لما يلقى.

ومنها: أن يتمثل له الملكُ رجلاً، فقد كان يأتيه في صورة دحية^(٣) بن

(١) أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة، وعلم عليه السيوطي بأنه ضعيف، ورواه بتامه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود، وابن ماجه عن جابر، والطبراني من حديث أبي أمامة. والروع بضم الراء: النفس والقلب والذهن والعقل.

(٢) ورد هذا في حديث متفق عليه.

(٣) دحية بكسر الدال وقد تفتح - بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد ابن امرئ القيس بن الحزرج، أول مشاهده الخندق. نزلده شق وسكن المزة، وعاش إلى خلافة معاوية. وذكر مقاتل أن التجارة التي سياتى ذكرها كانت لدحية قبل إسلامه. وكان معها طبل، كما ورد في كتاب المراسيل في حديث رواه أبو داود. هذا وقد نزل جبريل على الرسول ص، بصورة رجل غير دحية، كما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين، وذلك حين جاءه جبريل يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان. وفي آخر الحديث. هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم. وقد وصف جبريل في صورته هذه - كما جاء في مسلم - بأنه رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فلو أنه كان في صورة دحية لعرفوه.

خليفة ، ويُروى أن دحية إذا قدم المدينة لم تبق مُعَصِرٌ^(١) إلا أخرجت تنظر إليه لفرط جماله . وقال ابن سلام في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ﴾ الجمعة : ١١ . قال : كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله .

ومنها : أن يترأى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها ، له سمانه جناح ، ينتشر منها الألوؤ والياقوت .

ومنها : أن يكلمه الله من وراء حجابٍ : إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء ، وإما في النوم ، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي ، قال : أتاني ربي في أحسن صورة ، فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى ، فقلت : لا أدري . فوضع كفه بين كتفي ، فوجدت بردها بين مُنْدُونِي^(٢) وتجلي لي علم كل شيء ، وقال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى ، فقلت : في الكفارات ، فقال : وما هن ؟ فقلت : الوضوء عند الكفريات ، ونقل الأقدام إلى الحسنات ، وانتظار الصلوات بعد الصلوات ، فمن فعل ذلك عاش حميداً ، ومات حميداً ، وكان من ذنبه كمن ولدته أمه ، وذكر الحديث^(٣) . فهذه ستة أحوال ، وحالة سابعة قد قدمنا ذكرها ، وهي

(١) المرأة بلغت شبابها وأدركت .

(٢) ثندوة بضم فسكون ، فضم فواو مفتوحة فتاء ، وقد تفتح التاء : لحة الثدي أو أصله .

(٣) أحمد وعبد الرازق والترمذي والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً ، وابن مردويه والطبراني من حديث معاذ ، وقال البيهقي في الاسماء والصفات : وهذا حديث مختلف في إسناده . ثم ذكر طرقه ، وقال : وكلها ضعيف ، وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله - وهي منقطعة - ثم رواية موسى بن خلف =

نزول إسرائيل عليه بكلمات من الوحي قبل جبريل^(١) فهذه سبع صور في كيفية نزول الوحي على محمد - صلى الله عليه وسلم - لم أر أحداً جمعها كهذا الجمع ، وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غنمية ، وقد أملينا أيضاً في حقيقة رؤيته عليه السلام ربّه في المنام على أحسن صورة ، ويروى : على صورة شاب مسئلة بدعة كاشفة لقناع اللبس ، فانتظر هنالك .

من تفسير حميد الوهمي :

فصل : وذكر في الحديث أن جبريل أتاه بنمط^(٢) من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، قال بعض المفسرين في قوله : (ألم ذلك الكتاب لاريب فيه) إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال : اقرأ ، وفي الآية أقوال غير هذه ، منها : أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه : ألم ؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله ، فهي كالترجمة له .

== وفيه ما يثبت أنه كان في النوم ، وذكر ابن الجوزي أن طرق هذا الحديث مضطربة .

(١) ورد في أثر عن الشعبي في تاريخ الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان وابن سعد والبيهقي . وهو مرسل أو معضل . وكلاهما من أقسام الضعيف ، وقد أنكره الواقدي ، وقال : لم يكن به من الملائكة إلا جبريل . قال الشامي : وهو المعتمد . وهو معارض الأحاديث الصحيحة .

(٢) وعاء كالسفظ . وهذا من رسائل عبيد بن عمير .

معنى اقرأ باسم ربك :

وقوله : ما أنا بقارىء ، أى : إني أميى ، فلا اقرأ الكتب ، قالها (١) ثلاثا فقيل له : اقرأ باسم ربك ، أى : إنك لا تقرؤه بحولك ، ولا بصفة نفسك ، ولا بعرفتك ، ولكن اقرأ مفتتحا باسم (٢) ربك مستعينا به ، فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك علقَ الدم ، ومَمَمَرَ الشيطان بعد ما خلقه فيك ، كما خلقه في كل إنسان . والآيتان المتقدمتان لمحمد ، والآخرتان : لأمته ، وهما قوله تعالى : (الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) لأنها كانت أُمَّة أُمِّيَّة لا تكتب ، فصاروا أهل كتاب ، وأصحاب قلم ، فتعلموا القرآن بالقلم ، وتعلمه نبيهم تلقينا من جبريل نزله على قلبه بإذن الله ، ليكون من الرسائل .

حول بسم الله :

فصل : وفي قوله : اقرأ باسم ربك من الفقه : وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم (٣) ، غير أنه أمرٌ مُبهم لم يبين له بأى اسم من أسماء ربه يفتح ،

(١) قيل إن ما استفهامية ، لما ورد في رواية أبي الأسود عن عروة : كيف اقرأ ؟ وابن إسحاق عن عبيد بن عمير ، ماذا اقرأ ؟ وقد جوز الأخفش دخول الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك في : بحسبك زيد ، فجعل الخبر بحسبك وجعل الباء زائدة وسيأتى في الشرح وفي الروض .

(٢) أى ناويا بقراءته وجه الله سبحانه ، ويجب في قراءة القرآن الاستفتاح أولا بالاستعاذة ، فقد جاء الأمر بها صريحا في القرآن .

(٣) يقول ابن كثير : افتتح بها الصحابة كتاب الله ، واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل . ثم اختلفوا : هل هي آية مستقلة في أول كل سورة ، =

حتى جاء البيان بعد في قوله: (بسم الله تجريها) هود: ٤١ ثم قوله تعالى: (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) النمل: ٣٠. ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه بسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة، وقد ثبتت في سواد المصحف بإجماع من الصحابة على ذلك، وما ذكره البخارى من مصحف الحسن البصرى، فشدوذ، فهى على هذا من القرآن، إذ لا يكتب في المصحف ما ليس بقرآن، ولا يلتزم قول الشافعى أنها آية من كل سورة، ولا أنها آية من الفاتحة، بل نقول: إنها آية من كتاب الله تعالى، مقترنة مع السورة، وهو قول داود وأبى حنيفة، وهو قول بين القوتلن أنصف، وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبّحت الجبال، فقالت قريش: سحر محمد الجبال (١) ذكره النقاش، وإن صح ما ذكره، فلمعنى ما سبّحت عند نزولها خاصة، وذلك أنها آية أنزلت على آل داود، وقد كانت الجبال تسيح مع داود، كما قال الله تعالى: (إنا سنخّرنا الجبالَ معه يُسبّحنَ بالعشيّ والإشراق) ص: ١٨ وقال: (إنه من سليمان، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) النمل: ٣٠.

وفي الحديث ذكر نَمَطَ الديباج من الكتاب، وفيه دليل وإشارة إلى

== كتبت في أولها، أو أنها بعض آية من كل سورة، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها: أو أنها إنما كتبت للفصل بين السور لا أنها آية. على أقوال العلماء سلفا وخلفا؟ هذا وفي صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «كانت قراءته مدا مدا، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم بمد باسم الله، ومد الرحمن، ومد الرحيم».

(١) كيف عرفت قريش أنه تسيح للجبال؟ والله يقول: «ولكن لا تفقهون تسيحهم»، فكيف يفقه عتاة الشرك؟

أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم ، ويسلبونهم الديباج والحريز الذي كان زيئهم وزينتهم ، وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحريز والديباج (١) ، وفي سير موسى بن عقبة ، وسير سليمان بن المعتمر زيادة ، وهو أن جبريل أتاه بدر نوك (٢) من ديباج منسوج بالدُر والياقوت ، فأجلسه عليه ، غير أن موسى بن عقبة قال : ببساط ، ولم يقل : دُر نوك ، وقال في سير ابن المعتمر : إن الله تعالى أنزل عليه : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) الآيات ، كأنه يشير به ، فمسح جبريل صدره ، وقال : اللهم اشرح صدره ، وارفع ذكره ، وضع عنه وزره ، ويصحح مارواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) الآيات ، كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذي كان من جبريل ، والله أعلم (٣) .

اللفظ :

وقوله في الحديث : ففطنى (٤) ، ويروى : فسأبني ، ويروى : سأتني ، وأحسبه أيضا يروى : فدعنتني (٥) وكلها بمعنى واحد ، وهو أَلخَنق والغم ، ومن الدَعَتِ حديثه الآخر : أن الشيطان عرض له ، وهو يصلي قال : فدعته ، حتى وجدت برّ دلسانه على يدي ، ثم ذكرت قول أخي سليمان : (رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا

(١) هكذا يبنى على روايات واهية أمورا هي حقائق لا تبنى على مثل هذا الباطل .
(٢) في النهاية لابن الأثير : ستر له نخل وجمعه : درانك ، ويقال : درموك أيضا ، وفي القاموس . ضرب من الثياب أو البسط كالدرنيك بكسر الدال والظنفة كالدرنك كزروج .

(٣) رواية ضعيفة لا يعتد بها فلماذا يعتد بها السهيلي ؟

(٤) غطنى : ضمى وعصرنى ، والفت : حبس النفس .

(٥) ذعجه — أيضا — : ذاته ومعه في التراب ، ودفعه دفعا عنيفا وتقال .

بالدال أيضا والسَّابُ : العصر في الخلق ، والسَّاتُ : الخنق .

لا ينبغي لأحدٍ من بَعْدِي) الحديث ، وكان في ذلك إظهاراً للشدة والجِدْفِ
الأمر ، وأن يأخذ الكتاب بقوة ، ويترك الأناة فإنه أمر ليس بالهَيَوَانِي ، وقد
انتزع بعضُ التابعين وهو شَرِيحُ القاضِي من هذا : ألا يُضْرَبُ الصَّحْبِيُّ عَلَى الْقُرْآنِ

(١) في البخارى في باب التفسير : « إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة
— أوكلتة نحوها — ليقطع على الصلاة ، فأمكنني الله تبارك وتعالى منه ، وأردت
أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد ، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم ،
فذكرت قول أختي سليمان — عليه الصلاة والسلام : رب اغفر لي ، وهب لي
ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، قال روح — يعني ابن عبادة راوى الحديث :
فرده خاسئاً . وهكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به ، وروى مسلم
في صحيحه عن أبي الدرداء قال : قام رسول الله صلى عليه وسلم يصلي ، فسمعناه
يقول : أعوذ بالله منك ، ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول
شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم
نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، قال صلى الله عليه وسلم : إن
عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمعه في وجهي ، فقلت : أعوذ بالله منك
ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يتأخر ثلاث مرات ، ثم
أردت أن آخذه . والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً يلعب به صبيان
أهل المدينة . وفي حديث أحمد عن أبي سعيد الخدري أنه كان في صلاة الصبح
فالتبست عليه القراءة ، وأنه قال بعد انتهاء الصلاة : (لو رأيتموني وإبليس
فأهويت بيدي ، فزالتي أخفته حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين - الإبهام
والتي تليها - ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد
يتلاعب به صبيان المدينة) ولقد قيل هنا : كيف يقال : إن الرسول صلى الله عليه
وسلم - ذكر دعوة سليمان ، ولم يذكر إنظار الله لإبليس حتى يوم الدين ؟
وربنا أعلم بما كان .

إلا ثلاثا كما غَطَّ جبريلُ عليه السلام محمداً - صلى الله عليه وسلم - ثلاثا ، وعلى رواية ابن إسحاق أن ذلك في نومه كان^(١) ، يكون في تلك الغَطَّات الثلاث من التأويل ثلاثُ شدائد ، يُبتلى بها أولا ، ثم يأتي الفرج والروح ، وكذلك كان آقَى هو وأصحابه ، شدةً من الجوع في شِعْب الخيف ، حين تعاقدت قريش الأبييعة وامنهم ، ولا يتركوا ميرةً تصل إليهم ، وشدةً أخرى من الخوف والإبعاد بالقتل ، وشدةً أخرى من الإجماع عن أحب الأوطان إليه ، ثم كانت العاقبة للمتقين ، والحمد لله رب العالمين .

ما أنا بقارى :

وقوله في حديث ابن إسحاق : أقرأ ، قال : ما أقرأ ، يحتمل أن تكون ما استفهاما ، يريد : أى شىء أقرأ ؟ ويحتمل أن تكون نفيًا ، ورواية البخارى ومسلم تدل على أنه أراد النفي ، أى : ما أحسن أن أقرأ ، كما تقدم من قوله : ما أنا بقارى^(٢) .

(١) رواية المنام من مراسيل عبيد بن عمير ، وهى مخالفة لرواية الصحيحين المسندة المرفوعة ، والجمع بين الروایتين بأن هذا كان مرتين : الأولى في المنام والآخرى في اليقظة تأويل فاسد ، فلو أن هذا حدث ، ما حدث له كل ذلك الذى أصابه من شدة الوحى في المرة الأخرى .

(٢) فإن قيل : لم كرر ثلاثا ؟ أجب أبو شامة : بأن يُحمل قوله أولا : ما أنا بقارى على الامتناع ، وثانيا : على الإخبار بالنفي المحض ، وثالثا : على الاستفهام ، ويؤيده أن في رواية أبي الاسود في مغازيه عن عروة أنه قال : كيف أقرأ ؟ وفي رواية ابن عمير عن ابن إسحاق : ماذا أقرأ ؟ ، وفي مرسل الزهرى في دلائل البهقي : كيف أقرأ . وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية .

رؤيته جبريل ومعنى اسمه:

وذكر رؤيته لجبريل ، وهو صافٌ قدميه ، وفي حديث جابر أنه رآه على رَفْرَفٍ^(١) بين السماء والأرض ، ويروى: على عرش بين السماء والأرض ، وفي حديث البخارى الذى ذكره فى آخر الجامع أنه حين فترَعنه الوحي ، كان يَأْتِي شواهِقَ الجبال بهم بأن يُلقى نفسه منها ، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض ، يقول له : أنت رسول الله ، وأنا جبريل . واسم جبريل سُرياني ، ومعناه : عبد الرحمن ، أو عبد العزيز . هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً ، والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله ، وهو: إيل ، وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم فى أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة ، وكذلك الإضافة فى كلام المعجم ، يقولون فى غلام زيدٍ : زيد غلامٍ ، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد ، ويكون أولُ الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى ، ألا ترى كيف قال فى حديث ابن عباس: جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبد الله وعبد الرحمن ، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد ، والأسماء ألقاها مختلفة .

حول معنى إيل وخرافة الرهبان :

وأما إيلٌ بالتشديد من قوله تعالى : (إِلَّا وَلا ذِمَّةَ) التوبة : ١٠ فَحَدَّارٍ

(١) البساط أو الستر ، وأصله ما كان من الديباج ، وغيره رقيقاً حسن

الصنعة ، ثم توسع فيه .

حذر من أن تقول فيه : هو اسم (١) الله ، فتسمى الله باسم لم يُسمَّ به نفسه ألا ترى أن جميع أسماء الله تعالى معرفة ، و«إِلَّ» نكرة ، وحاشا لله أن يكون اسمه نكرة ، وإنما الأُلُّ كل ماله حرمة وحق ، فِيمَا له حق ويجب تعظيمه : القرابة والرحيم والجوار والعهد ، وهو من أَلَّتْ : إذا اجتهدت في الشيء وحافظت عليه ، ولم تضيعه ، ومنه : الأُلُّ في السير وهو الجِد ، ومنه قول السكيت [يصف رجلاً] .

وأنت ما أنت في غرباء مُجْدِبَةٌ إِذَا دَعَتِ أَلْيَهَا الكاعبُ الْفُضْلُ (٢)

يريد : اجتهدت في الدعاء ، وإذا كان الأُلُّ بالفتح المصدر ، فالإلُّ بالكسر : الاسم كالذبح من الذبح ، فهو إذا الشيء المحفوظ عليه ، وقول الصديقي : [عن كلام مُسَيِّمَةٍ] : هذا كلام لم يخرج من إلٍّ ولا برٍّ ، أى : لم يصدر عن ربوبية ، لأن الربوبية حقها واجبٌ مُعْظَمٌ ، وكذلك فسره أبو عبيد ، واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لعناه ، وإن كان أعجمياً ، فإن الجبر هو إصلاح ما وهى ، وجبريل موكل بالوحي ، وفي الوحي إصلاح ما فسد ، وجبر ما وهى من الدين ، ولم يكن معروفاً بمكة ولا بأرض العرب فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة به انطلقت تسئل مَنْ عنده علمٌ من الكتاب كعداسٍ وأسْطُورِ الرَّاهِبِ (٣) ، فقال لها : قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ! أتى لهذا الاسم أن

(١) له الحق في أن يحذر من هذا ، فهو ليس من الأسماء الحسنى ، وإن كان موجوداً في بعض معاجم اللغة .

(٢) في الأصل : إليهما ، والبيت في اللسان هكذا :

وأنت ما أنت في غرباء مظلمة إذا دعت ألتئها الكاعبُ الْفُضْلُ

(٣) تكلمت عن هذا من قبل ، وعداس - كما قيل - نصراني من نينوى وانظر

قصته في السيرة الحلبية ص ٢٧٨ ج ١ .

يذكر في هذه البلاد ، وقد قدمنا هذا الخبر عنها ، وهو في سِيرِ التَّمِيمِي لما ذكرناه
قبل ، وفي كتاب الْمُعَيْطِي عن أشهب قال : سئل مالك عن التَّمِيمِي بجبريل
أو من يُسَمَّى به ولده ، فذكره ذلك ، ولم يعجبه .

معنى الناموس :

وقول ورقة : لقد جاءه الناموسُ الأكبرُ الذي كان يأتي موسى .
الناموس : صاحب سِرِّ الْمَلِكِ ، قال بعضهم : هو صاحبُ سِرِّ الْخَيْرِ ، والجاسوسُ :
هو صاحبُ سِرِّ الشَّرِّ (١) ، وقد فسره أبو عبيد وأنشد :

فأبلغ يزيد إن عرّضت ومُنذراً عَمَّهُمَا وَالْمُسْتَشِرَّ الْمُنَامِسَا (١)

لم ذكر موسى ولم يذكر عيسى :

وإنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى ، وهو أقرب ، لأن وَرَقَةَ كان
قد تنصّر ، والنصارى لا يقولون في عيسى : إنه نبيُّ يَأْتِيهِ جبريلُ ، إنما يقولون فيه :
إن أُنْتُمَا (٢) من الأَقَانِيمِ الثلاثةِ اللَّاهُوتِيَّةِ حل بناسوتِ الْمَسِيحِ ، واتَّحَدَ به
على اختلافٍ بينهم في ذلك الحلول ، وهو أُنْتُمُ الْكَلِمَةِ ، وَالْكَلِمَةُ عندهم :
عبارةٌ عن العلم ، فذلك كان الْمَسِيحُ عندهم ، يعلم الغيب ، ويخبر بما في غد ، فلما
كان هذا من مذهب النصارى الكذّابة على الله ، المدعين الحمال ، عدل عن ذكر

(١) جزم البخاري في أحاديث الأنبياء أنه صاحب السر ، وقال ابن حريز :
صاحب الوحي ، وأهل الكتاب يسمون جبريل : الناموس الأكبر . والخشني
يقول : أصل الناموس هو : صاحب سر الرجل في خيره وشره .

(٢) البيت للكُمَيْت كما ذكر اللسان وفيه : د وعمهيا ، والمستسر ، بدلا من
د عمهما والمستشر ، ومعنى المُسَامِس : الداخل في الناموس .

(٣) الأَفْنُوم : كلمة رومية معناها : الأصل .

عيسى إلى ذكر موسى لعله ، أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى ،
لكن وَرَقَةٌ قد ثبت إيمانهُ بِمحمد عليه السلام^(١) وقد قدمنا حديث الترمذي
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رآه في المنام ، وعليه ثياب بيض إلى آخر
الحديث .

مول هاء السكت والفعل ترك :

وقول ورقة : لَتُكذَّبَنَّ ، وَلَتُوذَّبَنَّ ، ولا يُنطق بهذه الهاء إلا ساكنة
لأنها هاء السكت ، وليست بهاء إضمار . وقوله : إن أدرك ذلك اليوم أنصرك
نصراً مؤزراً ، وقال في الحديث : إن يُدركني يومك وهو القياس ، لأن
ورقة سابق بالوجود ، والسابق هو الذي يُدركه من يأتي بعده ، كما جاء في
الحديث : أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حي ، ورواية ابن إسحاق أيضا
لها وَجْهٌ ، لأن المعنى : أنرى ذلك اليوم ، فسَمَى رؤيته إدراكا ، وفي التنزيل :

(١) غير صواب قوله هذا ، فإن الجن الذين سمعوا القرآن قالوا : (سمعنا كتابا
أنزل من بعد موسى) ، وخير أن نقول : إنه قال ذلك - كما ذكر الشيخ رشيد
رضا رحمه الله في الوحي المحمدي - لأن الشبه بين الوحي إلى موسى ومحمد عليهما
السلام أتم ؛ لأن كلامهما أوق شريعة تامة مستقلة في عباداتها ومعاملاتها وسياستها
وقوتها العسكرية ، وعيسى عليه السلام كان تابعا لشريعة التوراة ، وناصحا لبعض
الاحكام التي يقتضيها الإصلاح ، ومبشرا بالنبي الذي يأتي بعده بالشرع الكامل
العام الدائم . ولهذا يرد ابن حجر في فتح الباري بقوله : « أما ما تمحل له السهلي
من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى في عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد
الافانيم ، فهو محال لا يعرج عليه في حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل في التبديل
ولم يأخذ عن عمد بدل ، ص ٢٩ ج ١ ط الحلبي وص ٢١٤ ج ١ شرح المواهب .

﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ أى : لا تراه على أحد القولين . وقوله : مُؤَزَّرًا من الأزر وهو القوة والعون .

يصرح : أو مخرجى ؟ :

فصل : وفي حديث البخارى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لورقة : أَوْ مُخْرِجِيَّ هَمْ . لا بُدَّ من تشديد الياء فى مخرجى ، لأنه جمع ، والأصل مُخْرَجُوى فَأُدْغِمْتَ الواو فى الياء (١) وهو خبر ابتداء مقدّم ، ولو كان المبتدأ اسما ظاهر الجاز تخفيف الياء ، ويكون الاسم الظاهرُ فاعلا لا مبتدأ ، كما تقول : أضراب قومك ، أخرج إخوانك فتفرّد ، لأنك رفعت به فاعلا ، وهو حسنٌ فى مذهب سيبويه والأخفش ، ولولا الاستفهام ما جاز الإفراد إلا على مذهب الأخفش ، فإنه يقول : قائم الزيدون دون استفهام ، فإن كان الاسم المبتدأ من المضمرات نحو : أخرج أنت ، وأقائم هو ؟ لم يصح فيه إلا الابتداء ، لأن الفاعلَ إذا كان مُضْمَرًا لم يكن منفصلا لا تقول : قام أنا ، ولا ذهب أنت

(١) فى المواهب : وأصله مخرجون لى حذف اللام تخفيفا ونون الجمع للاضافة إلى ياء المتكلم ، فصار : أو مخرجوى اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو - بالسكون ، فقلبت ياء ، ثم أدغمت فى ياء المتكلم ، وقلبت الضمة : كسرة لمناسبة الياء ، والهمزة للاستفهام . ولم يقل : وأمخرجى مع أن الأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف نحو : فأين تذهبون ؛ لاختصاص الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيها على أصلها نحو : أولم يسيرا ؟ هذا مذهب سيبويه والجمهور ، والاستفهام : إنكارى ؛ لأنه استبعد إخراجه من وطنه وهو حرم الله من دون سبب يقتضيه وكذلك ورد فى ص ٤٣ بدائع الفوائد ج ٣ للامام ابن القيم .

وكذلك لا تقول : أذهب أنت على حدِّ الفاعل ولكن على المبتدأ ، وإذا كان على حدِّ المبتدأ ، فلا بد من جمع الخبر ، فعلى هذا تقول : أُخْرِجِيَّ هُمْ ، تريد : مخرجون ، ثم أضفت إلى الياء ، وحذفت النون ، وأدغمت الواو كما يقتضى القياس .

مول البافوخ والذهاب إلى ورقة :

فصل : وذكر أن ورقة بن نوفل لقي النبي عليه السلام ، فقبل يافوخه . قد تقدم ذكر اليافوخ ، وأنه يَفْعُولٌ مهموز ، وأنه لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يَشْتَدَّ وإنما يقال له : الغاذية ، وذكرنا قول العجاج :

ضربُ إذا أصاب اليافوخَ حَمَرٌ . ولو كان يافوخَ فاعُولاً ، كما ظن بعضهم لم يجز هزؤه في الواحد . ولا في الجمع (١) وفي رواية يونس عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي ميسرة عمرو بن شريحيل (٢) أن رسول الله صلى الله عليه

(١) هو في اللسان في مادة أفخ ، وقال : هو حيث التقى عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره ، وهو الموضع الذى يتحرك من رأس الطفل . وفيه أيضا : قال الليث : من همز اليافوخ ؛ فهو على تقدير يفعول . ومن لم يهمز ، فهو على تقدير فاعول من اليفخ ، والهمز أصوب .

وفي القاموس : أفخه : ضرب يافوخه والجمع : يوافيخ ، وهذا يذن على أن أصله يفتح ؛ ووم الجوهري في ذكره هنا . وفي المعجم الوسيط جمعه : يوافيخ ، ولكنه قال : اليافوخ : هو اليافوخ وهو فجوة مغطاة بغشاء تكون عند تلاقي عظام الجمجمة ، وهما يافوخان ، يافوخ أمامي ، ويافوخ خلفي .

(٢) ذكره البخارى وغيره في التابعين ، ووثقه ابن معين وآخرون ، وقد =

وسلم. قال لخديجة: إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً، وقد خشيتُ والله أن يكونَ لهذا أمرٌ. قالت: معاذَ الله ما كان الله ليفعلَ ذلك بك. فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم. وتصدقُ الحديث، فلما دخل أبو بكر، وليس [عندها] رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم ذكرت خديجةَ له ذلك، فقالت: يا عتيقُ اذهب مع محمد إلى ورقة، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ أبو بكر بيده. فقال: انطلق بنا إلى ورقة بن نوفل. فقال: ومن أخبرك؟ قال: خديجة، فانطلقا إليه، فقصَّصا عليه، فقال: إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي: يا محمد يا محمد، فانطلق هارباً في الأرض. فقال له: لا تفعل، إذا أتاك فائتبت، حتى تسمع ما يقول لك. ثم اتتني، فأخبرني، فلما خلا ناداه: يا محمد قل: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. حتى بلغ: ولا الضالين. قل: لا إله إلا الله. فأتى ورقة، فذكر ذلك له، فقال له ورقة: أنبشِر، ثم أنبشِر فأنأشهد أنك الذي بشر به ابنُ مريم، وأنتك على مثل ناموس موسى، وأنتك نبي مرسل، وأنتك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا. ولئن أدركني ذلك لأجاهدَنَّ معك. فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأيت أقدساً في الجنة، وعليه ثياب الحرير، لأنه آمن بي وصدقني، يعني: ورقة، وفي رواية.

== أخرج هذا الحديث البيهقي، وذكر أنه منقطع، وغرضه من سياقه بيان أنه معارض بحديث الصحيح في أن أول ما نزل: اقرأ. والعجيب أن يحاول العيني التوفيق بين هذه المتضادات بأن خديجة أرسلته مرة مع الصديق، وذهبت هي به أخرى وسألت عداسا بمكة، وسافرت إلى بحيري - كما روى التيمي - وهو توفيق يعتمد به .

يونس أيضا أنه عليه السلام قال لرجل سبَّ ورقة : أما علمت أني رأيت لورقة جنة أو جنتين ، وهذا الحديث الأخير قد أسنده البزار (١) .

لقد فحست على نفسي :

فصل : وفي الصحيح أنه قال لخديجة : لقد خشيت على نفسي ، وتكلم العلماء في معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة ، فذهب أبو بكر الإسماعيلي (٢) إلى أن هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم بأن الذي جاءه ملك من عند الله ، وكان أشق شيء عليه أن يقال عنه : مجنون ، ولم ير الإسماعيلي أن هذا محال في مبدأ الأمر ؛ لأن العلم الضروري قد لا يحصل دفعة واحدة ، وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله ، فلا تدري أنظم هو أم نثر ، فإذا استمر الإنشاد ، علمت قطعا أنه قصيد به قصد الشعر ، كذلك لما استمر الوحي واقتربت به القرآن المقتضية للعلم القطعي ، حصل العلم القطعي ، وقد انتهى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وللمؤمنون) إلى قوله : (وملائكته وكتبه ورأسه) فإيمانه بالله وبملائكته وإيمان كسبي موعود عليه بالثواب الجزيل ، كما وعد على سائر أفعاله المكسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح ، وقد قيل في قوله : لقد خشيت على نفسي ، أي : خشيت ألا أنهض بأعباء النبوة ، وأن أضعف عنها ، ثم أزال الله خشيته ، ورزقه الأيد والقوة والثبات والعصمة ، وقد قيل : إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ، ولا غرو ، فإنه بشر يخشى من القتل

(١) ورواه الحاكم في مستدرکه . وهذه روایات ساقطة لا یعتد بها .

(٢) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني ، قال الحاكم :

كان واحد عصره ، وشيخ المحدثين والفقهاء مات ٣٧١ .

والإذابة الشديدة ما يخشاه البشر، ثم يُهَوَّن عليه الصبرُ في ذات الله كلَّ خشية، ويحجَّب إلى قلبه كلَّ شجاعة وقوة، وقد قيل في معنى الخشية أقوال غير هذه رغبت عن التطويل بذكرها^(١).

(١) في فتح الباري: واختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً. أولها: الجنون، وأن يكون مارآه من جنس الكهانة. جاء مصرحاً به في عدة طرق، وأبطله أبو بكر بن العربي، وحق له أن يبطل، لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضروري له: أن الذي جاءه ملك، وأنه من عند الله تعالى. ثانيها: الهاجس وهو باطل أيضاً، لأنه لا يستقر، وهذا استقر، وحصلت بينهما المراجعة، ثالثها: الموت من شدة الرعب، رابعها: المرض، وقد جزم به ابن أبي جرة. خامسها: دوام المرض، سادسها: العجز عن حمل أعباء النبوة، سابعها: العجز عن النظر إلى الملك من الرعب، ثامنها: عدم الصبر على أذى قومه، تاسعها: أن يقتلوه، عاشرها: مفارقة الوطن، حادي عشرها: تكذيبهم إياه، ثاني عشرها: تعييرهم إياه، وأولى هذه الأقوال بالصواب وأصلها من الارتباب: الثالث واللذان بعده، وما عداها معترض والله الموفق، ص ٢٧ ج ١ ط الحلبي.

هذا، ويحسن أن ننقل هنا بعض ما ورد في الصحيحين حول هذا عن مشكاة المصابيح عن ابن عباس، قال: بعث رسول الله ص، لأربعين سنة، فكف بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة، فهاجر عشر سنين، ومات، وهو ابن ثلاث وستين سنة. «متفق عليه»

وعنه: قال: أقام رسول الله ص، بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت، ويرى الضوء سبع سنين، ولا يرى شيئاً. وثمان سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشرًا، وتوفي وهو ابن خمس وستين «متفق عليه» والأولى أضبط.

«بدء الوحي»

وعن عائشة رضي الله عنها: قالت: أول ما بدى به رسول الله ص، من

الوحي : الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو التعمد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاء الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني ، حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم (فرجع بها رسول الله - ص - يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة ، فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا ، والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ، فقالت : يا بن عم . اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله - ص - خبر ما رأى فقال ورقة : هذا هو الناموس الذي أنزل الله على موسى . ياليتني فيها جذعاً . ياليتني أكون حيا ، إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله - ص : أو يخرجني هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم يمضْ سب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي و منقطع عليه ، وزاد البخاري في حديث منقطع : و حتى حزن النبي - فيما بلغنا - وهو الزهري راوى الحديث السابق عن عائشة ، وأما هذا فرواه بلاغا ، فهو لهذا منقطع - حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رهوس شواهد الجبال ، فكلم أوفى بذروة جبل لكي يلقى نفسه منه ، تبدى له جبريل ، فقال : يا محمد : إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه ، البخاري .

وعن جابر : أنه سمع رسول الله يحدث عن فترة الوحي قال : فبينما أنا أمشي =

== سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصري ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فجلست منه رعبا ، حتى كهوت إلى الأرض ، فجلت أهلى ، فقلت : زملوني زملوني ، فزملوني فأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر قم فأندثر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) ثم حمى الوحي وتابع ومتفق عليه .

كيفية الوحي : وعن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ، فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله - ص - أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده علي - فيفصم عني ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا ، فيكلمني ، فأعي ما يقول . قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقا .

مدة المجاورة : عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ، قال : يا أيها المدثر ، قلت : يقولون : اقرأ بسم ربك قال أبو سلمة : سألت جابرا عن ذلك ، وقلت له مثل الذي قلت لي : فقال لي جابر : لا أحدئك إلا بما حدثنا به رسول الله - ص - قال : جاورت بحراء شهرا ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فنوديت ، فنظرت عن يميني ، فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ، ونظرت عن خلفي ، فلم أر شيئا ، فرفعت رأسي فرأيت شيئا ، فأتيت خديجة ، فقلت : دثروني ، فدثروني ، وصبوا على ماء باردا . فنزلت : (يا أيها المدثر قم فأندثر وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) وذلك قبل أن تفرض الصلاة : «متفق عليه ورواه الترمذي والنسائي»

ونلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحنث بعد البعثة في غار ما ، فهي إذا ليست سنة شرعية ، كان يعتكف في المسجد العشر الأواخر من رمضان فحسب ، ولو كان يريد عبادة ، لتعبد في البيت الحرام . إنما أراد البعد عن المجتمع الآبق الشريد . ولكنه في النبوة عاش في هذا المجتمع يدعو إلى الحق ==

ويقاومه بالحق ، لأن الفرار من المعركة إلى خلوة أو كهف ليس من شيمة الرسل ولا المسلمين .

• وإليك تفسير بعض ماورد في الحديث : فلق الصبح : ضوءه وإنارته والصبح نفسه : شبه ما جاء في اليقظة ، ووجد في الخارج . طابقا لما رآه في النوم : بالصبح في إنارته ووضوحه .

• ما أنا بقارىء . ما : نافية ، وقيل : إنها استفهامية ، وضعف القاضى عياض هذا بدخول الباء في خبرها ، وهذه لا تدخل على ما الاستفهامية ولكن الأخفض يجوز دخول الباء على الخبر المشبب ، وجزم به ابن مالك في : بحسبك زيد ، فجعل الخبر حسبك ، والباء زائدة ، وقد يقوى هذا ما ذكرته من قبل من روايات حول هذا . وغنى ، ثبت لفظ اللفظ ثلاثا . في رواية البخارى للحديث في بابي التعبير والتفسير ، وسقطت الثانية في بدء الوحي .

• بلغ منى الجهد ، تروى بفتح الجيم والنصب أى بلغ اللفظ منى غاية وسعى ، وروى بضم الجيم والرفع ، أى : بلغ منى الجهد مبلغه . وزملونى ، غطونى بالثياب ولفونى بها ، الروح ، الفزع ، كلاء ، نفى وإبعاد أى : لا تقل هذا ولا خوف عليك .

• لا يخزيك ، لا يهينك ولا يفضحك والسكشمينى . يحزنك بالنون ، تصل الرحم ، تصل القرابة بإحسانك لإيهم وتحمل الكل ، : أى تحمل الثقل من كل ما يتكلف ، ويدخل فيه الإلتفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك .

• تسكب المدموم ، بفتح الناء . وروى بضمها أى : تعطى الناس ما لا يجدونه وتمرى الضيف : تهبى له طعامه وتنزله وتمين على نوائب الحق ، حوادث الحق ، وهذه جامعة لكل ما سبق ولغيره . وهى صفة جامعة لكل أعمال المروءة والبر والنجدة وورقة ابن نوفل ، وصفه الراوى فى رواية أخرى ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى . فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب . وفى رواية يونس ومعمر : ويكتب من الإنجيل بالعربية .

ومسلم : فكان يكتب الكتاب العربي ، وجمع بين الروايات بأنه كان يجيد الكتابة بتلك وبهذه . وإنما وصف بالكتابة - كما قيل - لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسرا . وقد وصف ورقة في بعض الروايات : « وكان شيخا كبيرا قد عمى » .

فقلت : « وابن عم ، وقع في مسلم : أى عم ، وهو وهم ، وقيل إنها قالت : ابن عم على حذف حرف النداء ، فتصحفت بن بأى ومن ابن أخيك ، وقيل : قالت هذا ، لأن عبد العزى الأب الثالث لورقة هو أخ لعبد مناف ، وهو الأب الرابع للنبى فكأنها قالت : من ابن أخى جدك . وقيل : لأن والده عبد الله فى عدد النسب إلى قصى الذى يجتمعان فيه سواء ، فكان من هذه الحثية فى درجة إخوته ، أو قالته على سبيل التوقير لسنة « جدعا ، شابا ، وأصل الجذع من أسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا ، لم ينشب ، لم يلبث . وهذا أصح مما روى من أن ورقة كان يمر على بلال وهو يعذب ، وقد قيل : إن ورقة توفى فى السنة الثالثة من النبوة ، وقيل : فى الرابعة ، وزعم الواقدى أنه قتل ببلاد لحم وجذام ، وقرر البلاذرى وغيره أنه دفن بمكة .

« قتر الوحى ، احتبس ، يتردى ، يسقط » شواهد الجبال ، أى : طولها ، وهو العالى الممتنع ، الرُّجْز ، الأوتان .

« صلصلة ، صوت وأصلها وقوع الحديد بفضه على بعض ، والصلصلة أشد من الصليل ، يفصم عنى ، ينفك وينجلى » يتفصد ، يسيل تشبيها فى كثرته بالفصد هذا وأول سورة نزلت : اقرأ ، وقد ورد هذا عند الشيخين والترمذى والحاكم والبيهقى والطبرانى وسعيد بن منصور فى سننه . ولكن ورد فى الصحيحين أيضا فى حديث جابر أن يأبىا المدثر ، هى أول ما نزل . قبل الفاتحة كما روى البيهقى ، ويقول ابن حجر : الذى ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول .

ابتداء تنزيل القرآن

قال ابن إسحاق : فابتدىء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في شهر رمضان ، بقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ البقرة : ١٨٥ . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنزِيلُ الْمَلَايِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ القدر . وقال الله تعالى : ﴿ حَمَّ وَالكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ الدخان : ١ - ٥ . وقال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ الأنفال : ٤١ . وذلك مُلتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمُشركين ببدر .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين : أن رسولَ صلى الله عليه وسلم ، التقى هو والمُشركون ببدر يوم الجمعة . صبيحة سَبْعَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ .

قال ابن إسحاق : ثم تتأمَّ الوحيُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو مؤمنٌ بالله مُصدِّقٌ بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمَّل منه ما حمَّله . على رضا العباد وسخطهم ، والنبوةُ أُنْقَالَ وموئنة ، لا يحملها ، ولا يستطيع بها .

• • • • •

إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يَلْقَوْنَ مِنَ
الناس ، وما يُرَدُّ عَلَيْهِمْ مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فمضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أمرِ الله ، على ما يَلْقَى
من قومه من الخِلاف والأذى .

إسلام خديجة بنت خويلد

وَأَمَّنت به خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته
على أمره ، وكانت أولَ من آمَن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاء منه ، تخفّف
الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رَدِّ عليه
وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجَعَ إليها ، تُنَبِّئته ،
وتخفّف عليه ، وتصدّقه وتهوّن عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ،
عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم : أَمِرتُ أَنْ أُبَشِّرَ خديجةَ ببيتٍ من قَصَبٍ ، لا صَخَبٍ
فيه ولا نَصَبٍ .

قال ابن هشام : القصب ههنا : اللؤاؤُ المَجْوَفُ .

قال ابن هشام : وحدثني مَنْ أثق به ، أن جبريل عليه السلام أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أقرئ خديجةَ السلامَ من ربها ، فقال

• • • • •

رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريلُ يُقرئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : اللهُ السلامُ ، ومنه السلامُ ، وعلى جبريل السلام .

قال ابن إسحاق : ثم قرأ الوحي عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فترة من ذلك ، حتى شق ذلك عليه ، فأحزنه ، فجاءه جبريلُ بسورة الضحى ، يُقسم له ربه ، وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه ، فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ . يقول : ما صرمتك فترتك ، وما أبفضك منذ أحبك . ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ : أى : لما عندي من مرجعك إلى ، خير لك مما تجملت لك من الكرامة فى الدنيا . ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ من الفلج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ يعرفه الله ما ابتداء به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنه عليه فى يتمه وعيئلته وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته .

قال ابن هشام : سجي : سكن . قال أمية بن أبى الصلتِ الثقفى :

إذ أتى مؤهنا وقد نام سجي وسجا الليلُ بالظلامِ البهيمِ
وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعين إذا سكن طرفها : ساجية ،
وسجا طرفها .

قال جرير بن الخطّاق :

ولقد رَمَيْتَكَ — حين رُخِنَ — بأعين

يَقْتُلانِ من خَلَلِ الشُّورِ سَواجِي

وهذا البيت في قصيدة له . والعائل : الفقير : قال أبو خراش الهذلي :

إلى بيته بأوى الضربك إذا شتاً ومُستَنبِحُ بالي الدَّريسينِ عائلُ

وجمه : عالة وُعَيْل ، وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها —

إن شاء الله ، والعائل أيضاً : الذي يعول العيال . والعائل أيضاً : الخائف .

وفي كتاب الله تعالى : ﴿ ذَلِكِ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ النساء : ٣ . وقال أبو طالب :

بِمِيزانِ قِسْطٍ لا يُخْسِ شَعِيرَةً له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائلٍ

وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها — إن شاء الله — في موضعها .

والعائل أيضاً : الشيء المُثْقَلُ المُعْي . يقول الرجل : قد عالى هذا الأمر : أى .

أثقلنى وأعيانى ، قال الفرزدق :

تَرى الفَرَّ الجِجاجِجَ من قُرَيْشٍ إذا ما الأُمُرُ في الخلدنانِ عالا

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ : أى لا تكن

جباراً ولا متكبراً ، ولا فحاشاً فظاً على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وَأَمَّا

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ : أى : بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من

النبوة فحدّث ، أى اذكرها ، وادعُ إليها ، فجعل رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه ، وعلى العباد به من النبوة سراً إلى مَنْ

يطمئن إليه من أهله .

• • • • •

متى نزل القرآن ؟

فصل : وذكر قول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾
البقرة : ١٨٥ . إلى آخر الآية ، مستشهداً بذلك على أن القرآن أنزل في شهر
رمضان ، وفي ليلة القدر من رمضان ، وهذا يحمل تأويلين : أحدهما : أن يكون
أراد بدء النزول وأوله ؛ لأن القرآن نزل في أكثر من عشرين سنة في رمضان
وغيره ، والثاني : ما قاله ابن عباس : أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا ،
فجُعل في بيت العزّة مكنوناً في الصحف المكرّمة ، المرفوعة المظّهرة ، ثم نزلت
منه الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة في أجوبة السائلين ، والنوازل الحادثة
إلى أن توفي — صلى الله عليه وسلم — وهذا التأويل أشبه بالظاهر ، وأصح
في النقل والله أعلم ^(١) .

(١) نزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزّة ، أو إلى سماء الدنيا : كلام
لا سند له . والصحيح وحدهما هو ما ورد في القرآن : « شهر رمضان الذي أنزل فيه
القرآن » . « إنا أنزلناه في ليلة القدر » ، « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » ، وآيات القرآن
في وضوح جميل جليل يفقهها ذو الفطرة السليمة التي لم يفسدها جدل الكلام
وسفسطته . وهي تؤكد أنه بدأ نزول القرآن في رمضان في ليلة القدر منه .
وقوله تعالى : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » ، يشير إلى
أن تاريخ ليلة القدر هو تاريخ ليلة بدر . وبدر كما يقال كانت في السابع عشر
من رمضان .

ولهذا يقال إن ابتداء نزول القرآن كان في السابع عشر من رمضان . وإذا
رجعنا إلى الأحاديث نستخبرها نبأ ليلة القدر التي فيها نزل القرآن ، فإننا سنجد
ما يأتي : قيل : وإنما في الوتر من العشر الاواخر من رمضان ، البخاري ، في السبع

مول إضافة شهر إلى رمضان :

فصل : وفي قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان ﴾ فذكر الشهر مضافا إلى رمضان ، واختار الكتاب والموتقون النطق به بهذا اللفظ دون أن يقولوا : كتب في رمضان ، وترجم البخارى والنسوى^(١) على جواز اللفظين جميعا وأوردا حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ، وإذا

الأواخر من رمضان متفق عليه ، في تاسعة تبقى من العشر الأواخر أو في سابعة ، أو في خامسة ، البخارى ، في الليلة الحادية والعشرين من رمضان ، البخارى ، في الليلة الثالثة والعشرين ، مسلم ، في الليلة السابعة والعشرين ، مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى ، في التاسعة أو السابعة أو الخامسة ، البخارى ، بل ما من ليلة من ليالى رمضان سوى قلة قليلة إلا ورد فيها ما يفيد أنها ليلة القدر ، ولهذا اختلف العلماء في شأنها على أقوال كثيرة ، ذكر منها في فتح البارى ما لم يذكر غيره ، وقد ذكرها الشوكانى باختصار في نيل الأوطار ، فكانت خمسة وأربعين قولاً ، منها : أنها رفعت وهو قول الشيعة والفاكهاني من الحنفية ، ومنها : أنها خاصة بسنة واحدة ، وقعت في زمنه صلى الله عليه وسلم ، ومنها أنها خاصة بهذه الأمة ، ومنها أنها يمكنة في جميع السنة ، وهو المشهور عن الحنفية وجماعة من السلف ، ومنها أنها في ليلة معينة مهمة ، ومنها : أنها أول ليلة من رمضان حكى عن أن رزين ، ومنها أنها ليلة النصف من شعبان ، أو النصف من رمضان ، أو ليلة سبع عشرة من رمضان الخ . . .

انظر ص ٢٧٢ > ٤ نيل الأوطار ط عثمان خليفة . وخير ما يقول البغوى : «أهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ، ليجتهدوا في العبادة ليالى شهر رمضان طمعا في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، تفسير الخازن والبغوى لسورة القدر

(١) هو أبو العباس الحسن بن سفيان النسوى ، وله مسند مشهور .

جاء رمضان ، ولم يقل : شهر رمضان ، وقد بينت أن لكل مقام مقامه ، ولا بد من ذكر شهر في مقام ، ومن حذفه في مقام آخر ، والحكمة في ذكره إذا ذكر في القرآن ، والحكمة أيضاً في حذفه إذا حذف من اللفظ ، وأين يصلح الحذف ، ويكون أبلغ من الذكر ، كل هذا مبين في كتاب « نتائج الفكر » ، فهناك أوردنا فيه فوائد تمجز عنها هم أهل هذا العصر . أذناها تساوى رِخلة عند من عرف قدرها ، غير أنا نشير إلى بعضها ، فنقول : قال سيبويه : ومما لا يكون العمل إلا فيه كله : المحرم وصفر ، يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله ، وذلك إذا قلت : الأحد أو الاثنين ، فإن قلت يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفاً ، ولم يجر مجرى المفعولات ، وزال العموم من اللفظ ، لأنك تريد : في الشهر وفي اليوم ، ولذلك قال عليه السلام : من صام رمضان ، ولم يقل شهر رمضان ؛ ليكون العمل فيه كله ، وهذه إشارة إلى بعض تلك الفوائد التي أحكمتها في غير هذا الكتاب .

حب الرسول «ص» ووطنه :

بقية من حديث ورقة ، وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
لُتَكْذَبَنَّهْ ، فلم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ثم قال : وَلَتُؤْذِيَنَّهْ ، فلم يقل له شيئاً ، ثم قال : وَلَتُخْرِجَنَّهْ ، فقال : أَوْ نُخْرِجِيَّ هَمْ ؟ ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتة على النفس ، وأيضاً فإنه حرم الله وجوار بيته ، وبلدة أبيه إسماعيل ، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر لخروج منه مالم تتحرك قبل ذلك ، فقال : أَوْ نُخْرِجِيَّ هَمْ ؟ والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه ، وذلك أن الواو

تُرَدُّ إِلَى الْكَلَامِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَتُشْعَرُ الْمُخَاطَبُ بِأَنْ اسْتَفْهَمَ عَلَى جِهَةِ الْإِنْكَارِ ،
أَوْ التَّفْجَعِ لِكَلَامِهِ أَوْ التَّأَلُّمِ مِنْهُ .

ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ :

فَصَلَ : وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،
وَقَوْلُهُ : حَدَّثَنِي أُمِّي فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ أَنَّ خَدِيمَةَ أَدْخَلَتْهُ بَيْنَ ثَوْبَيْهَا .
الْحَدِيثُ (١) عَبْدُ اللَّهِ هَذَا هُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ ، وَأُمُّهُ : فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ أختُ سُكَيْنَةَ ، واسمها : آمَةُ ،
وَسُكَيْنَةُ لَقَبٌ لَهَا الَّتِي كَانَتْ ذَاتَ دُعَابَةٍ وَمَرْجٍ ، وَفِي سُكَيْنَةَ وَأُمِّهَا الرَّبَابُ
يَقُولُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ :

كَانَ اللَّيْلَ مَوْصُولًا بِلَيْلٍ إِذَا زَارَتْ سُكَيْنَةَ وَالرَّبَابُ (٢)

أَيُّ : زَادَتْ قَوْمَهَا ، وَهُمْ : بَنُو عَلْتَمِ بْنِ جَنَابٍ مِنْ كَلْبٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ .

(٢) مِنْ قَصِيدَةٍ تَنْسَبُ إِلَى الْحُسَيْنِ فِي سُكَيْنَةَ ابْنَتِهِ وَأُمِّهَا الرَّبَابُ زَوْجَتَهُ ، مِنْهَا :

أَمْرُكَ لِأَنِّي لِأَحِبُّ دَارًا تَضِيْفُهَا سُكَيْنَةَ وَالرَّبَابُ
أَحِبُّهَا وَأَبْذُلُ بَعْدَ مَالِي وَلَيْسَ لِلْأُنْمَى فِيهَا عِتَابُ
وَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ عَتَبُوا مَطِيْعًا حَيَاتِي ، أَوْ يَغْيِدُنِي التَّرَابُ

وَهِيَ فِي الْأَغَانِي ، وَمَقَاتِلُ الطَّالِبِيِّينَ ، وَفِي نَسَبِ قَرِيْشٍ ، انْظُرْ ص ٥٩ نَسَبِ

قَرِيْشِ ط ١ .

كُتَبِ بْنِ عَلِيمٍ^(١) ، ويعرف بنو كعب بن عَلِيمِ بْنِ زَيْدٍ غَيْرَ مَصْرُوفٍ ؛
لأنه اسم أمهم ، وعبدالله بن حسن هو والد الطالِبِيِّنَ الْقَائِمِينَ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ،
وهم : محمد ويحيى وإدريس^(٢) مات إدريس بإفريقية فأراً من الرشيد ، ومات
مسموماً في دُلَاعَةٍ^(٣) أَكَلَهَا ، ووقع في كتاب الزبير بن أبي بكر قال : قال
عبد الرحمن بن زيد : قال آدم عليه السلام : مما فَضَّلَ بِهِ عَلِيٌّ ابْنِي صَاحِبُ
الْبَعِيرِ أَنْ زَوْجَهُ كَانَتْ عَوْنًا لَهُ عَلَى تَبْلِيغِ أَمْرِ اللَّهِ ، وَأَنْ زَوْجِي كَانَتْ عَوْنًا
لِي عَلَى الْمَعْصِيَةِ^(٤) .

حديث عبد الله بن جعفر وغيره عن خديجة :

فصل : وذكر حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم — أمر أن يبشر خديجة ببيت من قَصَبٍ ، لاصْحَابِ

(١) والرياب أم سكينه هي بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس بن جابر
ابن كعب بن علم بن جناب .

(٢) خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن جعفر المنصور
بالمدينة ، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة ، فقتلها عيسى بن موسى ، أما أخوها
موسى ، فاختنق بالبصرة ، فمثر عليه ، فعفا عنه المنصور ، أما سليمان أخوهم فقتل
بفتح في خلافة موسى ، أما أخوهم إدريس فقام بالمغرب ، وبه مات ، أما يحيى فقام
بالديلم ، ولسلك منهم عقب سوى عيسى ، ومن أولاد عبد الله بن حسن : فاطمة
وزينب ورقية . انظر ص ٥٣ نسب قريش ط ١ وجمهرة ابن حزم ص ٣٩ ط ١ .

(٣) ضرب من محار البحر .

(٤) من أين جاء بهذا ؟

فيه ، ولا نَصَب . هذا حديث مُرْسَلٌ ^(١) ، وقد رواه مسلم متصلاً عن هشام بن عمرو عن أبيه عن عائشة قالت : ما غَرَّتْ علي أحد ما غرت علي خديجة ، ولقد هَلَكْتُ قبل أن يتزوجني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاث سنين ، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قَصَبٍ في الجنة .

وفي حديث آخر أن عائشة قالت : ما تذكر من عجوزٍ حراء الشُّدْقَيْنِ هَلَكْتُ في الدهر ، قد أُبدَلَك اللهُ خيراً منها ، ففضب ، وقال : والله ما أبدلتني الله خيراً منها ؛ آمنت بي حين كذبتني الناس ، وواستنتني بما لها حين حرمتني للناس ، ورزقت الولد منها، وحرمته من غيرها ، وروى يونس عن عبد الواحد ابن أيمن الخزومي ، قال : حدثنا أبو تيمية قال : أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جزوراً أو لحم ، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عظماً منها ، فناوله الرسول بيده ؛ فقال : اذهب بهذا إلى فلانة ، فقالت عائشة : لم غمّرت ^(٢) يدك؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مفضباً : إن خديجة أوصتني بها ، فغارت عائشة ، وقالت : لكانه ليس في الأرض امرأة إلا خديجة ، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مفضباً ، فلبث ما شاء الله ثم رجع ، فإذا أم رومان قالت يا رسول الله : مالك ولعائشة؟! إنها حدّثة ، وإنك أحق من تجاوز عنها ، فأخذ بيدي عائشة ، وقال : ألسنت القائلة : كأنما ليس علي الأرض امرأة إلا

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد وردت البشارة في حديث رواه الشيخان والترمذي . ويقول ابن الأثير : لم يتقدمها رجل ولا امرأة بإجماع المسلمين ، ص ٢٣٧ - مواهب .
(٢) الغر بالتحريك : زبخ اللحم ، وما يعلق باليد من دسمه .

خديجة ، والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك ، ورزقت مني الولد وحرمتموه ،
 وفي صحيح مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : خير نساءها : مريم
 بنت عمران ، وخير نساءها : خديجة ، والهاء في نساءها حين ذكر مريم عائدة
 على السماء ، والهاء في نساءها حين ذكر خديجة عائدة على الأرض ، وذلك أن
 هذا الحديث رواه وكيع وأبو أسامة وابن تميم في آخرين ، وأشار وكيع
 من بينهم حين حدث بالحديث بإصبعه إلى السماء عند ذكر مريم ، وإلى الأرض
 عند ذكر خديجة ، وهذه إشارة ليست من رأيه ، وإنما هي زيادة في حديثه عن
 النبي - صلى الله عليه وسلم - وزيادة العدل مقبولة ، ويحتمل أن يكون معنى
 إشارته إلى السماء والأرض عند ذكرها ، أي : هما خير نساء بين السماء والأرض
 وهذا أثبت عندي بظاهر الحديث . ولعلنا أن نذكر اختلاف العلماء في التفضيل
 بين مريم وخديجة وعائشة - رضي الله عنهن - وأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -
 وما نزع به كل فريق منهم .

مول ما بشرت به خديجة :

وأما قوله : بيت من قصب ، فقد رواه الخطابي مفسراً ، وقال فيه :
 قالت خديجة : يا رسول الله ، هل في الجنة قصب ؟ فقال : إنه قصب من أولوء
 مجي . قال الخطابي : يجوز أن يكون معناه : مجوياً من قولك : جبت الثوب
 إذا خرقتة ، فيكون من المقلوب ، ويجوز أن يكون الأصل مجبياً بباءين من الجب
 وهو القطع أي : قطع داخله ^(١) ، وقلبت الباء ياء ، كما قالوا : تظنيت من

(١) هو في السيرة : مجوف . وفي النهاية لابن الأثير : وقيل : هو من الجوبه
 وهو نقير يجمع فيه الماء .

الظنّ ، وتقصّيت أظفاري ، وتكلم أصحاب المعاني في هذا الحديث ، وقالوا : كيف لم يبشرها إلا ببيت ، وأدنى أهل الجنة منزلةً من يمطى مسيرة ألف عام في الجنة ، كما في حديث ابن عمر ، خرّجه الترمذى ، وكيف لم ينعت هذا البيت بشيء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نقي الصخب وهو : رفع الصوت ، فأما أبو بكر الإسكاف ، فقال في كتاب فوائد الأخبار له : معنى الحديث : أنه بُشّرت ببيت زائد على ما أعد الله لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها ؛ ولذلك قال : لا صخب فيه ولا نصب ، أى : لم تنصب فيه ، ولم تصخب . أى : إنما أعطيته زيادة على جميع العمل الذى نصبت فيه . قال المؤلف رحمه الله : لا أدرى ما هذا التأويل ، ولا يقتضيه ظاهر الحديث ، ولا يوجد شاهد يعضده ، وأما الخطابى ، فقال : البيت هاهنا عبارة عن قصر ، وقد يقال لمنزل الرجل : بيته ، والذى قاله صحيح ، يقال فى القوم : هم أهل بيت شرف وبيت عز ، وفى التنزيل : (غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ وقوله : ببيت ، ولم يقل : بقصر . معنى لائق بصورة الحال ، وذلك أنها كانت ربّة بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلاّ بيتها حين آمنت ، وأيضاً فإنها أول من نبىّ فى الإسلام بتزويجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورغبتها فيه ، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل ، وإن كان أشرف منه لما جاء : « من كسا مسلماً على عرني كساء الله من حلل الجنة ، ومن سقى مسلماً على ظملي سقاه الله من الرحيق ^(١) » ، ومن هذا الباب قوله عليه السلام : من نبىّ الله

(١) روايته : أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عرني كساء الله تعالى من خضر =

مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ ^(١) لَمْ يَرِدْ مِثْلُهُ فِي كَوْنِهِ مَسْجِدًا ، وَلَا فِي صِفَتِهِ .
وَلَكِنْ قَابِلُ الْبِنْيَانِ بِالْبِنْيَانِ ، أَيْ كَمَا بَنَى يُبْنِي لَهُ ، كَمَا قَابِلُ الْكِسْوَةِ بِالْكَسْوَةِ
وَالشَّقِيَاءُ ، بِالشَّقِيَاءِ ، فَهَاهُنَا وَقَعَتِ الْمَائِلَةُ ، لِأَنَّ ذَاتَ الْمَبْنِيِّ أَوْ الْمَكْسُوِّ ، وَإِذَا
ثَبِتَ هَذَا ، فَمِنْ هَهُنَا اقْتَضَتْ الْفَصَاحَةُ أَنْ يُعَبَّرَ لَهَا عَمَّا بُشِّرَتْ بِهِ بِلَفْظِ الْبَيْتِ ،
وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْهُ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْهُ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَمِنْ
تَسْمِيَةِ الْجِزَاءِ عَلَى الْفِعْلِ بِالْفِعْلِ فِي عَكْسِ مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (نَسُوا اللَّهَ
فَنَسِيَهُمْ) : (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ) ^(٢) .

== الجنة ، وأما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار
الجنة ، وأما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم ،
ويقول المنذرى عنه : رواه أبو داود من رواية أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن
الدلائلي ، وحديثه حسن ، والترمذي : بتقديم وتأخير ، وقال : حديث غريب ، وقد
روى موقوفاً على أبي سعيد ، وهو أصح وأشبه ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب
اصطناع المعروف موقوفاً على ابن مسعود .

(١) البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وابن ماجه عن عثمان ، وفيه : « يبتغى
به وجه الله » .

(٢) يقول الذين يؤولون الصفات التي ورد بها القرآن عن الآيات التي جاء فيها
نسبة الكيد والاستهزاء والنسيان إلى الله ما يأتي : « هذا كله إنما يحسن على وجه
المقابلة ، ويحسن أن يضاف إلى الله تعالى ابتداءً ، فيقال : إنه يكر ويكيد ويخادع
وينسى ، ولو كان حقيقة لصلح إطلاقه مفترداً عن مقابله كما يصح أن يقال : يسمع
ويرى ويعلم ويقدر ، ويرد ابن القيم رداً طيباً في الصواعق المرسله ، فيقول :
« الصواب أن معانيها - أي الكيد وخلافه - تنقسم إلى محمود ومذموم ، فالمذموم
منها يرجع إلى الظلم والكذب . . . فاكان منها متضمناً للكذب والظلم ، فهو

وأما قوله: لا صَخَبَ فيه ، ولا نَصَبَ ، فإنه أيضاً من باب ما كنا بسبيله،

مذموم ، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح ، فهو حسن محمود ، فإن الخادع إذا خادع بباطل وظلم حسن من المجازى له أن يخذعه بحق وعدل، وكذلك إذا مكر واستهزأ ظالماً متعدياً ، كان المكربه والاستهزاء عدلاً حسناً ، كما فعله الصحابة بكمب بن الأشرف، وابن أبي الحقيق، وأبي رافع وغيرهم ممن كان يعادى رسول الله ﷺ ، فخادعوه حتى كفوا شره وأذاه بالقتل ، وكان هذا الخداع والمكر نصرة لله ورسوله . . . وجزاء المسمى بمثل إسمائه جائز في جميع الملل مستحسنٌ في جميع العقول ؛ ولهذا كاد سبحانه ليوسف حين أظهر لإخوانه ما أبطن خلافه جزاء لهم على كيدهم له مع أبيه ، حيث أظهروا أمراً وأبطنوا خلافه ، ثم قرر أن هذه الأفعال لا يجوز ذمها على الإطلاق ، ولا مدحها على الإطلاق ، كما لا يجوز أن يشتق منها أسماء وصفات لله سبحانه ؛ لأن الله لا يوصف إلا بالأنواع المحمودة على الإطلاق ، ولهذا لم يرد في أسمائه الحسنى : المرید أو المتكلم أو الفاعل أو الصانع ؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى مدوح ومذموم ، فلا يجوز مطلقاً اشتقاق الماكر والخادع والمستهزئ بما ورد في الآيات ، وتسمية الله بها ، لأنه سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق . . . فلا يكون الاستهزاء والمكر والخداع منه قبيحاً البتة ، فلا يتمتع وصفه به ابتداءً لا على سبيل المقابلة . . . فإطلاق ذلك عليه سبحانه على حقيقته دون مجازاة ؛ إذ الموجب للمجاز متنفذ ،

وأقول : كل مسلم يتدبر القرآن لا يشعر أبداً بمثل ما يفتره المعطلة والجهمية ولا ينخر على آياته أصم أعمى ، ويفخر قلبه اليقين بأن الله الذي من علينا فعلنا البيان يستحيل أن نخكم عليه بأنه أخطأ في البيان عن صفاته وأسمائه وأفعاله ، أو أراد أن يضلنا بألفاظ لا يراد بها معانيها التي لها في لغة القرآن ، فلنصف الله بما وصف به نفسه ، ولنسمه بما سمي به نفسه ، ولننسب إليه ما نسب هو إلى نفسه جل جلاله دون تأويل أو تحريف أو تمثيل أو تشبيه أو تعطيل لشيء من هذا كله فإننا نؤمن بأن قوله - سبحانه - هو الحق ، وأنه ليس كمثل شيء .

لأنه - عليه السلام - دعاها إلى الإيمان، فأجابته عَفْوًا ، لم تحوجه إلى أن يَصْحَبَ كما يصحَب البُعل إذا تَقَصَّت عليه حَمِيلَتُهُ ، ولا أن يَنْصَب ، بل أزالته عنه كل نصب، وأنسته من كل وحشة، وهَوَّنت عليه كل مكروه، وأراحتة بما لها من كل كَدٍّ ونَصَب ، فوصف منزلها الذي بُشِّرَتْ به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته .

وأما قوله : من قَصَب، ولم يقل : من لَوَّز ، وإن كان المعنى واحداً، ولكن في اختصاصه هذا اللفظ من المُشَاكَلَة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها - رضى الله عنها - كانت قد أحرزت قَصَب السَّبْقِ إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنسوان . والعربُ تسمى السابقَ مُحْرِزًا للقَصَب . قال الشاعر :

مَشَى ابنُ الزُّبَيْرِ القَهْرَمَى ، وتقدمت أُمِّيَّةٌ حتى أحرزوا القَصَبَاتِ
فاتقصت البلاغة أن يمبر بالعبارة المشاكلة لعمليها في جميع ألفاظ الحديث فتأمله
الموازنة بين هريجة وعائشة :

فصل : وذَكَر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تحديجة : هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك . الحديث ^(١) يُذَكَر عن أبي بكر بن داود أنه

(١) في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة: « أتى جبريل النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام ، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . »

سُئِلَ: أعائشة أفضل، أم خديجة؟ فقال: عائشة أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل^(١)، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - فهي أفضل، قيل له: فمن أفضل، أخذت فاطمة؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: إن فاطمة بضعة مني^(٢) فلا أعدل ببضعة من رسول الله أحداً، وهذا استقراء حسن، ويشهد لصحة هذا الاستقراء أن أبا ليابة حين ارتبط نفسه، وحلف ألا يحمله إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءت فاطمة لتحمه، فأبى من أجل قسمه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: إنما فاطمة مضغة مني، فحمله وسند ذكر الحديث بإسناده في موضعه، إن شاء الله تعالى، ويدل أيضاً على تفضيل فاطمة قوله - عليه السلام - لها: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة^(٣) إلاّ سرّيم؟ فدخل في هذا الحديث أمها وأخواتها، وقد تكلم الناس في المعنى الذي سادت به فاطمة غيرها دون أخواتها، فقيل: إنها ولدت سيد هذه الأمة، وهو الحسن الذي يقول فيه النبي - صلى الله عليه وسلم:

(١) عن أبي سلمة أن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائش: هذا جبريل يقرئك السلام. قالت: وعليه السلام ورحمة الله. قالت: وهو يرى ما لا أرى، متفق عليه.

(٢) عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ص، قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني، وفي رواية: «يريني ما أراها، ويؤذيني ما أذها»، متفق عليه.

(٥) في حديث متفق عليه عن عائشة «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين، ولم يأت لمريم فيه ذكر.

إن ابني هذا سيد^(١)، وهو خليفة، بعلمها خليفة أيضاً، وأحسن من هذا القول قول: من قال: سادت أخواتها وأممه، لأنهن مثنى في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان في صحيفته، ومات أبوها وهو سيد العالمين، فكان رزؤه في صحيفتها وميزانها، وقد روى البزار من طريق عائشة أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة: هي خير بناتي؛ إنها أصيبت بي، فحق لمن كانت هذه حاله أن يسود نساء أهل الجنة، وهذا حسن، والله أعلم. ومن سُودُودِهَا أيضاً أن المهدي المُبَشَّرُ به آخر الزمان من ذريتها، فهي مخصوصة بهذا كله والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة^(٢)، وقد جمعها أبو بكر بن أبي خَيْثَمَةَ فأكثر، ومن أغربها إسناداً ما ذكره أبو بكر الإسكافي في فوائده الأخبار مسنداً إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كذَّبَ بالدِّجَالِ فقد كفر، ومن كذَّبَ بالمَهْدِيِّ فقد كفر^(٣)، وقال: في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب^(٤).

(١) من حديث رواه البخاري عن أبي بكر قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ونحن المسلمون لا يصح الآن أن نخوض في مثل هذا، فقد أفضت كل واحدة منهن إلى الله سبحانه»

(٢) استغل هذه الاسطورة أعداء الله، فظهر عشرات الدجاجة يزعم كل منهم أنه هو المهدي، ولم يخرج البخاري ولا مسلم شيئاً عن المهدي، وجميع الأحاديث الواردة فيه لا تخلو من نقد، وقرأ في هذا مقدمة ابن خلدون تحت عنوان «فصل في أمر الفاطمي»، (٣) لا يشهد لصحة هذا عقل ودلاد بن

(٤) نقل ابن خلدون عن السهيلي هذا في مقدمته ص ٢٧٢ طبع عبد الرحمن محمد وقال: وحسبك هذا غلوا - على أن أبابكر الإسكافي عندهم منهم وضع.

الله السلام :

وقول خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام ، علمت بفقهها ان الله سبحانه لا يُرَدُّ عليه السلام ، كما يُرَدُّ على المخلوق ؛ لأن السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها : الله السلام ، فكيف أقول عليه السلام ، والسلام منه يُسْتَل ، ومنه يأتي ؟ ولكن على جبريل السلام ، فالذي يحصل من هذا الكلام من الفقه أنه لا يليق بالله سبحانه إلا الثناء عليه ، فجملت مكان رد التحية على الله ثناء عليه ، كما عملوا في التشهد حين قالوا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان ، فقيل لهم : لا تقولوا هذا ، ولكن قولوا : التحيات لله ، وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب فوائد جمّة في معنى التحيات إلى آخر التشهد . وقولها : ومنه السلام ، إن كانت أرادت السلام التحية ، فهو خير يراد به التشكر ، كما تقول : هذه النعمة من الله ، وإن كانت أرادت السلام بالسلامة من سوء ، فهو خير يراد به المسئلة ، كما تقول : منه يُسْتَل الخير . وذهب أكثر أهل اللغة إلى أن السلام والسلامة بمعنى واحد كالرَضَاع والرَضَاعَة ، ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاهنا التأنيث من التحديد لرأوا أن بينهما فرقانا عظيما ، وأن الجلال أعم من الجلالة بكثير ، وأن اللذاذ أبلغ من اللذاذة ، وأن الرضاعة تقع على الرضعة الواحدة ، والرضاع أكثر من ذلك ، فكذلك السلام ، والسلامة ، وقس على هذا : تمر وتمرًا ، ولقاة ولقائي ، وضربة وضربًا ، إلى غير ذلك ، وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة ، وعهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جارٍ على نظام الحكمة ، كذلك سلم الثقلان من جور وظلم أن يأتيهم من قبله سبحانه ، وإنما الكل مُدَبَّرٌ بفضلي أو عدل ، أما الكافر فلا يجرى عليه إلا عدله ، وأما المؤمن

فيفهمه فضاه، فهو سبحانه في جميع أفعاله سلامٌ ، لا حَيْفَ ولا ظم ، ولا تفاوت ولا اختلال ، ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه تسمى به سلامته من الآفات والعيوب، فقد أتى بشنيع من القول، إنا السلام من سلمٍ منه، والسلام من سلمٍ من غيره، وانظر إلى قوله سبحانه : (كوني برزداً وسلاماً) وإلى قوله : (سلام هي) ولا يقال في الحائط : سالم من العمى ، ولا في الخَجَرِ أنه سالم من الزكام ، أو من السُّعال إنما يقال : سالم فيمن تجوز عليه الآفة ، ويتوقعها ثم يسلم منها ، والقُدوس سبحانه مُتَعَالٍ عن توقع الآفات مُتَنَزِّهٌ عن جواز النقائص ، ومن هذه صفته لا يقال : سلمٌ ، ولا يَدَسَمَى بِسالم ، وهم قد جعلوا سلاماً بمعنى سالم ، والذي ذكرناه أولٌ : هو معنى قول أكثر السلف والسَّلامَة : خِصَالَةٌ واحدة من خِصال السلام^(١) :

فترة الوهمي :

فصل : وذكر فترة الوحي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يذكر مقدار مدة الفترة ، وقد جاء في بعض الأحاديث المُسَنَدَة أنها كانت سنتين ونصف سنة ، فمن هنا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مُسَكَّنَه بِمكة كان عشر سنين ، وقول ابن عباس : ثلاث عَشْرَةَ سَنَةً ، وكان قد ابتدء بالرويا الصادقة ستة أشهر ، فمن عدَّ مدة الفترة ، وأضاف إليها الأشهر الستة ، كانت كما قال

(١) في النهاية لابن الأثير عن السلام : وسلامته ما يلحق الخلق من العيب والقناء والسلام في الأصل : السلامة ، وعند الراغب في مفرداته : ووصف بذلك من حيث لا يلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخلق ، وانظر ص ١٣٥ ج ٢ بدائع الفوائد .
(م ٢٨ — الروض الأنف ج ٢)

ابن عباس ، ومن عدّها من حين حمى الوحي وتتابع ، كما في حديث جابر كانت عشر سنين . ووجه آخر في الجمع بين القولين أيضا ، وهو أن الشعبي قال : وكل إسرافيلُ نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ثلاث سنين ، ثم جاءه بالقرآن جبريلُ ^(١) وقد قدمنا هذا الحديث ، ورواه أبو عمر في كتاب الاستيعاب ، وإذا صح فهو أيضا وجه من الجمع بين الحديثين ، والله أعلم .

شرح شعر الرهزلي والفرزدق :

فصل : وذكر ابن إسحاق قولَ أبي خراشِ خُوَيْلِدِ بنِ مُرّةِ التَّهْدَلِيّ
إلى بيته يَاوَيَّ الضَّرْبِكُ إِذَا شِئْنَا وَمُسْتَنْبِحٌ بِأَلَى الدَّرِيسِينَ عَائِلِ
الضَّرْبِكُ : الضَّعِيفُ الْمُضْطَرُّ ^(٢) وَالْمُسْتَنْبِحُ الَّذِي يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ فِي
ظِلْمَةِ اللَّيْلِ ، فَيَنْبِغُ لِيَسْمَعَ نُبَّاحَ كَلْبٍ ^(٣) وَالدَّرِيسُ : الثَّوْبُ الْخَلِيقُ ، وَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

(١) في فتح الباري : (هذا الذي اعتمده السهيلي من الاحتجاج بمرسل الشعبي لا يثبت ، وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة المذكورة كانت أياما . ص ٣١ ج ١ الحلبي وقال مغطاي : ويخدر فيه - أي في كلام السهيلي - ما في تفسير ابن عباس أنها كانت أربعين يوما ، وفي تفسير ابن الجوزي ومعاني الزجاج : خمسة عشر ، وفي تفسير مقاتل : ثلاثة أيام ، ولعل هذا هو الأشبه بحاله عند ربه . لا ما ذكره السهيلي ، وجنح لصحته ، ص ٢٣٦ شرح المواهب ج ١

(٢) الضربك أيضا : النسر الذكر والاحتق والزمن - بكسر الميم - والضرب .

(٣) عبر عنها الخشني بتعبير أوضح فقال : « المستنبح الذي يضل بالليل ، فينبغ نباح الكلاب ، لتسمعه الكلاب فتجاوبه ، فيعلم موضع البيوت ، فيقصدنها . »

ويقول الخشني عن ثنية الدريس : « وثنائه لأنه أراد به الإزار ، والرداء ، وهو أقل ما يكون للرجال من اللباس ، ص ٧٧ . »

تَرَى الْعُرَّاءَ الْجَحَّاجِجَ^(١) مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْخَدَّيْنِ عَالَا
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرُونَ بِهِ هِلَالًا

يعنى : سعيد بن العاصى بن أمية ، ويقال : إن مروان بن الحكم حين سمع
الفرزدق يئشذ هذا البيت حسده ، فقال له : قل : قوموا ينظرون إلى سعيد
يا أبا فراس . فقال له الفرزدق : والله يا أبا عبد الملك : إلاقياما على الأقدام^(٢) .
وذكر سبب نزول سورة الضحى ، وأن ذلك لفترة الوحى عنه ، وخرج
البخارى من طريق جندب بن سفيان^(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى ،
فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فقالت له امرأة : إبنى لأرجو أن يكون شيطاُنك قد تركك ،
فأنزل الله تعالى سورة الضحى^(٤) .

(١) غر : زبها هككذا جمع أغر : المشهور ، وأصله الأبيض . والججاجج : جمع
ججاجج وججاجج : السيد ، وأيضا : الفسل من الرجال ، ومن جمعه : ججاجج ،
وججاججة .

(٢) مدح الفرزدق سعيدا بهذا ، وكان حينئذ أمير المدينة من قبل معاوية
رحمه الله ، وكان يوليه معاوية سنة ، ويولى مروان سنة أخرى ، ويقال إن
الفرزدق قال لمروان : لا أقول إلا قياما ، وإنك يا أبا عبد الملك لصابن من
بينهم ، وصفن الرجل إذا رفع إحدى قدميه ، ووقف على الأخرى والخشنى ص ٧٨
(٣) سفيان : جده ، وأبوه : عبد الله . وهو ينسب إلى أبيه وإلى جده .

(٤) وأخرجه مسلم ومالك وأحمد والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن
جرير وبقيل : إن هذه المرأة هى أم جميل امرأة أبى لهب .

تَمَّ بِمَحْمَدِ اللَّهِ
الْجُزءُ الثَّانِي وَبَلِيهِ الْجُزءُ الثَّالِثُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وأوله : ﴿ فَرَضُ الصَّلَاةِ ﴾

ملحوظات

تسكلم السهيلي عن بئار مكة في ص ١٢٣ - ٢٤ وما بعدها ، وقد زاد البلاذري في كتابه فتوح البلدان عما ذكره السهيلي ، فقيما يتعلق بالعجول زاد بعد الشطرة الأولى :

قبل صدور الحاج من كل أفق

وزاد في سجلة بعد الشطرة الأولى :

في تربة ذات غداة سهلة

وزاد في شعر صفة المذكور في ص ١٢٥

فيها الجراد والذر وقذر لا يذكر

وعن بذر ورد :

ليست كبذر الفذور الجراد

وبهذا استقام المعنى فقد كانت البرور في الروض .

ملحوظات عن الجزء الأول

في ص ٣٣٦ > ١ ورد في السطر الحادى عشر نصف بيت من الشعر
اهتديت إلى تمامه ، فقد أنشده اللسان في مادة أوب وهو :
رَبَّاءَ سَمَاءَ لا يَأْوِي لِقَلْتِهَا إِلا السَّحَابُ وإلا الأوب السَّيْلَ

والأوب اسم جمع ومعناه : النحل ، والسبيل : المطر هذا وقد نددت عن
العين بعض أخطاء يسيرة جدا نرجو أن نتداركها بعد إن شاء الله .

محتويات الكتاب

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع	رقم
	البيت «س»		أهبات الرسول «ص»، «س» ١	٦
٢٨	قصة وزواجه وتولية أمر البيت «س»		أمر جرم ودفن زمزم «س»	٧
	ولاية الغوث إجازة الحج «س»	٢٩	مولد النبي «ص»	٧
	عدوان والإفاضة «س»	٣١	زمزم	٩
	قصة وخزاعة وولاية البيت	٣٢	استيلاء كنانة وخزاعة على البيت	١٠
	نشأة قصي	٣٣	ونقي جرم «س»	
	الغوث بن مر وصوفة	٣٤	شعر الحارث بن مضاخ «س»	١١
	لم سمى قصي قصياً «س»	٢٤	شعر عمرو بن الحارث «س»	١٢
	بنو سعد وزيد مائة	٣٧	حول زمزم	١٣
	اشتقاق المزدلفة	٣٨	لم نزلت هاجر وإسماعيل مكة	١٣
	ذو الإصبع وآل ظرب	٣٩	فطوراً وجرم والسميدع	١٥
	أبو سيارة	٤١	جباد وقيقعان	١٦
	حول لاهم «ن. ل. «س»	٤٢	جرم تسرق مال الكعبة	١٧
	كسيتك «س»، «ن. ل.»	٤٣	بين جرم وخزاعة	١٨
	أمر عامر بن ظرب	٤٤	غربة الحارث بن مضاخ	١٩
	غلب قصي على أمر مكة	٤٥	من شرح شهر ابن مضاخ	٢٠
	الرفادة «س»	٥٠	واسط وعامر وجرم	٢١
	الحكم بالآمارات	٥١	مكة وأسماؤها	٢٢
	يعمر للشداخ	٥٢	ما وجد مكتوباً في الأحجار	٢٤
			استبداد قوم من خزاعة بولاية	٢٧

(١) «س» رمز عن السيرة ، و«ن. ل.» رمز عن النحو واللغة ، و«دش» رمز

عن الشرح ، أما الروض فبدون رمز .

رقم	موضوع	رقم	الموضوع
٥٣	ولاية قصي البيت (١)	٨٧	عبد المطلب وابن ذى يزن
٥٣	رباع مكة	٨٨	نسب أحمية
٥٥	دار الندوة	٨٩	الليلة القسية والدرهم القسي
٥٥	من تفسير شعر رزاح		« ن . ل »
٥٨	شعر قصي والعذرتان	٩٠	شعر الصلتان
٥٩	حوتسكة وأسلم		أيا شاعرا لاشاعر اليوم مثله
٦١	الاختلاف بعد قصي وحلف	٩٠	« ن . ل »
	المطيبين « س »	٩١	جمع يراد به المفرد « ن . ل »
٦٣	حلف الفضول « س »	٩١	الحكم للبعض بحكم الكل
٦٥	هاشم ونسله « س »		« ن . ل »
٦٦	شعر مطر ودفي بكاء بنى عبد مناف « س »	٩٣	شعر مطر ود من عبد المطلب « س »
٦٧	حلف المطيبين	٩٥	حفر زمزم « س »
٦٨	السناد والإقواء	١٠٠	بئار قریش « س »
٧٠	حلف الفضول	١٠٣	ويل الشجى من فى الخلى « ن . ل »
٧١	حرب الفجار	١٠٤	شرح شعر مطرود
٧٣	القتول ونديه بن الحجاج	١٠٦	نصرف موماة ومرمر « ن . ل »
٧٥	الحلف وابن جدعان	١٠٧	قلن وسلس « ن . ل »
٧٥	هل حضر النبي حرب الفجار؟ « س »	١٠٩	حديث زمزم
٧٦	صَكَّهُ عُمَى « ن . ل » .	١١٠	الاستسقاء « س »
٧٧	طعام ابن جدعان « س »	١١٢	أسماء زمزم
٧٨	ابن جدعان أسطورة		تأويل العلامات التي رآها
٨١	موقف الإسلام من الحلف	١١٣	عبد المطلب
٨٣	عن أولاد عبد مناف	١١٦	من صفات زمزم
٨٤	طعام هاشم	١١٩	نبع الماء من بين أصابعه « س »
٨٤	ابن الزبير يمدح بنى عبد مناف	١٢٠	اشتقاق مفازة « ن . ل »

(١) الموضوع قد يذكر في السيرة وفي الروض ولهذا يتكرر ذكره في الفهرس .

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
١٢١	الجمع واسم الجمع (ن . ل)	١٦٦	التماس الاجر على الرضاع
١٢٣	بشار قريش بمكة	١٦٧	لم كانت قريش تلتمس المراضع
١٢٨	من شرح شعر مسافر (١)	١٦٨	شق الصدر
١٣٠	هراق وأراق دس ،	١٧٠	لم يكن النبي يعرف أنه نبي قبل البعثة دس ،
١٣١	نذر عبيد المطلب ذبح ولده دس ،	١٧٠	تضارب ما قيل عن الخاتم النبوي
١٣٥	المرأة التي تعرضت لنكاح عبد الله دس ،	١٧٢	حديث السكينة
١٣٧	ما قيل لآمنة عند حملها دس ،	١٧٢	عن شق الصدر مرة أخرى
١٣٧	نذر عبد المطلب	١٧٥	لم اختير طست من ذهب
١٣٩	تزويج عبد الله	١٧٨	الحكمة في ختم النبوة
١٤٠	حول أمهاته صلى الله عليه وسلم	١٧٩	رد حليلة للنبي دس ،
١٤١	المرأة التي دعت عبد الله	١٧٩	تأويل النور الذي رأته - آمنة -
١٤٣	ولادة الرسول ص دس ،	١٨٠	عود إلى حديث ابن إسحاق عن الرضاع دس ،
١٤٤	رضاعته وحضانه (س)	١٨١	وفاة آمنة دس ،
١٤٥	قصة حليلة السعدية (س)	١٨٢	رعية الغنم
١٤٩	فصل في المولد	١٨٣	في كفالة العم
١٥٠	لم يولد صلى الله عليه وسلم محتونا	١٨٤	حوت آمنة وزياته لها حول
١٥١	تسميته (ص)	١٨٥	أحاديث عن حكم أبويه
١٥٠	اسم محمد وأحمد	١٨٨	وفاة عبد المطلب ورشاه دس ،
١٥٧	تعويذ عبد المطلب	١٨٩	قصيدة صفية دس ،
١٥٨	مق ولد وأين ولد النبي دس ،	١٩٠	قصيدة برة وعاتكة وأم حكيم دس ،
١٦٠	تحقيق وفاة أبيه دس ،	١٩١	قصيدة أميمة وأروى دس ،
١٦٠	أبوه من الرضاعة	١٩٢	قصيدة حذيفة بن غانم دس ،
١٦٢	قصية أو فضية والثيام	١٩٥	قصيدة مطرود الخزاعي دس ،
١٦٣	شرح حديث الرضاع	١٩٥	ولاية العباس السقاية دس ،
١٦٤	يغذيه أو يغذيه		

(١) تقدم هذا العنوان قبل موضعه بأربعة أسطر .

الموضوع	رقم	الموضوع	رقم
هذه الشجرة لإلا نبى		الرسول « ص » في كفاية	١٩٦
تحقيق معنى الوسط	٢٣٧	أبي طالب « س »	
من الذى زوج خديجة؟	٢٣٨	شرح شعر رثاء عبد المطلب	١٩٧
أولاده « ص »	٢٤١	أبو جهم	٢٠٢
تذوق ورقة « س »	٢٤١	شرح شعر حذيفة بن غانم	٢٠٣
أولاده من خديجة	٢٤٢	تهام وشأم « ن . ل »	٢٠٤
بين خديجة وبحيرى ونسبها	٢٤٤	حذف الياء من هاء الكتابة	٢٠٦
من تزوجتهم خديجة قبل الرسول « ص »	٢٤٥	من شرح شعر حذيفة	٢٠٩
مارية وإبراهيم	٢٤٦	رأى النجاة فى زيد أفضل لإخوته	٢١٠
ترجمة ورقة	٢٤٨	من شرح شعر مطرود	٢١١
مثنى يقصد به المفرد « ن . ل »	٢٥٢	من شعر مهلهل عن زواج ابنته	٢١٢
النور والضياء « ن . ل »	٢٥٥	الذطف	٢١٤
نون الوقاية فى إن أو خواتها (ن . ل)	٢٥٦	الهبى العائف	٢١٥
حول تقدم صلة المصدر عليه (ن . ل)	٢٥٦	قصة بحيرى « س »	٢١٦
متى يجوز تقديم معمول المصدر « ن . ل »	٢٥٧	شرح قصة بحيرى فى الروض	٢٢٠
بنيان الكعبة فى السيرة	٢٥٩	من صفات خاتم النبوة	٢٢١
بنيان الكعبة فى الروض	٢٦٤	رواية الترمذى عن رحلة الشام	٢٢٤
تجديد ابن الزبير لبنائها	٢٦٦	نقد رواية الترمذى	٢٢٦
أساطير حول بناء الكعبة	٢٦٨	حفظ النبى « ص » فى صغره	٢٢٨
العهد الذى أخذ على ذرية آدم « ش »	٢٧٣	حرب الفجار « س »	٢٢٩
حول بناء المسجد الحرام	٢٧٦	حديث تزوج خديجة « س »	٢٣١
كنز الكعبة والنجار القبطى	٢٧٧	قصة الفجار فى الروض	١٣٣
الحية والدابة	٢٧٨	منع تنوين العلم	٢٣٤
تفسير : لم ترع	٢٧٨	من تفسير شعر البراض	٢٣٥
حول حديث أبى لهب	٢٧٩	آخر أمر الفجار	٢٣٥
الحجر الذى كان مكتوبا عليه	٢٨٠	شرح قول الراهب : ما نزل تحت	٢٣٦

الموضوع	رقم	الموضوع	رقم
انقطاع الكهانة	٣١٠	الحجر الأسود وقواعد البيت	٢٨١
قصة صاف بن صياد	٣١١	شعر الزبير في بناء الكعبة	٢٨٢
حديث الغيظة الكاهنة	٣١٢	حديث الحمس في السيرة	٢٨٣
وفي الروض		حديث الحمس في الروض	٢٨٧
كاهن ثقيف ولهب	٣١٣	يوم جبلة وعدس والحلة والطللس	٢٨٩
أيش والاحاثم دن.ل.	٣١٦	اللقى يروى	٢٩٠
حى جنب	٣١٧	رجز المرأة الطائفة	٢٩٠
حول حديث عمرو سواد بن قارب	٣١٨	قرزل وطفيل	٢٩١
سواد ودوس عند وفاة	٣٢٣	الهامة . شعر لجرير	٢٩٢
الرسول «ص»		مازل من القرآن في شأن الحمس	٢٩٣
كاهنة قريش	٣٢٤	وقوف النبي بعرفة قبل النبوة	٢٩٤
لمذار يهود بالرسول «ص»	٣٢٦	موقف قريش في الحج في	٢٩٤
ابن الهيبان	٣٢٨	جاهليتها «س.ش»	
حديث سلمة وبني سعيد	٣٢٩	الإخبار بمبعث نبي «س»	٢٩٥
إسلام سحنة الخبر	٣٣١	منع الجن من استراق السمع «ص»	٢٩٥
حديث إسلام سلمان «س»	٣٣٢	أول فرع للرعى بالنجوم «س»	٢٩٧
معنى لإصهان وشرح الروض	٣٤٠	كيف يسترق الجن السمع «ص»	٢٩٨
لحديث سلمان		حديث الغيظة الكاهنة في السيرة	٢٩٩
أسماء النخلة	٣٤١	والروض	
حكم الصدقة للنبي «ص» ومصدر	٣٤٢	حديث كاهن جنب «س»	٢٩٩
مال سليمان		فصل في الكهانة	٣٠١
أول من مات بعد الهجرة	٣٤٤	رمى الشياطين	٣٠٢
أسطورة نزول عيسى قبل البعثة	٣٤٥	الجن الذين ذكروا في القرآن	٢٠٣
ورقة وعبيد الله بن جحش	٣٤٨	ابن علاط والجن	٣٠٥
وعثمان بن الحويرث «س»		قصة نصر بن حجاج «س»	٣٠٥
زيد بن عمرو بن نفيل	٣٤٩	أحاديث حول استماع الجن «س»	٣٠٧

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٣٥٥	حديث ورقة في الروض	٣٨٨	أول بديء به من النبوة
٣٤٦	الزواج من امرأة الأب في الجاهلية	٣٩٠	مدلول تفعل «ن. ل.»
٣٥٨	معنى : ففتح الجرو	٣٩١	حول المجاورة في حراء
٣٥٨	من قصة ابن الحويرث	٣٩٢	كيفية الوحي
٣٥٩	اعتزال زيد بن عمرو بن نفيل	٣٩٦	من تفسير حديث الوحي
	الآوثان وتركه أكل ما ذبح على النصب	٣٩٧	معنى اقرأ باسم ربك
		٣٩٧	حول بسم الله
٣٦٣	زيد وصعصعة والموودة	٣٩٩	الفظ
٣٦٤	شرح شعر زيد	٤٠٠	العفريت الذي تفلت في الصلاة
٣٦٦	إعراب نعت النكرة المتقدم ونحوه	٤٠١	ما أنا بقارىء
٣٦٧	من معاني شعر زيد	٤٠٢	رؤية جبريل ومعنى «س»
٣٦٨	تفسير حنانيك وحول اسم الله «ن. ل.»	٤٠٢	معنى لئل وخرافة الرهبان
٣٦٩	حذف المنادى مع بقاء الياء «ن. ل.»	٤٠٤	معنى التاموس
٣٧٠	تصريف اطمانت وأشياء «ن. ل.»	٤٠٤	لم ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى؟
٣٧١	الدعموص والخزم في الشعر	٤٠٥	حول هاء السكت والفعل تترك «ن. ل.»
٣٧٢	لغويات ونحويات	٤٠٦	شرح أو مخرجى؟ «ن. ل.»
٣٧٥	صفة الرسول «ص» من الإنجيل	٤٠٧	يا فوخ «ن. ل.»
	«د س»	٤٠٧	الذهاب إلى ورقة
٣٧٦	بشارة لإنجيل يوحنا «د س»	٤٠٩	لقد خشيت على نفسي
٣٧٧	من صفات النبي عند الأخبار	٤١٠	المختار من أحاديث الوحي
	«د س»		وشرحها «د س»
٣٨٠	حديث الوحي «د س»	٤١٢	كيفية الوحي «ش»
٣٨٤	كتاب المبعث	٤١٢	مدة المجاورة في حراء «ش»
٣٨٥	إعراب لما آتيتكم (ن. ل.)	٤١٣	تفسير مفردات حديث الوحي
٣٧٨	النبوة وأولو العزم		«د س»

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٤١٥	ابتداء تنزيل : القرآن « س »	٤٢٣	أحاديث عن فضل خديجة
٤١٦	إسلام خديجة « س »	٤٢٥	تفسير القصب
٤١٧	فترة الوحي « س »	٤٢٦	حول جزاء خديجة
٤١٧	من تفسير سورة والضحي «س»	٤٢٧	حول المكر والنسيان «ش»
٤١٩	متى نزل القرآن	٤٢٩	الموازنة بين خديجة وعائشة
٤١٩	دعوى نزول القرآن جملة واحدة «ش»	٤٣٠	فضل فاطمة
٤٢٩	إضافه الشهر إلى رمضان	٤٣١	الله السلام
٤٢١	حب الرسول «ص» ووطنه	٤٣٢	فترة الوحي
٤٢٢	ذكر عبد الله بن حسن	٤٣٤	شرح شعر للهدلى والفرزدق
			ملحوظات

حمد وثناء

أحمد الله أن أعان ومن بالقدرة على عمل أجهد اليد والفكر والسمع والبصر لإجهادا لولا فضل الله ما تحملته . فالذي انصلت أسبابه المتينة بكتاب الروض الأنف يعلم أى فضل عظيم من الله من علىّ به ، ولا أزعم أنى أدبت كل ما يجب ، وإنما أزعم أنى حاولت بصدق . وأعلن هنا شكرى للآخ **أحمد بن محمد بن أحمد شعيان** صاحب المطبعة ، وإخوتى عمالها على أوفى جهد ، وأكرم تجاوب نبيل ؟

عبد الرحمن الوكيل

